كتاب الأغانى

لأبى الفرج الأصفهانى

الجزء الثانى

إعداد لجنة نشر كتاب الأغانى

بإشراف

محمد أبو الفضل ابراهيم

الناشر

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

المكتبة العربية

تصدرها

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

راجع مصححو طبعة دار الكتب هذا الجزء على النسخ التى راجعوا عليها الجزء الأوّل ؛ ما عدا النسخة الأوروبية التى اصطلح على تسميتها بالحرف (ر) لأن طابعها اقتصر على طبع بعض الجزء الأوّل ، وانتهى — كما ذُكر فى تصدير دار الكتب للجزء الأوّل — قبل آخر أخبار ابن محرز ونسبه ، وما عدا النسخة التيمورية التى اصطلح على تسميتها بالحرف (ت) والتى تنتهى بأخبار المجنون ، كما قام مصححو طبعة الدار أيضاً بمراجعة نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٩ أدب تبتدئ من هذا الجزء ، وقد رمز لها بالحرف ط ، ووصفها كما جاء فى مقدمة طبعة الدار ما يلى :

« قد اصطلحنا على تسميتها بالحرف « ط » لأن كاتبها هو محمد بن أبى طالب البدرى وذلك فى شهور سنة ٦١٤ هـ . ولم نرمز لها بالحرف « م » من محمد أو « ب » من البدرى ، لأننا رمزنا بهذين الحرفين لنسختين أخريين عند تصحيح الجزء الأوّل ووصفناهما فى تصديره .

أما هذه النسخة فالموجود منها بدار الكتب المصرية أربعة أجزاء فى أربعة مجلدات وهى:

١ — الجزء الثانى ، أوّله فى الصفحة الأولى ذكر عدىّ بن زيد ، ثم ما يلى هذه الصفحة مخروم . والخرم يستغرق كل أخبار عدىّ ، ثم جزءاً من أخبار الحطيئة ، ويبلغ مقداره نحو ٢٨ صفحة ونصف صفحة من طبعة بولاق . وتبتدئ الصحف الموجودة بهذا البيت :

باستك إذ خلقتنى خلف شـاعر　　من الناس لم أكفِئْ ولم أتنحل

وتنتهى بآخر أخبار بشار بن برد الشاعر ونسبه . ورسم بوجه الصفحة الأولى صورة ملوّنة بالأحمر والأخضر والأسـود واللازوردى ، وفيها بعض التذهيب ، وهى تمثل مجلساً من مجالس الرقص والغناء ، وقد ضم عدداً من الجوارى والقيان . وفى هامش ظهر هذه الصفحة طبع خاتم لم يظهر منه إلا « أبو الحسن على الشريف » وبدائرته « لا إله إلا الله وحده صدق وعده » . ويقع هذا الجزء فى ١٧٣ صفحة . ويبلغ طول الصفحة منه ٣٢ سنتيمترا ، وعرضها ٢٣ سنتيمترا ، وطول ما كتب منها ٢٤ سنتيمتراً بعرض ١٦ سنتيمتراً ،وفى كل صفحة ١٥ سطراً. وليس بهوامشه سوى بعض كلمات أو جمل سقطت من الأصل فاستدركها الناسخ وكتب فى نهايتها كلمة « صح » إشـارة إلى سقوطها من الأصل ، أو روايات مختلفة عن نسخ أخرى ، ويكتب فوقها الحرف « خ » إشـارة إلى روايتها بهذا النص فى نسخة أخرى . أما خط الجزء فهو النسخى المعهود . وهو واضح متقن ، وأوّله محلى بالذهب وتراجمه كذلك ؛ وقد ضبطت ألفاظه بالحركات . وورد بآخره هذه العبارة : « الحمد لله وحده . طالعه الفقير حسن بن محمد العطار الأزهرى غفر الله له » . وهو عالم جليل ومؤلف معروف ، تولى مشيخة الأزهر الشريف سنة ١٢٤٦هـ . كما ورد أيضاً : « طالعه الفقير درويش سنة ١٠١٦ » .

٢ — الجزء الرابع ، وأوّله أخبار طويس ونسبه ، وينتهى إلى آخر نسب إبراهيم الموصلى وأخباره .

وفى أوّل هذا الجزء ورقة مكتوبة بخط مخالف لخط الـكتاب تشمل أسماء من ترجم لهم صاحب الأغانى فى هذا الجزء كما كتبت فيها هذه العبارة بخط مخالف لهذا الخط أيضاً وهى : « الحمد لله وحده . قد دخل هذا الجزء الذى هو الرابع من الأغانى فى نوبة عبد الله ابن الفقير إليه محمد بن محمود الجزائرى الشهير بابن العنابى — كان الله له — بثمن قدره تسع ريالات صغيرة جزائرية وربع واحدها ؛ وذلك بتاريخ أواخر شعبان سنة خمس عشرة واثنى (كذا) عشر (كذا) مائة ، أحسن الله عاقبته بحمده إليه » .

وقد رسم بوجه الصحيفة الأولى منه صورة بالألوان كالسابقة إلا أنهـا تخالفها فى الوضع . وهى تمثل أميراً وحوله الغوانى والقيان وفى أيديهنّ العود والدف والقيثارة .

وأوصافه من جهة الخط والمقياس تنطبق على أوصاف المجلد السابق لأنه مخطوط بخط الناسخ المتقدّم ، ويقع فى ٢٠٥ صفحات ، وبه خروم فى الوسط .

وقد كتب بآخره : « الحمد لله . طالعه الفقير حسن بن محمد العطـار الأزهرى سامحه الله » و « الحمد لله . طالعه محمد أحمد السروجى المالـكى فى ثانى ذى القعدة سنة سبع وسبعين وثمانمائة ، غفر الله له وللمسلمين . وصلى الله على محمد وآله وسلم » .

٣ — الجزء الحادى عشر ، وأوّله خبر أسـاقفة نجران مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وينتهى إلى أوّل أخبار سويد بن أبى كاهل ونسبه ، وهو مخطوط بخط الناسخ المتقدّم أيضاً وأوصافه كأوصاف سابقيه ، ويقع فى ٢٠٨ صفحات . وقد كتب بآخره : « الحمد لله . طالعه الفقير حسن بن محمد العطار الأزهرى سامحه الله »

و « الحمد لله . طالعه فقير [إلى] رحمة ربه الغنى محمد أحمد السروجى المالكى فى حادى عشر محرم الحرام سنة ثمان وسبعين وثمانمائة . . . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » و « الحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد ، طالع فى هذا الكتاب المبارك الفقير سليمان جاويش الشهير بالأخرس وبابن أزدمر غفر الله له بمنه ، وذلك فى أوائل شهر المحرم الحرام سنة ثلاثة (كذا) عشر بعد ألف » و « طالع فى هذا الكتاب المفتقر إلى رحمة ربه ومغفرته ورضوانه الحقير رمضان أغا ابن المرحوم سليمان جاويش الخدم العالية غفر الله لهما ولوالديهما ولمن طالع فيه وأهدى ثواب لا إله إلا الله محمد رسول الله لهما مع الفاتحة فى شهر ذى القعدة سنة ١٠١٥ » و « الحمد لله . تعلق به نظر الفقير أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الهوانى » .

٤ — الجزء الثالث عشر وهو مخروم من الأوّل والأثناء والآخر ، وأول ما فيه من أثناء أخبار عبد الله بن الزبير ، وينتهى إلى أثناء أخبـــار عمرو بن بانة ، وهو مخطوط بخط الناسخ المتقدم أيضا ، وأوصافه كأوصاف الأجزاء السابقة . والموجود منه ١٧٢ صفحة ».

وقد قامت اللجنة المؤلفة لإصدار كتاب الأغانى — كاملا فى طبعة جديدة — بمقابلة هذا الجزء على بعض النسخ التى لم يرجع إليها مصححو طبعة الدار ، على ما يأتى :

(ا) نسخة مكبرة عن ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، مصور عن مكتبة الأكاديمية الشرقية بروسيا ، ورمزها — رس .

(ب) نسخة مكبرة عن ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، مصور عن مكتبة محمد تقى الدين ممتاز العلماء بلكناو بالهند ، ورمزها — مع .

(جـ) نسخة مكبرة عن ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، مصور عن مكتبة الأمبروزيانا ورمزها — نا .

(د) نسخة مكبرة عن ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، مصور عن مكتبة خدابخش فى بتنة بالهند ورمزها — خد .

وهذه النسخ وصفت فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

وقد أثبتت الفروق الهامة فى الحواشى ، كما أثبت ما فى هذا الجزء من تصويب واستدراك مما فات طبعة الدار . ووضعت له الفهارس المتنوعة على منهج فهرس دار الكتب مع إدخال بعض التعديلات عليه ؛ على نحو ما عمل فى فهارس الجزء الأول . ومن الله العون والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار مجنون بني عامر ونسبه

نسبه وتصحيح اسمه

١٦٧ / ١

هو — على ما يقوله من صحّح نسبَه وحديثَه — قَيْسٌ ، وقيل مَهْدِيّ ، والصحيحُ أنه قيسُ بنُ الملوّح[(١)] بن مُزاحِمِ بنِ قيس بن عدىّ[(٢)] بن رَبيعةَ بن جَعْدَةَ بن كَعْب ابن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ . ومن الدليل على أنّ اسمه قيسٌ قولُ لَيْلَى صاحبتِه فيه :

ألا ليتَ شِعْرِى والخطوبُ كثيرةٌ   متى رَحْلُ قَيْسٍ مُستقِلٌّ فراجعُ

وأخبرنى الحسَن[(٣)] بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال :

سمعتُ مَنْ لا أُحْصِى يقول : اسمُ المجنونِ قيسُ بن الملوّح .

قيل كانت به لوثة ولم يكن مجنونا

وأخبرنى هاشمُ بن محمد الخُزَاعِىّ قال حدّثنا الرِّيَاشِىّ ، وأخبرنى الجوهرىّ عن عمرَ ابنِ شَبَّةَ أنهما سَمِعا الأصمعىَّ يقول — وقد سُئل عنه — :

لم يكن مجنوناً ولكن كانتْ به لُوثة[(٤)] كلُوثةِ أبى حَيَّة[(٥)] النُّمَيْرِىّ .

وأخبرنى حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِىّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ عن[(٦)] ابن شَبَّةَ

---

(١) لم نقف على ضبط هذا الاسم بخصوصه ولكن العرب سموا ملوّحا — بفتح الواو — وهو الذى ذكره صاحب القاموس ولم يذكر أنه سمى بملوِّح ، بكسرها .

(٢) فى بعض الأصول : « مزاحم بن عدس بن ربيعة » . وقد نقل صاحب اللسان فى مادة «عدس» عن ابن الأنبارى : أن كل ما فى العرب «عدس» فإنه بفتح الدال إلا عدس بن زيد فإنه بضمها ، وهو عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكذلك نص عليه أبو على القالى فى النوادر ج ٣ ص ٢٠٩ طبع دار الكتب المصرية .

(٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى نسخة حـ : « وأخبرنى الحرمى عن أحمد بن زهير » .

(٤) فى القاموس وشرحه ولسان العرب : اللوثة بالضم : الحمق ويفتح ، وذكر الوجهين ابن سيده فى المحكم عن ابن الأعرابى . وعبارة المصباح : اللوثة بالفتح : الحماقة ، وبالضم : الاسترخاء والحبسة فى اللسان .

(٥) له ترجمة فى الجزء السادس عشر من الأغانى طبع دار الكتب .

(٦) فى ت : « قالا : حدثنا عمر بن شبة » .

عن الحِزَامىّ قال حدّثنى أيُّوبُ بنُ عَبَايَةَ قال :

اختلاف الرواة فى وجوده

سألتُ بَنِى عامرٍ بطناً بطناً عن مجنون بنى عامر فما وجدتُ أحداً يعرفه .

وأخبرنى عمّى قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنىّ عن ابن دَأْبٍ (١) قال : قلتُ لرجل من بنى عامر : أتعرف المجنونَ وتَروِى من شعره شيئاً ؟ قال : أَوَقد فرَغنا من شعر العقلاء حتى نَروِىَ أشعار المجانين ! إنهم لكثيرٌ ! فقلتُ : ليس هؤلاء أعنِى ، إنما أَعنِى مجنونَ بنى عامر الشاعرَ الذى قتله العشقُ ، فقال : هيهات ! بنو عامر أغلَظُ أكباداً من ذاكَ ، إنما يكون هذا فى هذه اليمَانيَةِ الضِّعافِ قلوبُها ، السَّخيفةِ عقولُها ، الصَّعْلَةِ (٢) رءوسُها ، فأما نِزارُ فلا .

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّيَاشِيّ قال سمعت الأصمعىّ يقول : رجلان ماعُرِفَا فى الدنيا قطُّ إلا بالاسم (٣) : مجنونُ بنى عامر ، وابنُ القِرِّيَّةِ (٤) ، وإنما (٥) وضعَهما الرُّوَاةُ .

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شبّةَ قال حدّثنى عبد الله بن أبى سَعْد عن الحِزَامىّ قال : ولم أسمعه من الحزامىّ فكتبتُه عن ابن أبى سعد قال أحمد :

(١) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، كان عالماً بأخبار العرب وأشعارهم ، وكان فوق ذلك شاعرا ، وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاماً ينسب إلى العرب ، وكان من أكثر أهل الحجاز أدباً وعلماً وعذوبة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم ، وكان لذيذ المفاكهة طيب المسامرة كثير النادرة جيد الشعر حسن الانتزاع له ، وهو من نقلة الأخبار ونقاد الأشعار ، حظى عند الهادى حظوة لم تكن لأحد قبله (انظر ترجمته فى التعليقات على كتاب التاج للجاحظ ص ١١٦ — ١١٧) .

(٢) كذا فى ت ، حـ ، ومعناه الصغيرة رءوسها . وفى حديث أم معبد فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم : « لم تزر به صعلة » . قال أبو عبيد : الصعلة : صغر الرأس . وفى م : «الصعبة» بالباء . وفى سائر النسخ : « الصلعة » بتقديم اللام على العين ، وكلاهما تحريف .

(٣) كذا فى ت ، م . وفى حـ : « إلا باسم مجنون بنى عامر » ، وفى باقى النسخ : « الا باسم مجنون بنى عامر » . والصواب ما أثبتناه .

(٤) انظر الكلام عليه فى ص ٨ بالحاشية رقم ٥ من هذا الجزء

(٥) كذا فى ت . وفى ب ، س : « فإنهما » . وفى باقى النسخ : « إنما وضعهما » .

وحدّثنا به ابنُ أبى سعد عن الحزامىّ قال حدّثنا عبدُ الجَبَّار بن سعيد بن سليمانَ ابن نَوْفَل بن مُسَاحِقٍ عن أبيه عن جدّه قال :

سعيتُ(١) على بنى عامر فرأيتُ المجنونَ وأُتِيتُ به وأنشدنى .

أخبرنى علىّ بن سليمانَ الأَخْفَشُ قال حدّثنا أبو سَعِيد السُّكَّرِىّ قال حدّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع عن المَدَائنىّ قال(٢) :

المجنونُ المشهورُ بالشعر عند الناس صاحبُ لَيْـلى قَيْسُ بن مُعَاذ من بنى عامر ، ثم من بنى عُقَيل(٣)، أحد بنى نُمَـير بن عامر بن عُقَيل ، قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مَهْدِىّ بن المُلَوَّح من بنى جَعْدَةَ بنِ كَعْب بنِ رَبِيعةَ بنِ عامر بن صَعْصَعةَ .

قيل إن فتى من بنى أميـة وضع حديثه وشعره ونسبه إليه

وأخبرنى عمِّى عن الـكُرَانِىّ قال حدّثنا ابن أبى سَعْد عن علىّ بن الصَّبَّاح عن ابن الـكَلْبىّ قال :

حُدِّثتُ أن حديثَ المجنونِ وشعرَه وضعه فتًى من بنى أُمَيَّةَ كان يهوى ابنَةَ عمّ له ، وكان يكرَه أن يظهرَ ما بينه وبينها ، فوضع حديثَ المجنون وقال الأشعارَ التى يرويها الناسُ للمجنون ونسبها إليه .

١٦٨ / ١

أخبرنى الحُسَين بن يحيى وأبو الحَسَن الأَسَدِىّ قالا : حدّثنا حَمَّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال :

اسم المجنون قيسُ بن مُعَاذٍ أحدُ بَنِى جَعْدَةَ بنِ كَعْب بنِ رَبِيعةَ بن عامر ابن صَعْصَعة .

وأخبرنى أبو سَعْد(٤) الحسنُ بن علىّ بن زَكَرِيّا العَدَوِىّ قال حدّثنا حَمَّاد(٥) ابن طَالُوتَ بن عَبَّاد ، أنه سأل الأصمعىّ عنه ، فقال :

(١) أى خرجت عاملا على قبض الزكاة منهم .
(٢) كذا فى ت ، حـ . وفى سائر النسخ : « عن المدائنى قال قال الخ » .
(٣) فى شرح مسلم للنووى : أن عقيلا كله بالفتح الا ابن خالد — عن الزهرى — ويحيى بن عقيل وأبا القبيلة فبالضم . انظر شرح القاموس مادة « عقل » .
(٤) فى بعض النسخ « أبو سعيد » . (٥) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى باقى النسخ : « عثمان » .

لم يكن مجنوناً ، بل كانت به لُوثةٌ أحدثها العشقُ فيه ؛ كان يهوَى امرأةً من قومه يقال لها لَيْــلَى ، واسمه قيسُ بن مُعَاذ .

وذكر عَمْرو بن أبى عَمْرو الشَّيْبانىّ عن أبيه أنّ اسمه قيسُ بن مُعَاذ .

وذكر شُعَيبُ بن السَّـكَن عن يُونُسَ النَّحْوِىّ أن اسمه قيسُ بن الملوّح ، قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ :

وحدّثنى رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه ، فذكر[١] أنه قيسُ بن الملوّح .

وذكر هشام بن محمد الـكَلْبىّ أنه قيسُ بن الملوّح ، وحدَّث أن أباه مات قبل اختلاطه[٢] ، فعقَرَ على قبره ناقتَه وقال فى ذلك :

عقرتُ على قبر الملوّح ناقتى بذى السَّرْح[٣] لما أن جفاه الأقاربُ
وقلتُ لها : كُونِى عَقِيرًا[٤] فإننى غدًا راجلٌ أمشِى وبالأمسِ راكبُ
فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ يابنَ مُزَاحمٍ فكلٌّ بكأس الموت لاشكَّ شارِبُ[٥]

وذكر إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزامىُّ وأبو عُبَيدة مَعْمَرُ بن المُثَنَّى أن اسمه البُحتُرِىُّ ابن الجَعْد .

وذكر مُصْعَب الزُّبَيرِىّ والرِّياشىّ وأبو العَالِية أن اسمه الأقرعُ بن مُعَاذ . وقال خالدُ بن كُلْثوم : اسمه مهدىُّ بن الملوّح .

(١) فى ت ، حـ : « فعرَّفه » . (٢) يقال : اختلط عقله ، إذا تغير وفسد .
(٣) ذو السرح : واد بأرض نجد .
(٤) عقيرا أى معقورة . وأصل العقر : قطع القوائم ثم أطلق بمعنى النحر . قال ابن الأثير : كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى ، أى ينحرونها ويقولون : إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته فنكافئه بمثل صنيعه بعد وفاته . وانما أطلق العقر على النحر ؛ لأنهم كانو اذا أرادوا نحر البعير عقروه لئلا يشرد عند النحر . اهـ ، من اللسان (مادة عقر) .
(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : « لابد شارب » .

وأخبرنى الأخفش عن السُّكَّرىّ عن أبى زِيَاد[1] الكِلاَبىّ ، قال :

لَيْلَى صاحبةُ المجنون هى ليلى بنتُ سَعْد بن مَهْدِىّ بن رَبِيعةَ بن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبِيعة بن عامر بن صَعْصَعة .

أخبرنى محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ ، قال حدّثنا أبو قِلاَبةَ الرَّقَاشِىّ[2] ، قال حدّثنى عبد الصَّمَد بن المُعَذَّلِ ، قال : سمعتُ الأصمعىَّ ، وقد تذاكرنا مجنونَ بنى عامر يقول : لم يكن مجنونا وإنما كانت به لُوثةٌ ، وهو القائل :

أخَذَتْ محاسنَ كلِّ ما ... ضَنَّتْ محاسنُه بحُسنِهْ
كادَ الغزالُ يكونُها ... لولا الشَّوَى[3] ونُشُوزُ قَرْنِهْ

لقب بالمجنون كثير غيره وكلهم كان يشبب بليلى

وأخبرنى عمر بن عبد الله بن جَمِيلٍ العَتَكِىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

سألتُ أعرابيًّا من بنى عامر بن صَعْصَعَة عن المجنون العَامِرىّ فقال : عن أيِّهم تسألُنى ؟ فقد كان فينا جماعةٌ رُمُوا بالجنون ، فعن أيِّهم تسأَلُ ؟ فقلت : عن الذى كان يُشَبِّب بلَيْلَى ، فقال : كلّهم كان يُشبّب بليْلَى ، قلتُ : فأنشِدْنى لبعضهم ، فأنشَدَنى لمُزَاحِم بن الحارث المجنون :

ألا أيُّهــا القلبُ الذى لَجَّ هائمًا ... بلَيْلَى[4] وليداً لم تُقَطَّعْ تمائِمُهْ

(١) اسمه يزيد بن عبد الله بن الحارث، قال عنه ابن النديم فى الفهرست طبع ليبزج ص ٤٤ : « إنه قدم بغداد أيام المهدى وكان شاعرا من بنى عامر بن كلاب » ، وله مصنفات ذكرها . وقال فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى فى ترجمته : « وكان إماما فى اللغة » . وقال على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيه على أغلاط الرواة : « انما بدأت بنوادر أبى زياد لشرف قدرها ونباهة مصنفها » .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : « الرياشى » بالياء مكان القاف وهو تحريف ؛ لأن أبا قلابة ، وهو عبد الملك بن محمد ، يعرف بالرقاشى نسبة إلى رقاش : قبيلة من قيس عيلان (انظر الأنساب للسمعانى فى مادة الرقاشى ، والخلاصة فى أسماء الرجال فى ترجمته ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى) .

(٣) الشوى : الأطراف .

(٤) كذا فى ت . وفى باقى النسخ : « وليدا بليلى » .

أَفِقْ قد أفاق العاشقون وقد أَنَى[١] … لكَ اليومَ أن تَلْقَى طبيباً تُلائِمُهْ
أَجِدَّكَ[٢] لا تُنسِيكَ لَيْلَى مُلِمَّةٌ … تُلِمُّ ولا عهــدٌ يَطُولُ تَقَادُمُهْ

قلت : فأَنشِدْنى لغيره منهم ، فأَنشَدَنى لمُعَاذ بن كُلَيبٍ[٣] المجنون :

ألا طَالَمَا لاعَبْتُ لَيْلَى وقادَنى … إلى اللَّهو قلبٌ للحسانِ تَبُوعُ
وطال امتراءُ[٤] الشَّوقِ عينيَ[٥] كلما … نَزَفتُ دُموعاً تَسْتَجِدُّ دُموعُ ١٦٩/١
فقد طال إمساكى على الـكَبِد التى[٦] … بها من هَوَى لَيْلَى الغَدَاةَ صُدُوعُ

قلتُ : فأَنشِدْنى لغير هذين ممن ذَكرتَ ، فأَنشَدَنى لمَهْدِىِّ بن المُلَوَّح :

لو أنّ لك الدنيا وما عُدِلَتْ به … سِوَاهَا وليـلى بائنٌ عنكَ بَينُها[٧]
لـكنتَ إلى ليـلى فقيراً وإنمـا … يقـود إليهــا وُدُّ نفسِك حَينُها

قلتُ له : فأَنشِدْنى لمن بقى من هؤلاء ، فقال : حَسْبُكَ ! فوالله إنّ فى واحد من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائـكم اليومَ .

أخبرنى محمد بن خَلَفٍ وَكيعٌ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال قال ابن الأعرابىّ :

---

(١) أنى : حان وقرب . وفى ت وتزيين الأسواق لداود الأنطاكى : « أبى » .

(٢) قال أبو عمرو : أجدك لا تفعل ، بفتح الجيم وكسرها والكسر أفصح . ومعناه مالك أجداً منك ! وهو منصوب على المصدر . وقال ثعلب : ما أتاك فى الشعر من قولك : أجدك فهو بالكسر ، فإذا قلت بالواو : وجدك فتحت ، وإنما وجب الفتح لأنه صار قسما ، فكأنه حلف بجده والد أبيه .

(٣) كذا فى ب ، س ، وسيأتى قريبا مصغرا فى جميع النسخ عدا نسخة ت .

(٤) الامتراء : الاستدرار .

(٥) فى ب ، س ، حـ ، : « عنى » وهو تحريف .

(٦) فى م ، د : « الذى » ، والكبد مؤنثة وقد اقتصر ابن جنى فيها على التأنيث ، وكذلك قال اللحيانى : هى مؤنثة فقط ، وذكر صاحب القاموس الوجهين حيث قال : وقد يذكر ، ونسب شارحه وجه التذكير إلى الفراء وغيره .

(٧) بينها هنا معناه وصلها ، لأنه من أسماء الأضداد ، يطلق على الوصل والفراق ، وربما كان من إسناد الفعل إلى مصدره كجن جنونه ، وجد جده ، وضل ضلاله . وفى ب ، س ، حـ : « حائن » وهو تحريف .

كان مُعَاذ بن كُلَيب[١] مجنونا ، وكان يُحبّ ليلى ، وشَرِكَه فى حبها مُزَاحِمُ ابن الحارث العُقَيليّ ، فقال مُزَاحمٌ يوماً للمجنون :

كلانا يا مُعاذُ يُحِبُّ لَيْـلَى بِفِيّ وفيـكَ مِن لَيْلَى التُّرَابُ
شَرِكْتُكَ فى هَوَى مَنْ كان حظِّى وحظُّكَ مِن مودّتِها العَـذابُ
لقـد خَبَلَتْ فؤادَك ثم ثَنَّت بقلبى[٢] فهـو مخبولٌ مُصابُ

قال فيقال : إنه لما سمع هذه الأبياتَ الْتُبِس وخولِط فى عقله .

وذكر أبوعمرو الشَّيْبانىّ : أنه سمع فى الليل هاتفاً يهتِفُ بهذه الأبياتِ ، فكانت سببَ جنونه .

وذكر إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزَامِىّ عن أيُّوبَ بن عَبايةَ : أنّ فتًى من بنى مَرْوانَ كان يهوَى امرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبُه إلى المجنون ، وأنه عمِلَ له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعرَ ، فحمَله الناس وزادوا فيه .

إنكار وجوده والقول بأن شعره مولد عليه

وأخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن العُمَرىّ عن العُتْبىّ عن عَوَانةَ أنه قال : المجنون اسم مُستعارٌ لا حقيقةَ له ، وليس له فى بنى عامر أصلٌ ولا نسبٌ ، فسئل مَنْ قال هذه الأشعار ؟ فقال : فتًى من بنى أمية .

وقال الجاحظُ : ما تركَ الناسُ شعراً مجهولَ القائلِ قيل فى لَيْلَى إلا نَسبوه إلى المجنون[٣] ، ولا شعراً هذا سبيله قيل فى لُبْنَى إلا نسبوه إلى قيس بن ذَرِيح .

وأخبرنى محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثنا هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال حدثنى

(١) فى ت : « كلب » .
(٢) فى ب ، س : « بعقلى » .
(٣) فى ت : « قيس بن الملوح » .

أبو أيُّوبَ المَدِينىّ[1] قال حدثنى الحَكَمُ بن صالح قال :

قِيلَ لرجل من بنى عامر : هل تعرِفونَ فيكم المجنونَ الذى قتله العشقُ ؟ فقال : هذا باطلٌ ، إنما يقتلُ العشقُ هذهِ اليَمَانيَةَ الضِّعَافَ القلوبِ .

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدّثنا إبراهيمُ بن المُنْذِرِ الحِزَامىّ قال حدّثنى أيُّوبُ ابن عَبَايَةَ قال :

حدثنى مَنْ سأل بنى عامر بطناً بطناً عن المجنون ، فما وجدَ فيهم أحداً يعرِفُه .

أخبرنى محمدُ بن مَزْيَدِ بن أبى الأَزْهَر قال حدثنا أحمدُ بن الحارث عن ابن الأعرابىّ أنه ذَكر عن جماعة من بنى عامر أنهم سُئلوا عن المجنون فلم يعرفوه ، وذكروا أنّ هذا الشعرَ كلَّه مُوَلَّد[2] عليه .

أخبرنى أحمد بن عُبَيْدِ الله[3] بن عَمّار قال حدثنى أحمدُ بن سُلَيمانَ بنِ أبى شَيْخ عن أبيه عن محمد بن الحَكَم عن عَوَانَةَ قال :

ثلاثةٌ لم يكونوا قطُّ ولا عُرِفوا : ابن أبى العَقِب صاحبُ قصيدة المَلاَحِم[4] ، وابنُ القِرِّيَّةِ[5] ، ومجنونُ بنى عامر .

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : « المدائنى » والصواب ما أثبتناه . قال ابن النديم فى الفهرست طبع ليبزج ص ١٤٨ : أبو أيوب المدينى واسمه سليمان بن أيوب بن محمد من أهل المدينة اهـ . والأكثر فى النسبة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم « مدنى » ، قال السمعانى فى الأنساب : أكثر ما ينسب إليها المدنى ، ونقل ياقوت عن محمد بن إسماعيل البخارى : أن المدينى هو الذى أقام بالمدينة ولم يفارقها ، والمدنى هو الذى تحول عنها وكان منها ، ثم قال : والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول مدنى مطلقا ، وإلى غيرها من المدن مدينى ؛ للفرق لا لعلة أخرى ، وربما ردهبعضهم إلى الأصل فنسب إلىمدينة الرسول أيضا مدينى اهـ.

(٢) كذا فى أغلب النسخ ، والمولد : المفتعل ، يقال : جاء بكتاب مولد ، أى مفتعل . وفى ب ، س : « مؤلف » .

(٣) فى ت : « عبد الله » وقد تقدم غير مرة كما أثبتناه فى الأصل .

(٤) الملاحم : جمع ملحمة وهى الواقعة العظيمة فى الفتنة ، ولها علم خاص يبحث فيه عن معرفة أوقات الفتن بالدلائل النجومية ، قال صاحب كتاب مدينة العلوم : وقد عرفت أن علم أحكام النجوم من أضعف العلوم دلالة فلا تعويل عليه أصلا اهـ من كتاب أبجد العلوم لصديق حسن خان طبع الهند ص ٦٣٦ .

(٥) هو أيوب بن زيد بن قيس ، والقرية أمه ، وهو من بنى هلال بن ربيعة ، وكان لسنا خطيبا ، قتله الحجاج لاتهامه بالميل الى ابن الأشعث ، وقد عرف به ابن خلكان فى تاريخه فقال : «هذا ابن القرية الذى يذكره=

أخبرنى أبو الحسَن الأسَدِىّ قال حدثنا الرِّياشىُّ قال سمعتُ الأصمعىّ يقول : الذى أُلقِى على المجنون من الشعر وأُضيفَ إليه أكثرُ مما قاله هو . ١٧٠/١

أخبرنى عيسى بن الحُسَين الوَرّاقُ قال حدثنا عمرُ بن شبَّةَ قال حدثنى إسحاقُ قال : أنشدتُ أيُّوبَ بن عَبَايَةَ هذين البيتين :

وخبَّرتُمانِى أنّ تيمَاءَ[1] منزِلٌ ... لِلَيْلَى إذا ما الصَّيفُ ألقَى المَرَاسِيَا
فهذِى شهورُ الصيفِ عنا قد انقضَتْ ... فما لِلنَّوَى تَرمِى بلَيْلَى المَرَامِيَا

وسألته عن قائلهما ، فقال : جميلٌ ، فقلتُ له : إنّ الناس يَروُونَهما للمجنون ، فقال : ومَن هو المجنونُ[2] ؟ فأخبرتُه ، فقال : ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعتُ به .

وأخبرنى عمى عن عبد الله بن شَبيب عن هارونَ بن موسى الفَرْوِىّ[3] قال : سألت أبا بكر العَدَوِىّ عن هذين البيتين فقال : هما لجميل ، ولم يعرف المجنونَ ، فقلتُ : فهل معهما غيرُهما ؟ قال : نعم ، وأنشدنى :

وإنى لأخشى أن أموتَ فُجَاءَةً ... وفى النفس حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا
وإنى ليُنْسِينِى لِقــــاؤكِ كلَّما ... لقِيتُكِ يومًا أنْ أَبُثَّكِ ما بِيا
وقالوا : به داءٌ عَيَــاءٌ أصابه ... وقد علِمتْ نفسى مكانَ دوائِيا

=النحاة فى أمثالها فيقولون : ابن القرية زمان الحجاج» ، ثم أورد عبارة صاحب الأغانى هذه وقال : « ابن القرية يعنى هذا المذكور وابن أبى العقب الذى تنسب إليه الملاحم واسمه يحيى بن عبد الله بن أبى العقب ، والله أعلم » .

وقد ذكر صاحب كشف الظنون يحيى هذا باسم يحيى بن عقب ووصفه بأنه معلم الحسن والحسين رضى الله عنهما وملحمته منظومة لامية أولها :

رأيت من الأمور عجب حال ... لأسباب يسطرها مقــالى

(١) تيماء بالفتح والمد : بلد صغير فى أطراف الشام بين الشام ووادى القرى ، والأبلق الفرد : حصن السموءل بن عاديا اليهودى مشرف عليها ؛ فلذلك كان يقال لها : تيماء اليهودى اهـ من معجم البلدان لياقوت .

(٢) كذا فى ت . وفى ب ، س : « وما المجنون؟ » وفى باقى النسخ : « وما هو المجنون؟ » .

(٣) فى ت ، ب ، س ، حـ : « القروى » . وفى سائر النسخ : « المروى » . والموجود فى كتب التراجم « هارون بن موسى بن أبى علقمة الفروى » بالفاء ؛ فلعل القروى أو المروى محرفة عنها .

قال أبو الفرج : وأنا أذكر[1] مما وقع إلىّ من أخباره جُمَلاً مستحسنة ، مُتَبرِّئاً من العهدة فيها ؛ فإن أكثر أشعاره المذكورةِ فى أخباره ينسُبُها بعضُ الرُّوَاة إلى غيره وينسُبها مَنْ حُكيتْ عنه إليه ، وإذا قدّمتُ هذه الشريطةَ برئتُ من عيبِ طاعنٍ ومُتَتَبِّعٍ[2] للعيوب .

بدء تعشقه ليلى

أخبرنى بخبره فى شَغَفِه بليلى جماعةٌ من الرُّواة ، ونسختُ ما لم أسمعه من الروايات وجمعتُ ذلك فى سِياقة خبره ما اتّسقَ ولم يختلف، فإذا اختلفَ نسبتُ كلَّ رواية إلى راويها.

فمن أخبرنى بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبىّ ، قالا : حدثنا عمرُ بن شبَّةَ عن رجاله ، وإبراهيمُ بنُ أيوبَ عن ابن قُتَيبة ، ونسختُ أخبارَه من رواية خالد بن كُلثُوم وأبى عَمْرو الشَّيْبانىّ وابن دَأْبٍ وهِشَام بن محمد الكَلْبىّ وإسحاقَ بنِ الجَصَّاص وغيرهم من الرُّوَاة .

قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ وأبو عُبَيدةَ :

كان المجنونُ يهوَى ليلى بنتَ مَهدِىّ بن سَعد بن مهدىّ بن رَبيعة بن الحَرِيش ابن كَعْب بن رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ وتكنى أمَّ مالكٍ ، وهما حينئذ صبيّان ، فعَلِق كلُّ واحد منهما صاحبه وهما يرعَيانِ مواشِىَ أهلِهما ، فلم يزالا كذلك حتى كَبِرا فحُجِبتْ[3] عنه ، قال : ويدل على ذلك قوله :

صوت

تعلّقتُ لَيْلَى وهى ذاتُ ذُؤَّابةٍ[4] ... ولم يَبْدُ للأَتراب من ثَدْيِها حجمُ
صَغِيرَين نرعَى البَهْمَ[5] يا ليتَ أننا ... إلى اليوم لم نَكْبَرْ ولم تَكْبَرِ البَهْمُ

---

(1) فى ا ، م ، : «وأنا ذاكر» . (2) كذا فى ح . وفى سائر النسخ : «ومتبع» .
(3) فى ت : «وحجبت» بالواو .
(4) كذا فى جميع النسخ ، والذؤابة : شعر الناصية . وفى ديوانه وكتاب الشعر والشعراء فى ترجمته : «وهى غرٌّ صغيرة» . وفى تزيين الأسواق : «وهى ذات تمائم» .
(5) البهم : جمع بهمة وهى الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر من الوحش وغيرها ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء .

فى هذين البيتين للأَخْضَر الجُدِّىّ لحنٌ من الثقيل الثانى بالوُسطى ، ذكره هارونُ ابن محمد بن عبد الملك الزيات والهشامىّ .

أخبرنا الحسينُ بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن أيُّوبَ بن عَبَايةَ ونسختُ هذا الخبرَ بعينه من خطِّ هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال : حدثنا عبدُ الله بن عمرو بن أبى سعد قال حدثنا الحسنُ بن علىّ قال حدثنى أبو عَتَّاب[1] البصرىّ عن إبراهيمَ بن محمد الشافعىّ قال :

بَينْا ابنُ مُلَــيكَةَ[2] يؤذِّن إذ سمع الأخضرَ الجُدِّىَّ يغنِّى من[3] دار العاص بن وائل: ١٧١/١

وعُلِّقتُها غَرَّاءَ ذاتَ ذوائبٍ ولم يَبدُ للأَتْراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البَهْمَ ياليتَ أننا إلى اليوم لم نَــكْـبَرْ ولم تـكبر البَهمُ

قال : فأراد أن يقول : حىَّ على الصلاة فقال : حىَّ على البَهْم ، حتى سمعه أهلُ مكةَ فغدا يعتذرُ إليهم .

وقال ابنُ الــكلبىّ : حدثنى مَعروف المَــكِّىّ والمُعَلَّى بن هِلال[4] وإسحاق بنُ الجَصّاص قالوا :

كان سببُ عشقِ المجنون ليلى أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كَرِيمةٍ وعليه حُلَّتان من حُلل الملوك ، فمرّ بامرأة من قومه يقال لها كَرِيمةُ ، وعندها جماعةُ نسوةٍ يتحدّثنَ فيهنّ ليلى ، فأعجبهنّ جمالُه وكمالُه ، فدعَونه إلى النزول والحديث[5] ، فنزل وجعل

(١) كذا فى ت ، ب ، س ، حـ . وفى سائر النسخ : «أبو غياث النصرى» .
(٢) فى بعض النسخ : «ابن أبى مليكة» .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «فى دار» .
(٤) فى ت : «هليل» بالتصغير .
(٥) فى ت : «إلى النزول والحديث معهم» ، ولعل أصلها «معهن» .

يُحَدِّثهن ، وأمر عبداً له كان معه فعقرَ لهنّ ناقته ، وظل[(١)] يحدثهنّ بقية يومه ، فبينا هو كذلك ، إذ طلع عليهم فتًى عليه بُرْدةٌ[(٢)] من بُرَدِ[(٣)] الأعراب يقال له « مُنَازِلُ[(٤)] » يسوق مِعزًى له ، فلما رأينَه أقبلنَ عليه وتركنَ المجنونَ ، فغضب ، وخرج من عندهنّ وأنشأ يقول :

أَأَعقرُ مِن جَرّا[(٥)] كَرِيمةَ ناقتي ... ووَصْلِيَ مَفْروشٌ[(٦)] لِوَصْلِ مُنَازِلِ !
إذا جاء قَعْقَعْنَ الْحُلِيَّ ولم أكُنْ ... إذا جئتُ أرضَى صوتَ تلك الخلاخِلِ
متى ما انتضَلْنا[(٧)] بالسِّهـام نضَلْتُهُ ... وإن نَرمِ رَشْقاً[(٨)] عندها فهو ناضِلِي

قال : فلما أصبح لبس حُلَّته وركب ناقة له أخرى ومضى مُتَعَرِّضاً لهنّ ، فألفى ليلى قاعدةً بفِناء بيتها وقد عَلِق حبُّه بقلبها وهَوِيَتْه ، وعندها جُوَيرِياتٌ يتحدثْنَ معها ، فوقَف بهنّ وسلّم ، فدعونَه إلى النزول وقلن له : هل لك في مُحادثةِ مَن لا يَشْغَلُه عنك مُنَازِلٌ ولاغيرُه ؟ فقال : إِي لَعَمرِي[(٩)] ، فنزل وفعل مثلَ ما فعله بالأمس ، فأرادت أن تعلم ، هل لها عنده مثلُ ماله عندها ، فجعلتْ تُعرِضُ عن حديثه ساعةً

---

(١) هكذا في ب ، س ، م ، ا . وفي سائر النسخ : «وجعل» .
(٢) كذا في أغلب النسخ . وفي ت : «إذ طلع فتى عليهم في بردة الخ » .
(٣) كذا في حـ . وفي بقية الأصول «برود» وقد رجحنا ما في حـ لأن الموجود في كتب اللغة أن بردة تجمع على برد ، ولم يذكروا أنها تجمع على برود ، وجمع فُعْلة على فُعُول يتوقف على السماع ، نحو شعبة وشعوب. انظر شرح الأشموني على الخلاصة في باب جمع التكسير .
(٤) لم نقف لهذا الاسم على ضبط معين وقد ضبط بضم الميم في نسخة ا . وقد سمى العرب منازل كمساجد ومنازل كساعد .
(٥) أي من أجل ، يقال : فعلت ذلك من جراك ، أي من أجلك ، ومما أنشد على هذا :

أمن جرا بني أسد غضبتم ... ولو شئتم لكان لكم جوار

(٦) كذا في أغلب النسخ ، ومعناه ممهد لوصله وسبيل إليه . وفي ت وتزيين الأسواق : « مقرون بوصل منازل » .
(٧) أي ترامينا بالسهام ، ونضلته : غلبته .
(٨) الرشق : رمى أهل النضال ما معهم من سهام في جهة واحدة .
(٩) كذا في أغلب النسخ . وفي ت ، ، حـ : « إيه لعمري » .

بعد ساعة وتُحدِّث غيرَه ، وقد كان عَلِق بقلبه مثلُ حبها إياه وشَغَفَتْه واستملحها ، فبينا هي تحدثه ، إذ أقبل فتًى من الحيّ فدعتْه وسارَّته سِرَاراً طويلا ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيَّر وانتُقِع(١) لونه ، وشَقَّ عليه فعلُها ، فأنشأت تقول :

كلانا مُظهِرٌ للناس بُغْضاً   وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ
تبلِّغُنا العيونُ بما أردنا   وفى القلبَيْن ثَمَّ هوًى دَفِينُ

فلما سمع البيتين شَهَقَ شَهقةً شديدة وأُغمِيَ عليه ، فمكث على ذلك ساعةً ، ونضَحوا الماء على وجهه حتى أفاق(٢) وتمكن حبُّ كلٍّ واحد منهما فى قلب صاحبه حتى بلغ منه كلَّ مبلغ .

خطبته ليلى واختيارها عليه غيره وشعره فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدثنى هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال حدثنى عبدُ الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكّىّ عن محمد بن سعيد المَخْزُومىّ عن أبى الهَيْثَم العُقَيلىّ قال :

لما شُهِرَ أمرُ المجنون وليلى ، وتناشد الناسُ شعرَه فيها ، خطبها وبذل لها خمسين ناقةً حمراء ، وخطبها وَردُ بن محمد العقيلىّ وبذل لها عَشْرًا من الإبل وراعيها ، فقال أهلُها : نحن مُخيِّروها بينكما ، فمَنِ اختارَتْ تزوّجتْه ، ودخلوا إليها فقالوا : واللهِ لئن لم تختارى وَرْدًا لنمثِّلَنّ بكِ ، فقال المجنونُ :

١٧٢
١

ألا يا لَيْلَ إن مُلِّكْتِ فينا   خِيارَكِ فانظُرى لِمَنِ الخيارُ
ولا تَستَبْدِلى منّى دَنِيًّا   ولا بَرَمًا(٣) إذا حُبَّ(٤) القُتارُ(٥)

(١) يقال : انتقع لونه ، إذا تغير من هم أو فزع .
(٢) حتى أفاق ، تكملة من ت ، حـ .
(٣) البرم : اللئيم .
(٤) فى س : «حث» بالثاء .
(٥) القتار : ريح اللحم المشوى .

يُهَوِّلُ فى الصغير إذا رآه ... وتُعجِزُه مُلِمّاتٌ كِبَارُ
فمثلُ تأيُّمٍ منه نكاحٌ ... ومثلُ تَمَوُّلٍ منه افتقَارُ

فاختارَتْ وَرْدًا فتزوّجتْه على كُرْهٍ منها .

حكاية أبيه عن جنونه بليلى

وأخبرنى أحمدُ بن عبدالعزيز وحَبِيبُ بن نَصْر قالا : حدثنا عمرُ بن شبَّةَ قال ذكر الهَيْثمُ بن عَدِىّ عن عثمان بن عِمَارَةَ بن حُرَيم[1] المُرِّىّ قال :

خرجتُ إلى أرض بنى عامر لألقى المجنونَ ، فدُلِلْتُ عليه وعلى مَحَلَّتِه ، فلَقِيتُ أباه شيخاً كبيراً وحَوْلَه إخوةٌ للمجنون مع أبيهم رجالا ؛ فسألتُهم عنه فبَكَوْا[2] ، وقال الشيخ : أمَا واللهِ لهو كان آثَرَ عندى من هؤلاء جميعاً ، وإنه عَشِقَ امرأةً من قومه واللهِ ما كانت تطمع فى مثله ، فلما فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزَوِّجَه إياها بعد ما ظهر من أمرها ، فزوّجها غيرَه ، وكان أوّلَ ما كَلِفَ بها يجلس إليها فى نفرٍ من قومها فيتحدّثون كما يتحدّث الفِتيانُ[3] ، وكان أجملَهم وأظرفَهم وأرواهم لأشعار العرب، فيُفِيضونَ فى الحديث فيكون أحسنَهم فيه إفاضةً ، فتُعرِضُ عنه وتُقبِلُ على غيره ، وقد وقع له فى قلبها مثلُ ما وقع لها فى قلبه ، فظنَّتْ به ما هو عليه من حبها ، فأقبلت عليه يوماً وقد خَلَتْ فقالت :

صـوت

كِلانا مُظْهِرٌ للناس بغضاً ... وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

---

(١) كذا فى ا ، م « حريم » بالحاء والراء المهملتين ، وهو الموافق لما جاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى ص١٢٨١ قسم ٣ . وفى ت : « عثمان بن عميرة بن جرير المرى » . وفى سائر النسخ : « عثمان بن عمارة بن خزيم المرى » .

(٢) فى ت ، حـ : « فبكوا » .

(٣) كذا فى ت . وفى ا ، س ، م ، : « فيتحدثان كما يتحدث الفتيان إلى الفتيات » . وفى ب : « فيتحدثان كما يتحدث الفتيان إلى الفتيان» . وفى حـ : «فيتحدثان كما يتحدث الفتيان » .

وأسرارُ المَلَاحِظِ ليس تَخْفَى   إذا نطَقَتْ بما تُخْفِى العيونُ(١)

— غَنَّتْ فى الأوّل عَرِيبُ خفيفَ رَمَلٍ ، وقيل : إنّ هذا الغناء لشارِيَةَ(٢) ، والبيتُ الثانى ليس من شعره(٣)— قال : فخرّ مغشيًّا عليه ، ثم أفاق فاقداً عقلَه ؛ فكان لا يلبَسُ ثوباً إلا خرّقه ، ولا يمشِى إلا عارياً ، ويلعب بالتراب ويجمعُ العظامَ حولَه ، فإذا ذُكِرتْ له ليلى أنشأ يحدِّث عنها عاقلاً ولا يُخطِئ حرفاً ، وترك الصلاةَ ، فإذا قيل له : مالكَ لا تُصلِّى ! لم يَرُدَّ حرفاً ، وكنا نحبسه ونُقيِّده ، فيعَضُّ لسانَه وشفتَه ، حتى خشينا عليه فخلّينا سبيلَه فهو يهيمُ .

قصته مع عمر ابن عبد الرحمن ابن عوف

قال الهيثم : فولَّى مروانُ بن الحَكَم عمرَ بن عبد الرحمن بن عَوْف صدقاتِ بنى كعبٍ وقُشَيرٍ وجَعْدَةَ والحَرِيشِ وحَبِيبَ وعبدِ الله ، فنظر إلى المجنون قبل أن يَسْتحكمَ جُنُونه(٤) فكلّمه وأنشده فأُعجِبَ به ، فسأله أن يخرجَ معه ، فأجابه إلى ذلك ، فلما أراد الرَّواحَ جاءه قومُه فأخبروه خبرَه وخبرَ ليلى ، وأنّ أهلها استَعدَوُا السلطانَ عليه ، فأهدرَ دمَه إن أتاهم ، فأضربَ عما وعده(٥) وأمر له بقَلَائصَ ، فلما علم بذلك وأُتِىَ بالقلائص ردّها عليه ، وانصرف .

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرُّواة : أنّ المجنون هو الذى سأل .

---

(١) فى ت ، حـ ، وتزيين الأسواق : «وقد تغرى بذى اللحظ العيون» . وفى تزيين الأسواق رواية أخرى وهى : «وقد تغرى بذى اللحظ الظنون» .

(٢) سيأتى التعريف بها فى الجزء السادس عشر طبع دار الكتب ولم نعثر لها على ضبط ، والأقرب أن يكون ضبطها بفتح الياء على زنة اسم الفاعل من شرى .

(٣) كذا فى ب ، س ، م ، ا . وفى ت ، حـ : «غنت فى الأول عريب مع البيت الأخير ، وهو الثانى وليس هو من شعر المجنون ، خفيف رمل ، وقيل : ان هذا الغناء لشارية ، قال : فخر مغشيا عليه الخ » .

(٤) كذا فى أغلب النسخ وفى ت ، حـ : «حبه» .

(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : «فانصرف عما وعده به وأمر له بقلائص» .

عمر بنَ عبد الرحمن أن يخرج به[١] ، قال له : أ كون معك فى هذا الجَمْع الذى تجمعه غداً ، فأَرَى[٢] فى أصحابك ، وأتجمل فى عشيرتى[٣] بك ، وأفخرُ بقربك ، فجاءه رَهْطٌ ١٧٣ ١ من رهط لَيْـلى[٤] وأخبروه بقصّته ، وأنه لا يريد التجمُّلَ به ، وإنما يريد أن يدخل عليهم بيوتَهم ويفضحَهم فى امرأة منهم يهواها ، وأنهم قد شكَوْه إلى السلطان فأَهدرَ دمَه إن دخل عليهم ، فأعرضَ عما أجابه إليه من أخذِه معه ، وأمرَ له بقلائصَ ، فردّها وقال فى ذلك :

رَددتُ قلائصَ القُرَشىّ لمّا بدا لى النقضُ منـه للعهودِ
وراحوا مُقْصِرين وخلّفونى إلى حُزنٍ أُعالجه شـديد

قال : ورجع آيساً فعاد إلى حاله الأولى ، قال : فلم تزل تلك حالَه ، إلا أنه غيرُ مستوحشٍ ، إنما يكون فى جَنَبَاتِ الحىّ مُنفرداً عاريا لا يلبس ثوبا إلا خرّقَه ، ويَهْذِى ويُخطِّطُ فى الأرض ، ويلعب بالتراب والحجارة ، ولا يُجيب أحداً سأله عن شىء ، فإذا أحبُّوا أن يتـكلّمَ أو يثوبَ عقلُه ذكروا له ليلى ، فيقول : بأبى هى وأمّى ، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويُجيبهم ، ويأتيه أحداثُ الحىّ فيحدِّثونه عنها ويُنشدُونه الشعرَ الغزَلَ ، فيجيبُهم جوابا صحيحا ويُنشِدهم أشعارا قالها ، حتى سعى[٥] عليهم فى السنة الثانية[٦] ــ بعد عمرَ بن عبدالرحمن ــ نوفلُ بن مُساحق ، فنزل مَجْمَعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عُرْيان ، فقال لغلام له : يا غلام ، هاتِ ثوبا ، فأتاه به ، فقال لبعضهم : خذ هذا الثوبَ فألقِهِ على ذلك الرجلِ ، فقال له : أتعرِفُه

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «أن يخرج معه وقال» .
(٢) كذا فى ت . وفى د : «فأرنى» . وفى باقى النسخ : «فأربى» ، ولا يظهر لها معنى مناسب .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : «عشيرتك» .
(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : «فجاءه رهط ليلى» .
(٥) سعى عليهم : ولى جباية صدقاتهم .
(٦) فى ت : «الثالثة» ، ولعل كليهما محرف عن التالية .

جُعِلتُ فِدَاكَ؟ قال: لا، قال: هذا ابنُ سيّدِ الحيّ، لا والله ما يلبسُ الثيابَ ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن، وإذا طُرِحَ عليه شيء خَرّقه، ولو كان يلبسُ ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه، وحدّثه عن أمره، فدعا به وكلّمه، فجعل لا يعقل شيئا يكلّمه به، فقال له قومه: إن أردت أن يُجيبكَ جوابا صحيحاً فاذكرْ له ليلى، فذكرها له وسأله عن حبّه إياها، فأقبل عليه يحدّثه بحديثها ويشكو إليه حبَّه إياها ويُنْشِدُه شعرَه فيها، فقال له نوفل: الحبّ صيّرك إلى ما أَرَى؟ قال: نعمْ، وسينتَهِي بي إلى ما هو أشدّ مما تَرى، فعَجِب منه وقال له: أتُحِبُّ أن أزوّجكَها؟ قال: نعم، وهل إلى ذلك من سبيل! قال: انطلق معي حتى أَقْدَمَ على أهلها بكَ، وأخطبَها عليكَ، وأُرَغِّبَهم في المهر لها، قال: أتُراكَ فاعلا؟ قال: نعم، قال: انظر ما تقول! قال: لكَ عليّ أن أفعلَ بكَ ذلك. ودعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معه المجنونُ كأصحِّ أصحابه[1] يحدّثه ويُنشِدُه، فبلغ ذلك رهطَها فتلقّوْه في السلاح[2]، وقالوا له: يابنَ مُساحِقٍ، لا والله لا يدخل المجنونُ منازلَنا أبدا أو نَموت؛ فقد أهدَرَ لنا السلطانُ دمَه، فأَقْبلَ[3] بهم وأَدْبر، فأَبَوْا، فلما رأى ذلك قال للمجنون: انصرفْ، فقال له المجنون: والله ما وفَيْتَ لي بالعهد، قال له: انصرافُك بعد أن آيسني القومُ من إجابتكَ أصلحُ من سَفْكِ الدماء، فقال المجنون:

صوت

أيا وَيْحَ مَنْ أَمسَى تُخُلِّسَ عقلُه[4] فأَصبح مذهوباً به كلَّ مذهبِ

(١) كذا في أغلب النسخ. وفي ت: «وراح أصحابه معه والمجنون كأصح ما يكون».

(٢) كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س: «بالسلاح».

(٣) يريد أنه بذل الجهد في إقناعهم أن يدخلوه معه وقلبهم على جميع الوجوه فلم يجده شيئا. قال في لسان العرب مادة (قبل): «وقد أقبل الرجل وأدبره، وأقبل به وأدبر، فما وجد عنده خيرا».

(٤) تخلس: سلب.

خليًّا من الْخُلاَّنِ إلا مُعَذِّرا(١) يُضَاحِكنى(٢) مَنْ كان يهوَى تَجَنُّبِى

— الغناء(٣) للحُسَين بن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى من جامع أغانيه :

إذا ذُكِرتْ ليلى عَقَلتُ وراجعَتْ روائعُ(٤) عقلى مِن هَوًى مُتَشَعِّبِ
وقالوا : صحيحٌ ما به طيفُ جِنَّةٍ(٥) ولا الهمُّ إلا بافتراء التكذُّبِ(٦)
١٧٤/١ وشاهدُ وَجْدِى دمعُ عينى وحُبُّها بَرَى اللحمَ عن أحناء(٧) عظمى ومنكِبِى

صوت

تجنَّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بكَ الهوى وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ
ألا إنّما غادَرْتِ يا أُمَّ مالكٍ صَدًى(٨) أينما تَذْهبْ به الريحُ يَذْهبِ

(١) هو المقصر الذى لا عذر له ولكنه يتكلف العذر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم ﴾ .

(٢) كذا فى جميع الأصول وهو الموافق لما فى الديوان طبع بولاق . وسيأتى فى جميع الأصول ص ٣٧ من هذا الجزء : « إلا مجاملا يساعدنى » .

(٣) فى س ، د ، م ، ا هذه الزيادة وهى : « غنى فى هذين البيتين يحيى المكى خفيف رمل ، رواه عنه ابنه أحمد ، الغناء للحسين بن محرز الخ » .

(٤) كذا فى جميع الأصول عدا نسخة حـ ، وهو الموافق لما فى الديوان طبع بولاق . والروائع : جمع رائعة أى مرتاعة ، قال فى اللسان مادة روع : «وقد يكون رائع فاعلا بمعنى المفعول ، أنشد ابن الأعرابى : * شذانها رائعة من هدره * أى مرتاعة . وفى نسخة حـ : «عوازب» ، وسيرد كذلك فى جميع النسخ ص ٣٧ من هذا الجزء . والعوازب : جمع عازبة من عزب بمعنى غاب .

(٥) طيف جنة : مس من الجن .

(٦) فى كتاب الشعر والشعراء : * ولا لمم الا افتراء التكذب * . واللمم : الجنون ، وقيل : طرف منه يلم بالإنسان

(٧) الأحناء : جمع حنو وهو كل شىء فيه اعوجاج كعظم الحجاج (العظم الذى ينبت عليه الحاجب) واللحى والضلع .

(٨) الصدى : الجسد من الآدمى بعد موته ؛ ويطلق على الرجل النحيف الجسد ، كما أنه يطلق على الصوت الذى يسمعه المصوت عقب صياحه راجعا اليه من نحو الجبل والبناء المرتفع .

الغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ(١) أولَ بإطلاقِ الوَتَرِ فى مجرى البِنْصر(٢) ، وفيه لابن جامع هَزَجٌ من رواية الهشامىّ وهى قصيدة طويلة .

ومما يُغَنّى فيه منها قولُه :

صــوت

فلم أرَ ليـلىَ بعد مَوْقِفِ سـاعةٍ ... بخَيْفِ مِنًى ترمِى جِمارَ المحصَّبِ

ويُبْدِى الحصَى منها إذا قذَفتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخضَّبِ

فأصبحتُ من لَيْلَى الغَداةَ كناظرٍ ... مع الصبح فى أعقابِ نجم مُغرِّبِ

ألا إنمـا غادرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

فيه ثقيلٌ أولُ مطلقٌ باستهلال ، ذكر ابنُ المكىّ أنه لأبيـه يحيى ، وذكر الهشامىّ أنه للواثق ، وذكر حَبَش أنه لابن مُحْرِز ، وهو فى جامع أغانى سليمانَ منسوبٌ إليه .

أنشدنى الأَخْفش عن أبى سعيد السُّكَّرىّ عن محمد بن حبيبَ للمجنون :

فواللهِ ثم اللهِ إنى لدائبٌ ... أُفَــكِّرُ ما ذنبى إليها وأعجَبُ !

وواللهِ ما أدرى عَلامَ قتلتِنى ... وأىَّ أمورى فيكِ ياليلَ أركبُ !

أأقطعُ حبلَ الوصلِ ، فالموتُ دونه ... أم اشربُ رَنْقاً(٣) منكمُ ليس يُشْرَبُ !

أم اهرُبُ حتى لا أرَى لى مجاورا ... أمَ اصنعُ ماذا أم أبوح فأُغلَبُ !

فأيّهما ياليـلَ ما ترتضينه ... فإنى لمظلومٌ وإنى لَمُعْتِبُ !

---

(١) فى ا ، م ، هـ : « ثانى ثقيل أول » .
(٢) فى ت ، هـ : « فى مجرى البنصر من روايته » .
(٣) رنقا : كدرا .

حجه مع أبيه إلى مكة لسلوان ليلى ودعـــوته هو استزادة حبهـا ودوامه

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيبُ بن نصر المهلّبىّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال : ذكر هشام بنُ الـكلبىّ ووافقه فى روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن أبى سَعْد قال حدّثنى علىّ بن الصَّبَّاح عن هشام ابن الـكلبىّ عن أبيه :

أن أبا المجنون وأمّه ورجالَ عَشِيرته اْجتمعوا إلى أبى لَيْلى فوعظوه وناشدوه اللهَ والرحمَ ، وقالوا له : إنّ هذا الرجل لهالكٌ ، وقبل ذلك فى أقبحَ من الهلاك بذهاب عقله ، وإنك فاجعٌ به أباه وأهله ، فنَشَدْناك اللهَ والرحمَ أن تفعل ذلك ، فوالله ما هى أشرفُ منه ، ولا لكَ مثلُ مالِ أبيه ، وقد حكّمكَ فى المهر ، وإن شئتَ أن يخلَعَ نفسَه إليكَ من ماله فعل ، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمّها[1] أنه لا يزوّجه إيّاها أبدا ، وقال : أفضحُ نفسى وعشيرتى وآتى مالم يأته أحدٌ من العرب ، وأَسِمُ ابنتى بمِيسَمِ فضيحةٍ ! فانصرَفُوا عنه ، وخالفهم لوقته فزوّجها رجلا من قومها وأدخلها[2] إليه ، فمَا أمْسَى إلا وقد بنَى بها . وبلغه الخبرُ فأَيِس منها حينئذ وزال عقلُه جملةً ، فقال الحىّ لأبيه : احجُج به إلى مكةَ وادعُ اللهَ عزّ وجلّ له ، ومُره أن يتعلق بأستار الـكعبة ، فيسأل اللهَ أن يُعافيه مما به ويبغِّضها إليه ، فلعل اللهَ أن يخلِّصَه من هـذا البلاء ، فحجّ به أبوه ، فلما صاروا بمِنًى سمع صائحاً فى الليل يَصيحُ : ياليلى ، فصرخ صَرْخةً ظنوا أنّ نفسه قد تَلِفَتْ وسقط مغشيًّا عليه ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ، ثم أفاق حائلَ[3] اللون ذاهلًا ، فأنشأ يقول :

١٧٥ / ١

صــوت

عرَضتُ على قلبى العزاءَ فقال لى   من الآنَ فايأسْ لا أعزَّكَ مِن صَبْرِ !

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « بطلاق آمرأته » .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : « وأخرجها إليه» . وفى ت : «وأرحلها إليه » .

(٣) حائل اللون : متغيره .

إذا بان مَنْ تهوى وأصبح نائياً فلا شىءَ أجدَى من حُلولكَ فى القبرِ
وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ مِن منًى فهيَّجَ أطرابَ(١) الفؤاد وما يدرِى
دعا بأسم ليلى غيرِها فكأنما أطارَ بليلى طائراً كان فى صدرِى
دعا باسم ليلى ضلَّل اللهُ سعيَه وليلَى بأرضٍ عنه نازحةٍ قفرِ

—الغناء لعريبَ خفيفُ ثقيلٍ— ثم قال له أبوه : تعلَّقْ بأستار الكعبة واُسأل الله أن يعافيكَ من حبِّ ليلى ، فتعلقَ بأستار الكعبة وقال : اللهم زِدْنى لليلى حبًّا وبها كَلَفاً، ولا تُنْسِنِى ذكرها أبدا . فهام(٢) حينئذ واُختلَط فلم يَضْبِطْ . قالوا : فكان يهيم فى البَرِّيَّة مع الوحش ، ولا يأكلُ إلا ما ينبت فى البرية من بقل ، ولا يشربُ إلا مع الظِّبَاءِ إذا وردَتْ مناهِلَهَا ، وطال شعرُ جسده ورأسه وألِفَتْه الظِّبَاء والوحوشُ فكانتْ لا تنفرُ منه ، وجعل يهيمُ حتى يبلغَ حدودَ الشأم ، فإذا ثاب إليه عقلهُ سأل مَنْ يمرّ به من أحياء العرب عن نجدٍ ، فيقالُ له : وأين(٣) أنت من نجد ! قد شارفتَ الشأم ! أنتَ فى موضع كذا ، فيقول : فأَرونى وِجْهَةَ الطريق ، فيرحمونه ويعرضُون عليه أن يحملوه أو يكسوه فيأبى ، فيَدُلُّونه على طريق نجد فيتوجه نحوه .

أخبرنى عمىّ قال حدّثنى الكُرَانىّ قال حدثنا العُمَرِىُّ عن الهيثم بن عدىّ وأخبرنا حبيبُ بن نَصْر المهلَّبىّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوهرىّ قالا حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال ذكر الهيثم بن عَدِىّ عن أبى مِسْكين قال :

(١) كذا فى جميع الأصول ، والأطراب : جمع طرب وهو خفة تعترى الشخص من شدة الفرح أو الحزن . والذى فى ديوانه وكتاب الشعر والشعراء : «أحزان» .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «فهاج» .

(٣) فى ت : «أين أنت» بدون واو .

خرج منا فتًى حتى إذا كان ببئر ميمونٍ(١) إذا جماعةٌ فوقَ بعض تلك الجبال وإذا(٢) معهم فتى أبيضُ طُوَال(٣) جَعْدٌ(٤) كأحسنِ مَنْ رأيتُ من الرجال على هُزَالٍ منه وصُفرةٍ ، وإذا هم مُتعلِّقون به ، فسألتُ عنه ، فقيل لى : هذا قيسٌ المجنونُ خرج به أبوه يستجيرُ له بالبيت ، وهو على أن يأتىَ به قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدعوَ له هُنَاكَ لعلّه يُكشَفُ ما به ، فإنه يصنع بنفسه صَنيعاً يرحمه منه عدوُّه ، يقول : أَخرِجونى لعلنى أتنسَّم صَبَا نجدٍ ، فيُخرِجونه فيتوجهون به نحو نجدٍ ، ونحن مع ذلك نخاف أن يُلقِىَ نفسَه من الجبل ، فإن شئتَ الأجرَ دنوتَ منه فأخبرته أنك أقبلتَ من نجدٍ ، فدنوتُ منه وأقبلوا عليه فقالوا له : ياأبا المهْدِىّ ، هذا الفتى أقبل من نجد ، فتنفَّسَ تَنَفُّسَةً(٥) ظننتُ أنّ كبدَه قد انصدعَتْ ، ثم جعل يسألنى(٦) عن وادٍ وادٍ ، وموضعٍ موضعٍ ، وأنا أُخبره وهو يبكى أحرَّ بكاء وأَوْجَعه للقلب ، ثم أنشأ يقول :

ألاليت شِعرى عن عُوَارِضَتَىْ قَنًا(٧) لطول الليالى هل تغيَّرتَا بَعْدِى !
وهل جارتانا بالبَتِيل(٨) إلى الحِمَى على عَهْدِنا أم لم تدُوما على العهدِ !

---

(١) قال فى ياقوت : وبئر ميمون بمكة ، وقال البكرى فى معجم ما استعجم ص ٥٦٩ : هى بئر بمكة بين البيت والحجون بأبطح مكة ، وهى منسوبة إلى ميمون بن الحضرمى حفرها فى الجاهلية ، وعندها توفى أبو جعفر المنصور .

(٢) كذا فى ت ، حـ . وفى باقى النسخ : «فإذا» بالفاء .

(٣) الطوال بالضم : المفرط الطول .

(٤) كذا فى ت ، حـ والجعد : أن يكون الرجل معصوب الجوارح شديد الأسر والخلق غير مسترخ ولا مضطرب ، وفى باقى النسخ «جعدة» بالتاء . ولم نجده فى كتب اللغة التى بأيدينا وصفا لمذكر .

(٥) فى ت ، حـ : «تنفسا خلت أن كبده الخ» .

(٦) فى ت ، حـ : « يسائلنى » .

(٧) فى ب ، س : « قبا » بالباء وهو تحريف . انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٤ من الجزء الأول من الأغانى . وقنا وعوارضة : جبلان لبنى فزارة .

(٨) كذا بالديوان وهو جبل بنجد . وفى ب ، س ، « النبيل » . وفى حـ ، د : «الثقيل» . وفى م ، ا : « القيل » . وفى ت : «البتيك» ، ولعل ما فى هذه النسخ تحريف؛ فإنا لم نقف على واحد من هذه الألفاظ اسم موضع . وفى ا نقلا عن نسخة أخرى : « العقيق » .

١٧٦/١

وعن عُلْوِيَّاتِ[١] الرياحِ إذا جرتْ ... بريحِ الخُزَامَى هل تهبُّ على نجدِ
وعن أُقْحُوانِ الرَّمْلِ ماهو فاعلٌ ... إذا هو أَسْرَى ليلةً بِثَرًى جَعدِ[٢]
وهل أنفُضَنَّ الدهرَ أفنانَ لِمَّتِي ... عَلَى لاحقِ المَتْنينِ مُنْدَلِقِ الوَخْدِ[٣]
وهل أسمعنَّ الدهرَ أصواتَ هَجْمةٍ[٤] ... تَحَدَّرُ من نَشْزٍ[٥] خَصيبٍ إلى وَهْدِ

سؤاله زوج ليلى عن عشرته معها

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكرانىّ قال حدّثنا العُمَرِىّ عن الهيثم بن عدىّ والعُتْبىّ قالا :

مرّ المجنونُ[٦] بزوجِ ليلى وهو جالسٌ يَصْطَلِي فى يومٍ شاتٍ ، وقد أتى ابنَ عمٍّ له فى حىّ المجنونِ لحاجة ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول :

صوت

بِرَبِّكَ[٧] هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلَى ... قُبيلَ الصبحِ أو قَبَّلْتَ فاها[٨]
وهل رَفَّتْ[٩] عليكَ قُرونُ ليلى ... رَفِيفَ الأُقْحُوانةِ فى نَدَاها

---

(١) علويات : جمع علوية نسبة إلى العالية وهى ما فوق أرض نجد إلى تهامة ، وهذه النسبة نادرة والقياس عالىّ .

(٢) يقال : تراب جعد أى ندٍ .

(٣) لاحق : ضامر؛ من قولهم : لحق الفرس لحوقا أى ضمر . والمتنان : جنبتا الظهر عن اليمين والشمال ، والواحد متن يذكر ويؤنث ، والمندلق : السريع ، يقال : اندلقت الخيل إذا خرجت فأسرعت . والوخد : ضرب من سير الخيل والإبل، وهو سعة الخطو فى المشى .

(٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . والوهد : المكان المطمئن من الأرض .

(٥) كذا فى س ، ا . والنشز : المكان المرتفع . وفى بقية النسخ : «نشر» بالراء المهملة وهو تحريف .

(٦) فى ت : «مر المجنون ذات يوم» الخ .

(٧) فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٢١٠ : «بدينك» .

(٨) المصدر السابق ج ٤ ص ٢١١ : * وهل قبلت قبل الصبح فاها * .

(٩) قال البغدادى فى خزانة الأدب ج ٤ ص ٢١٣ : «رفت بفتح الراء المهملة من رف لونه يرف بالكسر رفيفا ورفا إذا برق وتلألأ ، أراد شدة سواد شعرها . وصحفه ابن الملا فى شرح المغنى بجعل المهملة معجمة فقال : الزفيف : إهداء العروس إلى بعلها ، وغفل عن قوله : رفيف الأقحوانة ، وهى البابونج . والقرون : الذوائب جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء» اهـ . والظاهر أنه من رفيف النبات وهو اهتزازه نضارة وحسـ

فقال : اللهم إذ حلَّفتَنى فنَعَمْ ، قال : فقبَض المجنونُ بكلتا يديه قبضتين من الجمر ، فما فارقهما حتى سقَط مغشيًّا عليه ، وسقط الجمرُ مع لحم راحتيه ، وعضّ على شفته فقطعها ، فقام زوجُ ليلى مغموما بفعله مُتعجِّباً منه فمضى .

غنَّى فى البيتين المذكورين فى هذا الخبر الحُسَين بن مُحْرِزٍ ، ولحنه رَمَل[1] بالوسطى عن الهشامىّ .

زره بجبل ن ومكثه فيهما هبوب الصبا ا قاله فى ذلك من الشعر

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبىّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال قال محمد بن الحكَم عن عَوَانة : إنه حدّثه ووافقه ابنُ نصر وابنُ حبيبَ قالوا :

إنّ أهلَ المجنون خرجوا بهمعهم إلى وادى القُرَى[2] قبل تَوحشه ليَمْتاروا[3] خوفاً عليه من أن يضيعَ أو يهلِكَ ، فمرّوا فى طريقهم بجبلى نَعْمانَ[4] ، فقال له بعضُ فِتيانِ الحىّ : هذان جبلا نعمانَ ، وقد كانت ليلى تنزِلُ بهما ، قال : فأىّ الرياح يأتى من ناحيتهما ؟ قالوا : الصَّبَا ، قال : فوالله لا أَرِيمُ[5] هـذا الموضعَ حتى تَهُبَّ الصبا ، فأقام ومَضَوْا فامتاروا لأنفسهم ، ثم أتَوْا عليه فأقاموا معه ثلاثةَ أيام حتى هَبَّتِ الصَّبا ، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول :

صـوت

أيا جَبَلَىْ نَعْمانَ باللهِ خَلِّيَا   سبيلَ[6] الصَّبـا يَخْلُصْ إلىّ نَسيمُها

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى م ، ا ، د : «خفيف» .

(٢) وادى القرى : واد بين الشام والمدينة كانت به قرى منظومة ، وبها سمى وادى القرى . قال ياقوت : وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة إلا أنها فى وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد . انظر معجم ياقوت فى كلمة القرى .

(٣) من الامتيار وهو جلب الطعام للبيع وغيره .

(٤) هو نعمان الأراك وهو واد بين مكة والطائف . وقيل واد لهذيل على ليلتين من عرفات .

(٥) لا أريم : لاأبرح . وفى ت : «لا أريم من هذا الموضع» وكلاهما صحيح .

(٦) كذا فى ت وتزيين الأسواق فى ترجمة المجنون ص ٧٢ طبع بولاق . وفى بعض النسخ : «نسيم الصبا» .

أَجِدْ بردَها أو تَشْفِ مِنّى حرارةً على كبدٍ لم يبقَ إلا صَمِيمُها[١]

فإنَّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسَّمَتْ على نَفْسِ محزونٍ[٢] تجلَّتْ هُمومُها

ارتحال أهل ليلى عن منازلهم وما قاله فى ذلك من الشعر

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال حدثنى محمدُ بن الحسين[٣] بن الحَرُون قال حدثنى الكِسْرَوِىُّ[٤] عن جماعةٍ من الرواة قال[٥] :

لما مَنعَ أبو ليلى المجنونَ وعشيرتُه مِنْ تزويجه بها ، كان لا يزال يَغْشَى بيوتَهم ويهجُم عليهم ، فشكَوْه إلى السلطان فأهدرَ دمَه لهم ، فأخبروه بذلك فلم يَرُعْه وقال : الموتُ أرْوحُ[٦] لى فليتَهم قتلونى ، فلما علموا بذلك وعَرفوا أنه لا يزال يطلبُ غِرَّةً[٧] منهم حتى إذا تفرّقوا دخل دورَهم ، فارتحلوا عنها وأبعدُوا ، وجاء المجنونُ عشيَّةً فأشرفَ على دورهم فإذا هى منهم بلاَقِعُ[٨] ، فقصد منزلَ ليلى الذى كان بيتُها فيه ، فألصق صدرَه به وجعل يُمرِّغُ خدَّيه على ترابه ويبكى ، ثم أنشأ يقول — وذكر هذه الأبياتَ ابن حبيبَ وأبو نصر له بغير خبر — :

١٧٧/١

أيا حَرَجاتِ[٩] الحىّ حيث[١٠] تحمّلوا بذى سَلَمٍ[١١] لا جادَكُنَّ رَبيعُ

وخَيماتُكِ اللاتى بمُنعَرَجِ اللِّوَى بَلِينَ بِلًى لم تبلَهنّ رُبُوعُ

(١) صميمها : أصلها .

(٢) كذا فى أغلب النسخ والديوان . وفى ت ، حـ وتزيين الأسواق : «مهموم» .

(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : «الحسن» .

(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : «الكردوسى» .

(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «قالوا» .

(٦) فى ت : «أروح إلى» .

(٧) غرة : غفلة .

(٨) بلاقع : خوال ، الواحد بلقع .

(٩) الحرجات : جمع حرجة وهى الغيضة ، وسميت بذلك لضيقها ، وقيل : الشجر الملتف ، وهى أيضا الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة وهى ما رعى من المال .

(١٠) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «حين» .

(١١) ذو سلم : موضع بالحجاز .

نَدِمتُ على ما كان مِنّى ندامةً ... كما يَندَمُ المغبونُ حين يبيعُ
فَقَدْتُكِ من نفسٍ شَعَاعٍ(١) فإننى ... نَهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ(٢)
فقرَّبتِ لى غيرَ القريب وأشرفتْ(٣) ... إليكِ ثَنايا(٤) ما لهنّ طُلُوعُ(٥)

حديثه مع نسوة فيهن ليلى

وذكر خالدُ بن جَميل(٦) وخالدُ بن كلثوم فى أخبارهما التى صنعاها أنّ ليلى وعدَتْه قبل أن يختلطَ أن تستزيرَه(٧) ليلةً إذا وجدت فُرْصةً لذلك، فمكث مدّةً يراساها فى الوفاء وهى تَعِده وتُسَوِّفُه(٨)، فأتى أهلَها ذاتَ يوم والحىُّ خُلُوفٌ(٩)، فجلس إلى نسوة من أهلها حَجْرَةً(١٠) منها بحيث تسمعُ كلامَه، فحادثهنّ طويلا ثم قال: ألا أُنْشِدُكنّ أبياتاً أحدثتُها فى هذه الأيام؟ قلن: بَلَى، فأنشدهنّ:

صوت

يا لَلرِّجال لِهَمٍّ باتَ يَعْرُونِى ... مُستَطْرَفٍ(١١) وقَديمٍ كاد يُبْلِينى

---

(١) يقال: نفس شعاع، اذا انتشر رأيها فلم تتجه لأمر جزم.
(٢) الجميع: ضد المتفرق.
(٣) كذا فى ت، حـ، م وديوان المجنون والأغانى فى ترجمة قيس بن ذريح ج ٩ طبع دار الكتب وفى سائر الأصول: «فأشرفت» بالفاء ومعناه ظهرت وارتفعت.
(٤) الثنايا: جمع ثنيه وهى العقبة، وهى المرقى الصعب فى الجبل؛ يريد بذلك أن الوصول الى ليلى صعب لا يستطيعه.
(٥) ستأتى هذه الأبيات فى قصيدة منسوبة إلى قيس بن ذريح فى ترجمته بالجزء التاسع من الأغانى طبع دار الكتب.
(٦) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «خالد بن حمل» بالحاء، ولم نوفق لتصحيح هذا الاسم.
(٧) كذا فى أغلب النسخ. وفى د: «أن تزوره».
(٨) مأخوذ من كلمة سوف، كأن الماطل يقول مرة بعد مرة: سوف أفعل.
(٩) يقال: حى خلوف، إذا غاب الرجال وأقام النساء.
(١٠) حجرة: ناحية.
(١١) كذا فى أكثر النسخ. وفى حـ: «مستطرفا وقديما كان يبكينى».

مَنْ عاذِرى مِن غريمٍ غيرِ ذى عُسُرٍ (١)   يأْبَى (٢) فيمطُلُنى دَينِى ويَلْوِينِى
لا يُبعِدُ النقدَ مِنْ حقّى فينكرَه   ولا يُحدِّثُنِى أنْ سوفَ يَقْضِينِى
وما كشُكرِىَ شكرٌ لو يوافِقُنى   ولا مُناىَ سِواه لو يُوافِينِى (٣)
أطعتُه وعصيتُ الناسَ كلَّهُمُ   فى أمرِهِ وهواه وهو يَعْصِينِى

قال (٤) : فقلن له : ما أنصفكَ هذا الغريمُ الذى ذكرتَه ! وجَعلْنَ يتضاحَكْنَ وهو يبكى ، فاستحيَتْ ليلى منهنّ ورقّت له حتى بكتْ ، وقامت فدخلت بيتَها وانصرف هو .

— فى الثلاثة الأبيات الأُوَلِ من هذه الأبيات هَزَجٌ طُنْبُورِىّ لِلْمَسْدُودِ —

قالا فى خبرهما هذا : وكان للمجنون ابنا عمّ يأْتيانِه فيُحدّثانه ويُسَلِّيَانِه ويؤانسانه ، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان ، فقالا له : يا أبا المهدىّ ألا تَجلسُ ؟ قال : لا ، بل أمضى إلى منزل ليلى فأَترسَّمُه وأرى آثارَها فيه ، فأَشفِى بعضَ ما فى صدرى بها ، فقالا له : فنحن معكَ ، فقال : إذا فعلتما أكرمتُما وأحسنتُما ، فقاما معه حتى أتى دار ليلَى ، فوقف بها طويلا يتتبَّع آثارَها ويبكى ، ويقفُ فى موضعٍ موضعٍ منها ويبكى ، ثم قال :

صوت

يا صاحِبَىَّ أَلِمَّا بى بِمَنزلةٍ   قد مرَّ حينٌ عليها أيُّمَا حينِ

(١) العسر : لغة فى العسر ضد اليسر . قال عيسى بن على : كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه مثل عسر وعسر وحلم وحلم . انظر اللسان (مادة عسر) .
(٢) فى ا ، ب ، س : «يأتى» وهو تحريف .
(٣) فى ت ، حـ : «يواتينى» .
(٤) كذا فى جميع النسخ ، ولعله : «قالا» بالتثنية ؛ لأن الخبر مروى عن خالد بن جميل وخالد ابن كلثوم .

إنى أرى رَجَعَات الحبّ تقتُلُنى[١] وكان فى بدئها ما كان يَكْفينى
لا خيرَ فى الحبّ ليستْ فيه قارعةٌ كأنّ صاحبَها فى نَزْعِ مَوتُونِ[٢]
إن قال عُذَّالُه مَهْـلاً فلانَ لهم قال الهوَى غيرُ هذا القولِ يعنينى[٣]
ألْقَى من اليأس[٤] تارات فتقتُلُنى وللرجاء بشاشـــات فتُحْيِينى

الغناء لإبراهيمَ[٥] خفيفُ ثقيلٍ من جامع غنائه .

وقال هشام بن الكلبىّ عن أبى[٦] مسكين : إن جماعة من بنى عامر حدّثوه قالوا : كان رجل من بنى عامر بن عُقَيلٍ يقال له : قيسُ بن مُعاذ ، وكان يُدعَى المجنونَ ، وكان صاحبَ غَزَلٍ ومجالسةٍ للنساء ، فخرج على ناقة له يسيرُ ، فمرّ بامرأة من بنى عُقَيلٍ ١٧٨ / ١ يقال لها : كريمةُ ، وكانت جميـلةً عاقلةً ، معها نسوة فعرفْنَه ودعوْنَه إلى النزول والحديثِ ، وعليه حُلّتان له فاخرتان وطَيْلَسَانٌ وقَلَنْسُوةٌ وبُرود ، فنزل فظلّ يُحدّثهنّ ويُنْشِدُهنّ وهنّ أعجبُ شىء به فيما يُرَى ، فلمّا أعجبَه ذلك منهنّ عقرَ لهنّ ناقتَه ، وقُمْنَ إليها فجعَلْنَ يَشوِين[٧] ويأكلن إلى أن أمْسَى ، فأقبل غلامٌ شابٌّ حسنُ الوجه

(١) فى ت : «قاتلَى» .
(٢) فى ت بين هذا البيت والذى بعده ما نصه : «الموتون مضروب على الوتين ، وهو عرق معلق بنياط القلب» ، ولا ندرى هل هو من أصل الكتاب أتى به المؤلف تفسيرا للموتون ، أو أن الناسخ وجده بهامش بعض النسخ فألحقه بالأصل . وتفسير الموتون بالمضروب على الوتين مطابق لقولهم فى كتب اللغة : وتنه : أصاب وتينه ، ونظيره مكلىّ ، إذا أصيبت كليته ، ومكبود ، إذا أصيبت كبده .
(٣) كذا فى ت ، حـ . وفى باقى النسخ : «يغنينى» بالغين المعجمة .
(٤) كذا فى كتاب الشعر والشعراء فى ترجمة المجنون طبع ليدن ص ٣٥٨ وفى سائر النسخ : «من الحب» .
(٥) كذا فى أغلب النسخ : وفى م ، د ، ا : «لابن أمية» .
(٦) كذا فى ت ، حـ . وفى سائر النسخ : «ابن مسكين» ، وقد سبق فى ص ٢١ من هذا الجزء باسم «أبى مسكين» باتفاق النسخ ، وسيأتى كذلك بالجزء الثالث عشر من الأغانى طبع بولاق ص ١٢٢ .
(٧) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «يشتوين» ، وكلاهما صحيح .

مِن حيِّهِنّ فجاس إليهنّ ، فأقبلنَ عليه بوجوههنّ يقُلْنَ له : كيف ظَلِلْتَ(١) يا مُنازِلُ اليومَ ؟ فلما رأى ذلك من فِعاهنّ غَضِب ، فقام وتركهنّ وهو يقول :

أأَعقِرُ من جَرّا كريمةَ ناقتى ... وَوَصْلِى مَفْرُوشٌ لِوصْلِ مُنَازِلِ!

إذا جاء قَعْقَعْنَ الْحلِىَّ ولم أكُنْ ... إذاجئتُ أرضَى صوتَ تلكَ الخلاخلِ(٢)

قال : فقال له الفتى : هَلُمَّ نَتصَارَعْ أو نَتناضَلْ ، فقال له : إنْ شئتَ ذلكَ فقمْ إلى حيثُ لا تَراهُنَّ ولا يَرَيْنَكَ ، ثم ما شِئتَ فافعلْ ، وقال :

إذا ما انتضَلْنا فى الخلاء نَضَلْتُهُ ... وإن يَرْمِ رَشْقًا عندها فهو ناضِلِى(٣)

وقال ابنُ الكلبىّ فى هذا الخبرِ : فلما أصبح لبِسَ حُلَّته وركِبَ ناقتَه ومضى مُتعَرِّضًا لهنّ ، فألْفَى ليلَى جالسةً بفِناء بيتها ، وكانت معهنّ يومئذ جالسةً ، وقد عَلِقَ بقلبها وهَوِيَتْه ، وعندها جُوَيْرِيَاتٌ يُحَدِّثنَها ، فوقفَ بهنّ وسَلَّم ، فدعَوْنَه إلى النزول وقُلنَ له : هل لكَ فى مُحادَثةِ مَنْ لا يَشْغَلُه عنك مُنَازِل ولا غيرُه ؟ قال : إى لَعَمْرِى ، فنزل وفَعلَ فَعْلَته بالأمس ، فأرادتْ أن تعلَمَ هل لها عنده مثلُ ما لَه عندها ، فجعلتْ تُعْرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدِّثُ غيرَه وقد كان عَلِقَ حبُّها بقلبه وشَغَفَه(٤) واستملَحَها ، فبينا هى تُحدِّثه إذ أقبل فتى من الحىّ فدعتْه فسارَّتْه سِرَارا طويلا ، ثم قالت له:

(١) فى ت : « ظلت » ، وهى لغة فيها .

(٢) جاء هذا الشطر فى تزيين الأسواق ص ٦٣ طبع بولاق هكذا : * إذا جئت بل أخفين صوت الخلاخل * ، وقال فى تفسيره : يقول قد أظهرن صوت الحلى حين جاء منازل ، وهذه كناية عن قيامهن له ، ولم يكن ذلك عند مجيئى .

(٣) كذا فى ت ، حـ ، وتزيين الأسواق . وفى باقى النسخ : « ناضل » بغير ياء المتكلم ، وآثرنا ما أثبتناه بالأصل لأنه أتم مقابلة لقوله نضلته ، ولأن قوله « نضلته » هكذا بالضمير ظاهر فى أن الشاعر أتى بهذا البيت فى هيئة المتصل بالبيتين السابقين وهذا يستدعى كسر اللام حتى يكون على رويهما ، كما تقدم فى صحيفة ١٢ من هذا الجزء .

(٤) فى ت : « وشغفته » .

انصرفْ ، فانصرَفَ ، ونظرتْ إلى وجه المجنون قد تغيَّر وامتُقِــعَ[1] وشَقَّ عليه ما فعلَتْ ، فأنشأَتْ تقول :

كلانَا مُظهِرٌ للناس بُغضاً ... وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

تُبلِّغُنا العيونُ مَقَالَتِيْنا ... وفى القلبين ثَمَّ هَوًى دَفِينُ

ـ قد نسبت هذا الشعر متقدّماـ فلما سمع هذين البيتين شَهَقَ شَهْقَةً عظيمةً ، وأُغمِيَ عليه فمكث كذلك ساعةً ، ونضَحُوا الماءَ على وجهه حتى أفاق ، وتمكَّنَ حبُّ كُلِّ واحدٍ منهما فى قلب صاحبه وبلَغ منه كلَّ مَبْلغٍ .

حدّثنى عمّى عن عبد الله بن أبى سعدٍ عن إبراهيمَ بن محمد بن إسماعيلَ القُرَشِيِّ قال حدّثنا أبو العالية عن أبى ثُمَامَةَ الجَعْدِيِّ قال :

لا يُعرَفُ فينا مجنونٌ إلا قيسُ بنُ الملوّح .

حديث اتصاله بليلى فى صباه

قال : وحدّثنى بعضُ العَشيرة قال : قلتُ لقيس بن الملوّح قبل أن يُخَالِطَ : ما أَعجبُ شيءٍ أصابك فى وَجْدِكَ بليلى ؟ قال : طَرَقَنَا[2] ذاتَ ليلةٍ أضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أُدْمٌ ، فبعثنى أبى إلى منزل أبى ليلى وقال لى : اطلب لنا منه أُدماً ، فأتيتُه فوقفتُ على خِبائه فصِحْتُ به ، فقال : ما تشاء ؟ فقلتُ : طَرَقَنَا ضِيفانٌ ولا أُدمَ عندنا لهم فأرسَلَنى أبى نَطْلُبُ[3] منكَ أُدماً ، فقال : يا ليلى أخرجى إليه ذلكَ النِّحْيَ[4] ، فاملئى له إناءه من السمن ، فأَخرجَتْه ومعى قَعْبٌ[5] ، فجعلَتْ تَصُبُّ السمنَ فيه

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : « انتقع » ، وامتقع وانتقع بمعنى واحد ، وهو أن يتغير من حزن أو فزع ، قال صاحب اللسان فى مادة نقع : وامتقع بالميم أجود .

(٢) كذا فى ت ، ح . وفى سائر النسخ : « طرقتنا » بالتاء ، وكلاهما جائز ؛ لأن الفعل مسند إلى جمع تكسير وحذف التاء فى مثل هذا أجود .

(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « أطلب » .

(٤) النحى عند العرب : الزق الذى يوضع فيه السمن خاصة .

(٥) القعب : القدح الضخم الغليظ ، وقيل : قدح من خشب مقعر .

ونَتَحَدَّثُ ، فألهانا(١) الحديثُ وهى تَصُبُّ السمنَ وقد امتلأ القَعْبُ ولا نعلَمُ جميعاً ، وهو يسيلُ حتى استنقعَتْ أرجلُنا فى السمن . قال : فأتيتُهم ليلةً ثانيةً أطلُبُ ناراً وأنا مُتلفِّعٌ ببُرْدٍ لى ، فأخرجَتْ لى نارا فى عُطْبَةٍ(٢) فأعطتْنيها ووقفْنا نتحدَّثُ ، فلمّا احترقتِ العُطبةُ خَرَقْتُ من بُرْدِى خِرقةً وجعلتُ النارَ فيها ، فكلما(٣) احترقتْ خرقتُ أخرى وأذْكيتُ بها النارَ ، حتى لم يبق علىّ من البرد إلا ما وارَى عورتى ، وما أعقِلُ ما أصنعُ ، وأنشدنى : ١٧٩/١

أَمُسْتَقْبِلِى نَفْحُ الصَّبَا ثم شَائِقِى ... ببَرْدِ ثَنَايَا أُمِّ حَسَّانَ شائِقُ
كأنَّ على أنيابها الخمرَ شَجَّهَا(٤) ... بماء الندى من آخرِ الليلِ غَابِقُ
وما شِمْتُهُ(٥) إلا بعينى تَفَرُّساً ... كما شِيمَ فى أعلى السّحابة بَارِقُ

ومن الناس مَنْ يروى هذه الأبياتَ لنُصَيبٍ ، ولكن هكذا رُوِى فى هذا الخبر .

حدث الأصمعى أنه لم يكن مجنونا وروى من شعره

أخبرنا محمدُ بن خلف وَكِيعٌ عن عبد الملك بن محمد الرَّقَاشىّ(٦) عن عبد الصَّمَد ابنِ المعذَّلِ قال :

سمعتُ الأصمعىّ يقول — وقد تذاكرنا مجنونَ بنى عامر — قال : هو قيسُ ابنُ معاذ العُقَيلىّ ، ثم قال : لم يكن مجنوناً إنما كانت به لُوثةٌ وهو القائل :

---

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « فألهى بالحديث » .
(٢) العطبة : خرقة تؤخذ بها النار . قال الكميت :

نارا من الحرب لا بالمرخ ثقبها ... قدح الأكف ولم تنفخ بها العطب

ويقال : « أجد ريح عطبة » أى قطنة أو خرقة محلة .
(٣) كذا فى ت . وفى باقى النسخ : « فلما احترقت » .
(٤) شجها : مزجها .
(٥) كذا فى ت . وفى باقى النسخ : « ذقته » وشمته من الشيم وهو النظر نحو النار والسحاب والبرق . يقال : شام السحاب والبرق شيما ، أى نظر إليه أين يقصد وأين يمطر .
(٦) كذا فى ت . وفى بعض الأصول : « القرشى » . وما أثبتناه هو الصواب ، وانظر الحاشية رقم ٢ ص ٥ من هذا الجزء .

أخذَتْ محاسنَ كلِّ ما ضَنَّتْ محاسنُـــهُ بحُسْنِهْ
كاد الغــــزالُ يكونُها لولا الشَّوَى ونُشُوزُ قَرْنِهْ

قال : وهو القائل :

ولم أرَ ليـلى بعـد موقفِ ساعةٍ بخَيْفِ مِنًى ترمى جِمَارَ المحصَّبِ
ويُبْدِى الحصى منها إذا قَذَفَتْ به من البُرْدِ أطرافَ البنَانِ المخضَّبِ
فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كناظرٍ مع الصبح فى أعقاب نجمٍ مُغَرِّبِ
ألا إنما غادرْتِ يا أُمَّ مالكٍ صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يذهَبِ

فى هذه الأبيات لحنٌ من الثقيل الأول ، ابتداؤه نشيدٌ من صنعة الواثق وهو المشهور . وذكره ابنُ المكىّ لأبيه يحيى . وهو فى جامع غناء سُلَيم[1] بن سَلاَم له . وذكره حبشٌ فى موضعين من كتابه فنسبه فى طريقة الثقيل الأول فى أحدهما إلى ابن مُحْرِز ، والآخر إلى يحيى المكىّ . وزعم الهشامىّ أن فيه لِسُلَيم[1] بن سَلاَم لحنا آخر من الثقيل الأول .

أخبرنا الحسنُ[2] بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار الصُّوفىّ قال : حدثنى هشام بن سعد البزار قال حدثنى إبراهيمُ بن سعد الزُّهْرىّ قال :

أتانى رجل من عُذْرَةَ لحاجة ، فجرى ذكرُ العشق والعُشّاق ، فقلتُ له : أنتم أرقُّ قلوباً أم بنُو عامرٍ ؟ قال : إنا لأرقُّ الناس قلوباً ، ولكن غلبتْنا بنو عامرٍ بمجنونها .

شىء من أوصافه

أخبرنى أحمدُ بن عمر بن موسى بن زَكَوَيْهِ القطّان إجازةً قال حدّثنا إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزَامىُّ قال أخبرنى عبدُ الجبار بنُ سليمانَ بن نَوْفل بن مُسَاحِقٍ عن أبيه عن

(١) كذا فى ت ، ئا ، حا : «سليم بن سلام» بضم السين فى الأول وفتح اللام المخففة فى الثانى . وفى سائر النسخ «سليمان بن سلام» ، وهو تحريف إذ المغنى هو سليم بن سلام ، له ترجمة مستقلة فى ج ٦ من الأغانى ط دار الكتب ص : ٦٤ .

(٢) كذا فى ت . وفى أغلب النسخ : « الحسين » ، وقد تقدم مرارا « الحسن بن على » باتفاق الأصول .

جده قال : أنا رأيتُ مجنونَ بنى عامر ، وكان جميلَ الوجه أبيض اللّون ، قد علاه شُحُوبٌ(١) ، واستنشَدتُه فأنشدنى قصيدتَه التى يقول فيها :

تَذَكَّرْتُ ليلى والسِّنينَ الخَوالِيَا وأيامَ لا أُعْدِى(٢) على اللّهوِ لِمَا بِيَا(٣)

أخبرنى محمدُ بنُ الحسن الكِنْدِىّ خطيبُ مسجدِ القادسيةِ قال حدثنا الرِّياشىّ قال : سمعت أبا عثمانَ المازنىّ يقول :

عبد الغنى ابو العينين
١٨٠
١

سمعتُ مُعَاذاً وبشرَ بن المفضَّل جميعاً يُنْشِدانِ هذين البيتين ويَنْسُبانهما لمجنون بنى عامر :

طَمِعْتُ بليلى أن تَريعَ(٤) وإنما تُقَطِّعُ(٥) أعناقَ الرجالِ المطامعُ

وداينتُ ليلَى فى خَلاءٍ ولم يكن شهودٌ على ليلى عُدُولٌ مَقَانِعُ(٦)

وحدثنى محمدُ بن يحيى الصُّولِىّ قال حدثنا أبو خَلِيفة الفَضْلُ بن الحُباب عن ابن سَلاّم قال :

قضى عُبَيدُ(٧) الله بنُ الحَسَن بن الحُصَين بن أبى الحُرِّ(٨) العَنْبَرىُّ على رجل من قومه قضيةً أوجبها الحكمُ عليه ، وظنّ العنبرىُّ أنه تحاملَ عليه ، وانصرف مُغضَباً ، ثم لقيه فى طريق ، فأخذَ بلِجَام بغلتِه ، وكان شديداً أيِّداً(٩) ، ثم قال له : إيهٍ يا عُبَيدَ الله(١٠)!

(١) يقال : شحب لونه يشحب شحوبا ، اذا تغير لعارض مرض أو سفر ونحوه .
(٢) لا أعدى : لا أعين ولا أنصر .
(٣) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « على الدهر » . وقد جاء هذا الشطر فى الديوان هكذا :
* وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا *
(٤) يقال : راع الشىء يريع ريعا ، أى رجع وعاد .
(٥) كذا فى جميع الأصول . ورواية اللسان فى مادة ريع : « تُضَرَّبُ » .
(٦) جمع مقنع بفتح الميم ، وهو العدل من الشهود يقال : فلان شاهد مقنع ، أى رضًا يُقنَع به .
(٧) كذا فى ت . وفى سائر الأصول : « عبد الله » ، والصحيح ما أثبتناه فإنه عبيد الله بن الحسن ابن حصين التميمى العنبرى قاضى البصرة . انظر كتاب تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال .
(٨) كذا فى تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال . وفى جميع الأصول : « ابن الحرّ » .
(٩) أيدا : قويا . (١٠) كذا فى ت وفى باقى النسخ : « يا أبا عبد الله » .

طَمِعْتُ بليلى أن تَريعَ وإنما   تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامِعُ

فقال عُبَيدُ اللهِ :

وبايعتُ ليلى فى خلاءٍ ولم يكنْ   شهودٌ عدولٌ عند ليلى مَقَانِعُ

خَلِّ عن البغلة . قال الصُّولِيّ فى خبره هذا : والبيتان للبَعيث[1] هكذا ، قال : فلا أدرى أمن قوله هو أم حكاية عن أبى خليفة ! .

زيارة ليلى له وحديثها معه

أخبرنا محمد بن القاسم الأَنْبَارِيّ عن عبد الله بن خَلَف الدلّال قال حدثنا زكريا ابن موسى عن شُعَيبِ بن السَّكَنِ عن يونُسَ النحوىّ قال :

لما اختلطَ عقلُ قيس بن الملوّح وترك الطعامَ والشرابَ ، مضت أُمُّه إلى ليلى فقالت لها : إنّ قيسا قد ذهب حُبُّكِ بعقلِه ، وترك الطعامَ والشرابَ ، فلو جئتِه وقتاً لرجوتُ أن يثوب إليه بعضُ عقله ، فقالت ليلى : أمّا نهاراً فلا ؛ لأنّنى لا آمنُ قومِى على نفسى ولكن ليلا ، فأتته ليلا فقالت له : ياقيسُ ، إنّ أمكَ تزعمُ أنك جُنِنتَ من أجلى وتركتَ المطعمَ والمشربَ ، فاتقِ اللهَ وأبقِ على نفسك ، فبكى وأنشأ يقول :

قالتْ: جُنِنتَ عَلَى أيْشٍ[2] فقلتُ لها: الحبُّ أعظمُ مما بالمجانينِ

الحبُّ ليس يُفِيقُ الدهرَ صاحبُه   وإنما يُصرَعُ المجنونُ فى الحِينِ

---

(١) استشهد صاحب اللسان فى مادة « ريع » بالبيت الأول ونسبه للبعيث .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وقد ذكر الشهاب الخفاجى فى «شفاء الغليل» أنها مخففة من أى شىء، وقد قيل إنها سمعت من العرب وإنها وردت فى شعر قديم ، كما قيل إنها مولدة . ثم قال : وقول الشريف فى حواشى الرضى : إنها كلمة مستعملة بمعنى أى شىء وليست مخففة منها ليس بشىء ، وتخفيفها من أى شىء، كما يقال : ويلمّه فى معنى ويل لأمّه ؛ لكثرة الاستعمال . وفى ت «على رأسى» ، وكذلك ورد فى كتاب تزيين الأسواق لداود الأنطاكى ، فإنه قال فى سوق الحكاية : «فسلمت عليه ثم قالت له :

أُخبرتُ أنك من أجلى جننت وقد   فارقتَ أهلك لم تعقل ولم تُفِقِ

فرفع رأسه إليها وأنشد :   * قالت جننت على رأسى فقلت لها *   الخ .

قال : فبكتْ معه ، وتحدَّثا حتى كاد الصبحُ أن يُسفِرَ ، ثم ودّعته وانصرفَتْ ، فكان آخرَ عهده بها.

سبب جنونه بيت شعر قاله

أخبرنا ابنُ المَرْزُبانِ قال قال القَحْذَمِيُّ : لما قال المجنونُ :

قضاها لغيرِي وابتــلاني بحبِّها فهلا بشيء غيرِ ليــلى ابتلانِيَا

سُلِبَ عقلُه . الغناء لحَكَم ثقيلٌ أوّلُ ، وقيل إنه لابن الهِرْبِذ(١). وفيه لمُتَيَّمَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل من جامع أغانيها(٢) . وحدّثني جَحْظة بهذا الخبر عن مَيْمونِ بن هارونَ أنه بلغه أنه لما قال هذا البيت بَرِصَ .

سبب تسميته المجنون واختلاف الرواة في ذلك

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن طاهر القرشيّ عن ابن عائشةَ قال : إنما سُمِّي المجنونَ بقوله :

ما بالُ قلبكَ يا مجنونُ قد خُلِعَا في حبِّ مَنْ لا ترى في نَيْلِه طَمَعَا !
الحبُّ والودُّ نِيطا بالفؤاد لهـا فأصبحا في فؤادي ثابتَيْنِ معَا

حدّثنا وَكيعٌ عن ابن(٣) يونس قال قال الأصمعيّ : لم يكنِ المجنونُ مجنونا ، إنما جنَّنه العشقُ ، وأنشد له :

١٨١/١

يُسَمُّونني المجنونَ حين يَرَوْنني نعمْ بيَ مِن ليلى الغداةَ جنونُ
لَيَالِيَ يُزْهَى بي(٤) شَبَابٌ وشِرَّةٌ(٥) وإذ بيَ مِنْ خَفْضِ المعيشة لِينُ

(١) كذا في أغلب النسخ . وفي ب ، س : « ابن الهزبر » وهو تحريف ، انظر الحاشية رقم ٤ ص ٣٧٢ من الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) كذا في أغلب النسخ . وفي ا ، ب ، س : « أغانيه » وهو تحريف ، إذ هي متيم الهاشمية . انظر ترجمتها مستقلة بالجزء السابع من هذا الكتاب طبع دار الكتب .

(٣) في ت : « حدثنا وكيع قال حدثنا محمد بن يونس » .

(٤) في ت : « يزهاني شباب وشرة » أي يطيش بي الشباب ويستخفني .

(٥) كذا في ت ، حـ . والشرة : حرص الشباب ونشاطه . وفي باقي النسخ : « شدة » ، والظاهر أنه تحريف .

أخبرنى محمدُ بن المرزُبان عن إسحاقَ بن محمد بن أبَانَ قال حدّثنى علىّ بن سَهْل عن المدائنىّ : أنه ذُكِرَ عنده مجنونُ بنى عامر فقال : لم يكن مجنونا ، وإنما قِيل له المجنون بقوله :

وإنّى لمجنونٌ بليلَى مُوَكَّلٌ ... ولستُ عَزُوفاً عن[1] هواها ولا جَلْدَا
إذا ذُكِرَتْ ليلَى بكيتُ صبَابةً ... لِتَذْكارِها حتى يَبُلَّ البُكا الخدَّا

أخبرنى عمرُ بن جميلٍ العَتَكِىُّ قال حدّثنا عمرُ بن شبَّةَ قال حدّثنا عَوْنُ بن عبد الله العامرىّ أنه قال : ما كان واللهِ المجنونُ الذى تَعْزُونه إلينا مجنوناً ، إنما كانت به لُوثةٌ وسهوٌ أحدثهما به[2] حُبُّ ليلى ، وأنشدَ له :

وبى مِن هوَى ليلى الذى لو أبُثُّه ... جماعةَ أعدائى بكتْ لِى عُيونُها
أرَى النفسَ عن ليلى أبتْ أن تُطيعنى ... فقد جُنَّ مِن وَجْدِى[3] بليلى جُنونُها

أخبرنى ابن المرزُبان قال قال العُتبىّ : إنما سمى المجنون بقوله :

يقول أُناسٌ : عَلَّ مجنونَ عامرٍ ... يرومُ سُلوًّا ، قلتُ : أَنَّى لمـا بيَا
وقد لامنِى فى حُبِّ ليلى أقاربى[4] ... أخِى وابنُ عمِّى وابنُ خالِى وخاليَا
يقولون : ليلَى أهلُ بيتِ عَدَاوةٍ ... بنفسىَ ليـلى من عَدُوٍّ وماليَا

---

(١) كذا فى ت وكتاب تزيين الأسواق طبع بولاق ص ٨١ ، وفى سائر الأصول : «من». وما أثبتناه بالأصل هو الموافق لما فى كتب اللغة من تعدى فعل عزف بعن ، يقال : عزف عن الشيء عزوفا فهو عزوف أى انصرف عنه زهدا فيه أو كراهة له .

(٢) فى ت : « فيه » .

(٣) فى ت ، حـ ، : « من وجد » ، منكرا بغير ياء المتكلم .

(٤) كذا فى ت وديوانه. وفى سائر الأصول : «قرابتى ». وما أثبتناه أكثر فى الاستعمال وأبعد عن الخلاف. قال صاحب اللسان : تقول : بينى وبينه قرابة وهو ذو قرابتى وهم أقربائى وأقاربى ، والعامة تقول : هو قرابتى ، ثم قال : ويقال : فلان ذو قرابتى وذو قرابة منى وذو مقربة ، ومنهم من يجيز «فلان قرابتى» والأول أكثر ، وفى حديث عمر : «إلا حامى على قرابته» أى أقاربه ، سموا بالمصدر كالصحابة .

ولو كان فى ليلى شَذًا(١) من خصومةٍ لَلَوَّيتُ أعناقَ الخُصُوم(٢) الملاوِيَا(٣)

أخبرنى هاشم بن محمد(٤) الخزاعىّ عن عيسى بن إسماعيلَ قال قال ابن سلّام : لو حلفتُ أن مجنونَ بنى عامرٍ لم يكن مجنوناً لَصَدَقتُ ، ولـكن تَولَّهَ(٥) لما زُوِّجت ليلى وأيقنَ اليأسَ منها ، ألم تسمَعْ إلى قوله :

أيا ويحَ مَنْ أمسى تُخُلِّسَ عقلُه فأصبح مذهوباً به كلَّ مذهبِ
خَليعاً(٦) مِنَ الخُلاّنِ إلا مُجامِلا(٧) يُساعِدنى مَنْ كان يهوى تجنُّبِى
إذا ذُكِرتْ ليلى عَقَلتُ وراجَعَتْ عَوازِبُ قلبى مِنْ هوًى مُتَشعِّبِ

أخبرنى به الحسنُ بن علىّ عن دينار بن عامر التغلبىّ عن مسعود بن سعد عن ابن سَلاّم ونحوه .

أخبرنى محمدُ بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أنشدنى صالح بن سعيد قال أنشدنى يعقوبُ بن السِّـكّيت للمجنون :

يُسَمُّونَنِى المجنونَ حين يرونَنِى نَعَمْ بِىَ مِن ليلَى الغداةَ جُنُونُ

قال : وأنشدنا له أيضاً :

---

(١) كذا فى أكثر النسخ بالذال المعجمة ومعناه الحد . وفى م : « شدا » بالدال المهملة، وفسره ابن الأعرابى وابن خالويه بالبقية وفسره غيرهما بالحد، وهما روايتان فى البيت،قال صاحب اللسان : وأنشده الفراء بالدال المهملة وأنشده غيره بالذال المعجمة وأكثر الناس على الدال وهو الحد .

(٢) كذا فى جميع الأصول. وفى اللسان (المواد : شدا ، وشذا ، ولوى) : « أعناق المطىّ » .

(٣) الملاوى : جمع ملوى وهو مصدر ميمى من لوى بمعنى عطف .

(٤) تقدم ذكر هاشم هذا غير مرة منسوبا إلى أبيه محمد مكنى بأبى دلف .

(٥) كذا فى أغلب النسخ ، يقال توله أى أصابه الوله وهو ذهاب العقل من شدة الوجد وفقدان الحبيب . وفى ت ، حـ :« تدله » بالدال المهملة ، والتدله أيضا : ذهاب العقل من عشق أو نحوه .

(٦) كذا فى أغلب الأصول وهو الموافق لما فى الايوان طبع بولاق . والخليع : المخلوع أى المنزوع. وفى ت: « خليا » ، وهكذا ورد فى جميع النسخ فيما تقدم ص ١٨ من هذا الجزء .

(٧) كذا فى جميع الأصول . وقد تقدم فى ص١٨ من هذا الجزء؛ فى جميع الأصول : «معذرا يضاحكنى» .

صــوت

وشُغِلْتُ عن فَهم الحديثِ سِوَى ما كان فيـكِ فإنه(١) شُغْلِي
وأُدِيمُ لحــظَ مُحَدِّثِى لِيَرَى أنْ قد فهمتُ وعندكُم عَقْلِي

الحديث عن تكنيته ليلى بأم مالك

أخبرنى ابنُ المرزُبانِ عن محمد بن الحسَن بن دِينار الأَحْوَلِ عن علىّ بن المُغِيرة الأَثرمِ عن أبى عُبيدةَ :

أنّ صاحبةَ مجنونِ بنى عامر التى كَلِفَ بها ليلَى بنتُ مَهْدِىّ بن سعد بن مهدىّ ابن ربيعة بن الحَرِيش ، وكنيتها أُمُّ مالكٍ ، وقد ذكر هذه الكنيةَ المجنونُ فى شعره فقــال :

تـكادُ بلادُ اللهِ يا أُمَّ مالكٍ بمـا رَحُبَتْ يوماً علىَّ تَضِيقُ

وقال أيضاً :

فإنّ الذى أَمَّلتُ من أُمِّ مالكٍ أشابَ قَذَالِى(٢) واستَهامَ فُؤادِيَا
خليلَىَّ إن دارتْ على أُمِّ مالكٍ صُرُوفُ اللّيالِى فابْغِيَا لِىَ ناعِيَا(٣)

١٨٢ / ١ وقال أبو عَمْرو الشيبانىّ : عَلِقَ المجنون ليلَى بنتَ مهدىّ بن سعد من بنى الحَرِيش ، وكنيتُها أُمُّ مالكٍ ، فَشُهِرَ بها وعُرِفَ خبرُه فَحُجِبَتْ عنه ، فشَقَّ ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوِّجــه إياها ، فاشتدَّ به الأمرُ حتى جُنَّ وقيل له : « مجنونُ بنى عامر » ، فـكان على حاله(٤) يجلِسُ فى نادى قومه فلا يَفهَمُ ما يُحَدَّثُ به ولا يعقِله(٥) إلا إذا ذُكِرَتْ ليلى . وأنشد له أبو عمرو :

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى ت والديوان طبع بولاق : « وحبكم شغلى » .
(٢) القذال : جماع مؤخر الرأس . (٣) ناعيا : مناديا بموتى . (٤) فى ت : « حالة » .
(٥) كذا فى ت، حـ ، وهو الموافق لقوله فيما تقدم فى ص ١٦ من هذا الجزء : « فاذا أحبوا أن يتكلم أو يثوب عقله ذكروا له ليلى » . وفى سائر الأصول : « ولا يعقله أحد »، وهذا لايستقيم إلا أن يقرأ ما قبله هكذا « فلا يُفْهَمُ ما يُحَدِّثُ به الخ » .

صــوت

قصيدته الرائية

ألا ما لِلَيلَى لا تُرَى عند مَضْجَعِى   بليـــلٍ ولا يَجْرِى بذلكَ طائرُ
بَلَى إنّ عُجْمَ الطيرِ تجْرِى إذاجَرَتْ   بليــلَى ولـكنْ ليس للطير زاجرُ
أزالَتْ عن العهد الذى كان بيننا   بِذِى الأَثْلِ[1] أم قد غيَّرتْها المقادِرُ
فواللهِ ما فى القرب لى منكِ راحةٌ   ولا البعــدُ يُسْلِينِى ولا أنا صابرُ
وواللهِ ما أدرى بأيَّةِ حِيـــلةٍ   وأىِّ مَرَامٍ أو خِطارٍ[2] أُخاطِرُ
وتاللهِ إنَّ الدهرَ فى ذاتِ بيننا   علىّ لهـا فى كلِّ حالٍ لجـائرُ
فلو كنتِ إذأزمعتِ هَجرى تركتِنِى   جميعَ[3] القُوَى والعقلُ مِنِّىَ وافِرُ
ولـكنَّ أيامِى بِحَقْلِ[4] عُنَـيزَةٍ   وبالرَّضْم أيامٌ جناهـا التَّجَاوُرُ
وقد أصبح الوُدُّ الذى كان بيننا   أمانِىَّ نفسٍ والمؤمّــلُ حائرُ
لَعَمْرِى لقد رنَّقْتِ[5] يا أمَّ مالكٍ   حياتِى وساقَتْنى إليـكِ المقادرُ

قال أبو عمرو : وأخبرنى بعض الشاميين قال : دخلتُ أرضَ بنى عامر ، فسألتُ عن المجنون الذى قتله الحبُّ ، فخبَّرونى أنه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلى ، رَبَا معها ثم حُجِبَتْ عنه ، فاشتدّ ذلك عليه وذهب عقلُه ، فأتاه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يَصْنعُ[6] بنفسه ، فقال :

(١) فى ت وفى تزيين الأسواق طبع بولاق ص ٧٩ : « بذى الأيك » .
(٢) الخطار : مصدر خاطر بمعنى راهن .
(٣) جميع : مجتمع .
(٤) الحقل : المزرعة ويطلق على الموضع البكر الذى لم يزرع فيه قط . وعنيزة : موضع بين البصرة ومكة . والرضم : موضع على ستة أميال من زُبالة ، وزبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة .
(٥) رنقت : كدرت ، والترنيق كما يطلق على التكدير يطلق على ضده الذى هو التصفية .
(٦) كذا فى ت ، حـ . وفى سائر الأصول : « صنع » .

صوت

يا صاحِبىّ ألِمَّا بى بمنزلةٍ قد مرّ حينٌ عليها أيُّما حينِ
فى كل منزلةٍ ديوانُ مَعْرِفةٍ لم يُبقِ باقيةً ذكرُ الدواوينِ
إنى أرَى رَجَعَاتِ الحبِّ تقتُلنى وكان فى بدئها ما كان يكفينى

الغناء لابن جامع خفيف ثقيلٍ.

جنونه بليلى وهيامه على وجهه من أجلها

أخبرنى هاشمٌ الخزاعىّ عن العباس بن الفرج الرِّياشىّ:

ذكر العُتْبىُّ عن أبيه قال: كان المجنونُ فى بدء أمره يرَى ليلى ويألَفُها ويأنَسُ بها ثم غُيِّبتْ عن ناظره، فكان أهلُه يُعَزُّونه عنها ويقولون: نُزَوِّجك أنفسَ جاريةٍ فى عَشيرتك، فيأبَى إلا لَيلَى ويَهْذِى بها[1] ويذكرُها، فكان ربما استراحَ إلى أمانِيِّهم ورَكَنَ إلى قولهم، وكان ربما هاج عليه الحزنُ والهمُّ فلا يَملكُ[2] ممَّا هو فيه إلاّ أن يَهيمَ على وجهه، وذلك قبل أن يتوحَّشَ مع البهائم فى القِفار، فكان قومُه يلومونه ويَعذُلُونه، فأكثروا عليه فى الملامةِ والعَذْلِ يوماً فقال:

صوت

يا لَلرِّجال لِهمٍّ بات يعْرُونى مُستطْرَفٍ وقديمٍ[3] كان يَعنِينى
على غَرِيم مَلِىءٍ[4] غيرِ ذِى عُدْمٍ[5] يأبَى فيمْطُلُنى دَيْنِى ويَلوِينى[6]

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «ويهذى بذكرها».
(٢) أى لا يمسك نفسه عن الهيام بها.
(٣) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «وقديماً».
(٤) ملىء بالهمز، أى ثقة غنىّ. قال صاحب اللسان: وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء.
(٥) عدم أى فقر، ومثله العدم بضم العين وسكون الدال. قال صاحب اللسان: إذا ضممت أوله خففت فقلت: العُدْم، وإذا فتحت أوله ثقلت فقلت: العَدَم.
(٦) يلوينى: يمطلنى، يقال: لواه دينه وبدينه: مطله.

لا يذكُرُ البعضَ مِن دَيني فيُنْكِره(١) ولا يُحَدِّثُنى أنْ سوف يَقْضِينِى
١٨٣/١ وما كَشُكْرِىَ شُكْرٌ لو يُوافِقُنِى(٢) ولا مُنًى كَمُنَاهُ إذ يُمَنِّينِى
أطعتُه وعَصَيتُ الناسَ كُلَّهُمُ فى أمره ثم يأبَى فهو يَعْصِينِى
خَيرِى لمن يبتغى خيرى ويأمُلُه من دون شَرِّى وشَرِّى غيرُ مأمونِ
وما أُشارِكُ فى رأيِى أخا ضَعَفٍ(٣) ولا أقولُ أخِى مَنْ لا يُوَاتِينِى(٤)

فى هذه الأبيات هَزَجٌ طُنْبُورِىٌّ للمَسْدودِ من جامعه .

وقال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : حدثنى رَبَاح(٥) العامرىّ قال : كان المجنونُ أوّلَ ما عَلِقَ(٦) ليلى كثيرَ الذكر لها ، والإتيانِ بالليل والنهار إليها ، والعربُ تَرى ذلك غيرَ منكرٍ أن يتحدثَ الفِتْيَانُ إلى الفتَيَاتِ ، فلما عَلِمَ أهلُها بعشقه لها منعوه من إتيانها وتقدموا إليه(٧)، فذهبَ لذلك عقلُه ، ويئسَ(٨) منه قومُه واعتنَوْا بأمْره(٩)، واجتمعوا إليه ولاموه وعذَلوه على ما يصنعُ بنفسه ، وقالوا : والله ماهى لك بهذه الحال ، فلو تناسيتَها رجوْنا أن تَسلُوَ قليلا ، فقال لمّا سمِع مقالتَهم وقد غلب عليه البكاء :

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى ت : « لا يبعد النقد من دينى فيذكره » . وفى ا ، د ، م : « لا ينكر البعض من دينى فينظره » . وفى حـ : « لا ينكر البعض من دينى فينكره » .

(٢) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى باقى النسخ : « إذ يوافقنى » .

(٣) الضعف هكذا بالتحريك : لغة فى الضعف بالفتح والسكون . ويستعمل فى ضعف الرأى والعقل ، وأنشد عليه ابن الأعرابى هذا البيت . ويستعمل فى ضعف الجسم وأنشد عليه :

ومن يلق خيرا يغمز الدهر عظمه على ضعف من حاله وفتور

(٤) كذا فى الأصول ، ومعناه : يساعدنى ، ورواه صاحب اللسان هكذا :

* ولا ألين لمن لا يبتغى لينى *

(٥) فى ت ، م : « رياح » ، ولم نعثر على ما يرجح إحدى الروايتين ، وقد سبق التنبيه على قول الحافظ الذهبى : إن اسم رباح بالموحدة أكثره فى الموالى . انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٣٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٦) فى ت : « عشق » . (٧) أمروه بألا يعود إلى التحدث إليها .

(٨) فى ت : « أيس » . (٩) فى ت ، حـ : « واغتموا بأمره » .

صــوت

فوا كَبِدَا[1] من حبٍّ مَنْ لا يُحِبُّنِي ... ومِن زَفَرَاتٍ ما لهـــنَّ فَنَاءُ
أرَيْتَكِ[2] إنْ لم أُعطكِ الحبَّ عن يدٍ[3] ... ولم يكُ عندى إذ أبيْتِ إباءُ
أتارِكَـتِي للموت أنتِ فَمَيِّتٌ ... وما للنفوس الخائفاتِ بَقَاءُ

ثم أقبل على القوم فقال : إنّ الذى بى ليس بهيِّنٍ ، فأَقِلُّوا من مَلامِكم فلستُ بسامعٍ فيها ولا مُطِيعٍ لقول قائلٍ .

صة حبه ليلى فى واية رباح العامرى

أخبرنى عَمّى ومحمدُ بنُ حبيبَ[4] وابنُ المَرْزُبانِ عن عبد الله بن أبى سعد عن عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن ابن دَأْبٍ عن رَبَاح[5] بنِ حبيب العامرىّ :

أنه سأله عن حال المجنون وليلى ، فقال : كانتْ ليلى من بنى الحَرِيش وهى بنت مهدىّ بن سعيد[6] بن مهدىّ بن ربيعة بن الحَرِيش ، وكانت من أجمل النساء وأظْرَفِهنّ ، وأَحْسَنِهنّ جسما وعقلا ، وأفضَلهنّ أدباً ، وأَمْلحِهن شكلا . وكان المجنون كَلِفاً بمحادثة النساء صَبًّا بهنّ ، فبلغه خبرُها ونُعِتَتْ له ، فصبا إليها وعزمَ على زيارتها ، فتأهبَ لذلك ولبِسَ أفضلَ ثيابه ، ورجّلَ جُمَّتَه ، ومسَّ طِيباً كان عنده ، وٱرْتَحَلَ ناقةً له كريمةً برَحْلٍ حسنٍ ، وتقلَّدَ سيفَه وأتاها ، فسلَّمَ فردّتْ عليه السلامَ وتَحَفَّتْ فى المسألة[7] ، وجلس إليها فحادثته وحادثها فأ كثرا ، وكلٌّ واحد منهما

(١) كذا فى ب ، س ، ت ، وهو مندوب متوجع له : لحقته ألف الندبة بعد حذف ياء المتكلم . وفى بقية النسخ : «فوا كبدى» بياء المتكلم .

(٢) أصله أرأيتك ، حذفت همزته ، وهى كلمة تقولها العرب للاستخبار بمعنى أخبرنى .

(٣) يقال : أعطاه كذا عن يد ، أى عن ٱنقياد وٱستسلام .

(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «عمى وحبيب بن نصر» .

(٥) فى ت : «رياح» بالياء . وانظر الحاشية رقم ٥ ص ٤١ من هذا الجزء .

(٦) تقدمت فى ص ١٠ من هذا الجزء «ليلى بنت مهدى بن سعد» .

(٧) كذا فى ت . وفى حـ : «أحفت المسألة» ، ومعناها بالغت فى ملاطفته والسؤال عنه . وفى بقية النسخ : «أخفت المسألة» بالخاء المعجمة ، وهو تحريف .

مُقبِلٌ على صاحبه مُعْجَبٌ به ، فلم يزالا كذلك حتى أمسيَا ، فانصرف إلى أهله فباتَ بأطولِ ليلةٍ شوقًا إليها ، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى ، ثم انصرَفَ إلى أهله فبات بأطولَ من ليلته الأولى ، واجتهدَ أن يُغْمِضَ فلم يقدِر على ذلك ، فأنشأ يقول :

نَهارِى نهارُ الناسِ حتى إذا بدا ... لِىَ الليلُ هَزَّتْنِى إليكِ المضاجعُ
أُقَضِّى نهـارِى بالحديث وبِالمُنَى ... ويَجمَعُنِى والهمَّ بالليـلِ جامِـعُ
لَقَد ثَبتَتْ فى القلب منكِ محبَّـةٌ ... كما ثبتَتْ فى الراحتينِ الأصابعُ[1]

ـ عَروضه من الطويل . والغناء لإبراهيمَ الموصلىّ رملٌ بالوُسْطَى عن عمرو ـ قال : وأدامَ زيارَتَها وتركَ مَنْ كان يأتيه فيتحدّثُ إليه غيرَها . وكان يأتيها فى كلّ يوم ١٨٤/١
فلا يزال عندها نهارَه أجمعَ حتى إذا أمسى انصرفَ ، فخرج ذاتَ يوم يريدُ زيارتَها فلما قَرُب من منزلها لقِيَتْه جاريةٌ عَسْراءُ[2] فتطير منها ، وأنشأ يقول :

وكيف يُرَجَّى وصلُ لَيْلَى وقد جرى ... بِجَدٍّ[3] القُوَى والوصلِ أعسرُ حاسرُ[4]
صَدِيعُ[5] العَصَا صَعْبُ المرام إذا انتحى[6] ... لوصلِ امرئٍ جُدَّتْ عليه الأواصِرُ[7]

ثم سار إليها فى غدٍ فحدّثها بقصته وطِيَرتِه ممن لَقِيَه ، وأنه يخاف تغيُّرَ عهدِها

(١) ستأتى هذه الأبيات فى قصيدة منسوبة إلى قيس بن ذريح بالجزء الثامن من الأغانى طبع بولاق .
(٢) أى شؤم .
(٣) الجد : القطع . والقوى : جمع قوة ، وهى الطاقة الواحدة من طاقات الحبل .
(٤) الحاسر : الكاشف ، يوصف به الرجل والمرأة ، يقال : امرأة حاسر بغير هاء ، إذا حسرت عنها درعها ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين : حاسر .
(٥) من الصدع بمعنى الشق وهو كناية عن الفراق . قال أبو الهيثم : العصا تضرب مثلا للاجتماع ويضرب انشقاقها مثلا للافتراق الذى لا يكون بعده اجتماع ؛ وذلك لأنها لا تدعى عصا إذا انشقت (انظر لسان العرب مادة صدع) .
(٦) انتحى : قصد .
(٧) الأواصر : جمع آصرة وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف .

وانتكاثه وبكى ، فقالت : لا تُرَعْ (١) ، حاشَ لله من تغَيُّرِ عهدى ، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء اللهُ ، فلم يزل عندها يُحادثها(٢) بقية يومه ، ووقع له فى قلبها مثلُ ما وقع لها فى قلبه . فجاءها يوماً كما كان يجيء وأقبل يُحدِّثها فأعرضَتْ عنه ، وأقبلتْ على غيره بحديثها ؛ تريد بذلك مِحْنَتَه وأن تعلَمَ ما فى قلبه ، فلما رأى ذلك جَزِعَ جَزَعًا شديداً حتى بان فى وجهه وعُرِفَ فيه ، فلما خافَتْ عليه أقبلَتْ عليه كالمُسِرَّةِ إليه فقالت :

كِلانا مُظهِرٌ للناس بغضا … وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

فَسُرِّىَ(٣) عنه وعلم ما فى قلبها ، فقالت له : إنما أردتُ أن أمتحِنَكَ، والذى لكَ عندى أكثرُ من الذى لى عندكَ ، وأُعطِى اللهَ عهداً إن جالستُ بعد يومى هذا رجلا سواكَ حتى أذوقَ الموتَ إلا أن أُكرَه على ذلك ، قال : فانصرفَتْ(٤) عنه وهو من أشدّ الناس سروراً وأقرِّهم عيناً ، وقال :

أَظُنُّ هواها تارِكِى بِمَضَلَّةٍ(٥) … من الأرض لا مالٌ لدىَّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أُفضِى(٦) إليه وصيَّتِى … ولا صاحبٌ إلا المطيَّةُ والرَّحْلُ
محَا حبُّها حبَّ الأُلَى كُنَّ قبلها … وحَلَّتْ مكاناً لم يكن حُلَّ مِنْ قبلُ

أخبرنى جعفرُ(٧) بن قُدَامةَ عن أبى العَيْناء عن العُتْبىّ قال :

---

(١) لا ترع : لا تخف ولا يلحقك فزع .
(٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « يحدثها » .
(٣) أى انجلى همه وانكشف .
(٤) فى ت : «فانصرف عشيا وهو الخ » .
(٥) المضلة بفتح الضاد وكسرها : الأرض التى يضل فيها .
(٦) كذا فى جميع الأصول . ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا أفضى متعدياً بنفسه والوارد تعديه بالباء فيقال : أفضيت إليه بسرى ، ولعله فى الأصل « أقضى » بالقاف ، تقول : قضيت إليه الأمر ، أى أنهيته إليه وأبلغته ذلك .
(٧) كذا فى ت ، وقد تقدم كذلك غير مرة . وفى باقى النسخ : « أبو جعفر » .

شعره فيها بعد أن تزوجت وأيس منها

لما حُجبتْ ليلى عن المجنون خطبها جماعةٌ فلم يرضَهُم أهلُها ، وخطبها رجل من ثَقِيف(١) مُوسِرٌ فزوّجوه ، وأخفَوْا ذلك عن المجنون ، ثم نُمِي إليه طَرَفٌ منه لم يتحقّقه ، فقال :

دعَوْتُ إلٰهِي دعوةً ماجهلتُها ... وربِّي بما تُخْفِي الصدورُ بصيرُ(٢)
لئن كنتَ تُهدِي(٣) بَردَ أنيابِها العُلا ... لأفقرَ منّى إنّنِي لَفقِيرُ
فقد شاعتِ الأخبارُ أنْ قد تَزَوّجَتْ ... فهل يأْتِيَنِّي بالطلاقِ بشِيرُ !

وقال أيضاً :

ألا تِلكَ لَيلَى العامِرِيّةُ أصبَحَتْ ... تَقَطَّعُ إلا من ثَقِيفٍ حِبالَها
همُ حبَسُوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابْتَغَى ... بها المالَ أقوامٌ ألا قَلَّ مالُها
إذا التفتتْ(٤) والعيسُ صُعْرٌ(٥) من البُرَى ... بنخلةَ جلَّت عبرةَ العينِ حالُها

قال : وجعل يمرّ ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفِتُ إليه(٦) ، ويقول إذا جاوزه :

(١) كذا في ت . وفي باقي النسخ : «من بني ثقيف» ، وثقيف : أبو حي من قيس أو من هوازن ، والأغلب عليه التذكير فيصرف . قال سيبويه : أما قولهم : هذه ثقيف فعلى إرادة الجماعة . قال صاحب اللسان : وإنما قال ذلك لغلبة التذكير عليه وهو مما لا يقال فيه من بني فلان ؛ وكذلك كل مالا يقال فيه من بني فلان التذكير فيه أغلب ، ولهذا أثبتنا ما في نسخة ت بالأصل ؛ إذ مقتضى عبارة اللسان أنه يقال : فلان من ثقيف ولا يقال من بني ثقيف ، كما يقال : فلان من قريش أو معدّ ولا يقال : من بني قريش أو من بني معدّ .

(٢) كذا في أغلب النسخ . وفي ت «خبير» .

(٣) في ت وكتاب تزيين الأسواق ص ٦٦ طبع بولاق :

* لئن كان يهدى برد أنيابها العلا *

(٤) كذا في الديوان . وفي جميع الأصول : «إذا ما التفت» .

(٥) صعر : جمع أصعر من الصعر وهو ميل في العنق . والبرى : جمع برة وهي الحلقة تجعل في أحد جانبي منخر البعير . ونخلة : اسم موضع .

(٦) في ب ، س ، حـ : «إليها» .

صــوت

١٨٥/١

ألا أيُّهـا البيتُ الذى لا أَزُوره ... وإن حَـلَّه شخصٌ إلىّ حبيبُ
هجرتُكَ إشفاقاً وزرتُك خائفـاً ... وفيك علىّ الدهرَ منكَ رقيبُ
سـأستعتِبُ الأيامَ فيـكَ لعلهـا ... بيوم سرُورٍ فى الزمانِ تؤوبُ

الغناء لعَريبَ ثانى ثقيلٍ بالوسطى . قال :

وبلغه أن أهلَها يريدون نقلَها إلى الثَّقَفىّ فقال :

صــوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدَى ... بلَيْـلَى العـامريّةِ أو يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّها[1] شَرَكٌ فباتتْ ... تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجناحُ

— عروضه من الوافر . الغناء لابن المكىّ خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى فى مجراها عن إسحاق ، وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لسُليمان مطلقٌ فى مجرى البِنصر ، وفيه لإبراهيمَ رَمَلٌ بالوسْطَى فى مجراها عن الهشامىّ — قال :

قصيدته العينية

فلما نُقِلتْ ليلى إلى الثَّقَفىّ قال :

طَرِبتَ وشاقتكَ الحُمُولُ[2] الدّوافعُ ... غـداةَ دعا بالبين أسـفعُ[3] نازعُ
شحَا فاهُ[4] نعباً[5] بالفراق كأنه ... حريبٌ[6] سليبٌ نازحُ الدارِ جازِعُ

---

(١) عزها : غلبها . وفى ب ، س : « غرها » بالغين والراء ، والأول أنسب بالتشبيه .

(٢) الحمول : فى الأصل الهوادج واحدها حمل ، ثم اتسع فيها وصارت تستعمل فى الإبل التى عليها الهوادج . والدوافع : المندفعة فى السير .

(٣) كذا فى أغلب النسخ وتزيين الأسواق . وفى ب ، س : « أسحم » . والأسفع والأسحم معناهما واحد وهو الأسود . والنازع : المسرع . والمراد بالأسفع النازع « الغراب » .

(٤) شحا فاه يشحوه ويشحاه : فتحه .

(٥) نعبا : صياحا وتصويتا .

(٦) الحريب : من سلب حريبته وهى ماله الذى يقوم به أمره .

فقلتُ: ألا قد بيَّنَ(١) الأمرُ فانصرف فقد راعَنا بالبيـنِ قبلكَ رائعُ
سُقيتَ سُموماً(٢) من غراب فإنّنى تبيَّنتُ ما خبَّرتَ مذ أنتَ واقعُ(٣)
ألم ترَ أنّى لا مُحِبٌّ ألومُــه ولا ببـديلٍ بعـدهم أنا قانـعُ!
ألم ترَ دارَ الحىّ فى رونقِ الضُّحى بحيثُ انحنتْ للهضْبتين الأجارعُ(٤)!
وقد يتناءى الإلفُ من بعد أُلفةٍ ويصدَعُ ما بين الخليطين صادِعُ
وكم من هَوًى(٥) أو جيرةٍ قد ألفتُهم زماناً فلم يمنعهمُ البيـنَ مانعُ(٦)
كأنّى غداةَ البينِ ميِّتُ جوبةٍ(٧) أخـو ظمإٍ سُـدّتْ عليه المشارِعُ
تخَلَّسَ(٨) من أوشال(٩) ماءٍ صُبابةً فلا الشُّربُ مبذولٌ ولا هو ناقعُ(١٠)
وبيضٍ تَطَلَّى بالعَبيـر كأنهـا نِعاجُ المَلا(١١) جِيبَتْ(١٢) عليها البراقعُ
تحمَّلْنَ من وادى(١٣) الأراكِ فأومَضَت(١٤) لهنّ بأطـراف العيونِ المدامعُ

(١) بين بمعنى تبين ، ومنه المثل : « قد بين الصبح لذى عينين » .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ وتزيين الأسواق طبع بولاق : « سهاما » وهو جمع لسم كسموم .

(٣) وقع الطائر : نزل عن طيرانه على شجرة أو غيرها .

(٤) الهضبتان : مثنى هضبة وهى الرابية أو الجبل المنبسط على الأرض أو الجبل المخلوق من صخرة واحدة. والأجارع : جمع أجرع، والأجرع كالجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل،أو الرملة السهلة المستوية ، أو القطعة من الرمل لاتنبت شيئا (انظر اللسان فى مادتى هضب وجرع) .

(٥) الهوى بمعنى المهوىّ وهو المحبوب، ومنه قول الشاعر :

هواى مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثمانى بمكة موثق

(٦) كذا فى ت وتزيين الأسواق . وفى باقى النسخ : « فلم يمنعه للبين مانع » .

(٧) الجوبة : فضاء أملس سهل بين أرضين . (٨) تخلس الشىء : انتهبه وأخذه خلسة .

(٩) الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل . والصبابة : بقية الماء تبقى فى الإناء والسقاء .

(١٠) هو من نقع بمعنى روى . (١١) الملا : الصحراء .

(١٢) أى قطعت . (١٣) هو واد قرب مكة .

(١٤) فى ت : «وأومضت» بالواو .

فما رِمْنَ(١) ربعَ الدار حتى تشابهتْ هجائِنُها(٢) والجُونُ منها الخواضعُ(٣)
وحتى حملنَ الحُورَ(٤) من كل جانب وخاضتْ سُدُولَ(٥) الرَّقْم منها الأكارعُ(٦)
فلما استوتْ تحتَ الخدور وقد جرى عَبِيرٌ ومسكٌ بالعرانين رَادِعُ(٧)
أَشَرْنَ بأن حُثُّوا الجِمالَ فقد بدا من الصيف يومٌ لافحُ الحرِّ مَاتِعُ(٨)
فلمّا لحِقْنَا بالحُمول تباشَرَتْ بنا مُقْصِرَاتٌ(٩) غاب عنها المطامعُ(١٠)
يُعَرِّضنَ(١١) بالدَّلِّ المَليح وإن يُرِدْ جَنَاهُنَّ مشغوفٌ فهنَّ مَوَانعُ
فقلتُ لأصحابى ودمعِىَ مُسْبَلٌ وقد صدعَ الشملَ المشتَّتَ صَادعُ:
أليلَى بأبواب الخدورِ تعرّضَتْ لِعَينِىَ أم قرنٌ من الشمس طالعُ!

(١) كذا فى ت ، حـ، ومعناه ما برحن ، يقال : ما رام المكان أى ما برحه . وفى باقى النسخ : « رضن » بالضاد ، ولم يظهر له معنى .

(٢) الهجائن : الإبل البيضاء الكريمة واحدها هجان . والجُون : جمع جون بفتح الجيم وهو الأسود المشرب بحمرة ، ويطلق على الأسود اليحمومى وعلى الأبيض فهو من أسماء الأضداد .

(٣) الخواضع : الإبل وإنما يقال لها خواضع لأنها تخضع أعناقها حين يجد بها السير ، قال جرير :

ولقد ذكرتك والمطى خواضع وكأنهن قطا فلاة مجهل

(٤) الحور : جمع حوراء وهى البيضاء أو من فى عينها حور ، وهو شدة سواد المقلة فى شدة بياضها .

(٥) السدول : جمع سديل وهو ما يجلل به الهودج من الثياب .

(٦) الأكارع : جمع أكرع والأكرع جمع كراع ، أو الأكارع كما يقول سيبويه جمع كراع على غير قياس . والكراع من الإنسان : مادون الركبة إلى الكعب ، ومن الدابة قوائمها مطلقا .

(٧) المراد بالرادع هنا المردوع به الجسد أو الثوب وهو العبير والمسك . وأصل الردع اللطخ بالطيب والزعفران . يقال : قميص رادع ومردوع أى فيه أثر الطيب والزعفران ، وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « لم ينه عن شىء من الأدوية إلا عن المزعفرة التى تردع الجلد » أى تنفض صبغها عليه .

(٨) الماتع : الطويل .

(٩) كذا فى ت ، ب ، س ، وهو جمع مقصرة أى داخلة فى القصر وهو العشىّ ، يقال : أتيته قصرا ، أى عشيا ، وأقصرنا ، أى دخلنا فى قصر العشىّ ، كما تقول : أمسينا من المساء . وفى سائر النسخ : «معصرات» بالعين المهملة وهو جمع مُعْصِرة من أعصرت الجاريةُ ، إذا بلغت عصر شبابها ، أو من أعصرت أى دخلت فى العصر (انظر لسان العرب مادتى قصر وعصر) .

(١٠) كذا فى جميع النسخ . وفى ت وتزيين الأسواق : « المطالع » باللام .

(١١) كذا فى ت . وفى ب ، س : «تعرّضن» . وفى ا ، حـ ، م : «تعرّض» .

مروره مع ابن عم له على حمامة تهدل وما قال فى ذلك من الشعر

١٨٦ / ١

أخبرنى عيسى بنُ الحُسين الوَرّاق قال حدثنا الهيثمُ بنُ فِرَاسٍ قال حدثنى العُمَرىّ عن الهَيثم بنِ عَدِىّ :

أنّ أبا المجنون حجّ به لِيدعوَ الله عزّ وجلّ فى الموقف أن يُعافِيَه ، فسار ومعه[١] ابنُ عمه زيادُ بنُ كعب بن مُزاحم ، فمرّ بحمامة تدعو[٢] على أيْكة فوقف يبكى ، فقال له زياد : أىّ شىء هذا ؟ ما يُبكيك أيضاً ؟ سر بنا نلحَق الرُّفقةَ ، فقال :

أأن هَتفَتْ يوماً بوادٍ حمامةٌ ... بكيتَ ولم يَعذِرك بالجهل عاذِرُ
دعَتْ ساقَ حُرٍّ[٣] بعد ماعَلَتِ الضُّحَى ... فهاج لكَ الأحزانَ أن ناحَ طائرُ
تُغَنِّى[٤] الضُّحَى والصبحَ فى مُرْجَحِنَّةٍ[٥] ... كِثَافِ الأعالى تحتها الماء حائرُ[٦]
كأن لم يكن بالغَيْل[٧] أو بطنِ أيكةٍ[٨] ... أوالجِزْع[٩] من تول[١٠] الأشاءةِ حاضِرُ
يقول زيادٌ إذ[١١] رأى الحىَّ هَجَّروا[١٢] : ... أرى الحىَّ قد ساروا فهل أنتَ سائرُ !

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « فسار معه الخ » .

(٢) تدعو : تصوت وتنوح .

(٣) ساق حر : أصله صوت القمارى ، ويطلق على الذكر من القمارى تسمية له باسم صوته وهو المراد هنا (انظر اللسان مادتى سوق وحر) .

(٤) كذا فى ت وتزيين الأسواق . وفى م : « نعى » هكذا بدون إعجام . وفى باقى النسخ هكذا : « نعىّ » .

(٥) كذا فى أغلب الأصول ، والمرجحنة : المهتزة المتمايلة .

(٦) حائر : متردد .

(٧) الغيل : اسم لعدة مواضع والظاهر أن المراد هنا واد لبنى جعدة وهم قوم المجنون .

(٨) الأيكة : الغيضة الملتفة الأشجار ، ولم نجد فى الكتب التى بأيدينا « أيكة » ولا « بطن أيكة » اسما لموضع خاص .

(٩) الجزع — بالكسر ، وقال أبو عبيدة : اللا ثق به أن يكون مفتوحا — : منعطف الوادى ، ولعله هنا اسم لموضع خاص ، وقد يكون جزع بنى جاز وهو واد باليمامة .

(١٠) كذا فى ب ، س . وفى بقية النسخ : « قول » بالقاف ، ولم يظهر لكلتا النسختين معنى . والأشاءة : موضع باليمامة فيه نخيل ، فلعل كلمة « تول » محرفة عن « تال » ، والتال : صغار النخل واحدته تالة .

(١١) كذا فى ب ، س ، ت . وفى باقى النسخ : « أن رأى » .

(١٢) هجروا : ساروا فى وقت الهاجرة .

وإنّى وإن غَالَ[1] التقادُمُ حاجتى مُلِمٌّ على أوطان لَيلَى فَنَاظِرُ[2]

هيامه إلى نواحى الشام وما يقوله من الشعر عند عوده ورؤية التوباد

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأَزهر عن الزُّبَير عن محمد بن عبد الله البَكْرىّ عن موسى بن جعفر بن أبى كَثِير ، وأخبرنى عمى عن عبد الله بن شَبِيب عن هارون بن موسى الفَرْوىّ[3] عن موسى بن جعفر بن أبى كَثِير ، وأخبرنى ابنُ المَرْزُبان عن ابن الهَيْثم عن العُمرىّ عن العُتْبىّ ، قالوا جميعاً :

كان المجنونُ وليلَى وهما صَبِيّان يرعَيانِ غنماً لأهلهما عند جبلٍ فى بلادهما يقال له التَّوْبادُ[4] ، فلما ذهب عقلُه وتوحَّشَ ، كان يجىء إلى ذلكَ الجبلِ فيقيمُ به ، فإذا تذكر أيامَ كان يُطيفُ هو وليلى به جَزِع جزعاً شديداً ، واستوحش فهام على وجهه حتى يأتىَ نواحىَ الشأمِ ، فإذا ثاب إليه عقلُه رأى بلداً لا يعرفه فيقولُ للناس الذين يلقاهم : بأبى أنتم ، أين التَّوبادُ من أرض بنى عامر ؟ فيقال له : وأين أنت من أرض بنى عامر ! أنت بالشأم عليك بنجم كذا فأُمَّه ، فيمضى على وجهه نحوَ ذلك النجم حتى يقعَ بأَرض اليمن ، فيرَى بلاداً يُنكِرها وقوماً لا يعرِفهم فيسأَلُهم عن التَّوباد وأرض بنى عامر ، فيقولون : وأين أنتَ من أرض بنى عامر ! عليك بنجم كذا وكذا ، فلا يزال كذلك حتى يقع على التَّوبادِ ، فإذا رآه قال فى ذلك :

أبياته النونية التى يصف فيها انصباب الدمع

وأجْهَشْتُ[5] للتَّوبادِ حين رأيتُه وكَبَّرَ[6] للرحمن حين رآنى

(١) غال الشيء : ذهب به .
(٢) كذا فى ت ، حـ ، وتزيين الأسواق . وفى باقى النسخ : « مناظر » بالميم .
(٣) كذا فى ت « الفروى » بالفاء وهو الموافق لما فى كتب التراجم مثل تهذيب التهذيب والخلاصة والأنساب للسمعانى . وفى بقية النسخ : «المروى» بالميم ، وهو تحريف .
(٤) كذا فى جميع الأصول «التوباد» بالدال المهملة وهو الموافق لما فى معجم ما استعجم للبكرى إذ قال فى ضبطه : هو بفتح أوله وباء معجمة بواحدة ودال مهملة وأنشد عليه : * وأجهشت للتوباد حين رأيته * البيت . وضبطه ياقوت بالذال المعجمة فقال فى معجمه : « توباذ » بالفتح ثم السكون والباء موحدة وآخره ذال معجمة : جبل بنجد .
(٥) أجهشت : تهيأت للبكاء . (٦) كذا فى جميع الأصول . وفى الديوان : « وهلل » .

وأذرَيتُ[1] دمعَ العين لمّا عرفتُه　　ونادى بأعلى صوته فدعانِى

فقلتُ له : قد كان حولكَ جيرةٌ　　وعهدِى بذاكَ الصَّرم منذ زمانِ[2]!

فقال : مَضَوْا واستودَعُونِى بلادَهم[3]　　ومَنْ ذا الذى يبقَى على الحدَثانِ!

وإنى لأبكى اليومَ من حَذَرِى غداً　　فِرَاقَكَ والحَيَّانِ مُجْتَمِعانِ[4]

سِجَالًا وتَهْتَانا[5] ووَبْلاً ودِيمَةً　　وسَحًّا وتَسْجَاماً[6] إلى هَمَلانِ[7]

سبب ذهاب عقله

أخبرنى[8] عمى عن عبد الله بن شَبيب عن هارونَ بنِ موسى الفَرْوِىّ عن موسى ابن جعفر بن أبى كَثِير قال :

لما قال المجنونُ :

خليلَىّ لا واللهِ لا أملكُ الذى　　قضى اللهُ فى ليلى ولا ما قَضَى لِيَا

---

(١) كذا فى ت والديوان وتزيين الأسواق . وفى بقية الأصول : «وأذرفت» ولم نجد «أذرف» فى كتب اللغة التى بأيدينا ، وإنما يقال : ذرفت العين الدمع وذرَّفته بالتضعيف أى أسالته .

(٢) ورد بدل هذا البيت فى الديوان بيت آخر وهو :

فقلت له: أين الذين عهدتهم　　حواليك فى خصب وطيب زمان

وجاءت القصيدة فى تزيين الأسواق مشتملة على البيتين فأورد البيت الذى فى الأصول ثم جاء بعده بالبيت الثانى هكذا :

وقلت له : أين الذين عهدتهم　　بقربك فى حفظ وطيب أمان

(٣) كذا فى أغلب النسخ والديوان . وفى ت وتزيين الأسواق : «ديارهم» .

(٤) كذا فى أغلب الأصول والديوان . وفى ت وتزيين الأسواق : «مؤتلفان» .

(٥) يقال : هتنت السماء تهتن هتنا وتهتانا ، أى صبت .

(٦) يقال : سجَّمت السحابة مطرها تسجيما وتسجاما ، إذا صبته .

(٧) كذا فى الديوان ، والهملان : فيض العين بالدموع . وفى جميع الأصول « وتهملان » .

(٨) جاء فى صلب نسخة س بعد انتهاء القصيدة وقبل قوله « أخبرنى » ما نصه : «الجهش : أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك متهيئ للبكاء كالصبى يفزع إلى أمه وقد تهيأ للبكاء ، يقال : جهش إليه يجهش ، وفى الحديث : «طال بنا العطش فجهشنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم» ، وكذلك الإجهاش ، يقال : جهشت بنفسى وأجهشت» . ولم نثق بصحة هذه الزيادة حتى نثبتها فى الصلب لأنا وجدناها فى نسخة م موضوعة فى الصلب قبل القصيدة بل قبل البيت الأول التى هى شرح لبعض مفرداته ووجدناها بحاشية نسخة ا فى صورة شرح لقوله : «وأجهشت» ومعزوة إلى الجوهرى وهى نص عبارته فى كتاب الصحاح ، والظاهر أن بعض النساخ وجد هذا التعليق على حاشية إحدى نسخ الكتاب فظنه من الأصل وأدخله فى الصلب .

قضاها لغيرِى وابتلانى بحبِّها فهلَّا بشىءٍ غيرِ ليلَى ابتلانيا !

سُلِبَ عقلُه .

وحدّثنى جحظةُ عن ميمون بن هارونَ عن إسحاقَ الموصلىّ أنه لما قالها بَرِصَ .

شعره حين توهم أن صائحا يصيح : ياليلى

قال موسى بن جعفر فى خبره المذكور : وكان المجنونُ يسير مع أصحابه فسمع صائحاً يصيح : يا ليلى ، فى ليلةٍ ظلماءَ أو توهَّم ذلكَ ، فقال لبعض مَنْ معه : أما تسمعُ هذا الصوتَ ؟ فقال :ما سَمِعْتُ شيئاً ، قال : بلى ، والله هاتفٌ يهتِفُ بليلى ، ثم أنشأ يقول :

١٨٧ / ١

أقولُ لأدنَى صاحِبَىَّ كُلَيمةٌ أُسِرَّتْ من الأقصى: أجِبْ ذا المناديا

إذا سِرْتُ فى الأرضِ الفَضاءِ رأيتُنِى أُصانِعُ رَحْلِى(١) أن يَميلَ حِياليا

يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن شِمالًا يُنازِعْنِى الهوَى عن شِماليا

شعر له فى منى وغيرها يرويه غرير بن طلحة

وقال ابنُ شَبيبٍ وحدّثنى هارونُ بنُ موسى قال : قلتُ : لِغُرَيرِ(٢) بنِ طلحةَ المخزومىّ : مَن أشعرُ الناس ممن قال شعراً فى منًى ومكةَ وعرفاتٍ ؟ فقال : أصحابُنا القُرَشِيُّون ، ولقد أحسنَ المجنونُ حيث يقول :

---

(١) كذا فى ب ، س والديوان. والرحل: ما يوضع على البعير للركوب ، ثم يعبر به عن البعير وهو المراد هنا . وفى أغلب النسخ : « رجلى أن تميل حياليا » .

(٢) اختلفت النسخ فى هذا الاسم ؛فوقع فى ب ، حـ : «عرير » بمهملات، وفى س: «جرير»، وفى ت : « عزيز» بعين مهملة وزايين ، وفى م ، د ، ا : «شرير» بشين معجمة وراءين . وقد اعتمدنا فيما أثبتناه بالصلب على ما جاء فى تاج العروس حيث ذكر فى مادة « غرر » من يسمون بغرير كزبير ، وعدّ منهم غرير بن طلحة القرشى .

وجاء هذا الاسم فى الجزء الثالث عشر من الأغانى ص ١١٧ طبع بولاق هكذا: « غرير بن طلحة » بغين معجمة ثم مهملتين . وجاء فى تاج العروس فى مادة رقم بعد ذكر أبى عبد الله الأرقم المخزوى ما نصه : «ومن ولده عزير بن طلحة بن عبد الله بن عثمان بن الأرقم»، والظاهر أنه هو غرير بن طلحة وإنما وقعت نقطة الغين على الراء .

وفى كتاب الأنساب للسمعانى فى اسم « الأرقمى » : « والمشهور بهذه النسبة عزيز بن طلحة بن عبد الله ابن الأرقم من أهل مكة »، هكذا بعين مهملة وزايين معجمتين، والظاهر أنه « غرير » حتى يوافق ما ذكره صاحب تاج العروس فى مادة غرر .

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيفِ مِن مِنًى فهيَّجَ أحزانَ[1] الفؤادِ وما يدرِى
دعا باسم ليــلى غيرِها فـكأَنما أطارَ بليلى طائراً كان فى صدرى

فقلت له : هل ترَوِى للمجنون غيرَ هذا ؟ قال : نعم ، وأنشدنى له :

أما والذى أَرْسَى ثَبِيراً مكانه عليه السَّحابُ فوقه يتنصَّبُ[2]
وماسَلَكَ الموماةَ[3] من كلِّ جَسْرةٍ[4] طليحٍ[5] كجفنِ السَّيفِ تَهْوِى فتُركَبُ
لقد عِشْتُ مِنْ ليــلى زماناً أُحِبُّها أخا الموت إذ بعضُ المحِبين يَكذِبُ

أخبرنى محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كانت كنيةُ ليلى أمَّ عمرو ، وأنشدَ للمجنون :

صـوت

أبى القلبُ إلا حُبَّها[6] عامريَّةً لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو
تـكادُ يدِى تَندَى إذا ما لمستُها وينبتُ فى أطرافها الورَقُ الخُضْرُ

الغناء لعريبَ ثقيلٌ أولُ ، وقال حبش : فيه لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ .

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ عن دماذ[7] عن أبى عُبيدةَ قال : خطب ليلَى

(١) كذا فى أغلب الأصول وديوانه وكتاب الشعر والشعراء . وفى ت : « أطراب » وهو ما اتفقت عليه الأصول فيما تقدم بصحيفة ٢١ من هذا الجزء .
(٢) يتنصب : يرتفع .
(٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ت : « البوباة » بالباء ، وكلاهما صحيح فإن الموماة والبوباة معناهما واحد وهو الفلاة .
(٤) يقال : ناقة جسرة ومتجاسرة : ماضية فى سيرها . وفى ت : «نضوة» وهى التى هزلها السير .
(٥) يقال : ناقة طليح إذا جهدها السير وهزلها .
(٦) فى بعض النسخ : إلا حبه .
(٧) فى ت : «قال حدثنا أبو غسان دماذ» . وأبو غسان كنية دماذ . انظر صحيفة ١٥٩ حاشية رقم ٦ من الجزء الأول من الأغانى .

تزوج ليلى برجل من ثقيف وماقاله المجنون فى ذلك من الشعر

صاحبةَ المجنون جماعةٌ من قومها فكرِهَتْهم ، فخطبها رجلٌ من ثَقِيف موسرٌ فرضيته ، وكان جميلا فتزوّجها وخرج بها ، فقال المجنونُ فى ذلك :

ألا إنّ ليلى كالمَنِيحة(١) أصبحَتْ   تَقَطَّعُ إلا من ثقيف حِبالُهـا
فقد حبسوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابتغى   بها الربحَ أقوامٌ تَساحَتَ(٢) مالُها
خليليَّ هل مِنْ حيلةٍ تعلمانها   يُدَنِّى لنا تكليمَ ليلى احتيالُها
فإن أنتما لم تَعْلَمَاها فلستُما   بأوّلِ باغٍ حاجةً لا ينالُهـا
كأنّ مع الركب الذين اُغتَدَوْا بها   غمامةَ صيفٍ زعزعتْها شَمالُهـا
نظرتُ بمُفْضَى سَيلِ جَوْشَنَ(٣) إذ غَدَوْا(٤)   تَخُبُّ بأطـراف المَخَارِم(٥) آلُهـا
بشافية(٦) الأحزانِ هيَّج شوقَها   مُجَاَمعَةُ الألاّفِ ثم زِيَالُهـا
إذا اُلتفتتْ من خَلْفِها وهى تَعْتَلى   بها العِيسُ جَلَّى عَبْرةَ العينِ حالُها

(١) المنيحة فى الأصل : الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن ، ثم كثر استعمالها فى كل موهوب . وفى ت : «العامرية» بدل «كالمنيحة» .

(٢) كذا فى أغلب الأصول . يقال : أسحت ماله : استأصله وأفسده ، ومال مسحوت ومسحت أى مذهب . وأسحت تجارته : خبثت وحرمت ، ولم نجد فى كتب اللغة « تساحت » على وزن تفاعل من هذه المادة . وفى ت وتزيين الأسواق : « ألا قل مالها » ، وهكذا جاءت فى جميع النسخ كما تقدم فى ص ٤٥ من هذا الجزء .

(٣) كذا فى أغلب النسخ ، ولم نجد فى بلاد العرب ما يسمى جوشن الا جبلا فى غربى حلب . وفى ت : «جوشين» وهو مثنى جوش وهو جبل فى بلاد بنى القين بين أذرعات والبادية ، وثنى مع جبل آخر لهم يقال له «جدد» فيقال : جوشان ، قال البعيث :

تجاوزن من جوشين كل مفازة   وهن سوام فى الأزمة كالإجل

(٤) كذا فى ب ، س . وفى باقى النسخ : «والضحى» .

(٥) كذا فى ت : «المخارم» بالراء المهملة : جمع مخرم وهو الطريق فى الجبل أو الرمل . وفى بقية النسخ : « المخادم » بالدال المهملة ، ولم نجد له معنى مناسبا .

(٦) فى ت وتزيين الأسواق : « بمَهْلة الأجفان » .

أخبرنى علىّ بن سليمان الأَخْفَشُ قال أنشدنى أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ عن أبى نصر أحمدَ بن حاتم قال وأنشدناه المبرّد للمجنون فقال :

١٨٨/١

صوت

وأَحْبِسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ ... بذِكْرَاكِ والمَمْشَى إليكِ قريبُ
مخافةَ أن تسعى الوُشاةُ بظِنَّةٍ ... وأَحْرُسُكم أن يستريبَ مُرِيبُ
فقد جعلتْ نفسى ـ وأنتِ اجترمتِه ... وكنتِ أعزَّ الناسِ ـ عنكِ تَطِيبُ
فلو شئتِ لم أَغضَبْ عليكِ ولم يزل ... لكِ الدهرَ منِّى ما حييتُ نصيبُ
أَمَا والذى يَبْلُو[1] السرائرَ كلَّها ... ويعلَمُ ما تُبْدِى به وتَغِيبُ
لقد كنتِ ممن تَصْطَفِى النفسُ[2] خُلَّةً ... لها دون خُلَّانِ الصفاء حُجُوبُ

ذكر يحيى المكّىّ أنه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ ، وقال الهشامىّ : إنه من منحول يحيى إليه .

خبر أبى الحسن البغاء والمرأة التى أحبت صديقا له من قريش

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الحَسَن[3] بن محمد بن طالب الدِّينارى قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ ، وأخبرنى به محمد بن مَزْيد والحُسَين بن يحيى عن حَمّاد ابن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى سَعيد بن سُلَيمان عن أبى الحسن البَبَّغَاء قال :

بينا أنا وصديق لى من قريش نمشى بالبلاط[4] ليلا ، إذا بظلّ نسوة فى القمر ،

(١) كذا فى ت والديوان . وفى سائر النسخ : « يُبلِى السرائر » .
(٢) كذا فى ت والديوان . وفى باقى النسخ : «يصطفى الناس» .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : « الحسين بن محمد » .
(٤) البلاط : ضرب من الحجارة تفرش به الأرض ثم سمى المكان بلاطا اتساعا ، وهو معروف بالمدينة وقد تكرر ذكره فى الأحاديث . انظر النهاية لابن الأثير فى مادة « بلط » .

فسمعتُ إحداهنَّ تقول : أهو هو ؟ فقالت لها أخرى[1] معها : إى والله إنه لهو هو ! فدنت منِّى ثم قالت : يا كهلُ ، قل لهذا الذى معك :

ليستْ لياليكَ فى خاخٍ[2] بعائدةٍ   كما عهدتَ ولا أيامُ ذى سَلَمِ

فقلت : أجِبْ فقد سمعتَ ، فقال : قد والله قُطِعَ بى وأُرْتِجَ علىَّ فأجبْ عنى ، فقلت[3] :

فقلتُ لها : يا عزّ كلُّ مصيبةٍ   إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

ثم مضينا حتى إذا كنا بمَفْرِق طريقين مضى الفتى إلى منزله ، ومضيتُ إلى منزلى ، فإذا أنا بجويريةٍ تجذِب ردائى فالتفتُّ ، فقالت لى : المرأةُ التى كلمتْها تدعوكَ ، فمضيتُ معها حتى دخلت دارا واسعة ، ثم صرتُ إلى بيتٍ فيه حصيرٌ ، وقد ثُنِيَتْ لى وسادةٌ فجلستُ عليها ، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثْنيةٍ فطرحتها ، ثم جاءت المرأةُ فجلستْ عليها ، فقالت لى : أنت المجيبُ ؟ قلتُ : نعم ، قالت : ما كان أفظَّ جوابكَ وأغلظَه ! فقلت لها : ما حضرنى غيرُه ، فسكتَتْ ، ثم قالت : لا ، والله ما خلق اللهُ خلقاً أحبَّ إلىَّ من إنسان كان معكَ ! فقلت لها : أنا الضامنُ لكِ عنه ما تُحبِّينَ ، فقالت : هيهاتَ أن يقع بذلك وفاء ، فقلت : أنا الضامن وعلىَّ أن آتيكِ به فى الليلة القابلة ، فانصرفتُ ، فإذا الفتى ببابى ، فقلتُ : ما جاء بكَ ؟ قال : ظننتُ أنها ستُرسل إليكَ وسألتُ عنكَ فلم أعرف لك خبرا ، فظننتُ أنكَ عندها ، فجلستُ أنتظركَ ، فقلت له : وقد كان الذى ظننتَ ، وقد وعدتُها أن آتيَكَ فأمضىَ بك إليها فى الليلة المقبلة ، فلما أصبحنا تهيأنا وانتظرنا المساء ، فلما جاء الليلُ رحَلنا إليها ، فإذا الجاريةُ منتظرةٌ لنا ، فمضت أمامَنا حين رأتنا حتى دخلتْ تلك الدارَ ودخلْنا معها ، فإذا رائحةٌ طيبة ومجلسٌ

(١) كذا فى ت بالتنكير . وفى باقى النسخ : « الأخرى » .
(٢) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « جمع » ، وجمع هو المزدلفة .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ب ، س .

قد أُعِدَّ ونُضِّد ، فجلسنا على وسائدَ قد ثُنيتْ لنا ، وجلستُ مَليًّا ثم أقبلتْ عليه فعاتبته مليًّا ثم قالت :

صوت

وأنتَ الذى أخلفتَنى ما وعدتَنى … وأشْمَتَّ بى مَنْ كان فيكَ يلومُ

١٨٩/١ وأبرزتَنى للناس ثم تركتَنى … لهم غَرَضاً أُرمَى وأنتَ سَليمُ

فلو كان قولٌ يَـكْلِمُ الجلدَ قد بدا … بجِلْدِىَ من قول الوشاة كُلُومُ

هذه الأبيات لأُميمة(١) امرأة ابن الدُّمَينةِ ، وفيها غناء لإبراهيم الموصلىّ ذكره إسحاق ولم يُجنِّسه . وقال الهشامىّ : هو خفيفُ رملٍ . وفيه لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل يُنسب إلى حَكَم الوَادِى وإلى يعقوبَ . قال : ثم سكتَتْ وسكت الفتى هُنَيهةً ثم قال :

غَدَرْتِ ولم أغدِر وخُنْتِ ولم أخُنْ … وفى بعض هـــذا للمحبّ عَزَاءُ

جزيتُكِ ضِعْفَ الودِّ ثم صَرَمتِنى … فحُبُّكِ من قلبى إليكِ أداءُ

فالتفتت إلىَّ فقالت : ألا تسمع ما يقول ! قد خبرتُكَ ، فغمزتُه أن كُفَّ فكفَّ ، ثم أقبلتْ عليه وقالت :

صوت

تجاهَلْتَ وَصْلِى حينَ جَدَّتْ(٢) عَمَايَتى … فهلّا صرَمتَ الحبلَ إذ أنا أبصِرُ

ولى من قُوَى الحبل الذى قد قطعتَه … نصيبٌ وإذ رأيى جميعٌ مُوفَّرُ

ولـكنما آذنتَ بالصَّرْم بغتَـةً … ولستُ على مثل الذى جئتَ أقدِرُ

---

(١) كذا فى ت «لأميمة» وهو الموافق لما سيأتى فى ترجمة ابن الدمينة فى ج ١٧ ص ٩٣-١٠٦ طبعة الهيئة العامة للتأليف والنشر . وفى باقى النسخ : «لآمنة» وهو تحريف .

(٢) كذا فى جميع النسخ ، يقال : جد به الأمر ، أى اشتد . وفى ت : « لجت » وهو من لج به الشىء : لزمه وأبى أن ينصرف عنه .

— الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو — فقال :

لقد جعلتْ نفسي — وأنتِ اجترمتِه   وكنتِ أعزَّ الناس — عنكِ تطيبُ

قال : فبكتْ ، ثم قالت : أو قد طابتْ نفسُك ! لا ، والله ما فيك بعدها خير ، ثم التفتتْ إليّ وقالت : قد علمتُ أنك لا تفي بضمانك ولا يفي به عنك . وهذا البيت الأخير للمجنون ، وإنما ذُكِر هذا الخبرُ هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه .

رجع الخبر إلى سِياقةِ أخبار المجنون

٢/٢

رأى المجنون أبيات أهل ليلى فقال شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ عن العُمَرىّ عن الهيثم بن عدىّ أن رهطَ المجنون اجتازوا فى نُجْعَةٍ[1] لهم بحىّ ليلى ، وقد جمعتهم نُجعةٌ ، فرأى أبياتَ أهل ليلى ولم يُقْدِم[2] على الإلمام بهم ، وعدَلَ أهلُه إلى جهة أخرى ، فقال المجنونُ :

لعمرُكَ إنّ البيتَ بالقِبَلِ[3] الذى   مررتُ ولم أُلمِمْ عليه لَشائقُ
وبالجِزْعِ[4] مِن أعلى الجنيبةِ[5] منزلٌ   شَجا حَزَنٍ صدرى به مُتَضايِقُ
كأنى إذا لم ألقَ ليلى مُعَلَّقٌ   بسَبَّيْنِ[6] أهْفُو[7] بين سَهلٍ وحالِقِ[8]
على أننى لو شئتُ هاجت صبابتى   علىَّ رسومٌ عىّ فيها التَّناطُقُ

(١) النجعة عند العرب : الذهاب فى طلب الكلأ والعشب فى موضعه .
(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « يقدر » .
(٣) القبل : الناحية . وفى ت : « بالظاهر الذى » ، والظاهر يطلق على المكان المرتفع ، فيقال : ظواهر الأرض ، أى أشرافها وأعاليها .
(٤) الجزع : منعرج الوادى ومنعطفه .
(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « الجنينة » . وفى ياقوت : الجُنَيْنة : روضة نجدية بين ضريّة وحزن بنى يربوع وأنها صحراء باليمامة أيضا . ولم نجد الجنيبة اسما لموضع خاص ، ولعله تصغير جنبة بمعنى الناحية .
(٦) السب : الحبل كالسبب ، أى يذهب فى الهواء .
(٧) أهفو : أذهب فى الهواء .
(٨) الحالق : الجبل المرتفع . وفى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ .

لَعَمْرُكِ إن الحبَّ يا أمَّ مالكٍ بقلبي — براني اللهُ منـه — لَلَاصِقُ
يَضمُّ علىّ الليـلُ أطرافَ حُبِّـكم كما ضَمَّ أطرافَ القميصِ البَنَائقُ

صـوت

وماذا عسى الواشونَ أن يتحدَّثوا سوى أن يقولوا إننى لكِ عاشِقُ
نَعم، صدق الواشون أنتِ حبيبـةٌ إلىَّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائقُ

الغناء لمتيَّمَ ثقيلٌ أولُ من جامعها. وفيه لدِعَامةَ رملٌ عن حبَش.

حديث ليلى مع جارة لها من عقيل

٣/٢

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظةُ قال حدّثنى أحمدُ بن الطيِّب قال قال ابن الـكلبىّ: دخلَتْ ليلى على جارة لها من عُقَيلٍ وفى يدها مِسْواكٌ تَستاكُ به، فتنفَّستْ ثم قالت: سقى الله من أهدى لى هذا المِسْواكَ؛ فقالت لها جارتُها: مَنْ هو[1]؟ قالت: قيسُ ابنُ الملوّح، وبكتْ، ثم نزعتْ ثيابَها تغتسلُ؛ فقالت: وَيْحَه! لقد عَلِقَ منى ما أهلكه مِنْ غير أن أستحِقَّ ذلك، فنشدتُكِ الله، أصـدَقَ فى صفتى أم كذَب؟ فقالت: لا والله، بل صدق. قال: وبلغ المجنونَ قولُها فبـكى ثم أنشأ يقول:

نُبِّئتُ ليـلى وقد كـنَّا نبخِّلها قالت: سقى المزنُ[2] غيثًا منزلا خربَا
وحبَّذا راكبٌ كـنَّا نَهَشُّ به يُهدِى لنا من أراكِ الموسمِ القُضُبَا
قالتْ لجارتهـــا يومًا تُسَائلُهَا لمَّا استحَمَّتْ وألقَتْ عندها السَّلبَا:[3]
يا عَمْرَكِ الله ألاّ[4] قُلْتِ صادقـةً أصُدِّقَتْ صِفـةُ المجنون أم كذبَا؟

ويروى: «نشدتُكِ الله»، ويروى: «أصادقًا وصفَ المجنونُ أم كذبا؟».

---

(١) كذا فى ت. وفى أغلب النسخ: «ومن» بالواو.
(٢) فى ت: «سقى الله منه منزلا جدبا». وفى تزيين الأسواق: «قالت سقى الله منه منزلا خربا».
(٣) السلب: كل ما على الإنسان من الثياب.
(٤) ألاّ هنا للتحضيض بمعنى هلاّ.

سمع المجنون بخروج ليلى مع زوجها فقال شعرا

وقال أبو نصر فى أخباره : لما زُوِّجَتْ ليلى بالرجل الثقفىّ سمع المجنونُ رجلا من قومها يقول لآخر : أنتَ ممن يُشَيِّعُ ليلى ؟ قال : ومتى تخرج ؟ قال غداً ، ضَحْوةً أو الليلةَ ، فبكى المجنون ثم قال :

صـوت

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيل يُغْدَى ... بليـلى العامريّةِ أو يُرَاحُ
قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتتْ ... تُجـاذبه وقد عَلِقَ الجنـاحُ

الغناء ليحيى المكىّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وفيه رَمَلٌ ينسب إلى إبراهيمَ وإلى أحمد بن يحيى المكىّ ، وقال حَبَش : فيه خَفِيفُ ثقيلٍ بالوسطى لسليم .

وعظه رجل من بنى عامر فأنشده شعرا

وقال الهيثم بنُ عدىّ فى خبره : حدثنى عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانىّ[1] قال حدثنى رجلٌ من بنى عامر قال :

مُطِرنا مَطَرًا شديداً فى ربيع ارتبعْناه ، ودام المطرُ ثلاثاً ثم أصبحنا فى اليوم الرابع على صَحْوٍ ، وخرج الناس يمشون على الوادى ، فرأيت رجلا جالساً حَجْرةً[2] وحدَه فقصدْتُه ، فإذا هو المجنون جالسٌ وحده يبكى ؛ فوعظتُه وكلَّمتُه طويلا ، وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إلىّ ، ثم أنشدنى بصوت حزين لا أنساه أبدا وحُرْقَته :

صـوت

جَرى السَّيلُ[3] فاستبكانِىَ السيلُ إذجرى ... وفاضتْ له من مُقْلَتَىَّ غُـرُوبُ[4]
وما ذاكَ إلا حـينَ أيقنتُ أنه ... يكونُ بوادٍ أنتِ فيه[5] قريبُ

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « عبد الله بن عباس الهذلى » .
(٢) حجرة : ناحية .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س ، ، حـ : «جرى الدمع فاستبكانى السيل» ، وهو تحريف .
(٤) الغروب : جمع غرب وهو الدمع .
(٥) فى ت : خد ، مع . وتزيين الأسواق : « منه » .

يكون أُجَاجًا دونكم فإذا انتهى … إليكم تَلَقَّى طِيبَكم فيطيبُ
أَظَلُّ غريبَ الدارِ فى أرض عامرٍ … ألا كلُّ مهجورٍ هناكَ غريبُ
وإن الكثيبَ الفردَ من أيمن الحمى … إلىّ وإن لم آته لحبيبُ
فَلا خيرَ فى الدنيا إذا أنتَ لم تَزُر … حبيباً ولم يَطْرَبْ إليكَ حبيبُ

وأول هذه القصيدة — وفيه أيضاً غناء — :

صوت

ألا أيُّها البيتُ الذى لا أزوره … وهِجْرانُه منّى إليه ذُنوبُ
هجرتُكَ مشتاقا وزرتُكَ خائفاً … وفيك علىّ الدهرَ منكَ(1) رقيبُ
٤/٢ سأستَعْطِفُ الأيامَ فيكَ لعلّها … بيوم سرورٍ فى هواكَ تُثيبُ

هذه الأبيات فى شعر محمد بن أُميَّةَ مَرْوِيَّة(2)، ورُوِيتْ ها هنا للمجنون فى هذه القصيدة، وفيها لعَرِيبَ ثقيلٌ أولُ، ولعبد الله بن العباس ثانى ثقيلٍ، ولأحمد بن المكىّ خفيف ثقيلٍ:

وأُفرِدْتُ إفرادَ الطَّرِيد وباعدتْ … إلى النفس حاجاتٌ وهنّ قريبُ
لئن حال يأسٌ(3) دون ليلى لربما … أتى اليأسُ دون الأمر فهو عَصيبُ(4)
ومنَّيتنى حتى إذا ما رأيتنى … على شَرَفٍ للناظرين يُرِيبُ

(1) كذا فى ت وتزيين الأسواق. وفى باقى النسخ: «وفىّ عليك الدهر منك رقيب».
(2) كذا وقعت هذه العبارة فى أغلب النسخ. وفى ت ما نصه: «هذان البيتان الأولان فى شعر محمد بن أمية مدوّنان». وقد رجح صاحب تزيين الأسواق: أن البيت الأول للمجنون وأن الثانى والثالث ليسا له.
(3) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت وتزيين الأسواق: «لئن حال واش».
(4) كذا فى تزيين الأسواق. وقد ورد فى جميع الأصول: «أتى اليأس دون الأمر وهو قريب» وبهذه الرواية يكون فيه الإيطاء وهو تكرير القافية مع اتحاد المعنى.

صدَدْتِ وأشمَتِّ العدوَّ بصَرْمِنا أثابكِ ياليــلى الجزاءَ مُثيبُ

لقاؤه في توحشه ليلى فجأة وشعره فى ذلك

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدثنا محمد بن زَكَريا الغَلاّبىّ قال حدثنا مهدىّ(١) بن سابق قال حدثنا بعضُ مشايخ بنى عامر:

أن المجنون مرّ فى توحُّشه فصادف حيَّ ليلى راحلاً ، ولقيها فَجْأَةً فعرفها وعرفته ؛ فصَعِقَ وخرّ مغشيًّا على وجهه ، وأقبل فِتيانٌ من حىّ ليلى فأخذوه ومسحوا الترابَ عن وجهه ، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تَقِفَ له وَقْفَةً ، فرقَّتْ لِمَا رأتْه به ، وقالت : أمّا هذا فلا يجوز أن أفتضِحَ به ، ولكن يا فلانةُ — لأمةٍ لها — اذهبى إلى قيس فقولى له : ليلى تقرأ عليك السلامَ ، وتقول لكَ : أعزِزْ علىّ بما أنتَ فيه ، ولو وجدتُ سبيلا إلى شفاء دائكَ لوَقَيتُكَ بنفسى منه . فمضتِ الوليدةُ إليه وأخبرتْه بقولها ، فأفاقَ وجلس وقال : أبْلغيها السلامَ وقولى لها : هيهاتَ ! إنّ دائى ودوائى أنتِ ، وإنّ حياتى ووفاتى لفى يديكِ ، ولقد وكِّلْتِ بى شقاء لازماً وبلاء طويلا . ثم بكى وأنشأ يقول :

أقول لأصحابى : هى الشمس، ضوءها قريبٌ ولكن فى تناوُلها بُعْـدُ
لقد عارضَتْنا(٢) الريحُ منها بنفحةٍ عَلَى كَبِدِى من طِيبِ أرواحها بَرْدُ
فما زلتُ مَغْشيًّا علىّ وقد مَضتْ أناةٌ(٣) وما عندى جوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلَّبُ بالأيدى وأهلى بعَوْلةٍ(٤) يُفدُّوننى لو يستطيعون أن يَفْدُوا
ولم يبق إلا الجلدُ والعظمُ عارياً ولا عظمَ لى إن دام ما بى ولا جِلدُ
أدُنيايَ مالى فى انقطاعى وغُربتى(٥) إليكِ ثوابٌ منكِ دَينٌ ولا نَقْدُ

(١) فى بعض النسخ : « محمد بن سابق » .
(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : * لقد عارضتنا ريح ليلى بنفحة *
(٣) أناة : انتظار .
(٤) العولة كالعول : رفع الصوت بالبكاء .
(٥) كذا فى ت وتزيين الأسواق . وفى سائر النسخ : « ورغبتى » .

عِدِينى - بنفسى أنتِ - وعداً فربما جلا كُربةَ المكروب عن قلبه الوعدُ
وقد يُبتلَى قومٌ ولا كَبليَّتِى ولا مثلَ جَدِّى[1] فى الشقاء بكم جَدُّ
غَزَتْنِى جنودُ الحبّ من كلّ جانبٍ إذا حان من جندٍ قُفُولٌ[2] أتى جُندُ

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم : كان أبو عمرو المدنى[3] يقول قال نوْفَل بن مُساحِق : أُخبِرتُ عن المجنون أن سببَ توحّشه أنه كان يوماً بِضَرِيّةَ جالساً وحده إذ ناداه مُنادٍ من الجبل :

كِلانَا يا أُخَىّ يُحِبُّ ليلى بِفِىَّ وفيكَ من ليـلى الترابُ
لقـد خَبَلتْ فؤادكَ ثم ثَنَّتْ بقلبى فهـو مَهمومٌ مُصابُ
شَرِكتُكَ فى هَوَى مَن ليس تُبدِى لنا الأيامُ منه سِوَى اجتنابِ[4]

قال : فتنفّس الصُّعَداءَ وغُشِىَ عليه ؛ وكان هذا سببَ توحّشه فلم يُر له أثرٌ حتى وجده نوفلُ بن مُساحِقٍ . قال نوفل : خبر نوفل بن مساحق مع المجنون

قدمتُ الباديةَ فسألتُ عنه ، فقيل لى : توحّشَ ومالنا به عهدٌ ولا ندرى إلى أين صار ، فخرجتُ يوماً أتصيّدُ الأَرْوَى[5] ، ومعى جماعةٌ من أصحابى ، حتى إذا كنتُ بناحية الحِمَى إذا نحن بأَرَاكةٍ[6] عظيمة قد بدا منها قَطِيعٌ من الظباء فيها شخصُ إنسانٍ يُرَى من خَلَل تلك الأراكةِ ، فعجِبَ أصحابى من ذلك ، فعرفتُه وأتيته ، وعرفتُ أنه

٥/٢

(١) الجد بالفتح : الحظ والنصيب .
(٢) القفول : رجوع الجند بعد الغزو .
(٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ت : «قال ابن عمرو المرّى» .
(٤) كذا فى جميع النسخ . وفيه إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ بالرفع أو الجر . وقد تقدم البيتان الأولان فى ص ٧ من هذا الجزء وثالثهما هكذا :

شركتك فى هوى من كان حظى وحظك من مودّتها العذاب

(٥) الأروى : الوعول وهى تيوس الجبل واحده أروية .
(٦) الأراكة : واحدة الأراك وهو شجر كثير الورق والأغصان ينبت بالغور تتخذ منه المساويك . (انظر اللسان مادة أرك) .

المجنونُ الذى أُخبِرتُ عنه ، فنزلتُ عن دابتى وتخفَّفتُ من ثيابى[١]، وخرجتُ أمشى رُويدًا حتى أتيت الأراكةَ ، فارتقيتُ حتى صرت على أعلاها ، وأشرفتُ عليه وعلى الظباء ؛ فإذا به وقد تدلّى الشَّعَرُ على وجهه ، فلم أكد أعرفُه إلا بتأمُّلٍ[٢] شديد ، وهو يرتَعِى فى ثمر تلك الأراكةِ ، فرفع رأسَه فتمثَّلتُ ببيت من شعره :

أتبكِى على ليلى[٣] ونفسُك باعدتْ   مَزارَكَ من ليلى وشِعبْاكُما معاَ

قال : فنفرتِ الظباء ، واندفع فى باقى القصيدة يُنشِدُها ، فما أنسى حُسْنَ نَغْمَتِه وحسنَ صوته وهو يقول :

فما حَسَنٌ أن تأتِىَ الأمرَ طائعاً   وتجزَعَ أن داعى الصَّبابةِ أسمَعا
بكتْ عَينىَ اليسرى فلما زجرتُها   عن الجهل بعد الحِلم أسبلَتا معاَ
وأذكرُ أيامَ الحِمَى ثم أنْثَنِى   عَلَى كَبِدى من خَشيةٍ أن تَصدَّعاَ
فليستْ عَشِيَّاتُ الحِمَى برواجِعٍ   عليكَ[٤] ولكن خَلِّ عينيكَ تَدْمَعاَ[٥]
معى كلُّ غِرٍّ قد عصَى عاذلاته   بوصل الغَوانِى من لَدُنْ أن تَرعرَعاَ
إذا راحَ يمشِى فى الرداءيْنِ أسرعتْ   إليه العيونُ الناظراتُ التطلُّعاَ

قال : ثم سقط مغشيًّا عليه فتمثلتُ بقوله :

---

(١) أى نزعت شيئا منها . (٢) فى ت : « إلا بعد تأمل شديد » .

(٣) كذا فى جميع الأصول . وفى ترجمة الصمة القشيرى فى ج ٥ ص ١٢٣ أغانى طبع بولاق : « حننت إلى ريا » .

(٤) كذا فى أغلب النسخ وديوان الحماسة . وفى ت وتزيين الأسواق : « إليك » .

(٥) هذا البيت والأبيات الأربعة قبله أوردها المؤلف على هذا الترتيب فى ترجمة الصمة القشيرى على أنها للصمة ثم قال : وهذه الأبيات تروى لقيس بن ذريح ويروى بعضها للمجنون ، والصحيح فى البيتين الأولين أنهما لقيس بن ذريح وروايتهما أثبت وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدة طرق ، والأخر مشكوك فيها : أهى للمجنون أم للصمة . وأورد أبو على القالى هذه الأبيات الخمسة فى جملة أبيات نسبها إلى الصمة القشيرى . انظر ج ١ ص ١٩٠ أمالى القالى طبع دار الكتب المصرية .

يادارَ ليلى بسِقْطِ[١] الحىّ قد دَرَسَتْ ... إلا الثُّمَامَ[٢] وإلا مَوْقِدَ النارِ
ما تفتأُ الدهرَ من ليلى تموت كذا ... فى موقف وقفتَه أو على دارِ
أبْلَى عظامَكَ بعد اللحم ذِكْرُكَهَا ... كما يُنَحَّتُ[٣] قِدْحَ[٤] الشَّوْحَطِ البارِى

فرفع رأسه إلىّ وقال : مَنْ أنت حيّاك اللهُ ؟ فقلت : أنا نوفلُ بنُ مُساحِقٍ ، فحيّانى فقلت له : ما أحدثتَ بعدى فى يأْسِكَ منها ؟ فأنشدنى يقول :

ألا حُجِبَتْ ليلى وآلى أميرُها ... علىّ يمينا جاهداً لا أزورُها
وأوعدنى فيها رجالٌ أبوهُمُ ... أبى وأبوها خُشِّنَتْ لى صُدورُها
على غير جُرمٍ غيرَ أنى أُحِبُّها ... وأنَّ فؤادى رهنُها وأسيرُها

قال : ثم سنَحَتْ له ظِباء فقام يعدو فى أثرها حتى لحقها فمضى معها .

حدثنى الحسن بن علىّ قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدثنى على بن الصَّبّاح عن ابن الكلبىّ قال : لما قال مجنون بنى عامر :

قضاها لغيرِى وابتلانى بحبِّها ... فهلاَّ بشىءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا

نُودِىَ فى الليل : أنت المتسخِّط لقضاء الله والمعترض فى أحكامه ! واختُلِسَ عقلُه
٦/٢ فتوحَّشَ منذ تلك الليلةِ وذهب مع الوحش على وجهه . وهذه القصيدة التى قال فيها هذا البيتَ من أشهر أشعاره ، والصوت المذكور بذكره أخبارُ المجنون هاهنا منها . وفيها أيضاً عدَّة أبيات يُغنَّى فيها ، فمن ذلك :

(١) السقط مثلث السين : حيث انقطع معظم الرمل ورقّ .
(٢) الثمام : نبت فى البادية ، كان العرب يسدون به خصاص البيوت ، وهو من النبات الذى لا يطول ، ولهذا كانوا يقولون للشىء الذى لا يعسر تناوله : « هو على طرف الثمام » .
(٣) كذا فى جميع الأصول ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا « نحّت » هكذا مضعفا من هذه المادة ، ولعلها ينجّب ، يقال : نجّب الشجرةَ والعُودَ إذا قشر ما عليهما من اللحاء .
(٤) القدح : السهم . والشوحط : ضرب من النبع تتخذ منه القسىّ ، وهو من أشجار الجبال .

صوت

قصيدته اليائية

أَعُدُّ الليالِى ليلةً بعد ليلةٍ وقد عِشتُ دهرًا لا أَعُدُّ اللّياليَا
أَرانى إذا صَلَّيتُ يَمَّمتُ نحوَها بوجْهى وإن كان المصلَّى ورائيَا
وما بىَ إشراكٌ ولكنَّ حبها كعُود[1] الشَّجَا أعيا الطبيبَ المُداويَا
أُحِبُّ من الأسماء ما وافق اسمَها وأشبَهه أو كان منه مُدَانيَا

فى هذه الأبيات هَزَجٌ خفيفٌ لمان[2] معزفى :

صوت

وخبَّرتُمانى أنَّ تيماءَ منزلٌ لليلى إذا ما الصَّيفُ ألقَى المراسيَا
فهذى شهورُ الصَّيف عنى[3] قد انقضَتْ فما للنَّوى ترمى بليلَى المراميَا

فى هذين البيتين لحنٌ من الرمل صنعَته عجوزُ عُمير البَاذَغِيسِىّ[4] على لحن إسحاق:

* أمَاوِىَّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحُ *

وله حديث قد ذُكِرَ فى أخبار إسحاق . وهذا اللحن إلى الآن يغنَّى ، لأنه أشْهَرُ فى أيدى الناس ، وإنما هو لحن إسحاق أُخِذَ فجُعِلَ على هذه الأبيات وكِيدَ بذلك .

(١) فى بعض النسخ « كتل » .

(٢) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى باقى النسخ هكذا : « لمان » بدون عين بعد الميم ، ولم نهتد إلى تصحيح هذه الكلمة والتى بعدها .

(٣) فى ت وتزيين الأسواق والديوان : « عنّا » .

(٤) نسبة إلى « باذَغيس» بالنين المعجمة ، وهى ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ . انظر معجم ياقوت .

صــوت

فلو كان واشٍ باليمــامة بيتُـه ودارى بأعلَى حَضْرَمَوْتَ اهتدَى ليَا[1]
وماذا لهم ـ لاأحسنَ اللهُ حالَهُمْ ـ[2] من الحظّ فى تَصْرِيم ليلى حِباليَا
فأنتِ التى[3] إن شئتِ أشقَيتِ عِيشتى وإن شئتِ بعدَ اللهِ أنعمتِ باليَا
وأنتِ التى ما من صديقٍ ولا عِدًا يَرى نِضْوَ[4] ما أبقيتِ إلا رَثَى ليَا
أمَضروبةٌ ليلى على أن أزورَها ومُتَّخَــذٌ ذنباً لهـا أن تَرانيَا
إذا سِرْتُ فى الأرض الفضاءِ رأيتُنى أُصانِـعُ رَحْلى[5] أن يَميلَ حِيَاليَا
يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن شِمالاً يُنَازِعْنِى الهوى عن شِمَاليَا
أُحِبُّ من الأسماء ما وافق اسمَهَـا وأشبَهه أو كان منــه مُدانيَا
هى السحرُ إلا أنَّ للسحر رُقْيَـةً وإنِىَ لا أُلْفِى لها الدهرَ راقيَا

وأنشد أبو نصرٍ للمجنون وفيه غناء :

صــوت

تـكاد يدى تَنْـدَى إذا ما لمستُها وينبُتُ فى أطرافها الورَقُ الُخضْرُ

---

(١) كذا فى جميع الأصول . والنحويون يروونه كما جاء فى ديوانه هكذا :

ولو أن واشٍ باليمـــامة داره ودارى بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا

ويستشهدون به على أن من العرب من يسكن الياء من الاسم المنقوص فى حالة النصب. انظر شرح الأشمونى فى باب المعرب والمبنى .

(٢) كذا فى الديوان وتزيين الأسواق . وفى جميع النسخ : « حفظهم » .

(٣) كذا فى ت والديوان وتزيين الأسواق ، وفى باقى النسخ : « الذى » ، وهو تحريف .

(٤) أصل النضو : المهزول من الدواب ويطلق على المبلى من الثياب وقد يستعمل فى الإنسان . ويريد الشاعر هنا جسمه الذى أضناه الحب وأبلاه .

(٥) كذا فى الديوان وتزيين الأسواق . وفى جميع النسخ : «أصانع رجلى أن تميل حياليا» . وانظر فيما تقدم ص ٥٢ حاشية رقم ١ من هذا الجزء .

أبى القلبُ إلا حبَّها[1] عامريَّةً لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو

الغناء لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ، وذكر الهشامىّ أن فيه لإسحاقَ خفيفَ ثقيل.

رثاؤه لأبيه

٧/٢

أخبرنى محمد بن مَزيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال: أنشدنى جماعةٌ من بنى عُقَيلٍ للمجنون يرثى أباه، ومات قبل اختلاطه وتوحّشه، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات:

عقَرتُ على قبر الملوّح ناقتى بذِى السَّرْحِ لمّا أن جَفتْه[2] أقاربُهْ

وقلتُ لها: كونى عقيرًا فإننى غداةَ غدٍ ماشٍ وبالأمس راكبُهْ

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يابنَ مزاحمٍ وكلُّ امرئٍ لِلْموتِ[3] لا بدَّ شاربُهْ

فقد كنتَ طلّاعَ[4] النِّجادِ ومُعْطِىَ الجيادِ وسيفًا لا تُفَلُّ مَضارِبُهْ

وعظه رجل من بنى جعدة فقال شعرا

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب عن الحِزامىّ عن محمد بن مَعْنٍ قال: بلغنى أنّ رجلا من بنى جعدةَ بن كعب كان أخًا وخِلًّا للمجنون، مرّ به يومًا وهو جالسٌ يخطّ فى الأرض ويعبَثُ بالحصى، فسلّم عليه وجلس عنده، فأقبل يخاطبه ويَعِظُه ويُسَلّيه، وهو ينظر إليه ويلعب[5] بيده كما كان وهو مُفكّر قد غمره ما هو فيه، فلما طال خطابه إياه قال: يا أخى، أمَا لكلامى جوابٌ؟ فقال له: والله يا أخى ما علمتُ أنك تكلّمنى فاعذِرْنى، فإنى كما ترى مذهوبُ العقلِ[6] مُشتَرَكُ اللُّبِّ وبكى، ثم أنشأ يقول:

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت «حبّه».
(٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «جفاه»، وكلاهما صحيح.
(٣) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «فالموت».
(٤) يقال: فلان طلّاع الثنايا وطلّاع أنجد، إذا كان يعلو الأمور فيقهرها بمعرفته وتجاربه وجودة رأيه. والنجاد والأنجد: جمع نجد وهو الطريق فى الجبل، وكذلك الثنية.
(٥) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «ويعبث».
(٦) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت، حـ: «مذهوب بى».

صوت

وشُغِلتُ عن فَهم الحديث سِوَى ... ما كان منكِ فإنه شُغْلِي
وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثى ليرَى ... أنْ قد فهمتُ وعندكم عَقْلِي

شعره فى حمام يتجاوب

الغناء لِعَلُّوَيهْ. وقال الهيثم: مرَّ المجنون بوادٍ فى أيام الربيع وحَمامُه يتجاوبُ فأنشأ يقول:

صوت

ألا يا حَمَامَ الأيكِ مالكَ باكياً ... أفارقْتَ إلفاً أم جفاكَ حبيبُ؟
دعاكَ الهوى والشوقُ لما ترنَّمَتْ ... هَتُوفُ[1] الضحى بين الغصون طَروبُ
تُجاوِبُ وُرْقاً قد أذِنَّ[2] لصوتها ... فكلٌّ لكلٍّ مُسْعِدٌ[3] ومُجِيبُ

الغناء لرذاذ[4] ثقيلٌ أوَّلُ مطلق فى مجرى الوسطى.

خروج زوج ليلى وأبيها إلى مكة واختلاف المجنون إليها

وقال خالد بن حمل[5]: حدثنى رجالٌ من بنى عامر أنّ زوجَ ليلى وأباها خرجا فى أمرٍ طَرَقَ الحيَّ إلى مكة، فأرسلتْ ليلى بأمةٍ لها إلى المجنون فدعتْه فأقام عندها ليلةً فأخرجتْه فى السَّحَر، وقالت له: سِرْ[6] إلىَّ فى كلِّ ليلة مادام القومُ سَفْرًا[7]، فكان يختلفُ إليها حتى قدِموا. وقال فيها فى آخر ليلة لَقِيَها وودّعته:

(١) هتفت الحمامة هتفاً: ناحت، فهى هتوف.
(٢) أى استمعن لصوتها وأصغين إليه.
(٣) من أسعدت المرأةُ المرأةَ إذا ساعدتها بالنياحة فى مصيبتها. وكانت النساء فى الجاهلية إذا أصيبت إحداهن بمصيبة فيمن يعز عليها بكت حولا، وأسعدها على ذلك جاراتها وذوات قراباتها، فإذا أصيبت صواحباتها بعدذلك أسعدتهن. وفى الحديث: «لا إسعاد ولا عَقْرَ فى الإسلام».
(٤) كذا وقع هنا هذا الاسم فى حـ بالذال المعجمة، وهو الموافق لما اتفقت عليه النسخ فيما تقدم بالجزء الأول (طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) ص ١٠١ هامش ٣، وفى سائر النسخ: «لرداد» بالدال المهملة.
(٥) كذا فى أغلب النسخ بالحاء المهملة. وفى حـ: «جمل» بالجيم المعجمة، وفى ت: «جميل».
(٦) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «صر» بالصاد المهملة.
(٧) السفر: جمع سافر وهو من خرج إلى السفر.

صـوت

تَمتَّعْ بليلى إنما أنتَ هامةٌ(١) … من الهام يدنو كلَّ يوم حِمَامُها
تَمتَّعْ إلى أن يرجعَ الركبُ إنهم … متى يرجعوا يَحْرُمْ عليكَ كلامُها

مرض ولم تعده ليلى فقال شعراً

وقال الهيثم : مَرِضَ المجنون قبل أن يختلط، فعاده قومُه ونساؤهم ولم تَعُدْه ليلى فيمن عاده ، فقال :

صـوت

ألا ما لِليلَى لا تُرَى عند مَضْجَعِى … بليلٍ ولا يَجْرِى بها لِىَ طائرُ
بلى، إنّ عُجْمَ الطير تجرى إذا جرَتْ … بليلَى ولـكن ليس للطير زاجرُ
أحالَتْ عن العهد الذى كان بيننا … بذى الرِّمْثِ(٢) أم قد غيّبتْها المقابرُ!

٨/٢

الغناء لِسُليم ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ .

فوالله ما فى القرب لى منكِ راحةٌ … ولا البُعدُ يُسْلِينى ولا أنا صابرُ
ووالله ما أدرِى بأيةِ حيـلةٍ … وأىّ مَرَامٍ أو خِطـارٍ أُخاطرُ
ووالله إنّ الدهرَ فى ذاتِ بَيْنِنا … علىّ لها فى كلّ أمرٍ لجائرُ
فلو كنتِ إذ أزمَعْتِ(٣) هَجْرِى تركتِنى … جميعَ(٤) القُوى والعقلُ منّىَ وافرُ

---

(١) الهامة : أعلى الرأس واسم طائر ، وكان العرب يزعمون أن عظام الموتى وقيل أرواحهم تصير هامة فتطير ، ونشأ من هذا الزعم قولهم : « هذا هامة اليوم أو غد » أى يموت اليوم أو غداً .

(٢) الرمث : شجر يشبه الغضا لا يطول وينبسط ورقه . وذو الرمث : واد لبنى أسد . انظر ياقوت .

(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : « إذ أجمعت » وهو بمعنى « أزمعت » .

(٤) أى مجتمع القوى .

ولكنَّ أيامى بحَفْل(١) عُنَيزَةٍ   وذِى الرِّمثِ أيامٌ جناها التجاوُرُ
فقد أصبح الودُّ الذى كان بيننا   أمانىَّ نفس إن تَخَبَّرَ خابرُ
لَعَمْرِى لقد أرْهَقْتِ يا أمَّ مالكٍ   حياتى وساقَتْنِى إليكِ المقادرُ

خبر الظبى الذى ذكّره ليلى

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن عبد الله الأصبهانىّ المعروف بالخَزَنْبَل عن عمرو ابن أبى عمرو الشيبانىّ عن أبيه قال: حدّثنى بعضُ بنى عُقَيل قال: قيل للمجنون: أىّ شىء رأيتَه أحبُّ إليكَ؟ قال: ليلى، قيل: دَعْ ليلى فقد عرفنا ما لها(٢) عندكَ ولكن سواها، قال: والله ما أعجبنى شىء قطّ فذُكِرَتْ ليلى إلا سقطَ من عينى وأذهب ذكرُها بشاشَتَه عندى، غيرَ أنى رأيتُ ظبيا مرّةً فتأملتُه وذكرتُ ليلى فجعل يزداد فى عينى حسناً، ثم إنه عارضه ذئبٌ وهربَ منه، فتبعتُه حتى خَفِيا عنّى، فوجدتُ الذئبَ قد صرعه وأكل بعضَه، فرميتُه بسهم فما أخطأتُ مقتلَه، وبقَرتُ بطنَه فأخرجتُ ما أكل منه، ثم جمعتُه إلى بقية شِلْوِهِ(٣) ودفنتُه وأحرقتُ الذئبَ، وقلتُ فى ذلك:

أبى اللهُ أن تبقَى لحىٍّ بشاشةٌ   فصبراً على ما شاءه اللهُ لى صبرَا
رأيتُ غزالا يرتَعِى وَسْطَ روضةٍ   فقلتُ أرَى ليلى تراءتْ لنا ظُهْرا
فيا ظبىُ كُلْ رَغْداً هنيئاً ولا تخف   فإنكَ لى جارٌ ولا تَرْهَبِ الدهرَا
وعندى لكم حِصنٌ حصينٌ وصارمٌ   حُسَامٌ إذا أعملتُه أحسنَ الهَبْرَا(٤)
فما راعنى إلا وذئبٌ قد انتَحَى(٥)   فأعلقَ فى أحشائه النابَ والظُّفْرَا

(١) كذا فى ب، ت بالفاء. والحفل: الاجتماع، يقال: حفل الماء أى اجتمع، وحفل الوادى إذا جاء بملء جنبيه. والمراد هنا موضع الحفل. وعنيزة: بقعة ينتهى إليها ماء أودية، وهى لبنى عامر. وفى حـ، د: «حقل» بالقاف، والحقل: المزرعة. وفى ا، م: «جفل» بالجيم والفاء ولم يظهر له معنى مناسب.
(٢) فى ت: «حالها».
(٣) الشلو: الجسد من كل شىء ويطلق على العضو من أعضاء اللحم.
(٤) الهبر: القطع. ومنه قول علىّ عليه السلام: «انظروا شزرا واضربوا هبرا». وفى حديث الشُّراة: «نهبرناهم بالسيوف». (٥) انتحى: اعترض.

ففوّقتُ(١) سهمى فى كَتُوم(٢) غَمزتُها ... فخالط سهمى مُهجَةَ الذئبِ والنَّحْرَا(٣)
فأذهبَ غيظى قتلُه وشــفى جَوًى ... بقلبىَ إن الحرَّ قـد يُدرِكُ الوَتْرا

بلغه أن زوج ليلى سبه فقال فيه شعراً

قال أبو نصر : بلغَ المجنونَ قبل توحّشه أنَّ زوجَ ليلى ذكره وعضهه(٤) وسبّه وقال : أوَبَلغَ من قدر قيس بن الملوّح أن يدّعى محبةَ ليلى ويُنَوِّهَ باسمها ؟ فقــال ليَغيظَه بذلك :

فإن كان فيـكم بعلُ ليلى فإنّنى ... وذى العرش قد قبّلتُ فاها ثمانيا
وأشهدُ عنـــد الله أنّى رأيتُها ... وعشرون منها أصبعاً مِنْ ورَائيا
أليس من البلوى التى لا شَوَى(٥) لها ... بأن زُوِّجتْ كلباً وما بُذِلتْ ليا

خبر رفقة أبوا أن يعدلوا معه إلى جهة رهط ليلى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبى سعد قال حدّثنا علىّ ابن الصبّاح عن ابن الكلبىّ قال : خرج المجنونُ فى عِدّةٍ من قومه يريدون سَفَراً لهم ، فمرّوا فى طريق يتشعّب وِجْهَتين : إحداهما ينزلها رهطُ ليلى وفيها زيادةُ مرحلةٍ ،
٢ فسألهم أن يَعدِلوا معه إلى تلك الوِجهة فأبوْا ، فمضى وحده وقال :

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى تزيين الأسواق : « فبوّأتُ » أى سدّدت يقال : بوّأ الرمح نحوه إذا قابله به وسدّده .

(٢) كذا فى ت ، حـ . والكتوم من القسى : التى لا ترنّ إذا أنبضت . وكانت قوس رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى الكتوم؛ لانخفاض صوتها إذا رمى عنها . وفى سائر النسخ : « كلوم » .

(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « والسَّحرا » ، والسحر : الرئة والكبد وسواد القلب ونواحيه ، وقيل : القلب .

(٤) عضهه يعضهه عضها : قال فيه ما لم يكن .

(٥) لا شوى لها ، أى لا بُقْيَا لها . والمراد وصف البلوى بمنتهى الشدة يقال : «القتل الخُطّة التى لا شوى لها » ، أى لا بُقْيَا لها ، ومنه قول الهذلى :

فإن من القول التى لا شوى لهــا ... إذا زلّ عن ظهر اللسان انفلاتهـا

يريد بالقول الكلمة التى لا إبقاء لها ، أى القاتلة .

صوت

أأترُكُ ليلى ليس بينى وبينها   سوَى ليلةٍ إنى إذاً لَصَبُورُ!
هَبُونِى امرأً منكم أضلَّ بعيرَه   له ذِمَّــةٌ إنَّ الذِّمام كبيرُ
ولَلصاَّحبُ المتروكُ أعظمُ حرمةً   على صاحبٍ مِنْ أن يَضِلَّ بعيرُ
عفا اللهُ عن ليلَى الغداةَ فإنها   إذا وَلِيَتْ حُكماً علىَّ تَجُورُ

الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو، وفيه للغريض ثانى ثقيل بالوسطى عن حَبَش، وفيه لابن المَارِقىّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهشامىّ، وفيه لعَلُّويَهْ رَمَلٌ بالبِنْصر.

هتفت حمامة فقال شعراً

وذكر عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن أبيه: أن المجنونَ كان ذاتَ ليلة جالساً مع أصحاب له من بنى عمّه وهو وَلِهٌ يتلظَّى ويتململُ وهم يَعِظونه ويُحادِثونه، حتى هتفتْ حمامةٌ من سَرْحةٍ[1] كانت بإزائهم، فوثب قائماً وقال:

صوت

لقد غَرَّدَتْ[2] فى جنح ليل حمامةٌ   على إلفها تبكى وإنى لَنَائمُ[3]
كَذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً   لمَاَ سَبَقَتْنِى بالبكاء الحمائمُ[4]

---

(١) السرحة: واحدة السرح، وهو كل شجر لا شوك فيه، وقيل كل شجر طال.
(٢) فى الديوان: «هتفت».
(٣) فى بعض النسخ: «لنائم».
(٤) كذا ورد هذا البيت متصلا بالبيت الذى قبله فى جميع النسخ، وجاء بهامش ت بيتان كتب فى آخرهما «صح» وأشير إلى أن محلهما بعد البيت الأول أعنى قوله: لقد غردت فى جنح ليل الخ. والبيتان هما:

فقلت اعتـــذارا عند ذاك وإننى   لنفسى فيما قد رأيــــت للائم
أأزعم أنى عاشق ذو صبابـــــة   بليلى ولا أبكى وتبكى البهـــائم

والأبيات الأربعة وردت فى الديوان على نحو ما جاء فى ت إلا قوله «رأيت» فى البيت الأول فقد جاء بدله فى الديوان «أتيت». والاقتصار على البيتين المثبتين فى الأصل موافق لما ذكره المؤلف بعد فيهما من الغناء.

ثم بكى حتى سقطَ على وجهه مَغْشيًّا عليه، فما أفاق حتى حَمِيَتِ الشمسُ عليه من غدٍ[١]. الغناء فى هذين البيتين لعبد الله بن دَحْمانَ ثقيلٌ أوّلُ مطلق فى مجرى الوسطى.

مرور رجل به وهو برمل يبرين

وذكر أبو نصر عن أصحابه أن رجلا مرّ بالمجنون وهو برملِ يَبْرِينَ[٢] يُخَطِّط فيه، فوقف عليه متعجبا منه وكان لا يعرفه، فقال له: ما بك يا أخى؟ فرفع رأسَه إليه وأنشأ يقول:

بِيَ اليأسُ والداءُ الهُيَامُ[٣] أصابنى ... فإيّاكَ عنّى لا يكُنْ بكَ ما بِيَا
كأنّ جفونَ العينِ تَهْمِى[٤] دموعُها ... غداةَ رأتْ أظعانَ[٥] ليلى غوادِيَا
غُروبٌ أمرّتْها نواضحُ بُزَّلٌ ... على عَجَلٍ عُجْمٍ يُرَوِّينَ صادِيا[٦]

مرّ به نفر من اليمن فقال شعراً

وقال خالد بن جمل[٧]: ذكر حمّادٌ الراويةُ أن نفراً من أهل اليمن مرُّوا بالمجنون، فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول:

ألا أيها الركبُ اليمَانُونَ عرِّجوا ... علينا فقد أمسى هوانَا يمانيَا
نُسائِلْكُمُ: هل سالَ نَعْمانُ بعدنا ... وحَبَّ إلينا بطنُ نَعْمانَ وادِيَا

يقول فى هذه القصيدة:

(١) كذا فى ت. وفى باقى النسخ: «فى غد».
(٢) يبرين — ويقال: أبرين بالألف — قرية كثيرة النخل والعيون العذبة وفيها رمل كثير، بينها وبين الأحساء مرحلتان. انظر ياقوت فى يبرين وأبرين. وجاء فى معجم ما استعجم للبكرى: «وحدّ اليمن مايلى المشرق رمل بنى سعد الذى يقال له رمل يبرين، وهو منقاد من اليمامة حتّى يشرع فى البحر».
(٣) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت والديوان وتزيين الأسواق: «أو داء الهيام»، والهيام شبه الجنون من العشق، يقال: هام الرجل هياماً فهو هائم، إذا ذهب على وجهه عشقاً.
(٤) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س: «تمشى» وهو تحريف.
(٥) الأظعان: جمع ظعينة وهى الجمل يظعن عليه.
(٦) الغروب: جمع غرب وهو الدلو الكبير الذى يستقى به على السانية. وأمرّتها: جعلتها تمر وتذهب. والنواضح: جمع ناضح، وهو ما يستقى عليه الماء من نحو البعير والثور وغيرهما، من النضح وهو سقى الزرع وغيره بالسانية. والبزل: جمع بازل وهو البعير الذى استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه.
(٧) كذا فى أغلب النسخ بالجيم. وفى ت، حـ: «حمل» بالحاء المهملة، وهو الموافق لأغلب النسخ فيما تقدم فى ص ٦٩ من هذا الجزء.

صوت

أَلا يا حَمَامَىْ قَصْرِ وَدّانَ(١) هِجْتُما ... عليّ الهوَى لمَّا تغنّيتُما لِيَا
فأبكيتُماني وسْطَ صَحْبِي ولم أَكن ... أُبالِي دموعَ العينِ لو كنتُ خالِيَا

غنّى فى هذين البيتين عَلُّويَه غناء لم يُنْسب .

فواللهِ إنّى لا أُحبُّ ، لغير أن ... تَحُلَّ بها(٢) ليلى ، البِراقَ الأعَالِيَا ١٠/٢
ألا يا خليلى حُبُّ ليلَى مُجشِّمِى ... حِياضَ المنايا أو مُقِيدى(٣) الأعادِيا
ويا أيها القُمْرِيَّتانِ تَجاوَبا ... بلَحْنيكما ثم آسجَعَا عَلَّلانِيَا
فإن أنتما آستَطْربتما(٤) وأردتُما ... لَحَاقًا بأطرافِ(٥) الغَضَى فاتْبَعانِيَا

بلغه أن زوج ليلى سيرحل بها فقال شعراً

قال أبو نصر : وذكر خالد بن كلثوم أنّ زوجَ ليلى لما أراد الرحيلَ بها إلى بلده بلغ المجنونَ أنه غادٍ بها فقال :

صوت

أَمُزْمِعةٌ للبين ليلَى ولم تَمُتْ ... كأنكَ عما قد أظلّكَ غافلُ
ستعلم إن شطّتْ بهم غُرْبةُ(٦) النوَى ... وزالوا بليلَى أنّ لُبّك زائلُ

الغناء للزُّبَير بن دَحْمانَ ثقيلٌ أوّل بالوسطَى .

---

(١) سبق الكلام على «ودان» بصفحة ٣٣٥ هامش ٢ بالجزء الأول (طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) .
(٢) كذا فى ت ، وفى باقى النسخ « به » ، والبراق : جمع بُرْقة وهى أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل .
(٣) أى يجعل قيادى فى يد الأعداء ، يقال : أقاده خيلا : أعطاه إياها يقودها .
(٤) استطربتما : طلبتما الطرب .
(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت والديوان وتزيين الأسواق : « بأطلال » .
(٦) غربة النوى : بعدها .

قال أبو نصر قال خالد : وحدّثنى جماعة من بنى قُشَير أنّ المجنونَ سَقِمَ سَقاماً(١) شديداً قبلَ ٱختلاطه حتّى أشفَى على الهلاك ، فدخل إليه أبوه يعلّلُه(٢) فوجده يُنشِدُ هذه الأبياتَ ويبكِى أحرَّ بكاء ويَنشِجُ(٣) أحرَّ نشِيج :

ألا أيّها القلبُ الذى لجّ هائماً ... بليلَى وليداً لم تُقطَّع تمائمُهْ
أفِقْ قد أفاقَ العاشقون وقد أنَى(٤) ... لحالكَ(٥) أن تلقَى طبيباً تلائمُهْ
فما لكَ مسلوبَ العَزاء كأنّما ... تَرى نأىَ ليلَى مَغْرَماً أنتَ غارِمُهْ
أَجِدَّكَ(٦) لا تُنسِيكَ ليلَى مُلِمَّةٌ ... تُلِمُّ ولا يُنسيك عهداً تقادُمُهْ

خبر نظره إلى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها

قال : ووقف مستتراً ينظر إلى أظعان ليلى وقد رحَل بها زوجُها وقومُها ، فلما رآهم يرتحلون بكَى وجَزِع ، فقال له أبوه : ويحكَ ! إنما جئنا بك مُتخفِّياً ليتروّحَ بعضُ ما بك بالنظر إليهم ، فإذا فعلتَ ما أرَى عُرِفْتَ ، وقد أهدرَ السلطانُ دمَكَ إن مررتَ بهم ، فأمسِكْ أو فانصرِف ، فقال : مالى سبيلٌ إلى النَّظر إليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غيرُ جازِع ولا باكٍ فانصرِفْ بنا ، فانصرفَ وهو يقول :

صوت

ذَرِ الدّمعَ حتى يظعَنَ الحىُّ إنّما ... دموعُكَ إن فاضت عليكَ دليلُ
كأنّ دموعَ العين يومَ تحمّلوا(٧) ... جُمانٌ على جَيب(٨) القميص يسيلُ

---

(١) فى ت « سِقما »، وكلاهما صحيح .
(٢) يعلله : يحدثه ويسليه .
(٣) ينشج : من نشج الباكى نشجاً، أى غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب .
(٤) كذا فى أغلب الأصول ، ووردت فى أول هذا الجزء فى ت « أبى» انظر ص ٦ حاشية ١
(٥) كذا فى ب ، س . وفى ت : « لمابك » . وفى بقية الأصول : « لمالك » . ووردت فى أول هذا الجزء : « لك اليوم » انظر ص ٦ .
(٦) كذا فى أغلب النسخ وفى ب : « وجدتك » .
(٧) تحملوا : ارتحلوا .
(٨) جيب القميص : ما ينفتح على النحر .

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال أنشدنى إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابىّ للمجنون :

صوت

ألا ليتَ ليلَى أطفأتْ حرَّ زَفْرةٍ أُعالجها لا أستطيع لها رَدَّا
إذا الرِّيحُ من نَحْوِ الحِمَى نَسَمَتْ لنا وجدْتُ لمَسْراها ومَنْسَمِها[1] بَرْدَا
على كَبِدٍ قد كاد[2] يُبْدِى بها الهوَى نُدُوبا[3] وبعضُ القوم يحسَبُنى جَلْدَا

١١/٢ هذا البيت الثالثُ خاصّةً يُروى لابن هَرْمةَ فى بعض قصائده ، وهو من المائة المختارة التى رواها إسحاقُ ، أوَّلُه :

* أفاطمَ إنّ النّأىَ يُسلى من الهوَى[4] *

وقد أُخرِج فى موضع آخر . غنّى فى هذين البيتين عبدُ آل[5] الهذلىّ ، ولحنُه المختارُ على ما ذكره جحظةُ ثانى ثقيل ، وهما فى هذه القصيدة[6] :

وإنّى يَمَانىُّ الهوى مُنجِدُ النّوَى سبيلان ألقى من خلافهما جَهْدَا
سقَى اللهُ نَجداً من رَبيعٍ[7] وصَيِّفٍ[8] وماذا يُرَجَّى من ربيع سقَى نَجْدَا

(١) كذا فى ت ، حـ وتزيين الأسواق ، وفى بقية الأصول : « ومبسمها » وهو تصحيف .
(٢) كذا فى ت ، حـ وتزيين الأسواق ، وفى بقية الأصول : « كان » .
(٣) الندوب : جمع ندب ، والندب : جمع ندبة وهى أثر الجرح . وقيل : الندب واحد كالندبة والجمع أنداب وندوب .
(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « يسلى ذوى الهوى » .
(٥) كذا فى ت وهو الموافق لما سيأتى فى ذكر الهذلى وأخباره فى ج ٥ طبع دار الكتب ، وهو عبد آل بن مسعود . وفى بقية الأصول : « عبدان » بالنون ، وهو تحريف .
(٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « وتمام هذه القصيدة » .
(٧) الربيع : المطر فى الربيع .
(٨) الصيف : المطر يجىء فى الصيف أو بعد الربيع .

بلى إنّه قد كانَ للعيش قُرّةٌ وللصّحب والرُّكبان منزلةٌ حَمْدَا(١)
أبَى القلبُ أن ينفكَّ من ذِكر نِسوةٍ رِقاقٍ ولم يُخلقْنَ شُؤْماً(٢) ولا نُكْدا
إذا رُحنَ يَسحبْنَ الذُّيولَ عَشيّةً ويقتُلْنَ بالألحاظ أنفُسَنا عَمْدَا
مَشَى عَيطَلاتٌ(٣) رُجّحٌ بخصورها رَوادفُ(٤) وَعْثاتٌ(٥) تردُّ الُخطَا رَدَّا
وتَهتزّ ليلَى العامريّةُ فوقَها(٦) ولاثت(٧) بِسِبٍّ(٨) القزّ ذا غُدُرٍ(٩) جَعْدَا
إذا حرّكَ المِدرَى(١٠) ضَفائرَها العُلاَ تَجَجْنَ نَدَى الريحانِ والعنبرَ الوَرْدَا

وأخبارُ الُهذَليّيْنِ(١١) تُذكَر فى غير هذا الموضع إن شاء اللهُ لئلا تنقطعَ أخبارُ المجنون ، ولهما فى المائة الصوت المختارة أغانٍ تذكَر أخبارُها معاً إن شاء الله .

خبر ظبية صادها رجلان فسألهما أن يطلقاها

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظةُ قال حدّثنى ميمونُ بن هارونَ قال ذَكر الهيثمُ بن عدىّ . وأخبرنى محمد بن خلَف بن المرزبان عن أحمدَ بن الهيثم عن العُمرىّ عن الهيثم ابن عدىّ قال : مرّ المجنونُ برجلين قد صادا ظَبيةً فربطاها بحبل وذهبا بها ، فلما نظر

(١) حمدا ، أى محمودة ، يقال : رجل حمد ومنزل حمد ، أى محمود ، وهو من قبيل الوصف بالمصدر فيوصف به المذكر والمؤنث .

(٢) فى ت وتزيين الأسواق : « شوها » : جمع شوهاء .

(٣) العيطلات : جمع عيطلة وهى الطويلة العنق فى حسن ، وتوصف به المرأة والناقة ، والمراد بها هنا النياق .

(٤) الروادف : الأعجاز . قال ابن سيده : ولا أدرى أهو جمع ردف على غير قياس أو هو جمع رادفة.

(٥) الوعثات : الليّنات .

(٦) فى بعض النسخ : « إن مشت »

(٧) لاثت : لفت وعصبت ، يقال : لاث العمامة على رأسه لوثا إذا لفها وعصبها .

(٨) السبّ : الخمار .

(٩) الغدر : جمع غديرة وهى الذؤابة .

(١٠) المدرى : المشط ، وقيل : حديدة على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرّح بها الشعر المتلبد.

(١١) هما سعيد وعبد آل ابنا مسعود ، وقد ذكر بالجزء الخامس من الأغانى طبع دار الكتب ص ٦٥ .

إليها وهى تَرْكُضُ فى حِبالها دمَعَتْ عيناه ، وقال لهما : حُلاَّها وخُذَا مكانَها شاةً من غنمى — وقال ميمونُ فى خبره : وخُذَا مكانها قَلُوصًا من إبلى — فأعطاهما وحَلاَّها فولَّتْ تعدو هاربةً . وقال المجنونُ للرجاين حين رآها فى حبالها :

يا صاحِبَىَّ اللّذَينِ اليومَ قد أخذا   فى الحبل شِبْهًا لليلى ثم غلاَّها
إنى أرى اليومَ فى أعطاف شاتِكُما   مَشَابِهًا أشبهَتْ ليلَى فَحُلاَّهَا

قال : وقال فيها وقد نظر إليها وهى تعدو أشدَّ عدوٍ هاربةً مذعورةً :

صـوت

أيا شِبهَ ليلَى لا تُرَاعِى فإننى   لكِ اليومَ من وَحْشِيَّةٍ لَصَديقُ
ويا شِبهَ ليلَى لو تَلَبّثْتِ ساعةً   لعلَّ فؤادى مِنْ جَوَاه يُفِيقُ
تَفِرُّ وقد أطلقتُها من وَثاقِها   فأنتِ لليلَى لو عَلِمْتِ طَليقُ

خبره مع نسوة عذلنه فى حب ليلى

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بنُ الحسن الأحولُ أن ابنَ الأعرابىّ أخبرهما أنّ نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له : ما الذى دعاكَ إلى أن أحللتَ بنفسك ما ترى[1] فى هوَى ليلى ، وإنما هى امرأة من النساء ، هل لكَ فى أن تصرِفَ هواكَ عنها إلى إحدانا فنُسَاعِفَكَ ونَجزيَكَ بهواكَ ويَرجِعَ إليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك ؟ فقال لهنّ : لو قَدَرتُ على صرف الهوى عنها إليكنّ لصرفتُه عنها وعن كلّ أحد بعدها وعِشتُ فى الناس سويًّا مستريحًا ، فقلن له : ما أعجبك منها[2] ؟ فقال : كلّ شىء رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعجبنى ، والله ما رأيتُ شيئًا منها قطّ إلا كان فى عينى حَسَنًا وبقلبى عَلِقًا ، ولقد جَهَدتُ أن يَقبُحَ منها عندى شىءٌ أو يَسمُجَ أو يُعابَ لأسلُوَ عنها فلم أجده ، فقلن له : فَصِفْها لنا ، فأنشأ يقول :

١٢/٢

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى م ، ا : « نرى » بالنون .
(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : « فيها » .

بيضاء خالصةُ البياض كأنها قمرٌ توسّط جُنحَ ليلٍ مُبْرَدِ
مَوْسُومةٌ بالحسن ذاتُ حواسدٍ إنّ الجمالَ مَظِنّةٌ للحُسَّدِ
وتُرى مدامعُها تَرَقرُقَ مُقْلَةٍ سوداء ترغبُ عن سواد الإثْمِدِ
خَوْدٌ إذا كثُرَ[1] الكلامُ تعوّذَتْ بِحمَى الحياء وإن تَكَلَّمْ تَقْصِدِ[2]

قال : ثم قال ابنُ الأعرابىّ : هذا والله من حَسَنِ الكلام ومُنَقَّحِ[3] الشِّعر .
وأنشد أبو نصر للمجنون أيضا ، وفيه غناء ، قال :

صوت

كأنّ فؤادى فى مخالبِ طائرٍ إذا ذُكِرتْ ليلَى يَشُدُّ بها[4] قَبْضَا
كأنّ فِجَاجَ الأرض حَلْقَةُ خاتَمٍ علىّ ، فما تزدادُ طُولاً ولا عَرضَا

أودع رجلا شعرا ينشده على مسمع من ليلى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أبو مسلم عن القَحْذَمىّ قال : قال رجل من عشيرة المجنون له : إنى أُريد الإلمامَ بحىّ ليلى فهل تُودِعُنى إليها شيئا ؟ فقال : نعم ! قِفْ بحيثُ تسمعُكَ ثم قُلْ :

صوت

اللهُ يعلمُ أنّ النفسَ هالكةٌ[5] باليأس منكِ ولكنّى أُعنِّيها[6]

(١) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نَصَفاً ، و فى ت : « ذكر ».
(٢) يقال : قصد فى الأمر قصداً : توسط وطلب السداد ولم يجاوز الحدّ .
(٣) فى ت : « ومليح الشعر » .
(٤) كذا فى جميع النسخ . وفى تزيين الأسواق : « يشدّ به » . وفى الديوان : « إذا ذكرتها النفس شدّت به قبضا » .
(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، مع ، خد ، وتزيين الأسواق : « قد هلكت » . وفى : نا « قد ذهلت » .
(٦) أعنيها : أكلفها ما يشقّ عليها .

مَنَّيتُكِ النفسَ حتى قد أضرّ بها   وآستيقَنَتْ خُلُفاً ممّا أمنِّيها
وساعةٌ منكِ ألْهُوها وإن قَصُرَتْ   أشهَى إلىّ من الدنيا وما فيها

قال: فمضى الرجل، ولم يزل يرقُبُ خَلوةً حتى وجدها، فوقف عليها ثم قال لها: يا ليلى لقد أحسنَ الذى يقول:

اللهُ يعلم أنّ النفسَ هالكةٌ(١)   باليأس منكِ ولكنّى أُعَنّيها(٢)

وأنشد الأبيات، فبكت بكاء طويلا ثم قالت: أبلِغْه السلامَ وقل له:

نفسِى فداؤكَ، لو نفسى ملكتُ إذاً   ما كان غيرُك يَجْزِيها ويُرضِيها
صبراً على ما قضاه الله فيكَ على   مرارةٍ فى آصطبارى عنكَ أُخفِيها

قال: فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشيًّا عليه، ثم أفاق وهو يقول:

عَجِبتُ لعُروةَ العُذْرِىّ أضحى   أحاديثاً لقومٍ بعد قومِ
وعروةُ مات موتاً مُسْتَرِيحاً   وها أنا ميّتٌ فى كلّ يومِ

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولىّ، قال: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبى نصر للمجنون:

صوت

أيا زينةَ الدنيا التى لا ينالُها   مُناىَ ولا يبدو لقلبى صَرِيمُها
بعينى قَذاةٌ من هواكِ لَوَ آنّها   تُداوَى بمن تَهوَى(٣) لصحّ سقيمُها
وما صبَرَتْ عن ذِكرِكِ النفسُ ساعةً   وإن كنتُ أحياناً كثيراً ألومُها ١٣/٢

(١) فى خد «قد ذهلت»
(٢) فى ت: «أمنيها»
(٣) كذا فى ت. وفى سائر النسخ «أهوى».

سأل أبو المجنون رجلا أن يبلغه أن ليلى تشتمه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد قال : حدّثنا علىّ بن الصَّبّاح عن آبن الكلبىّ قال : سأل الملوّحُ أبو المجنون رجلا قَدِمَ من الطائف أن يمرّ بالمجنون فيجلسَ إليه فيخبرَه أنه لقِىَ ليلَى وجلس إليها ، ووصفَ[1] له صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنونُ ، وقال له : حَدِّثه بها ، فإذا رأيتَه قد آشرأبّ[2] لحديثكَ وآشتهاه فعرِّفْه أنك ذكرتَه لها ووصفتَ ما به فشتَمَتْه وسبّته ، وقالت : إنه يكذب عليها ويُشهِّرُها بفعله ، وإنها ما آجتمعت معه قطّ كما يصفُ . ففعل الرجلُ ذلك ، وجاء إليه فأخبره بلقائه إياها ؛ فأقبل عليه وجعل يسائله عنها ، فيخبره بما أمره به الملوّحُ ، فيزداد نشاطاً ويثوبُ إليه عقلُه ، إلى أن أخبره بسبّها إياه وشتمِها له ؛ فقال وهو غير مُكترثٍ لما حكاه عنها :

صوت

تمرّ الصَّبَا صَفْحًا بساكن ذى الغَضَى ... ويَصدَعُ قلبى أن يَهُبَّ هُبُوبُها

إذا هبَّتِ الريحُ الشَّمَالُ فإنّما ... جوايَ بما تُهدِى إلىّ جَنُوبُها

قريبةُ عهـدٍ بالحبيب وإنما ... هَوَى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها

وحسبُ الليالى أن طَرَحْنَكَ مَطرَحاً ... بدار قِلًى تُمسِى وأنتَ غَرِيبُها

حلالٌ لِليـلَى شتمُنا وآنتقاصُنا[3] ... هنيئاً ومغفورٌ لِليـلَى ذُنُوبُها

ذكر أبو أيوب المدينىّ[4] أن الغناء فى هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته . وفيه لمتيَّم غناءٌ يُنسب[5] . وذكر الهيثم بن عدىّ أن المجنونَ قال — وفيه غناء — :

(١) كذا فى ت . وفى باقى النسخ « ويصف له » .
(٢) اشرأب : رفع رأسه لينظر .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س ، حـ : « شتمها وانتقاصها » .
(٤) فى أغلب النسخ : « المدنى » . وفى ت : « المدائنى » ، وما أثبتناه هو الذى جاء فى أغلب النسخ فى مواضع تقدمت (انظر الحاشية رقم ١ ص ٨ من هذا الجزء) .
(٥) فى بعض النسخ « لم ينسب » .

صوت

كأن لم تكن ليلَى تُزارُ بذى الأَثْلِ[1] وبالجِزْعِ[2] من أجزاع وَدّانَ فالنخلِ[3]

صديقٌ[4] لنـا فيما نَرَى غير أنها تَرى أن حبّى قد أحلّ لها قَتلِى

وصف رجل المجنون لليلى فبكت وقالت شعراً

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرِىّ عن الهيثم بن عَدِىّ عن عثمانَ ابن عمارة بن جريم[5] عن أشياخ من بنى مُرّة قالوا : خرج منا رجلٌ إلى ناحية الشأم والحجاز وما يلى تَيْماءَ والسَّرَاةَ[6] وأرضَ نجْد ، فى طلب بُغيةٍ له ، فإذا هو بخيمة قد رُفِعتْ له وقد أصابه المطرُ فعدَل إليها وتنحنحَ ، فإذا امرأةٌ قد كلّمتْه فقالتْ : انزل ، فنزل . قال : وراحتْ إبلُهم وغنمُهم فإذا أمرٌ عظيم ، فقالت : سَلُوا هذا الرجلَ من أين أقبل ؛ فقلت : من ناحية تِهامةَ ونجدٍ ؛ فقالت : ادخل أيها الرجلُ ، فدخلتُ

(١) الأثل : واحدته أثلة وهى شجرة مستقيمة تعمل منها القصاع والأقداح ، ويقال لها : سمرة . ولم نجد فى أسماء المواضع إلا «ذات الأثل» وهو موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبة ، وقد تجىء فى الشعر باسم ذى الأثل كما قال الشاعر :

فإن ترجع الأيام بينى وبينكم بذى الأثل صيف مثل صيفى ومربعى

انظر ياقوت فى مادة الأثل . ومن المحتمل أن يريد الشاعر بذى الأثل موضعاً به شجر الأثل .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . والجزع : منقطع الوادى . وفى ت ، خد ، نا : «وبالسدر من أجزاع» . والسدر : النبق واحدته سدرة ، والمراد موضع به هذا الشجر .

(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « فالنحل » بالحاء . قال ياقوت فى الكلام على ودّان : وقرأت بخط كراع الهنائى على ظهر كتاب المنضد من تصنيفه : قال بعضهم : خرجت حاجاً فلما جزت بودّان أنشدت :

أيا صاحب الخيمات من بعد أرثد إلى النخل من ودّان ما فعلت نُعْمُ

فقال رجل من أهلها : انظر هل ترى نخلا ؟ فقلت : لا ؛ فقال : هذا خطأ إنما هو النحل ، ونحل الوادى : جانبه . ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن من معانى النحل جانب الوادى .

(٤) الصديق يوصف به المذكر والمؤنث ، قال كثير :

ليالىَ من عيشٍ لهونا بوجهه زمانا وسُعدَى لى صديق مواصلُ

(٥) كذا فى ت ، د « ابن جريم » بالجيم والراء المهملتين ، وهو الموافق لما جاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى ص ٢٨١ قسم ٣ طبع أوربا . وفى ب ، س ، حـ ، م « عن حزيم » بالحاء المهملة والزاى المعجمة .

(٦) السراة : الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة ونجد .

إلى ناحية من الخيمة ، فأرخَتْ بينى وبينها سِتراً ثم قالت لى : يا عبدَ الله ، أىَّ بلادِ نجدٍ وطِئتَ ؟ فقلت : كلَّها ؛ قالت : فبِمنْ نزلتَ هناكَ ؟ قلت : بنى عامر ؛ فتنفسَّتِ الصُّعَداءَ ثم قالت : فبأىِّ بنى عامر نزلتَ ؟ فقلتُ : بنى الحَرِيشِ ؛ فاستعبرَتْ ثم قالت : فهل سمعتَ بذكر فتًى منهم يقال له : قيس بن الملوّح ويلقّب بالمجنون؟ قلتُ : بلى والله ! وعلى أبيه نزلتُ ، وأتيتُه فنظرتُ إليه يهيمُ فى تلك الفيافى ، ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تُذكَرَ له آمرأةٌ يقال لها ليلى ، فيبكى ويُنشِدُ أشعاراً قالها فيها . قال : فرفعَتِ السترَ بينى وبينها ، فإذا فِلْقةُ قمرٍ لم ترَ عينى مثلَها ، فبكتْ حتى ظننتُ — والله — أنّ قلبها قد انصدعَ ، فقلتُ : أيّتها المرأةُ ، اتّقِى اللهَ فما قلتُ بأسا ، فمكثتْ طويلا على تلك الحالِ من البكاء والنحيب ثم قالتْ : ١٤/٢

ألا ليتَ شِعرِى والخُطُوبُ كثيرةٌ ... متى رَحْلُ قيسٍ مُسْتَقِلٌّ فراجعُ
بنفسىَ مَنْ لا يستقلّ برَحْلِهِ ... ومَنْ هو إن لم يَحفَظِ اللهُ ضائعُ

ثم بكتْ حتى سقطَتْ مغشيًّا عليها ، فقلتُ لها : مَنْ أنتِ يا أمةَ اللهِ ؟ وما قِصَّتُكِ؟ قالت : أنا ليلى صاحبته المشئومةُ واللهِ عليه غيرُ المؤنسةِ[1] له ؛ فما رأيتُ مثلَ حزنها ووجدِها عليه قطّ .

خبر شيخ من بنى مرة لقى المجنون وشهده ميتاً فواراه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيبُ بن نصر المهلبىّ قالا : حدّثنا عمرُ ابن شبّة قال ذكر الهيثم بن عدىّ عن عثمانَ بن عمارة ، وأخبرنى عثمانُ[2] عن الكرانىّ عن العُمَرِىّ عن لَقِيط . وحدّثنا إبراهيمُ بن أيوبَ عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثمُ آبنُ عدىّ عن عثمانَ بنِ عمارةَ ، وذكر أبو نصر أحمدُ بن حاتم صاحبُ الأصمعىّ وأبو مسلم المُسْتَمْلى عن آبن الأعرابىّ — يزيد بعضهم على بعض — :

أنّ عثمانَ بنَ عمارة المرّىّ أخبرهم أنّ شيخاً منهم من بنى مرّة حدّثه أنه خرج

(١) فى ت : « المواسية » .
(٢) فى ت : « عمّى عن الكرانىّ » .

إلى أرض بنى عامر لِيلقَى المجنونَ ، قال : فدُلِلْتُ على مَحَلّته فأتيتُها ، فإذا أبوه شيخ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال ، وإذا نَعَمٌ كثيرٌ(١) وخيرٌ ظاهرٌ ، فسألتُهم عنه فاستعبَروا جميعاً ، وقال الشيخُ : واللهِ لهو كان آثرَ فى نفسى من هؤلاء وأحبَّهم إلىّ ! وإنه هَوِىَ امرأةً من قومه ، واللهِ ما كانت تَطمعُ فى مثله ، فلمّا أن فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزوّجَها منه بعد ظهور الخبر فزوّجها من غيره ، فذهب عقلُ ابنى ولَحِقَه خَبَلٌ وهام فى الفيَافِى وَجْداً عليها ، فحبسناه وقيَّدناه ، فجعل(٢) يَعَضُّ لسانَه وشفتَيْه حتى خِفْنا عليه أن يقطعَها(٣) فخلّينا سبيلَه ، فهو يهيم فى هذه الفيافى مع الوحوش يُذْهَبُ إليه كلَّ يوم بطعامه فيوضَعُ له حيث يراه ، فإذا تنحَّوْا عنه جاء فأكلَ منه . قال : فسألتُهم أن يدُلّونى عليه ، فدَلّونى على فتًى من الحىّ كان صديقاً له وقالوا : إنه لا يأنسُ إلا به ولا يأخذ أشعارَه عنه غيرُه ، فأتيتُه فسألتُه أن يدُلّنى عليه ؛ فقال : إن كنتَ تريد شعرَه فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أمسِ عندى ، وأنا ذاهبٌ إليه غداً فإن كان قال شيئاً أتيتُكَ به ؛ فقلتُ : بل أريد أن تَدُلَّنى عليه لِآتيَه ؛ فقال لى : إنه إن نفَر منك نفر منّى فيذهبُ شِعْرُه ، فأبَيْتُ إلا أن يَدُلَّنى عليه ؛ فقال : اطلبه فى هذه الصحارى ، فإذا رأيتَه فادنُ منه مستأنساً ولا تُره أنك تَهابُه ، فإنه يتهدّدك ويتوعّدك أن يَرمِيَكَ بشىء ، فلا يَرُوعنَّكَ واجلسْ صارفاً بصرَكَ عنه والحظه أحياناً ، فإذا رأيتَه قد سكن من نِفَاره فأَنْشِدْه شِعراً غزَلاً ، وإن كنتَ تَروِى من شعر قيس بن ذَريح شيئاً فأنشِدْه إياه فإنه مُعجَبٌ به ؛ فخرجتُ فطلبتُه يومى إلى العصر فوجدتُه جالساً على رَمْل قد خطّ فيه بأصبعه خطوطا ، فدنوتُ منه غيرَ منقبضٍ ، فنفر منّى نفورَ الوحش من الإنس ، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضتُ عنه ، فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيامَ ،

(١) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى باقى النسخ : « نَعَمٌ كثيرة » بالتاء ، وكلاهما صحيح لأن النعم يذكر ويؤنث .

(٢) فى ت ، مـ : « فكان » .

(٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ت « يقطعهما » .

فلمّا طال جلوسى سكَن وأقبلَ يخطّ بأصبعه ، فأقبلتُ عليه وقلت : أحسنَ والله قيسُ ابن ذَريحٍ حيث يقول :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نبِّنى ... بعلمك فى لُبْنَى وأنت[1] خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبِر بشىء علمتَه ... فلا طِرْتَ[2] إلا والجناحُ كسيرُ
١٥/٢ ودُرْتَ بأعداء حبيبُكَ فيهمُ ... كما قد تَرانى بالحبيب أَدورُ

فأقبل علىّ وهو يبكى فقال : أحسنَ والله ، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث أقولُ :

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى ... بليلَى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت ... تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

فأمسكْتُ عنه هُنيهةً ، ثم أقبلتُ عليه فقلت : وأحسنَ واللهِ قيس بنُ ذَريح حيث يقول:

وإنى لَمُفْنٍ دمعَ عَيْنَىَّ بالبكا ... حِذَاراً لِمَا قدْ كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاكَ بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِن وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكون مَنِيَّتى ... بكفّيكِ إلا أن مَنْ[3] حَانَ حَائنُ

قال : فبكى — والله — حتى ظننتُ أنّ نفسَه قد فاضَتْ ، وحتى رأيتُ دموعَه قد بلّتِ الرملَ الذى بين يديه ، ثم قال : أحسنَ لَعَمْرُ اللهِ ، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول :

---

(١) كذا فى ت ، ب . وفى سائر النسخ : « فأنت » بالفاء، وقد اتفقت جميع النسخ فى الروايات الآتية للبيت على الواو .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى س : « فلا عشت » .

(٣) كذا وقع هذا الشطر فى جميع النسخ ، وقد ورد فى الديوان هكذا : « بكفىّ إلا أن ما حان حائن » .

صوت

وأدْنيتِنى حتى إذا ما سَبَيْتِنى بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ[1] سَهْلَ الأباطِح
تناءيْتِ عنّى حينَ لا لِىَ حيلةٌ وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانِح[2]

— ويروى : « وغادَرْتِ ما غادَرْتِ[3] . . . » — ثم سنحَتْ له ظبيةٌ فوثب يعدُو خلفَها حتى غاب عنّى وٱنصرفتُ . وعُدتُ من غدٍ فطلبتُه فلم أجده ، وجاءت ٱمرأةٌ كانت تصنَع له طعامه[4] إلى الطعام فوجدَتْه بحاله ، فلما كان فى اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهلُه معى فطلبناه يومَنا فلم نَجِده ، وغَدَوْنا فى اليوم الرابع نَسْتَقْرِى أثرَه حتى وجدناه فى وادٍ كثير الحجارة خَشِنٍ ، وهو ميّتٌ بين تلك الحجارةِ ، فاحتملَه أهلُه فغسّلوه وكفنوه ودفنوه .

الحزن على المجنون وندم أبى ليلى على عدم تزويجه بها

قال الهيثم : فحدّثنى جماعةٌ من بنى عامر : أنه لم تبقَ فتاةٌ من بنى جعدةَ ولا بنى الحَريشِ إلا خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تندُبه ؛ وٱجتمعَ فِتيانُ الحىّ يبكون عليه أحرَّ بكاء ، ويَنْشِجُون عليه أشدَّ نَشيج ، وحضرهم حىُّ ليلى مُعزِّين وأبوها معهم ، فكان أشدَّ القوم جزعاً وبكاءً عليه ، وجعل يقول : ما علمنا أن الأمرَ يبلُغ كلَّ هذا ، ولكنّى كنتُ ٱمرأً عربيًّا أخاف من العار وقُبْحِ الأُحْدُوثة ما يخافه مثلى ، فزوّجتُها وخرجتْ عن يدى ، ولو علمتُ أن أمره يجرى على هذا ما أخرجتُها عن يده ، ولا ٱحتملتُ ما كان علىّ فى ذلك . قال : فما رُئِىَ يومٌ[5] كان أكثرَ باكيةً وباكياً على ميّتٍ من يومئذ .

---

(١) العصم : جمع أعصم وهو الوعل الذى فى ذراعيه بياض . والوعل : تيس الجبل . يريد أنقولها يخلب العصم ويستنزلها من الجبال وهى مساكنها إلى الأباطح السهلة .
(٢) فى ت : « وغادرت ماغادرت بين الجوانح » وهو الموافق لما فى الديوان وتزيين الأسواق .
(٣) كذا فى جميع الأصول . وفى ت : " ويروى : وخلفت ما خلفت » .
(٤) كذا فى ت . وفى باقى النسخ : « طعاماً ».
(٥) فى جميع الأصول التى بين أيدينا « يوما » بالنصب ، وظاهر مخالفته للقواعد .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

منها الصوتُ الذى أوّلُه :

أَلاَ يا غرابَ البين ويحكَ نَبِّنِى ... بعلمِكَ فى لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

الغناء لابن محرز[1] ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ ، وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لحَكَمٍ . وفى رواية ابن الأعرابىّ أنه أنشده مكانَ :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نَبِّنِى ... بعلمكَ فى لُبنَى وأنتَ خبيرُ

صــوت ١٦ / ٢

ألا يا غرابَ البينِ هل أنتَ مُخْبِرِى ... بخيرٍ كما خَبَّرْتَ بالنأىِ والشَّرِّ

وخبّرتَ[2] أن قد جَدَّ بَيْنٌ وقَرَّبُوا ... جِمالاً لبينٍ[3] مُثقَلاتٍ من الغَدْرِ

وهِجتَ قَذَى عينٍ بلُبنَى مريضةٍ ... إذا ذُكِرَتْ فاضتْ مدامعُها تجرى

وقلتَ[4] كذاكَ الدهرُ ما زال فاجعاً ... صدقتَ وهل شىءٌ بباقٍ على الدهرِ !

الشعر لقيس بن ذَرِيح ، والغناء لابن جامع ، ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لبَحْرٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وفيه لدَحْمانَ ثانى ثقيلٍ عن الهشامىّ وعبد الله بن موسى .

ومنها الصوت الذى أوّلُه :

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدَى ... بليلَى العامريّةِ أو يُرَاحُ

(١) فى ت : « الحسين بن محرز » وفيها تصريح باسمه .
(٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « أخبرت ... ... » .
(٣) فى ت : «للبين » .
(٤) فى ت : « فقلت » .

ومنها الصوت الذى أوّله :

وأدنيتِنى حتى إذا ما سبيتِنِى بقولٍ يُحِلّ العُصْمَ سهلَ الأباطحِ

الغناء لإبراهيم ، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ .

بكاء أبي ليلى على المجنون وشعر وجد بعد موت المجنون فى خرقة

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبىّ قال حدّثنا أبو[1] الفَضْل الرَّبَعِىّ عن محمد بن حَبِيبَ قال :

لما مات مجنونُ بنى عامر وُجد فى أرض خَشِنةٍ بين حجارةٍ سُودٍ ، فحضر أهلُه وحضر معهم أبو ليلى — المرأةِ التى كان يهواها — وهو متذمّم[2] من أهله ، فلما رآه ميتاً بكى واُسترجع وعلم أنه قد شَرِكَ فى هلاكه ، فبينما هم يقلّبونه إذ وجدوا خِرقةً فيها مكتوبٌ :

صــوت

ألاَ أيها الشيخُ الذى ما بنا يرضَى شَقِيتَ ولا هُنِّيتَ من عَيشِكَ الغَضَّا[3]
شَــقِيتَ كما أشقيتَنى وتركتَنى أهيمُ مع الهُلاّكِ لا أُطْعَمُ الغَمْضَا[4]

صــوت

كأنّ فؤادى فى مخالب طائرٍ إذا ذُكِرَتْ ليلَى يَشُدّ بها قَبْضَا
كأن فِجاجَ الأرضِ حَلْقَةُ خاتَمٍ علىّ فما تزدادُ طُولاً ولا عَرْضَا

(١) فى مع : «الفضَيل» بضم الفاء وفتح الضاد .
(٢) أى مستنكف منقبض. وفى مع : «متندم» .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت وتزيين الأسواق : « الخفضا » . وفى ديوانه : « ولا أدركت من عيشك الخفضا » .
(٤) كذا فى ت وتزيين الأسواق والديوان . وفى أغلب النسخ ذكر بدل هذا البيت البيت الأخير :
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم على فما تزداد طولا ولا عرضا

فى هذين البيتين رَمَلٌ ينسب إلى سُلَيم وإلى أبن محرز ، وذكر حَبَشٌ والهشامىّ أنه لإسحاق .

عوتب على التغنى بالشعر فقال شعرا

أخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنى أبو سَعِيد السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ قال : حدّثنى بعض القُشَيْرِيِّين(١) عن أبيه قال :

مررتُ بالمجنون وهو مُشرِفٌ على وادٍ فى أيام الربيع ، وذاك قبل أن يختلِطَ ، وهو يتغَنَّى بشعر لم أفهمه ، فصِحْتُ به : يا قيسُ ، أما تشغَلُك ليلى عن الغناء والطرب ! فتنفّس تنفُّساً ظننت أنّ حيازِيمَه(٢) قد انقدّتْ ، ثم قال :

صــوت

وما أُشرِفُ الأيْفاعَ(٣) إلا صَبابةً ... ولا أُنشِدُ الأشعارَ إلا تَداوِيا

وقد يجمعُ اللهُ الشَّتِيتَينِ بعد ما ... يظنّانِ جَهدَ(٤) الظنّ أن لا تلاقِيا

لَحَى(٥) اللهُ أقواماً يقولون إنّنى ... وجدتُ(٦) طَوَالَ الدّهر للحبّ شافيا

التقاؤه بقيس بن ذريح وطلبه منه إبلاغ سلامه لليلى

١٧/٢ أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبَيرُ بن بَكّار قال حدّثنا إسماعيلُ بن أبى أُوَيْس قال : اجتاز قيسُ بنُ ذَريح بالمجنون وهو جالسٌ وحدَه فى نادِى قومِه ، وكان كلّ واحد منهما مشتاقاً إلى لقاء الآخر ، وكان المجنونُ قبل توحُّشه لا يجلس إلا مُنفرداً ولا يُحدِّث أحداً ولا يردّ على متكلّم جواباً ولا على مُسلِّم سلاما ، فسلّم عليه قيسُ بن ذَريح فلم يردّ عليه السلامَ ؛ فقال له : يا أخى ، أنا قيسُ بن ذَريح ؛ فوثب إليه فعانقه وقال : مرحباً بك يا أخى ، أنا والله مذهوبٌ بى مُشْتَرَكُ اللبِّ فلا تلُمنى ، فتحدّثا

(١) فى ت : «القرشيين» .
(٢) الحيازيم : ضلوع الفؤاد . وفى ت : «قد انصدعت» .
(٣) الأيفاع : جمع يَفَع واليفع كاليَفاع : ما أشرف وعلا من الرمل .
(٤) كذا فى أغلب النسخ . والجهد : الغاية . وفى ت وتزيين الأسواق والديوان : «كل الظن» .
(٥) يقال لحاه الله : قبحه ولعنه و بعده .
(٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت وتزيين الأسواق والديوان : «إننا * وجدنا» .

ساعة وتشاكيا وبكيا ، ثم قال له المجنونُ : يا أخى ، إنّ حىّ ليلَى منا قريبٌ ، فهل لك أن تمضىَ إليها فتبلغَها عنى السلامَ ؟ فقال له : أفعل . فمضى قيسُ بن ذَريح حتى أتى ليلى فسلّم وآنتسب ؛ فقالت له : حيّاكَ الله ، ألكَ حاجة ؟ قال : نعم ، آبن عمّكِ أرسلنى إليكِ بالسلام ؛ فأطرقَتْ ثم قالت : ما كنتَ أهلا للتحيّة لو علمتُ أنك رسولُه ، قل له عنّى : أرأيتَ قولكَ :

أبَتْ ليلةٌ بالغَيلِ[1] يا أمّ مالكٍ ... لكم غيرَ حبٍّ صادقٍ ليس يكذبُ
ألا إنما أبقيتِ يا أمَّ مالكٍ ... صدًى[2] أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ[3]

أخبرنى عن ليلة الغَيل ، أىُّ ليلة هى ! وهل خلوتُ معكَ فى الغَيل أو غيره ليلاً أو نهارا ! فقال لها قيسٌ : يا أبنة عمّ ، إن الناس تأوّلوا كلامَه على غير ما أراد ، فلا تكونى مثلَهم ، إنما أخبر أنه رآكِ ليلةَ الغَيل فذهبتِ بقلبه ، لا أنه عَنَاكِ بسوء ؛ قال : فأطرقتْ طويلا ودموعُها تجرى وهى تُكفكفُها ، ثم آنتحبَتْ حتى قلتُ تقطّعَتْ حيازيمُها ، ثم قالت : آقرأ على آبن عمِّى السلامَ ، وقل له : بنفسِى أنتَ ! واللهِ إنّ وجدى بكَ لفوقَ ما تجدُ ، ولكن لا حيلةَ لى فيكَ ؛ فآنصرفَ قيسٌ إليه ليخبره فلم يجدْه .

رأى ليلى فبكى ثم قال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنى محمد[4] بن القاسم بن مَهرُويَهْ قال حدّثنى عمّى عن آبن الصّباح عن آبن الكلبىّ عن أبيه قال : مرّ المجنونُ بعد آختلاطه بليلى وهى تمشى فى ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويلٍ ، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه

(١) الغيل بالفتح ثم السكون : اسم واد لبنى جعدة .
(٢) انظر الكلام على معنى الصدى فيما تقدم فى ص ١٨ حاشية رقم ٨ من هذا الجزء .
(٣) فى هذين البيتين إقواء لاختلافهما بحركة الروى ضما وكسرا . وقد ورد هذا البيت الأخير فى جملة أبيات مكسورة الروى فى ص ١٨ من هذا الجزء .
(٤) كذا فى ت ، وهو ما اتفقت عليه النسخ فى مواضع تقدمت فى الجزء الأول من الأغانى وفى هذا الجزء أيضا . وفى أغلب النسخ : «موسى بن مهرويه» .

مغشيًّا عليه ، فانصرفَتْ[١] خوفاً من أهلها أن يلقَوْها عنده ، فمكث كذلك مليًّا ثم أفاق وأنشأ يقول :

صوت

بكى فرحاً بليلَى إذ رآها   محبٌّ لا يرى حَسَناً سواها
لقد ظفِرَتْ يداه ونال[٢] مُلكاً   لئن كانتْ تراه كما يراها

الغناء لابن المكىّ رملٌ بالبنصر . وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشامىّ . وفيه خفيفُ رملٍ ليزيد حوراء[٣] . وقد نُسِبَ لحنُهُ إلى ابن المكىّ ولحنُ ابن المكىّ إليه .

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «فانصرف» وهو تحريف .
(٢) فى ت : «وطاب عيشا» .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : «خورا» بالخاء المعجمة وهو تحريف ، وستأتى ترجمته فى الجزء الثالث من الأغانى طبع دار الكتب .

صــوت

من المائة المختارة من رواية علىّ بن يحيى

رُبَّ رَكبٍ قـد أناخوا عندنا يشربونَ الخمرَ بالماء الزّلالِ
عَصَفَ[١] الدهرُ بهم فأنقرضوا وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ

الشعر لعدىّ بن زيد العِبَادِىّ ، والغناء لأبن مُحْرِزٍ ، ولحنُه المختارُ خفيفُ رملٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ آخر بالبنصر ٱبتداؤه نشيدٌ ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طُنْبورةَ ، وذكر أحمد بن المكىّ أنه لأبيه . وهذه الأبياتُ قالها عدىّ بن زيد العِبَادِىّ على سبيل المَوْعظة للنُّعْمان بن المُنْذِر ، فيقال : إنها كانت سبب دخوله فى النصرانية . ١٨/٢

عظة عدىّ بن زيد للنعمان بن المنذر وتنصّر النعمان

حدّثنى بذلك أحمد[٢] بن عِمْرانَ المؤدّب قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثنى علىّ بن الصَّبَّاح عن ٱبن الكلْبىّ قال : خرج النعمانُ بنُ المنذر إلى الصيد ومعه عدىٌّ بن زيد فمروا بشجرةٍ ، فقال له عدىّ بن زيد : أيُّها الملكُ ، أتدرى ما تقولُ هذه الشجرةُ ؟ قال : لا ، قال تقول :

رُبَّ رَكبٍ قـد أناخوا عندنا يشربونَ الخمرَ بالماء الزُّلالِ
عَصَفَ الدهرُ بهم فأنقرضـوا وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حَالِ

قال : ثم جاوز الشجرةَ فمرَّ بمقبرةٍ ، فقال له عدىّ : أيّها الملكُ ، أتدرى ما تقول هذه المقبرةُ ؟ قال : لا ، قال تقول :

أيهـا الركبُ المُخِبّو نَ على الأرض المُجِدّون

(١) أى ذهب بهم وأهلكهم .
(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «محمد» .

فكما أنتُم كُنّا وكما نحن تكونون[1]

فقال له النعمان : إنَّ الشجرةَ والمقبرة لا يتكلّمان[2] ، وقد علمتُ أنك إنما أردتَ عِظَتِى ، فما السبيلُ التى تُدرِكُ بها النجاةُ ؟ قال : تدعُ عبادةَ الأوثان وتعبدُ اللهَ وتدينُ بدين المسيح عيسى بنِ مريمَ ؛ قال : أَوَفى[3] هذا النجاةُ ؟ قال : نعم ، فتنصّر يومئذ . وقد قيل : إنَّ هذه القصةَ كانت لعدىّ مع النعمان الأكبر بن المُنْذر ، وإنّ النعمان الذى قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذى تنصّر . وخبر هذا يأتى مع أحاديث عدىّ .

(١) لعل صوابه : « هكذا بالأمس كنا » حتى يستقيم الوزن وأنظر الحاشية رقم (١) ص ١٣٢ من هذا الجزء .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «لم يتكلما» .

(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «أفى» بدون واو .

ذكر عدىّ بن زيد ونسبه وقصته ومقتله

نسبه

هو عَدىّ بن زيد بن حَمَّاد[١] بن زيد بن أيُّوب بن مَحْروف[٢] بن عامر بن عُصَيَّةَ ابن أمرئ القَيْس بن زيد مَنَاةَ بن تَمِيم بن مُرِّ بنِ أُدِّ بنِ طابِخَةَ بنِ إلياسَ بن مُضَر ابن نِزَار . وكان أيوبُ هذا فيما زعم ابنُ الأعرابىّ أوّلَ مَنْ سُمِّىَ من العرب أيوبَ . شاعرٌ فصيحٌ[٣] من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانيا وكذلك كان أبوه وأمه وأهلُه ، وليس ممن يُعَدّ فى الفحول ، وهو قروىّ . وكانوا قد أخذوا عليه[٤] أشياء عِيب فيها .

عدىّ بن زيد لا يعد فى فحول الشعراء

وكان الأصمعىّ وأبو عبيدةَ يقولان : عدىُّ بنُ زيد فى الشعراء بمنزلة سُهَيلٍ فى النجوم يعارضها ولا يَجرى معها مَجْراها . وكذلك عندهم أُمَيةُ بنُ أبى الصَّلْت ، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين الكُمَيْتُ والطِّرِمَّاحُ . قال العَجَّاج : كانا يسألانى عن الغريب فأُخبرهما به ، ثم أراه فى شعرهما وقد وضعاه فى غير مواضعه ؛ فقيل له : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنهما قَرَوِيَّانِ يَصِفَانِ ما لم يَرَيَا فيضعانه فى غير موضعه ، وأنا بدوىّ أصِفُ ما رأيتُ فأضَعُه فى مواضعه . وكذلك عندهم عدىٌّ وأُمَيةُ .

سبب نزول آل عدىّ الحيرة

قال ابنُ الأعرابىّ فيما أخبرنى به علىّ بن سُلَيمان الأخفشُ عن السُّكَّرىّ عن محمد ابن حَبِيبَ عنه وعن هِشام بن الكَلْبىّ عن أبيه قال[٥]: سببُ نزول آلِ عَدِىّ بن زيد

(١) كذا فى أغلب النسخ ومعاهد التنصيص ص ١٤١ طبع بولاق سنة ١٢٧٤ هـ . وفى د : «حمار» بالراء ، واضطربت النسخ فيما يأتى فى هذا الاسم ، وسنجرى فى كتابته على ما أثبتناه هنا بالأصل . وجاء هذا الاسم فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة مرة هكذا «حماد» بالدال ومرة «حماز» بالزاى . وفى شعراء النصرانية «حمار» بالراء ، وكتب فى التعليق عليه : ويروى حمار وحماد وحماز .

(٢) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى د ، ا ، م : «مجروف» بالجيم . واضطربت النسخ بعد هذا ؛ فمرة يجىء بالجيم ومرة يجىء بالحاء المهملة . وفى شعراء النصرانية : «مجروف» بالجيم ، وكتب عليه فى التعليق : ويروى «محروف» أى بالحاء المهملة .

(٣) كذا فى حـ ، د . وفى باقى الأصول : «شاعرا فصيحا» .

(٤) كذا فى حـ ، د ، ا . وفى سائر النسخ : «أخذوا عليه فى أشياء» .

(٥) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى د ، م ، ا : «أنه كان سبب» .

الحِيرةَ أن جدَّه أيوبَ بنَ مَحْرُوف كان منزلُه اليمامةَ فى بنى أمرئ القيس بن زيد مناةَ ، فأصاب دما فى قومه ، فهرب فلَحِقَ بأَوْس بن قَلّام[1] أحد بنى الحارث بن كعب بالحيرة . وكان بين أَيُّوبَ بن مَحْرُوف وبين أوس بن قَلّامٍ هذا نسبٌ من قِبَل النساء ، فلما قَدِم عليه أيُّوبُ بنُ محروفٍ أكرمه وأنزله فى داره ، فمكث معه ما شاء الله أن يمكُثَ ، ثم إن أوسا قال له : يا بنَ خالٍ ، أتريدُ المُقامَ عندى وفى دارى ؟ فقال له أيُّوبُ : نعمْ ، فقد علمتُ أنى إن أتيتُ قومى وقد أصبتُ فيهم دماً لم أسْلَمْ ، وما لى دارٌ إلا دارُكَ آخِرَ الدهر ؛ قال أوس : إنى قد كبِرتُ وأنا خائف أن أموتَ فلا يَعرِفُ ولدى لكَ من الحَقِّ مثلَ ما أعرِفُ ، وأخشى أن يقعَ بينكَ وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ ، فانظر أحبَّ مكانٍ فى الحِيرة إليكَ فأَعلِمْنى به لأُقْطِعَكه أو أبتاعَه لكَ ؛ قال : وكان لأيوبَ صديقٌ فى الجانب الشرقىّ من الحيرةِ ، وكان منزلُ أَوْسٍ فى الجانب الغربىّ ، فقال له : قد أحببتُ أن يكون المنزلُ الذى تُسكِنُنيه عند منزل عِصَامِ بنِ عُقْدَة[2] أحدِ بنى الحارث بن كَعْب ؛ فابتاعَ له موضعَ داره بثلثمائة أُوقيةٍ من ذهبٍ وأنفق عليها مائتى أوقية ذهبا ، وأعطاه مائتين من الإبل بِرِعَائها وفرساً وقَيْنَةً ؛ فمكث فى منزل أوس حتى هلك[3] ، ثم تحوّل إلى داره التى فى شرقىّ الحيرة فهلك بها . وقد كان أيوبُ اتصل قبل مَهْلَكِه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقَّه وحقَّ ابنه زيد بن أيوب ، وثبت أيوب فلم يكن منهم مَلِكٌ يَملِكُ إلا ولوَلَدِ أيوبَ منه جوائزُ وحُمْلانٌ[4] .

مقتل زيد بن أيوب

ثم إنّ زيدَ بنَ أيوبَ نكح امرأة من آل قَلّام فولدت له حمّادا ، فخرج زيدُ بنُ أيوبَ يوماً من الأيام يريد الصيدَ فى ناس من أهل الحِيرَةِ وهم مُنتدُونَ بِحَفِيرٍ[5] ـــ المكان

(١) جرينا فى ضبط هذا الاسم على نحو ما جاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى ص ٨٥٠ قسم ١ طبع أوربا ، والقسم الرابع من شعراء النصرانية ص ٤٣٩ طبع بيروت سنة ١٨٩٠ م .

(٢) كذا فى حد ، رس ، مع : وفى ط دار الكتب : «عبدة» .

(٣) فى مع : «حتى هلك أوس» .

(٤) الحملان بالضم : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

(٥) انتدى القوم : اجتمعوا . وحفير : موضع بالحيرة ذكره البكرى فى «معجم ما أستعجم» وأنشد عليه قول عدىّ بن زيد : =

١٩ / ٢

الذى يذكره عدىّ بن زيد فى شعره ـ فانفرد فى الصيد وتباعد من أصحابه ، فلقيه رجلٌ من بنى امرئ القيس الذين كان لهم الثأرُ قِبَلَ أبيه ، فقال له ـ وقد عرَفَ فيه شَبَهَ أيوبَ ـ : ممَّنِ الرجلُ ؟ قال: من بنى تَمِيم ، قال : مِنْ أيّهم ؟ قال : مَرَئِىّ(١) ؛ قال له الأعرابىّ : وأين منزلُك ؟ قال : الحيرةُ ؛ قال : أمن بنى أيوبَ أنتَ ؟ قال : نعم ، ومن أين تعرف بنى أيوبَ ؟ واستوحش من الأعرابىّ ، وذكر الثأر الذى هرب أبوه منه ؛ فقال له : سمعتُ بهم ، ولم يُعلِمْه أنه قد عرفه ؛ فقال له زيدُ بن أيوبَ : فمن أىّ العرب أنتَ ؟ قال : أنا امرؤ من طيّ ؛ فأمِنه زيدٌ وسكتَ عنه ، ثم إن الأعرابىّ اغتفلَ(٢) زيدَ بنَ أيوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيْه ففَلَقَ قلبَه ، فلم يَرِمْ(٣) حافرُ دابته حتى مات . فلبِثَ أصحابُ زيد حتى إذا كان الليلُ طلبوه وقد افتقدوه وظنُّوا أنه قد أمعن فى طلب الصيد ، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه ، ثم غدَوْا فى طلبه فاقتفَوْا أثره حتى وقفوا عليه ورأوْا معه أثرَ راكب يُسايِرُه، فاتبعوا الأثرَ حتىوجدوه قتيلاً ، فعرفوا أن صاحبَ الراحلة قتله ، فاتبعوه وأغذُّوا السيرَ فأدركوه مساءَ الليلة الثانية ، فصاحوا به وكان مِن أرمَى الناس، فامتنع منهم بالنَّبْلِ حتى حال الليلُ بينهم وبينه، وقد أصاب رجلا منهم فى مَرْجِعِ(٤) كَتِفَيهِ بسهم ، فلما أجنَّه الليلُ ماتَ وأفلتَ الرامى(٥) ، فرجعوا وقد قَتَل زيدَ بن أيوب ورجلاً(٦) آخر معه من بنى الحارث بن كعب . فمكث حماد

= قد أرانا وأهلنا بحفير نحسب الدهر والسنين شهورا

وفى مع ، رس : « متبدُّون» ولعله أصوب . وفى خد :« وهم مبتدون بحفير المكان ..» .

(١) نسبة إلى امرئ القيس ، ويقال فى النسبة إليه : « امرئى » أيضاً .

(٢) كذا فى أغلب الأصول ولم نجد فى معاجم اللغة التى بأيدينا : اغتفل فلانا بمعنى تغفله أو استغفله . وفى م : « اعتقل » .

(٣) أى لم يبرح .

(٤) مرجع كتفيه : أسفلهما .

(٥) فى مع ، خد ، رس : « المرئى» .

(٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م : «وقد قتيلَ زيد بن أيوب ورجل آخر» .

تولى حماد بن زيد الكتابة للنعمان الأكبر

فى أخواله حتّى أيفع ولَحِقَ بالوُصَفَاء[١] ؛ فخرج يوماً من الأيام يلعب مع غلمان بنى لِحيان ، فلَطَمَ اللِّحيانىُّ عينَ حماد فشجّه حمَّادٌ ، فخرج أبو اللِّحيانىّ فضرب حمادا ، فأتى حمادٌ أُمَّه يبكى ، فقالت له : ما شأنك ؟ فقال : ضربنى فلان لأن ابنَه لطمنى فشجَجْتُه ، فجزِعَتْ من ذلك وحوّلته إلى دار زيد بن أيوبَ وعلَّمْته الكتابةَ فى دار أبيه ، فكان حمادٌ أوّلَ من كتَب من بنى أيُّوبَ ، فخرج مِنْ أكْتَبِ الناس ، وطُلِبَ حتّى صار كاتبَ الملكِ[٢] النُّعْمانِ الأكبر ، فلبِث كاتباً له حتّى وُلِد له ابنٌ مِن امرأة تزوّجها من طيِّئ

سبب اتصال زيد ابن حماد بكسرى

فسماه زيداً باسم أبيه . وكان لحمّاد صديقٌ من الدَّهَاقين[٣] العُظَماء يقال له فرّوخ ماهَان ، وكان مُحسنا إلى حماد ، فلما حضرَتْ حماداً الوفاةُ أوصى بابنه زيدٍ إلى الدِّهقَان ، وكان من المَرَازِبة[٤] ، فأخذه الدِّهقانُ إليه فكان عنده مع ولده ، وكان زيدٌ قد حذَق الكتابةَ والعربيةَ قبل أن يأخذه الدِّهقانُ ، فعلَّمه لمَّا أخذه الفارسيَّةَ فلَقِنَها[٥] ، وكان لَبيبًا ، فأشار الدِّهْقانُ على كِسْرى أن يَجْعَلَه على البَرِيد فى حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المَرَازِبة ، فمكث يتولّى ذلك لكِسْرى زمانًا . ثم إنّ النُّعْمَانَ النَّصْرِىَّ اللَّخْمِىَّ هلَك ، فاختلف أهلُ الحِيرة فيمن يُمَلِّكُونه إلى أن يعقِدَ كِسْرى الأمرَ لرجل يُنَصِّبُه ، فأشار عليهم المَرْزُبانُ بزيد بن حَمَّاد ، فكان على الحِيرة إلى أن

تمليك زيد بن حماد على الحيرة

مَلَّكَ كِسْرَى المُنْذِرَ بنَ ماء السماء ، ونكَح زيدُ بن حمَّاد نعمةَ بنتَ ثَعْلَبة العَدَوِيّة

(١) يقال : أيفع الغلام فهو يافع إذا شارف الاحتلام . والوصفاء : جمع وصيف وهو الغلام دون المراهق . ويقال : وصف الغلام إذا بلغ الخدمة فهو وصيف .

(٢) كذا فى ا ، حـ . وفى باقى النسخ : « مَلِك » بدون أل .

(٣) الدهاقين : جمع دهقان وهو التاجر ، فارسى معرب .

(٤) المرزبان بضم الزاى : أحد مرازبة الفرس وهو الفارس الشجاع المقدّم على القوم دون الملك وهو فارسى معرب .

(٥) كذا فى أغلب الأصول ، ولقنها : فهمها . وفى ب ، س : « فلقفها » بالفاء ، يقال : لقف الشيء يلقفه لقفا أى تناوله بسرعة ، ويستعمل فى سرعة الأخذ لما يرمى باليد أو باللسان ، ومنه رجل ثقف لقف أى سريع الفهم لما يرمى إليه من كلام باللسان ، وسريع الأخذ لما يرمى إليه باليد ، وقد يفرد لقف فيكون معناه ما تقدم .

تعلّم عدىّ بن زيد الكتابة والكلام بالفارسية

فولدت له عَدِيًّا . وملك المنذرُ وكان لا يَعصيه فى شىء ، ووُلِدَ للمَرْزُبان ابنٌ فسمّاه « شاهَانْ مَرْد » . فلما تحرّك عدىُّ بن زيد وأيْفعَ طَرحه أبوه فى الكُتّاب(١) ، حتى إذا حَذِقَ أرسله المَرْزُبانُ مع ابنه « شاهَانْ مَرْد » إلى كُتّاب الفارسية ، فكان يختلِفُ مع ابنه ويتعلّمُ الكتابةَ والكلامَ بالفارسيّة ، حتى خرج من أفْهم الناس بها وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعرَ وتعلّمَ الرمىَ بالنُّشّاب ، فخرج من الأساورة(٢) الرُّماةِ ، وتعلّمَ لِعْبَ العجم على الخيل بالصَّوَالجةِ(٣) وغيرها . ثم إن المَرْزُبانَ وفَدَ على كِسرى ومعه ابنه

اتصاله بكسرى وتوليّه الكتابة فى ديوانه

« شاهان مرد » ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السُّور فتطاعما كما يتطاعمُ الذكر والأنثى ، فجعل كلُّ واحدٍ مِنْقارَه فى منقار الآخر ، فغَضِبَ كسرى من ذلك(٤) ولحِقَتْه غَيرةٌ ، فقال للمرزُبان وابنِه : لِيَرْمِ كلُّ واحدٍ منكما واحداً من هذَين الطائرين ، فإن قتلتماها أدخلتُكما بيتَ المال وملأتُ أفواهَكما بالجوهر ، ومن أخطأ منكما عاقبتُه ؛ فاعتمد كل واحد منهما طائراً منهما ورميا فقتلاهما جميعاً ، فبعثهما إلى بيت المال فمُلِئَتْ أفواهُهما جَوْهراً ، وأثبتَ « شاهان مرد » وسائرَ أولادِ المَرْزُبانِ فى صَحَابته ؛ فقال فرُّوخُ ماهان عند ذلك للملك : إنّ عندى غلاماً من العرب مات أبوه وخلّفه فى حِجْرِى(٥) فربّيتُه ، فهو أفصحُ الناسِ وأكتبُهم بالعربيّة والفارسيّة ، والملكُ محتاجٌ إلى مثله ، فإن رأى أن يُثبِتَه فى وَلَدِى فعلَ ؛ فقال : ادعُه ، فأرسل إلى عدىّ بن زيد ،

(١) الكُتّاب : موضع تعليم الكتابة ، يقال : سلّم ولده فى الكتاب أى المكتب . وأنكر المبرد هذا المعنى وقال : من جعل الموضع الكُتّاب فقد أخطأ . وقال الشهاب فى شرح الشفاء : إن الكُتّاب للمكتب وارد فى كلامهم كما فى الأساس وغيره ولا عبرة بمن قال : إنه مولد (انظر تاج العروس مادة كتب) .

(٢) الأساورة : جمع الأسوار بالضم أو الكسر وهو الجيد الرمى بالسهام . وقال أبو عبيد : أساورة الفرس : فرسانهم المقاتلون . وقال الخوارزمى فى «مفاتيح العلوم» : العجم لا تضع اسم أسوار إلا على الرجل البطل الشجاع .

(٣) الصوالجة : جمع صولجان وهو عصا يعطف طرفها ، يضرب بها الكرة على الدواب ، وهو فارسى معرب ، فأما العصا التى اعوجّ طرفاها خلقة فى شجرتها فهى المحجن .

(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ح : « من تلك الحال » .

(٥) فى ح ، مع : « وخلّفه عندى » .

وكان جميلَ الوجه فائقَ الحُسْنِ ، وكانت الفُرسُ تتبرّك بالجميل الوجه ، فلما كلّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرَهم جواباً ، فرَغِبَ فيه وأثبتَه مع وَلدِ المرزُبان ، فكان عدىّ

عدىّ أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى

أوّلَ مَنْ كتبَ بالعربية فى ديوان كسْرى . فرغبَ أهلُ الحيرة إلى عدىّ ورَهِبُوه ، فلم يزلْ بالمَدَائن فى ديوان كسرى يُؤْذَنُ له عليه فى الخاصّة ،وهو مُعجَبٌ به قريبٌ منه ، وأبوه زيد بنُ حماد يومئذ حىّ ، إلا أنّ ذِكرَ عدىّ قد ارتفع وخَمَل ذكرُ أبيه ، فكان عدىّ إذا دخل على المنذر قام جميعُ مَنْ عنده حتى يقعدَ عدىّ ، فعَلاَ له بذاكَ صِيتٌ[(١)] عظيمٌ . فكان إذا أراد المُقَامَ بالحيرة فى منزله ومع أبيه وأهله استأذنَ كسرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرَين وأكثرَ وأقلَّ . ثم إنّ كسرى أرسل عدىّ بن زيد إلى مَلِكِ

إرسال كسرى له إلى ملك الروم

الروم بهديّةٍ من طُرَفِ ما عنده ، فلما أتاه عدىّ بها أكرمه وحمله إلى عُمَّاله على البريد ليُريَه سَعةَ أرضه وعَظِيمَ[(٢)] مُلكه ـ وكذلك كانوا يصنعون ـ فمن ثَمَّ وقع عدىّ بدِمَشْقَ ، وقال فيها الشعرَ ؛ فكان مما قاله بالشأم وهى[(٣)] أوّلُ شعر قاله فيما ذكر :

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجِزْعِ مِنْ دُو مَةَ[(٤)] أشْهَى إلىّ مِنْ جَيرُونِ[(٥)]
ونَدَامَى لا يفرَحون بما نا لُوا ولا يرهَبُونَ[(٦)] صَرْفَ المَنُونِ

---

(١) فى حـ ، ا ، م : «صوت» ، وكلاهما صحيح فإن الصوت لغة فى الصيت .

(٢) كذا فى ب ، س . وفى باقى النسخ : «وعِظَم ملكه» .

(٣) كذا فى جميع النسخ والضمير عائد على الأبيات الثلاثة الآتية . وفى معاهد التنصيص ص ١٤٣ طبع بولاق سنة ١٢٧٤ هـ : «وهو أول شعر قاله» .

(٤) دومة : قرية من قرى غوطة دمشق ، والظاهر أنها غير مرادة فى هذا البيت ، واسم لموضع بين الشأم والموصل . قال البكرى فى معجم ما استعجم : «ودومة هذه من منازل جذيمة الأبرش ، وهذه دومة الحيرة أما دومة الجندل فهى على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة وثمان من دمشق وكان بها طائفة من النصارى» .

(٥) جيرون : بناء عند باب دمشق وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها ، والمعروف اليوم أن بابا من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقى يقال له : «باب جيرون» . وقال قوم : جيرون هى دمشق نفسها . انظر معجم ياقوت .

(٦) فى م ، ا ، «يتقون» .

قد سُقِيتُ الشَّمُولَ فى دار بِشْرٍ قَهْوَةً مُزَّةً(١) بمـــاء سَخِينِ

ثم كان أوّلُ ما قاله بعدها قولَه :

لمِنِ الدارُ تعفَّتْ بخِيَمْ(٢) أصبحتْ غيَّرها طولُ القِدَمْ

ما تَبِينُ العـــينُ من آياتهـــا غيرَ نُؤْيٍ مثل خطٍّ بالقَـــلَمْ

صالحـــا قد لفَّها فاستوسَقَتْ(٣) لفَّ بازٍ حَماماً فى سَـــلَمْ(٤)

تولية أهل الحيرة زيداً أبا عدىّ على الحيرة وابقاء اسم الملك للمنذر

قال : وفسد أمرُ الحيرة وعدىٌّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم ؛ لأن أهلَ الحيرة حين كان عليهم المنذرُ أرادوا قتلَه لأنه كان لا يعدِل فيهم ، وكان يأخذُ من أموالهم ما يُعجِبه ، فلما تيقّن أن أهلَ الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حماد بن زيد ابن أيوب ، وكان قبلَه على الحيرة ، فقال له : يا زيدُ أنتَ خليفةُ أبى ، وقد بلغنى ما أجمعَ عليه أهلُ الحيرة فلا حاجة لى فى مُلكِكم ، دونكموه مَلِّكُوه مَنْ شئتم ؛ فقال له زيد : إنّ الأمر ليس إلىّ ، ولكنّى أَسبُرُ(٥) لكَ هذا الأمرَ ولا آلُوكَ نصحاً . فلما أصبح غدا إليه الناسُ فحيَّوْه تحيّةَ الملك ، وقالوا له : ألا تَبعَثُ إلى عبدك الظالم - يَعْنُونَ المنذرَ - فتُريحَ منه رعيَّتَكَ ؟ فقال لهم : أوَلَا خيرٌ من ذلكَ ! قالوا له : أَشِرْ علينا ، قال : تَدَعُونه على حاله فإنه من أهل بيت مُلكٍ ، وأنا آتيه فأُخْبِرُه أنّ أهلَ الحيرة قد اختاروا رجلا يكون أمرُ الحيرة إليه إلا أن يكون غزوٌ أو قتالٌ ، فلك اسم المُلْكِ وليس إليكَ سوى ذلك من الأمور ، قالوا : رَأْيُكَ أفضلُ . فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا ، فقَبِلَ ذلك

(١) كذا بالأصول ولعلها مُزَّة ، والمزة : الخمر اللذيذة الطعم ، وتفتح ميمها ، سميت بذلك للذعها اللسان ، قال الأعشى :

نازعتهم قضب الريحان متكئاً وقهوةً مُزَّةً راووقها خضلُ

وقد ورد هذا البيت فى اللسان بضم الميم فى مادة مزز ، وفى المخصص فى باب الخمر بفتحها .

(٢) خيم : موضع .

(٣) أى جمعها فاجتمعت .

(٤) السلم : شجر ورقه القرظ الذى يدبغ به .

(٥) سبر الأمر : اختبره واستخرج كنهه .

وفَرِح ، وقال : إنّ لك يازيدُ علىّ نعمةً لا أَكفُرُها ماعرفتُ حَقَّ سبد[١] ـ وسبد صنم كان لأهل الحيرة ـ فولّى أهلُ الحيرة زيداً على كل شىء سوى اسم المُلْكِ فإنهم أقرّوه للمنذر . وفى ذلك يقول عدىّ :

نحن كنّا ـ قد عَلِمْتُمْ ـ قبلَكُمْ   عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصَارِ[٢]

قدوم عدىّ للحيرة وخروج المنذر للقائه

قال : ثم هلك زيدٌ وابنه عدىّ يومئذ بالشأم . وكانت لزيدٍ ألفُ ناقة للحَمَالَاتِ[٣] كان أهلُ الحيرة أعْطَوْه إياها حين ولَّوْه ما ولَّوْه ، فلما هلك أرادوا أخذَها ، فبلغ ذلك المنذرَ فقال : لا ، واللّاتِ والعُزَّى لا يؤخذ مما كان فى يد زيدٍ ثُفْرُوقٌ[٤] وأنا أسمعُ الصَّوتَ .

ففى ذلك يقول عدىّ بن زيد لابنهِ النُّعمانِ بنِ المنذرِ :

وأبوكَ المــــرءُ لم يُشْنَأْ[٥] به   يومَ سِيمَ الخَسْفَ منّا ذو الخَسَارِ

قال : ثم إنّ عديًّا قَدِم المدائنَ على كسرى بهديةِ قيصرَ ، فصادف أباه والمَرْزُبانَ الذى ربّاه قد هلكا جميعا ، فاستأذن كسرى فى الإلمام بالحيرةِ فأَذِن له ، فتوجَّه إليها ، وبلغ المنذرَ خبرُه فخرج فتلقّاه فى الناس ورجع معه . وعدىّ أنبلُ أهل الحيرة فى أنفسهم ، ولو أراد أن يُمَلِّكوه لمَلَّكوه ، ولكنه كان يُؤْثِرُ الصيدَ واللّهوَ واللعِبَ على المُلْكِ ،

(١) لم نجد اسم هذا الصنم فى كتاب الأصنام لابن الكلبى ولا فى كتب اللغة التى بين أيدينا . وقد اطلعنا على مقالة للأب أنستانس الكرملى نشرت فى صحيفة دار السلام البغدادية فى عدد تشرين الثانى سنة ١٩١٩ م وأورد صاحب المقالة المذكورة كلام الأغانى هذا ، وقال فيه : «ولعله مصرىّ الأصل إذ كان عند أبناء وادى النيل إله معروف باسم (سوبدو)» .

(٢) الإصار : الطنب وهو حبل الخباء والسرادق ونحوها .

(٣) الحمالات : جمع حمالة بالفتح وهى الدية والغرامة التى يحملها قوم عن قوم .

(٤) الثفروق : علاقة ما بين النواة والقمع من التمرة ، وقال الأصمعى : الثفروق : قمع البسرة والتمرة ، ويكنى به عن القلة فيقال : ماله ثفروق أى ماله شىء ، والذفروق بالذال لغة فيه (انظر اللسان فى مادة ثفرق) .

(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ح : «لم نشق به» .

فمكث سنينَ يبدو[١] فى فَصْلَى السَّنة ؛ فيقيمُ فى جفير[٢] ويشتُو بالحِيرة ، ويأتى المدائنَ فى خلال ذلك فيخدُم كِسرَى . فمكَث كذلك سنينَ ، وكان لا يؤثرُ على بلادِ بنى يَرْبُوع مَبْدًى من مَبادِى العربِ ولا ينزل فى حىّ من أحياء بنى تميم غيرهم ، وكان أخلاّؤه من العرب كلُّهم بنى جعفر ، وكانت إبله فى بلاد بنى ضَبَّةَ وبلاد بنى سَعْد ، وكذلك كان أبوه يفعل : لا يجاوز هذين الحَيَّيْن بإبله . ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هند[٣] بنتَ النعمان بن المنذر ، وهى يومئذ جاريةٌ حين بلغَتْ أو كادتْ . وخبرُه يذكر فى تزويجها بعد هذا .

تزوّجه هند بنت النعمان

قال ابنُ حبيبَ وذكر هِشَام بنُ الكَلْبىّ عن إسحاقَ بن الجَصَّاص وحَمَّاد الراوية وأبى محمد بن السائب قال : كان لعدىّ بن زيد أخوان : أحدُهما اسمه عَمَّار ولقبُه أُبَىّ ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سُمَىّ ، وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدىّ بنُ حَنْظَلة من طيِّء ، وكان أُبَىّ يكون عند كسرى ، وكانوا أهلَ بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسرة ، ولهم معهم أُكْلٌ[٤] وناحيةٌ ، يُقْطِعُونَهمُ القطائعَ ويُجْزِلُون صِلَاتِهم . وكان المنذرُ لما ملكَ[٥] جعل ابنَه النعمانَ بنَ المنذر فى حِجْرِ عدىّ بن زيد ، فهم الذين أرضَعُوه وربَّوْه ، وكان للمنذر ابنٌ آخر يقال له « الأسودُ » أُمّهُ ماريةُ بنتُ الحارث بن جُلْهُم من تَيْم الرَّبَابِ، فأرضعه وربَّاه قومٌ من أهل الحِيرةِ يقال لهم بنو مَرِينَا[٦] ينتسبون إلى

جعل المنذر ابنه النعمان فى حجر عدىّ

(١) أى يخرج إلى البادية .

(٢) كذا فى جميع النسخ ، وجفير — بفتح الجيم وكسر الفاء — ذكره ياقوت فى معجمه وقال : هو موضع فى شعر حجر الملك آكل المرار . وقال البكرى فى «معجم ما استعجم» : هو ماءة فى ضريّة ، ومعلوم أن ضرية بنجد ، أما جفير كزبير فقرية بالبحرين ذات رياض ومياه ومنازه . وفى مع ، خد : «البرّ» بدل «جفير» .

(٣) كذا فى ا ، م بالمنع من الصرف . وفى ب ، س ، حـ : «هنداً» بالصرف وكلاهما صحيح إلا أن المنع أكثر .

(٤) الأكل : الرزق ، يقال : فلان ذو أكل إذا كان ذا رزق وحظ واسع فى الدنيا .

(٥) فى نا : « لما هلك » .

(٦) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد ، وهم الذين ذكرهم امرؤ القيس فى قوله :

فلو فى يوم معركة أصيبوا ولكن فى ديار بنى مرينا

وليس مرينا بكلمة عربية . (انظر تاج العروس واللسان مادة مرن) .

لَخْمٍ وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ ، وكان وَلَدُه يقال لهم «الأشاهبُ[(١)]» من جمالهم ، فذلك قول أعْشَى بن قَيْس[(٢)] بن ثعلبة :

وبنو المنــذرِ الأشاهبُ فى الحِيــرَةِ يمشونَ غُدْوَةً كالسيوفِ

سعى عدىّ بن زيد فى ولاية النعمان بن المنذر وسبب الخلاف بينه وبين عدىّ بن مرينا

وكان النعمانُ من بينهم أحمرَ أبرشَ[(٣)] قصيراً ، وأمّه سَلْمَى بنتُ وائل بن عَطيّةَ الصائغ من أهل فَدَكَ[(٤)] ، فلما احتُضِرَ المنذرُ وخلّفَ أولادَه العشرةَ ، وقيل : بل كانوا ثلاثة عشر ، أوصى بهم إلى إيَاس بن قَبِيصةَ الطَّائىّ ، وملّكه على الحيرة إلى أن يرَى كِسرى رَأْيَه ، فمكث مُملَّكًا عليها أشهُرًا وكِسْرى فى طلب رجل يُملّكه عليهم ، وهو كسرى بنُ هُرْمُزَ ، فلم يجد أحداً يَرْضاه فضَجِرَ ، فقال : لأبعثنّ إلى الحِيرة اثنىْ عشرَ ألفاً من الأَسَاورة ولَأُمَلّكنّ عليهم رجلا من الفُرْس ولآمرنّهم أن ينزلوا على العرب فى دُورِهم ويَملِكوا عليهم أموالَهم ونساءهم ، وكان عدىٌّ بن زيد واقفاً بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحكَ يا عدىُّ ؛ مَن بقِى من آل المنذِر ؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خيرٌ ؟ فقال : نعم أيها الملكُ السعيدُ ، إنّ فى ولد المنذر لبقيةً وفيهم كلِّهم خيرٌ ، فقال : ابعث إليهم فأحضِرْهم ، فبعث عدىٌّ إليهم فأحضرَهم وأنزلهم جميعاً عنده ، ويقال : بل شَخَص عدىّ بن زيد إلى الحِيرة حتى خاطبهم بما أراد[(٥)] وأوصاهم ، ثم قَدِم بهم على كسرى . قال : فلما نزلوا على عدىّ بن زيد أرسل إلى النُّعمان : لستُ أُمَلِّكُ غيركَ فلا يُوحشنّكَ ما أُفَضِّلُ به إخوتَكَ عليك من الكرامة ؛ فإنى إنما أغترُّهم بذلك ، ثم كان

(١) الشهبة فى الأصل : بياض يخالطه سواد ، وقيل البياض الذى يغلب على السواد ، وقد يقال على مطلق البياض ، كما قالوا : سنة شهباء أى بيضاء لكثرة الثلج وعدم النبات . وفى القاموس : «والأشاهب بنو المنذر لجمالهم» قال شارحه السيد مرتضى : سموا بذلك لبياض وجوههم .

(٢) فى رس : «أعشى بنى قيس» ، وفى تا : «أعشى قيس بن ثعلبة» .

(٣) الأبرش : الأرقط الأنمر وهو الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أىّ لون كان .

(٤) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان .

(٥) فى ب ، س : «أرادوا» ، والصواب ما أثبتناه .

يُفَضِّلُ إخوتَه جميعاً عليه فى النُّزُلِ والإكرام والملازمة،ويُرِيهم تنقُّصًا للنُّعْمان وأنه غيرُ طامعٍ فى تمام أمر على يده، وجعلَ يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول: إذا أدْخَلتُكم على الملكِ فالبَسُوا أفخرَ ثيابكم وأجملَها، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطئوا فى الأكل وصَغِّرُوا اللُّقَمَ ونَزِّرُوا ما تأكلون، فإذا قال لكم: أتَكْفُونَنى العربَ؟ فقولوا: نعم، فإذا قال لكم: فإن شذَّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد، أتكفُونَنيه؟ فقولوا: لا، إنّ بعضَنا لا يقدر على بعض؛ لِيَهابكم ولا يَطمَع فى تَفرّقكم ويعلَمَ أن للعرب مَنَعَةً وبأساً، فقَبِلوا منه. وخلا بالنعمان فقال له: البَسْ ثيابَ السفر وادخُل مُتقلداً بسيفك،وإذا جلستَ للأكل فعظِّم اللُّقَمَ وأسرع المضغَ والبلعَ وزِدْ فى الأكل وتجوَّعْ قبل ذلك، فإنّ كسرى يُعجبه كثرةُ الأكل من العرب خاصّةً، ويَرَى أنه لا خير فى العربىّ إذا لم يكن أكُولا شَرِهًا، ولا سِيَّما إذا رأى غيرَ طعامه ومالا عَهْدَ له بمثله، وإذا سألك: هل تكفِينِى العربَ؟ فقل: نعم، فإذا قال لك: فَمَنْ لى بإخوتكَ؟ فقل له: إن عجزتُ عنهم فإنى عن غيرهم لأَعْجَزُ. قال: وخلا ابنُ مَرِينَا بالأَسْود فسأله عما أوصاه به عدىّ فأخبره، فقال: غَشَّكَ والصليبِ والمعموديّةِ وما نَصَحك، ولئن أطَعتنى لتُخالفنَّ كلَّ ما أمركَ به ولتُملَّكَنّ، ولئن عصيتَنى ليُملَّكنّ النعمانُ، ولا يغرنَّك ما أراكه من الإكرام والتفضيل على النعمان؛ فإن ذلك دهاء فيه ومكر، وإن هذه المَعَدِّيَّةَ لا تخلو من مكرٍ وحيلةٍ، فقال له: إن عديا لم يألُنِى نصحا وهو أعلم بِكِسْرى منك، وإن خالفتهُ أوحشْتُه وأفسد علىّ،وهو جاء بنا ووصَفَنا،وإلى قوله يرجع كسرى، فلمَّا أَيِسَ ابنُ مَرِينَا من قبوله منه قال: سَتعلمُ. ودعا بهم كسْرى، فلما دخلوا عليه أعجبه جمالُهم وكمالُهم ورأى رجالا قَلَّمَا رأى مثلَهم، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدىّ، فجعل ينظر إلى النعمان مِنْ بينهم ويتأمّلُ أكله، فقال لعدىّ بالفارسية: إن يكن فى أحد منهم خيرٌ ففى هذا، فلما غسلوا أيديَهم جعل يدعو بهم رجلا رجلا فيقولُ له: أتكفِينى العربَ؟ فيقولُ: نعم، أكْفِيكَهَا كلَّها إلا إخوتى، حتى انتهى إلى النعمان آخرهم فقال له:

توعد عدىّ بن مرينا لعدى بن زيد بأن يهجوه ويبغيه الغوائل ما بقى

أتكفينى العربَ ؟ قال : نعم ، قال : كلّها ؟ قال : نعم ، قال : فكيف لى بإخوتك ؟ قال : إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجزُ ، فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألفَ درهم فيه اللؤلؤُ والذهبُ . فلما خرج وقد مُلِّك قال ابن مَرِينَا للأسود : دونَك عُقْبَى خلافِكَ لى ! . ثم إن عديًّا صنع طعاماً فى بِيعةٍ وأرسل إلى ابن مرينا أن ائتِنى بمن أحببتَ فإنّ لى حاجةً ، فأتى فى ناس فتغدَّوْا فى البِيعة ، فقال عدىُّ بنُ زيد لابن مرينا : ياعدىّ ، إنّ أحقّ مَنْ عرفَ الحقّ ثم لم يَلُم عليه مَن كان مثلكَ ، وإنى قد عرفتُ أنّ صاحبَك الأسودَ بنَ المنذر كان أحبَّ إليك أن يُملَّك من صاحبى النعمان ، فلا تلُمْنِى على شىء كنتَ على مثله ، وأنا أُحِبُّ ألّا تَحْقِدَ علىّ شيئاً لو قدَرتَ عليه ركبتَه ، وأنا أُحِبُّ أن تُعطيَنِى من نفسك ما أُعطيكَ من نفسى ، فإنّ نصيبى فى هذا الأمرِ ليس بأوفرَ من نصيبك ، وقام إلى البِيعة فحلف ألّا يَهْجُوَه أبداً ولا يبغْيَه غائلةً ولا يَزْوِىَ عنه خيراً أبداً . فلما فرغ عدىُّ بن زيد قام عدىُّ بن مرينا فحلف مثلَ يمينه ألاّ يزالَ يهجُوه أبداً ويَبغِيه الغوائلَ ما بقى . وخرج النعمانُ حتى نزل منزلَ أبيه بالحِيرة فقال عدىُّ بن مرينا لعدىّ بن زيد :

ألا أَبلغ عـديًّا عن عدىٍّ ... فلا تجزَعْ وإن رَثَّتْ [(١)] قُوَاكَا
هيا كلَنا تَبرُّ لغير فَقْرٍ [(٢)] ... لتُحمَدَ [(٣)] أو يَتِمّ به غِنَاكَا [(٤)]
فإن تظفَرْ فلم تظفَر حميدًا ... وإن تَعطَبْ فلا يَبْعُدْ سِوَاكَا
نَدِمتَ نَدَامةَ الكُسَعِىّ [(٥)] لمّا ... رأتْ عيناكَ ما صنعتْ يداكَا

(١) رثت : ضعفت .
(٢) كذا فى م : « فقر » بالراء المهملة . وفى باقى النسخ : «فقد» بالدال المهملة .
(٣) كذا فى ح وشعراء النصرانية : «لتحمد» بالتاء . وفى باقى النسخ « ليحمد» بالياء .
(٤) كذا فى ح بالغين المعجمة . وفى باقى النسخ : « عناكا » بالعين المهملة .
(٥) الكسعىّ : نسبة إلى كسع : حىّ من قيس عيلان، وقيل هم حى من اليمن رماة. والكسعىّ هذا يضرب به المثل فى الندامة ، وهو رجل رامٍ رمى بعد ما أظلم الليل عيراً فأصابه وظن أنه أخطأه فكسر قوسه ثم ندم من =

تدبير عدىّ بن مرينا المكيدة لعدىّ بن زيد

قال: ثم قال عدىٌّ بن مَرِينا للأَسْود: أما إذا لم تظفَر فلا تعجزَنّ أن تطلبَ بثأرك من هذا المَعَدِّىّ الذى فعل بكَ ما فعل، فقد كنتُ أُخْبِرَكَ(١) أن مَعَدًّا لا ينام كيدُها ومكرها، وأمرتُكَ أن تَعصِيَه فخالفتَنى، قال: فما تريد؟ قال: أريد ألّا تأتيَكَ فائدةٌ من مالك وأرضك إلا عرَضتَها علىّ، ففعلَ. وكان ابنُ مرينا كثيرَ المال والضَّيعة فلم يكن فى الدهر يومٌ يأتى إلا على باب النعمان هديّةٌ من ابن مرينا، فصار من أكرم الناس عليه حتى كان لا يَقْضِى فى ملكه شيئاً إلا بأمر ابن مرينا، وكان إذا ذُكِرَ عدىٌّ ابنُ زيد عند النعمان أحسنَ الثناء عليه وشيَّع(٢) ذلك بأن يقول: إن عدىَّ بنَ زيد فيه مكر وخديعة، والمعَدِّىُّ لا يصلح إلا هكذا. فلما رأى مَنْ يُطيفُ بالنعمان منزلةَ ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه، فجعل يقول لمن يَثق به من أصحابه: إذا رأيتمونى أذكر عديًّا عند الملك بخير فقولوا: إنه كذلكَ، ولكنه لا يَسلَم عليه أحدٌ، وإنه ليقول: إنّ الملكَ — يعنى النعمان — عاملُه، وإنه هو ولّاه ما ولّاه، فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه، فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرَمَان(٣) له، ثم دسّوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتَوْا به النعمانَ فقرأه فاشتدّ غضبُه، فأرسل إلى عدىّ بن زيد: عزمتُ عليك إلاّ زُرْتَنى فإنّى قد اشتقتُ إلى رؤيتك، وعدىٌّ يومئذ عند كسرى، فاستأذن كسرى فأذِنَ له. فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه فى محبسٍ لا يدخل عليه فيه أحدٌ، فجعل عدىٌّ يقول الشعر وهو فى الحبس، فكان أوّلُ ما قاله وهو محبوس من الشعر:

حبس النعمان لعدىّ ابن زيد وما خاطب به عدىّ النعمان من الشعر

= الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه، فصار مثلا لكل نادم على فعل يفعله.

وإياه عنى الفرزدق بقوله:

ندمتُ ندامة الكسعىّ لما غدت منى مطلّقةً نَوارُ

(انظر اللسان مادة كسع).

(١) فى نا: «أخبرتك».

(٢) شيع: أتبع. وفى رس، نا: «ويتبع».

(٣) القهرمان: أمين الملك وخاصته، فارسى معرب، ويطلق فى لغة الفرس على القائم بأمور الرجل كالخازن والوكيل.

ليتَ شِعْرِى عن الهمام ويأتيـــكَ بخُبْرِ الأنباء عطفُ السُّؤَالِ!
أين عنّا إخطارُنا[1] المــالَ والأنفُسَ إذ ناهَدُوا[2] ليوم المِحال![3]
ونِضَالِى فى جنبكَ الناسَ يرمُو ن وأَرْمِى وكُلُّنا غيرُ آلى[4]
فأُصِيبُ الذى تُرِيد بلا غِشٍّ وأُرْبِى عليهمُ وأُوَالِى
ليتَ أَنِّى أخذتُ حَتْفِى بكَفِّى ولم أَلْقَ مِيتَةَ الأَقْتَالِ[5]
مَحَلوا[6] مَحْلَهُم لصَرْعَتِنَا العا مَ فقد أوقعُوا الرحا بالثِّفَالِ[7]

وهى قصيدة طويلة . قالوا : وقال له أيضاً وهو محبوس :

أرِقْتُ لمكفَهِرٍّ بات فيـــه بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُءوسَ شِيبِ
تَلُوح المَشْرَفِيَّةُ فى ذُرَاه ويجلو صفحَ دَخْدَارٍ قَشِيبِ

ويروى: تخالُ المشرفيّةُ . الدخدار : فارسية معرّبة وهو الثوب المصون . يقول فيها :

سعى الأعداء لا يألون شرًّا علىّ[8] وربِّ مكةَ والصليبِ
أرادوا كى تُمَهَّلَ عن عدىٍّ[9] ليُسجَنَ أو يُدَهْدَه[10] فى القَلِيبِ

(١) إخطار المال والنفس : بذلها وجعلهما خطرا . قال صاحب اللسان : والخطر : الذى يجعل نفسه خطرا لقرن فيبارزه ويقاتله ، وساق فى الاستشهاد على هذا المعنى بيت عدىّ هذا «أين عنا إخطارنا» البيت .

(٢) المناهدة فى الحرب : المناهضة . وفى المحكم: المناهدة فى الحرب : أن ينهد بعض إلى بعض وهو فى معنى النهوض إلا أن النهوض قيام عن قعود ، والنهود : نهوض على كل حال . (انظر المخصص لابن سيده فى ج ٦ واللسان مادة نهد) .

(٣) المحال : الكيد أو المكر .

(٤) أى غير مقصر .

(٥) الأقتال : جمع قتل (بالكسر) وهو العدوّ .

(٦) يقال : محل فلان بصاحبه (مثلثة الحاء) إذا سعى به إلى السلطان .

(٧) الثفال بالكسر : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب ، وقد يطلق الثفال على الحجر الأسفل من الرحا .

(٨) كذا فى م ، ا وهو المناسب للمعنى . وفى ب ، س ، ﺣ ، مع: «عليك».

(٩) فى مع ، رس ، نا: «عن كبير» . (١٠) دهده الشىء : حدره من علوّ إلى سفل تدحرجا .

وكنتُ لِزازَ(١) خَصمِكَ لم أُعَرِّدْ(٢) … وقد سَلَكوكَ(٣) فى يومٍ عصيبِ
أُعَانِهُمْ وأُبطِنُ كلَّ سِرٍّ … كما بينَ اللِّحاء(٤) إلى العَسِيبِ
فَفُزْتُ عليهمُ لمّا التقَينا … بتاجِكَ فوزَةَ القِدْحِ الأَرِيبِ(٥)
وما دَهْرِى(٦) بأن كُدِّرتُ فضلاً … ولكن ما لقيتُ من العَجيبِ
ألا مَنْ مُبلِغُ النعمانِ عنّى … وقد تُهدَى(٧) النَّصيحةُ بالمَغيبِ
أحَظِّى كان سِلْسِلَةً وقَيْدًا … وغُلاًّ والبيانُ لدَى الطبيبِ!
أتاكَ بأنّنى قد طالَ حبسِى … ولم تَسْأَم بمسجونٍ حَرِيبِ(٨)
وبَيْتِى مُقْفِرٌ إلا نساءٌ(٩) … أراملَ قد هَلَكْنَ من النَّحيبِ
يُبادِرْنَ الدموعَ على عَدِىٍّ … كَشَنٍّ(١٠) خانَه خَرْزُ الرَّبيبِ

---

(١) أى لا أدع خصمك يخالف ويعاند ، يقال : فلان لزاز لفلان أى لا يدعه يخالفه ويعانده .

(٢) الذى فى جميع الأصول وشعراء النصرانية : «لم أعدّد» بالدال المهملة وهو تحريف ، وما أثبتناه هو الوارد فى لسان العرب فى مادة «سلك» . والتعريد : الإحجام والنكول يقال : عرّد الرجل عن قرنه إذا أحجم ونكل وفرّ .

(٣) سلكوك أى أدخلوك ، وفى التزيل : ﴿ كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين ﴾ أى أدخلناه .

(٤) اللحاء : ما على العود من القشر . والعسيب : جريد النخل إذا نحى عنه خوصه . ولعل المراد أن الشرّ يبقى عنده مكتوما مستورا كما أن ما بين العصا ولحائها يكون مستورا عن أعين الناظرين .

(٥) لم نجد للأريب معنى يناسب القدح ، ومن أسماء القداح «الرقيب» وبعضهم يسميه «الضريب» ، وكلاهما متفق مع هذه القافية ولم نجزم بالتحريف ؛ وقد وجدنا آرب على القوم : فاز عليهم وفلج . وأرب عليه : قوى ، وأرب الدهر يأرب إذا اشتدّ . فلعل وصف القدح بالأريب يرجع إلى معنى الفوز .

(٦) يقال : ما دهرى بكذا أى ما إرادتى وغايتى كذا . قال متمم بن نويرة :

لعمرى وما دهرى بتأبين هالكٍ … ولا جزَعاً مما أصاب فأوجعا

(٧) كذا فى م ، ا . وفى ب ، س ، حـ : «تهوى» بالواو ، وهو تحريف .

(٨) الحريب : الذى سُلب ماله وعقاره .

(٩) كذا فى جميع النسخ . وورد هذا الشطر فى شعراء النصرانية هكذا : «وبيتى مقفرا لأرجاء فيه» .

(١٠) الشن : الخلق من كل آنية صنعت من جلد . والربيب : من ربّ الأمر إذا أصلحه ، ومنه الربيبة الحاضنة لأنها تصلح الصبىّ وتقوم به .

يُحاذِرْنَ الوُشاةَ على عدِىٍّ ... وما اقترفوا عليه من الذُّنوبِ
فإن أخطأْتُ أو أوهمْتُ أمرا ... فقد يَهِمُ المصافِى بالحبيبِ
وإن أَظْلِمْ فقد عاقبتمُونى ... وإن أُظْلَمْ فذلكَ من نصيبى
وإن أهلِكْ تجِدْ فَقْدِى وتُخذَلْ ... إذا التقتِ العَوالِى فى الحروبِ
فهل لكَ أن تَدَارَكَ ما لدينا ... ولا تُغْلَبْ على الرأىِ المصيبِ
فإنى قد وكَلْتُ اليومَ أمرى ... إلى ربٍّ قريبٍ[1] مستجيبِ

قالوا : وقال فيه أيضاً :

طال ذا الليلُ علينا واعتكَرْ ... وكأنى ناذرُ الصبحِ سَمَرْ
مِنْ نَجِىِّ الهمِّ عندى ثاوياً ... فوقَ ما أُعْلِنُ منه وأُسِرّْ
وكأن اللّيلَ فيه مثلُهُ ... ولَقِدْماً ظُنَّ بالليلِ القِصَرْ
لم أُغَمِّضْ طولَه حتى انقضى ... أتمنّى لو أرَى الصُّبحَ جَشَرْ[2]
غير مَا عِشْقٍ ولكن طارقٌ ... خلَسَ النومَ وأجدانى[3] السَّهَرْ

وفيها يقول :

أبلِغِ النُّعمانَ عَنِّى مَأْلُكاً[4] ... قولَ مَنْ قد خافَ ظَنّاً فاعتذَرْ

(١) فى م ، ا : «سميع مستجيب» .
(٢) كذا فى ﺣ . وجشر : طلع ، يقال : جشر الصبح يجشر جشورا ، أى طلع وانفلق . وفى أغلب النسخ : «حسر» بالسين المهملة . وفى نا : «سفر» .
(٣) أجدانى : أعطانى .
(٤) المألك بفتح اللام وضمها : الرسالة لأنها تؤلك فى الفم (تلاك) ، قال ابن برىّ : وقد يقال مألُكَة ، وروى عن محمد بن يزيد أنه قال : مألك جمع مألكة . (انظر اللسان مادة ألك) . وقال البغدادى فى خزانة الأدب ص ٥٩٧ ج ٣ : والمألك بسكون الهمزة وضم اللام : الرسالة ، وقال الزجّاج : مألك جمع مألكة .

أنَّنِى واللهِ ، فاقبَلْ حَلِفِى لأبيلٌ(١) كُلَّمَا صَلَّى جَأَرْ
مُرْعَدٌ أحشاؤُه فى هَيكَلٍ حَسَن لِمَّتُه وافِى الشَّعَرْ ،
ما حَمَلْتُ الغِلَّ مِنْ أعدائِكم ولَدَى اللهِ مِنَ العِلْمِ المُسَرّْ
لا تكونَنَّ كآسِى(٢) عَظْمِه بأَسًا حتى إذا العَظْمُ جَبَرْ
عادَ بعدَ الجَبْرِ يَبْغِى(٣) وَهْنَهُ يَنْحُوَنَّ المَشْىَ مِنه فانكَسَرْ
واذْكُرِ النُّعمَى التى لم أنسَها لكَ فى السَّعى إذا العبدُ كَفَرْ

وقال له أيضاً — وهى قصيدة طويلة — :

٢٦/٢ أبلِغِ النُّعمانَ عَنِّى مَأْلُكًا أنه(٤) قد طال حَبسِى وانتِظارِى
لو بغيرِ الماءِ حَلْقِى شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعتِصَارِى(٥)
ليتَ شِعرى عن دخيلٍ يفترِى حيثما أدركَ لَيلِى ونَهارِى

(١) كذا فى ب ، س ، دوشعراء النصرانية . وفى سائر النسخ : «بأبيل» ، والأبيل : الراهب . ولعله يريد على الرواية الأولى أنه يحلف بالله كما يحلف الراهب إنه ما حمل الغلّ إلخ ، وعلى الرواية الثانية يريد استحلافه بالله أن يقبل حلفه بأبيل موصوف بهذه الصفات إنه ما حمل الغلّ الخ . وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت بالرواية الثانية هكذا :

إننى والله فاسمع حلفى بأبيل كلما صلى جأر

ثم قال : «كانوا يعظمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله» .

(٢) الآسى : المداوى . والأسا : العلاج والمداواة .

(٣) كذا فى حـ ، ا ، م . وفى ب ، س وشعراء النصرانية : «ينعى» بالنون والعين ولم يظهر له معنى مناسب .

(٤) كذا فى م ، ا وشواهد التلخيص . وفى ب ، س ، حـ ، مع ، رس . «أننى» .

(٥) قال الجوهرى : الاعتصار : أن يَغَصّ الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا ليسيغه ، وأنشد هذا البيت . قال البغدادى فى الخزانة ج ٣ ص ٥٩٦ : وتحقيقه أن الاعتصار الالتجاء ، كما قاله أبو القاسم علىّ بن حمزة البصرى فيما كتبه على النبات لأبى حنيفة الدينورى . وساق البغدادى كلام أبى القاسم هذا بنصه ، ثم قال : وقد صار البيت مثلا للتأذى ممن يرجى إحسانه . وقد أورد الميدانى فى مجمع الأمثال المثل : «لو بغير الماء غصصت» ، وقال : إنه يضرب لمن يوثق به ثم يؤتى الواثق من قِبَله ، واستشهد بهذا البيت .

قاعداً يكرُبُ[1] نفسى بثُّها وحراماً كان سِجْنى واحتِصارِى[2]
أَجْلَ[3] نُعمَى ربَّها[4] أوّلُكمْ ودُنُوِّى كان منكم واصْطِهارِى[5]

فى قصائدَ كثيرةٍ كان يقولها فيه ويكتب بها إليه فلا تُغْنِى عنده شيئاً . (هذه[6] رواية الكلبىّ) . وأما المفضَّل الضَّبِّىّ فإنه ذكر أن عدىّ بن زيد لما قدم على النعمان صادفه لا مالَ عنده ولا أثاثَ ولا ما يَصْلُحُ لمَلِكٍ ، وكان آدمَ إخوته مَنْظَرًا ، وكلُّهم أكثر مالاً منه ، فقال له عدىّ : كيف أصنعُ بكَ ولا مال عندك ! فقال له النعمان : ما أعرف لك حيلةً إلا ما تعرفه أنت ، فقال له : قم بنا نَمْضِ إلى ابن قرْدس[7] — رجلٍ من أهل الحِيرة من دُومةَ — فأتياه ليقترضا منه مالاً ، فأبى أن يُقرِضَهما وقال : ما عندى شىء ، فأتيا جابرَ بن شَمْعُون وهو الأُسقُفّ أحد بنى الأَوْسِ بن قلّام بن بطين ابن جمهير[8] بن لَحْيان من بنى الحارث بن كَعْب فاستقرضا منه مالا ، فأنزلهما عنده ثلاثة

رواية المفضل الضبىّ فى سبب حبس النعمان عدىّ ابن زيد

(١) يكرب نفسى بثها : يشتدّ عليها حزنها .

(٢) كذا فى أغلب النسخ وشعراء النصرانية طبع بيروت ص ٤٥٤ ومعاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص طبع بولاق ص ١٤٣ ، والظاهر من سياق الشعر أن المراد الحصر بمعنى الحبس . ولم نجد فى كتب اللغة هذه الصيغة بهذا المعنى سوى ما فى قولهم : احتصر البعيرَ أى شدّه بالحصار وهو كساء يجعل حول سنامه ، أو مركب يركب به الراضة ، أو وسادة تلقى عليه ويرفع مؤخرها فتجعل كآخرة الرحل ويحشى مقدّمها فتكون كقادمة الرحل . وفى حـ ، مع : «واحتقارى» بالقاف . ويحتمل أن تكون كلتا النسختين محرفتين عن : «واحتضارى» بمعنى موتى .

(٣) أجل (بفتح الهمزة وكسرها) : كلمة تستعمل للتعليل ، وفى حديث المناجاة : «أجل أن يحزنه» أى من أجله ولأجله . وفى حديث آخر : «أن تقتل ولدك أجل أن يأكل معك» .

(٤) ربّها : ربّاها ونمّاها وتعهدها .

(٥) كذا فى جميع النسخ ، والظاهر أن الشاعر يريد المصاهرة ، وسيأتى هذا البيت بهذا النص بعدُ فى صفحة ١٣١ عقب رواية الأغانى أن عدى بن زيد كان زوج هند أخت النعمان أو بنته ، وأن عديا ذكر صهره هذا فى قصائده . ولكننا لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا لاصطهر معنى سوى ما جاء فى قولهم : اصطهره أى أذابه وأكله . ولو قال : «وصهارى» لصح المعنى واتزن البيت أيضا . وفى مع : «واصطبارى» .

(٦) هذه الجملة وقعت فى ب ، س عقب الأبيات مباشرة وقبل قوله : «فى قصائد كثيرة» .

(٧) كذا وقع هذا الاسم فى ب ، س ، حـ بالقاف . وجاء فى ا ، م ، مع ، خد ، رس : «فردس» بالفاء . ولم نهتد إلى تصحيحه .

(٨) كذا فى ب ، س . وفى حـ ، ا ، م ، نا ، خد : «جميهير» بصيغة التصغير .

أيام يذبح لهم ويَسقيهمُ الخمرَ ، فلما كان فى اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان ؟ فقال له عدىّ : تُقرِضُنا أربعينَ ألف درهم[١] يستعينُ بها النعمان على أمره عند كسرى، فقال : لكما عندى ثمانون ألفاً ، ثم أعطاهما إياها ، فقال النعمانُ لجابر : لا جَرَم[٢] لا جَرى لى درهمٌ إلّا على يديك إن أنا ملكت . قال : وجابر هو صاحبُ القصرِ الأبيض بالحِيرَة . ثم ذكر من قصة النعمانِ وإخوته وعدىّ وابنِ مَرِينا مثلَ ما ذكره ابن الكلبىّ .

وقال المفضَّل خاصّةً : إن سببَ حبسِ النعمان عدىَّ بنَ زيد ، أنّ عديًّا صنعَ ذاتَ يوم طعاما للنعمان ، وسأله أن يركبَ إليه ويتغدّى عنده هو وأصحابُه ، فركب النعمانُ إليه ، فاعترضه عدىٌّ بن مَرِينا فاحتبسه حتى تغدَّى عنده هو وأصحابُه ، وشربوا حتى ثَمِلُوا ، ثم ركب إلى عدىّ ولا فَضْلَ فيه ، فأحفظه[٣] ذلك ، ورأى فى وجه عدىّ الكراهةَ ، فقام فركب ورجع إلى منزله ، فقال عدىّ بن زيد فى ذلك من فعل النعمان :

أَحَسِبْتَ مجلِسَنا وحُسْـــنَ حديثِنا يُودِى بمالِكْ
فالمـــالُ والأهلون مَصْــرَعَةٌ لأمرِكَ أو نَكالِكْ
ما تأمُرَنْ[٤] فينا فأمـــرُكَ فى يمينِكَ أو شِمالِكْ

قال: وأرسل النعمانُ ذات يوم إلى عدىّ بن زيد فأبى أن يأتيه ، ثم أعاد رسولَه فأبى أن يأتيَه ، وقد كان النعمان شَرِب فغضبَ وأمر به فسُحِبَ من منزله حتى انتُهِىَ به إليه ، فحبسه فى الصِّنَّيْنِ[٥] ولجّ فى حَبسه . وعدىّ يرسل إليه بالشعر ، فمما قاله له :

لیسَ شَىءٌ على المنونِ بباقِ غيرُ وجه المسبِّح الخلّاقِ

(١) فى خد : « دينار » .
(٢) تستعمل هذه الكلمة فى الأصل بمعنى لا بد ولا محالة ، وكثر استعمالها فى هذا المعنى حتى تحولت إلى معنى القسم . قال صاحب اللسان فى مادة جرم : والعرب تقول : لاجرم لآتينك ، ولا جرم لقد أحسنت ، فتراها بمنزلة اليمين .
(٣) أحفظه : أغضبه .
(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ ؛ مع ؛ نا : « ما تأمر فينا » .
(٥) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع .

إن نَكُنْ آمنينَ فاجأنا شَرٌّ مُصيبٌ ذَا الوُدِّ والإشفاقِ

فبرى صدرِى من الظلم للـرَّبِّ وحِنثٍ بِمُعْقَدِ[1] الميثاقِ

ولقد ساءنى زيارةُ ذى قُرْ بَى حبيبٍ لوُدِّنا مُشتاقِ ٢٧/٢

ساءه ما بنا تبيَّنَ فى الأيـدى[2] وإشناقُها[3] إلى الأعناقِ

فاذهبى يا أُمَيمَ[4] غيرَ بعيدٍ لايؤاتِى العِناقُ مَنْ فى الوَثاقِ[5]

واذهَبى يا أُمَيمَ إن يشأ اللَّـهُ يُنفِّسْ مِن أَزْمِ[6] هذا الخِناقِ

أو تَكنْ وُجهَةٌ فتلكَ سبيلُ النـاس لاتَمنعُ الحتوفَ الرَّواقِى[7]

ويقول فيها:

وتقول العُداةُ أَودَى عدىٌّ وبنوه قد أيقنوا بغَلَاقِ[8]

---

(١) كذا فى شعراء النصرانية. وعقد الميثاق وعقّده، بالتشديد: أكّده. ولم نجد فى كتب اللغة أعقد الميثاق بالهمز. وليس هو من باب القاصر الذى يتعدى بالهمزة حتى يقال إن التعدية فيه قياسية؛ ولعله «بمَعْقِدِ الميثاق» على أنه مصدر ميمى يراد به عَقْدَه.

(٢) كذا فى جميع الأصول ولسان العرب مادة شنق. وفى اللسان مادة يدى:

ساءها ما تأملت فى أيادينا وإشناقهـا إلى الأعناق

(٣) الإشناق: أن تغلّ اليد إلى العنق.

(٤) فى مع، رس، نا: «أمىّ».

(٥) سيأتى هذا البيت فى قصيدة منسوبة لمهلهل بن ربيعة هكذا:

فاذهبى ما إليـك غير بعيد لا يؤاتى العناق من فى الوثاق

انظر ص ١٥٤ ج ٥ من الأغانى طبع دار الكتب.

(٦) الأزم: الشدة.

(٧) الرواقى: جمع راقية وصفا لامرأة أو وصفا لرجل والهاء للمبالغة، وهو من رقى يرقى رقية إذا عوّذ ونفث فى عوذته.

(٨) كذا فى ح بالغين المعجمة وهو اسم من إغلاق القاتل وهو إسلامه إلى ولىّ المقتول فيحكم فى دمه ما شاء. وقد أورد صاحب اللسان فى مادة غلق هذا المعنى واستشهد عليه بالبيت. وفى سائر النسخ وشعراء النصرانية: «بعلاق» بالعين المهملة؛ وليس له معنى إلا أن يكون اسم مصدر لأعلق، أى أورد عليه العلوق وهى الداهية، ومنه حديث البخارى: «علام تدغرنّ أولادكن بهذا العلاق»، فقد حمل العلاق هنا على أنه اسم مصدر لأعلق أى أورد عليه العلوق. انظر اللسان وتاج العروس ونهاية ابن الأثير مادة علق وشرح القسطلانى للبخارى ج ٨ ص ٤٤٨ طبع بولاق.

يا أبا مُسْهِرٍ فأبلِغْ رســـولا ... إخوتى إن أتيتَ صَحْنَ العِرَاقِ

أبلِغَا[١] عامراً وأبلِـغْ أخاه ... أنّنى مُوثقٌ شديدٌ وَثاقِى[٢]

فى حديد القِسْطاس[٣] يرقُبنى الحا ... رسُ والمرء كلَّ شىء يُلاقِى

فى حديدٍ مُضَاعَف وغُلُولٍ ... وثيابٍ مُنَضَّحَاتٍ[٤] خِلَاقِ

فاركبُوا فى الحرام فُـكُّوا أخا كم ... إنّ عِيرًا[٥] قد جُهِّزَتْ لانطِلاقِ

يعنى الشهرَ الحرام . قالوا جميعاً : وخرج النعمانُ إلى البحرين ، فأقبل رجل من غَسَّانَ فأصاب فى الحِيرة ما أحَب ، ويقال : إنه جَفْنة[٦] بن النُّعْمان الجَفْنِىّ ، فقال عدىّ ابنُ زيد فى ذلك :

سما صَقْرٌ[٧] فَأَشْعَلَ جانِبَيْهَا ... وألهاك المروَّحُ والعَزِيبُ

— المروَّح : الإبل المروَّحة إلى أعطانها . والعَزِيبُ : ما تُرِكَ فى مراعيه — .

(١) كذا فى أغلب النسخ ، وأصله أبلغن بنون التوكيد الخفيفة فأبدلت ألفا كقوله : * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * على أحد الوجوه فيه . وفى ح : «أبلغن» .

(٢) فى ح ، مع ، رس : «شديد الوثاق» بالتعريف .

(٣) القسطاس : أعدل الموازين وأقومها ، وقيل هو القبّان . وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت ونقل عن الليث أنه قال مفسرا لقوله : «فى حديد القسطاس» : أراه حديد القبّان .

(٤) كذا فى جميع الأصول وشعراء النصرانية ولم نر لها معنى واضحا . ولعلها «منصحات» بالصاد المهملة؛ من نصح الثوب إذا خاطه ، وإن كنا لم نجد فى المصادر التى بين أيدينا «نصح» بالتشديد . ولعل الفعل ضعف للدلالة على كثرة ما بالثياب من ترقيع لبلاها وقدمها . وفى مع : «مُفَضَّحات» .

(٥) العير : القافلة ، وقيل العير : الإبل التى تحمل الميرة .

(٦) كذا فى ح ، م وتاريخ ابن جرير الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٩ . وفى باقى الأصول : «جعبة» بالباء والعين .

(٧) فى مع : «سَقَر» ، ولعل الصواب صفر بالصاد والفاء الموحدة ، والمراد الشهر المعروف .

وبِتْنَ[(١)] لدى الثَّوِيَّة[(٢)] مُلْجَمَاتٍ وصبَّحنَ العِبَادَ[(٣)] وهنَّ شِيبُ

ألا تلكَ الغَنِيمةُ لا إفَالٌ[(٤)] تُرَجِّيها مُسَوَّمَةٌ ونِيبُ[(٥)]

تُرَجِّيها وقد صابَتْ بِقُرٍّ[(٦)] كما تَرجُو أصاغِرَها عَتِيبُ[(٧)]

لما طال سجنه كتب إلى أخيه فى ذلك شعرا فأجابه

وقالوا جميعاً : فلما طال سجنُ عدىّ بن زيد كتب إلى أخيه أُبَىّ وهو مع كسرى بهذا الشعر :

أَبلِغْ أُبَيًّا على نأيِهِ وهل ينفعُ المرءَ ما قد عَلِمْ

بأنَّ أخاكَ شقيقَ الفُؤَا دِ كنتَ به واثقًا[(٨)] ما سَلِمْ

لَدَى مَلِكٍ مُوثَقٌ فى الحديــدِ إمّا بحقٍّ وإمّا ظُلِمْ

(١) فى طبعة دار الكتب ، خد : «وثَبْنَ» .

(٢) الثوية بالفتح ثم الكسر وياء مشددة ، ويقال : الثوية بالتصغير : موضع قريب من الكوفة أو بالكوفة ، وقيل : خريبة إلى جانب الحيرة على ساعة منها . ذكر العلماء أنها كانت سجنا للنعمان بن المنذر كان يحبس بها من أراد قتله ، وكان يقال لمن حبس بها : ثوى ؛ أى أقام ؛ فسميت الثوية بذلك . انظر معجم ياقوت فى اسم «الثوية» . وفى ب ، س : « المثوبة » بالباء وهو تحريف .

(٣) العباد — بكسر العين وقيل بفتحها — : قوم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية ونزلوا بالحيرة .

(٤) الإفال : صغار الإبل ، بنات المخاض ونحوها . وقال ابن سيده : والأفيل : ابن المخاض فما فوقه . والأفيل : الفصيل والجمع إفال .

(٥) النيب : جمع ناب ، وقيل : جمع نَيُوب ، والناب والنيوب : الناقة المسنة ، سموها بذلك حين طال نابها وعظم .

(٦) كذا فى جميع الأصول . وصابت من الصوب وهو النزول . والقرّ : القرار أى نزل الأمر فى قراره فلا يستطاع له تحويل . وفى اللسان مادة قرر وعتب : * ترجيها وقد وقعت بقرّ * . والعرب يقولون : «صابت بقرّ» و «وقعت بقرّ» وهو مثل يضرب عند شدة تصيب القوم ، أى صارت الشدة فى قرارها .

(٧) قال ياقوت فى المعجم فى الكلام على «عتيب» بعد أن ضبطه بفتح أوله وكسر ثانيه : جفرة عتيب بالبصرة : إحدى محالها تنسب إلى عتيب بن عمرو من بنى قاسط بن هِنْب ، وكان قد أغار عليهم بعض الملوك فقتل جميع رجالهم ، فكانت النساء تقول : إذا كبر صبياننا أخذوا بثأر رجالنا ، فلم يكن ذلك ؛ فقال عدى ابن زيد هذا البيت .

(٨) فى ا ، م : «والهاً» .

فلا أَعْرِفَنْكَ كذات[1] الغـــلا   م ما لم تجدْ عارِماً[2] تعْـتَرِمْ[3]
فأرضَكَ أرضَكَ إن تأتِنَا   تَنَمْ نومةً[4] ليس فيها حُلُمْ

قال : فكتب إليه أخوه أبىّ :

إن يكن خانك الزمانُ فلا عا   جزُ باعٍ[5] ولا ألفُّ[6] ضعيفُ
ويمينِ الإله لو أنّ جَأْوَا   ءَ[7] طَحُونًا تُضِىءُ فيها السيوفُ
ذاتَ رِزٍّ[8] مجتابةً غمرةَ المو   تِ صَحيحٌ سِرْبالُها مكفوفُ[9]
كنتَ فى حَمْيِها لجئتُكَ أسعى   فاعلمنْ لو سمعتُ إذ تستضيف[10]
أو بمالٍ سألتَ[11] دونكَ لم يُمـــنَعْ تِلادٌ لحاجةٍ أو طَرِيفُ

---

(١) الذى فى جميع الأصول : «كدأب»،والصواب ما أثبتناه وهى رواية الأزهرى فى مادة عرم فى لسان العرب . وقال صاحب اللسان : أراد بذات الغلام الأم المرضع. ورواية صاحب اللسان: «فلا تُلْفَيَنّ كأم الغلام » .

(٢) عارما : راضعا يقال : عرِم الصبىُّ أمه عرما : رضعها .

(٣) تعترم يقال: اعترم الصبىُّ ثدى أمه أى مصّه ، واعترمت هى أى تبغّت من يعرمها ، وقد أورد صاحب اللسان البيت وقال فى معناه : إن لم تجد من ترضعه درّت هى فحلبت ثديها وربما رضعته ثم مجته من فيها . وقال ابن الأعرابى : إنما يقال هذا للمتكلف ما ليس من شأنه . وقال الأزهرى : معناه لا تكن كمن يهجو نفسه إذا لم يجد من يهجوه . انظر اللسان مادة «عرم» .

(٤) كذا فى حـ ، م ، ا وتاريخ ابن جرير الطبرى قسم ١ ص ١٠٢١ . وفى ب ، س ،خد وشعراء النصرانية : «نم ليلة» .

(٥) فى جميع الأصول : «باغ » بالغين المعجمة وهو تحريف .

(٦) كذا فى حـ ، م ، ا وتاريخ ابن جرير الطبرى قسم ١ ص ١٠٢١ ؛ والألفّ : الثقيل البطىء ، ويقال : البطىء الكلام إذا تكلم ملأ لسانه فمه . وفى ب ، س : «أليف» وهو تحريف .

(٧) الجأواء : وصف للكتيبة ، يقال: كتيبة جأواء أى بيّنة الجأى وهى التى يعلو لونها السواد لكثرة الدروع . وفى ب ، س : «لو أنهم جاءوا» وهو تحريف . والطحون : الكتيبة العظيمة تطحن مالقيت .

(٨) الرز : الصوت يسمع من بعيد .

(٩) كذا فى م ، ا وتاريخ ابن جرير الطبرى وشعراء النصرانية . والسربال : القميص . والمكفوف من كففت الثوب إذا خطت حاشيته . وفى ب ، س: «ملفوف» وهو تحريف .

(١٠) تستضيف : تستجير .

(١١) كذا فى ب ، س . وفى بقية النسخ وتاريخ الطبرى وشعراء النصرانية : « سُئلت» بالبناء للمجهول.

أو بأرضٍ أسطيعُ آتيكَ فيها لم يَهُلْنِي بُعْدٌ بها(١) أو مَخوفُ

٢٨/٢

إن تَفُتْنِي واللهِ إلْفًا فَجُوعًا لا يُعَقِّبْكَ ما يَصوبُ الخريفُ(٢)

فى الأعادى وأنتَ منّى بعيدٌ عزَّ(٣) هذا الزمانُ والتعنيفُ

ولعَمْرِى لئن جزِعتُ عليه لجزوعٌ على الصديق أَسُوفُ

ولعَمْرِى لئن ملكتُ عَزائى لقليلٌ شَرْوَاكَ(٤) فيما أطُوفُ

أمر كسرى النعمان بإطلاق عدىّ فقتله قبل وصول الرسول إليه

قالوا جميعاً : فلما قرأ أُبَىّ كتاب عدىّ قام إلى كسرى فكلمه فى أمره وعرّفه خبرَه ؛ فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه ، وبعث معه رجلا ، وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كُتِب إليك فى أمره ، فأتى النعمانَ أعداءُ عدىّ من بنى بُقَيْلَةَ(٥) وهم من غسّانَ ، فقالوا له : اقتُله الساعةَ فأبى عليهم ، وجاء الرسولُ ، وقد كان أخو عدىّ تقدّم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعدىّ فيدخلَ إليه وهو محبوس بالصِّنَّيْنِ ، فقال له : ادخل عليه فانظر ما يأمرك به فامتثِلْه . فدخل الرسولُ على عدىٍّ ، فقال له : إنى قد جئتُ بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندى الذى تُحبُّ ووعدَه بعِدَةٍ سنيّة ، وقال له : لا تَخرُجَنَّ من عندى وأعطنى الكتابَ حتى أرسلَه إليه ، فإنك والله إن خرجتَ من عندى لأُقتلَنَّ ، فقال : لا أستطيعُ إلا أن آتىَ الملك بالكتاب فأوصِّلَه إليه ، فانطلق بعضُ مَنْ كان هناكَ من أعدائه فأخبرَ النعمانَ أن رسولَ كسرى دخل على عدىّ وهو ذاهبٌ به ، وإن فعلَ

(١) كذا فى أغلب النسخ وشعراء النصرانية . وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٢ : «بعيدها أو مخوف» .

(٢) كذا فى تاريخ الطبرى . وفى ب ، س وشعراء النصرانية :

إن يعدّ والله إلف فجوع لا يعنيك ما يصوب الخريف

وقد اضطربت بقية الأصول فى بعض كلمات من هذا البيت ، وأقوم هذه الروايات ما أثبتناه فى الأصل .

(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى م ، ا ، : «غرّ» .

(٤) شرواك : مثلُكَ .

(٥) كذا فى حـ وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٣ ؛ وبقيلة : بطن من الحيرة . وفى باقى النسخ : «نفيلة» بالنون والفاء وهو تحريف .

والله لم يَسْتبقِ منّا أحداً أنتَ ولا غيركَ ، فبعث إليه النعمانُ أعداءه فغمّوه[1] حتى مات ثم دفنوه . ودخل الرسولُ إلى النعمان فأوصل الـكتابَ إليه ؛ فقال : نعَمْ وكرامةً ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجاريةٍ حسناء ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخل أنتَ بنفسكَ فأخرِجْه . فلما أصبح ركبَ فدخلَ السجنَ ، فأعلَمَه الحرسُ أنه قد مات منذ أيامٍ ولم نجترئْ على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان ، وقال له : إنى كنت أمسِ دخلتُ على عدىّ وهو حىّ ، وجئتُ اليوم فجَحَدنى[2] السَّجّانُ وبهتَنى[3] ، وذكر أنه قد مات منذُ أيامٍ . فقال له النعمان : أيبعثُ بكَ الملكُ إلىّ فتدخلَ إليه قبلى ! كذبتَ ، ولـكنكَ أردتَ الرشوةَ والخبثَ ، فتهدّده ثم زاده جائزةً وأكرمه ، وتوثّقَ منه ألاّ يخبر كسرى، إلا أنه قد مات قبل أن يقدَمَ عليه .فرجع الرسولُ إلى كسرى ، وقال : إنى وجدتُ عديّاً قد مات قبل أن أدخل عليه . ونَدِم النعمان على قتل عدىّ وعرف أنه احتيل عليه فى أمره ، واجترأ أعداؤه عليه وهابَهم هيبةً شديدةً . ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فلقى ابنا لعدىّ يقال له زيد ، فلما رآه عرف شبهَه ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عدىّ بن زيد ، فـكلّمه فإذا غلام ظريفٌ ، ففرح به فرحاً شديداً وقرّبه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهّزه[4] ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ عديّاً كان ممن أُعِينَ به الملكُ فى نُصحِه ولُبّه ، فأصابه ما لا بدّ منه وانقطعت مُدَّتُه وانقضى أجله ، ولم يُصَبْ به أحدٌ أشدّ من مصيبتى ، وأما الملكُ فلم يكن ليَفقِدَ رجلا إلا جعل الله له منه خَلَفاً لِما عظَّمَ اللهُ من ملـكه وشأنه ، وقد بلغ ابنٌ له ليس بدونه ، رأيته يصلُحُ لخدمة الملِكِ فسرّحته إليه ، فإن رأى الملِكُ أن يجعله مكانَ أبيه فليفعَلْ وليصرِفْ عمَّه عن ذلك إلى عملٍ آخر . وكان هو الذى يلى

مدح النعمان لدى كسرى زيد بن عدىّ فاتخذه كاتبا

(١) يريد أنهم غطوا وجهه بشىء حتى اختنق .

(٢) كذا فى م ، ا ، حـ . وفى بقية النسخ : «فحجزنى» .

(٣) بهت الرجل : قابله بكذب .

(٤) جهزه : أعدّ له معدات السفر .

٢٩/٢ المكاتبةَ عن الملك إلى ملوك العرب فى أمورها وفى خواصّ أمور الملِك ، وكانت له من العرب وظيفةٌ موظَّفةٌ فى كل سنة : مُهْرانِ أشقرانِ يُجعلانِ له هُلَاماً(١) ، والكَمْأَةُ الرَّطْبةُ فى حينها واليابسةُ والأَقِطُ والأُدْمُ وسائرُ تجارات العرب ، فكان زيدُ بن عدىّ يلى ذلك له ، وكان هذا عملَ عدىّ . فلما وقع زيد بن عدىّ عند الملك هذا الموقعَ سأله كسرى عن النعمان ، فأحسنَ الثناءَ عليه ، ومكث على ذلك سنواتٍ على الأمر الذى كان أبوه عليه . وأُعجِبَ به كسرى ، فكان يكثر الدخول عليه والخدمةَ له . وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، فكانوا يبعثون فى تلك الأَرَضِينَ بتلك الصفة ، فإذا وُجِدَتْ حُمِلَتْ إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونَها فى أرض العرب ولا يظنونها عندهم . ثم إنه بدا للملك فى طلب تلك الصفة ، وأمر فكُتِب بها إلى النواحى ، ودخل إليه زيد بن عدىّ وهو فى ذلك القول ، فخاطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إنى رأيت الملك قد كتب فى نسوة يُطلَبنَ له وقرأتُ الصفةَ ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمانِ من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة ، قال : فا كتب فيهنّ ، قال : أيها الملك ، إنّ شرّ شىء فى العرب وفى النعمان خاصّةً أنهم يتكرّمون ــ زعموا فى أنفسهم ــ عن العجم ، فأنا أكره أن يُغَيِّبهنّ عمن تبعث إليه أو يَعرِضَ عليه غيرَهنّ ، وإن قدمتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك ، فابعثنى وابعثْ معى رجلا من ثِقاتك يفهم العربيةَ حتى أبلغَ ما تحبّه ، فبعث معه رجلا جَلْدا فَهِماً ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجلَ ويُلْطِفُه حتى بلغ الحِيرةَ ، فلما دخل عليه أعظم الملكَ وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتكَ بصِهْره فبعث إليكَ ، فقال : ما هؤلاء النِّسوة ؟ فقال : هذه صفتُهنّ قد جئنا بها . وكانت الصفةُ أن المنذر الأكبر أهدَى إلى أنُو شِرْوانَ جاريةً كان أصابها إذْ أغار على الحارث

كيد زيد بن عدىّ للنعمان عند كسرى حتى غضب عليه فقتله

(١) كذا فى جميع الأصول وشعراء النصرانية . والهلام كغراب : مرق السكباج المبرّد المصفّى من الدهن ، والسكباج : لحم يطبخ بخل .

الأكبر بن أبى شَمِر الغسّانىّ ، فكتب إلى أنُوشِرْوانَ بصفتها ،وقال: إنى قد وجّهتُ إلى الملك جارية معتدلةَ الخَلْق ،نقيّةَ اللون والثغر،بيضاءَ قمْراءَ وَطْفاء(١) كَحْلاءَ دَعْجاء(٢) حَوْراءَ عَيْناءَ قَنْواء(٣) شَمّاء(٤) بَرْجاء(٥) زَجّاء(٦) أسيلةَ الخدّ ، شهيّة المُقبَّل ، جَثْلة(٧) الشَّعر ، عظيمةَ الهامة ، بعيدةَ مَهْوَى القُرط ، عَيْطاء(٨) ، عريضةَ الصدر ، كاعبَ الثدى ، ضخمةَ مُشَاشِ المَنْكِب والعضد ، حسنةَ المِعصَم ، لطيفةَ الكفّ ، سَبْطَةَ البَنَان ، ضامرةَ البطن ، خَمِيصةَ الخَصْر ، غَرْثَى(٩) الوِشاح ، رَدَاحَ(١٠) الأقبال ، رابيةَ الكَفَل ، لَفّاء(١١) الفخِذين ، رَيّا الروادِف ، ضخمةَ المأكِمَتَيْن(١٢) ، مُفعَمةَ(١٣) الساق ، مُشْبَعةَ(١٤) الخَلْخال ، لطيفةَ الكعب والقدم ، قَطوفَ(١٥) المشى ، مِكسالَ(١٦) الضُّحَى ، بَضَّةَ(١٧) المتجرّد ، سَمُوعاً للسيّد ، ليستْ بخَنْساء(١٨) ولا سَفْعاء(١٩) ،

(١) الوطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .

(٢) الدعج : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .

(٣) القنواء : وصف من القنا وهو ارتفاع فى أعلى الأنف واحديداب فى وسطه وسبوغ فى طرفه .

(٤) الشمم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها .

(٥) البرجاء : الجميلة الحسنة الوجه .

(٦) الزجاء : دقيقة الحاجبين فى طول . (٧) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه .

(٨) العيطاء : الطويلة العنق . (٩) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

(١٠) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامّة الخلق . والأقبال : ما استقبلك من مشرف والواحد قَبَل.

(١١) لفاء : ضخمة الفخذين مكتنزة .

(١٢) المأكمتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين ، الواحدة مأكمة .

(١٣) مفعمة الساق : ممتلئتها .

(١٤) مشبعة الخلخال : كناية عن السمن ، وفى اللسان : امرأة شبعى الخلخال : ملأى سمنا .

(١٥) القطوف : وصف من القطاف وهو تقارب الخطو .

(١٦) المكسال : المرأة التى لا تكاد تبرح مجلسها ، وهو مدح لها ؛ مثل : نؤوم الضحى .

(١٧) البضة : الناعمة ، يقال : امرأة بضة المتجرَّد بالفتح أى بضة عند التجرّد ، فالمتجرَّد على هذا مصدر . ومن قال : بضة المتجرِد بالكسر أراد الجسم .

(١٨) الخنساء من الخَنَس وهو تأخر الأنف إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا مشرف ، وقيل : هو قريب من الفطس وهو لصوق القصبة بالوجنة وضخم الأرنبة .

(١٩) السفعاء من السفع وهو السواد ، وفى الحديث : « أنا وسفعاء الخدّين الحانية على ولدها يوم القيامة كهاتين » وضمّ أصابعه ، أراد بسفعاء الخدين أنها بذلت نفسها وتركت الزينة والترفه حتى شحب لونها واسودّ ، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها .

دقيقةَ الأنف ، عزيزةَ[١] النفس ، لم تُغَذَّ فى بؤسٍ ، حَيِيَّةً رَزِينةً ، حليمةً رَكينةً ، كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دون جِماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمورُ فى الأدب ، فرأيُها رأىُ أهل الشرف ، وعملُها عملُ أهل الحاجة ، صَنَاعَ الكفَّين ، قَطيعةَ[٢] اللسان ، رَهْوة[٣] الصوت ساكنته ، تَزِينُ الولىَّ ، وتَشِينُ العدوَّ ، إن أردتَها اشتهتْ ، وإن تركتَها انتهتْ ، تُحَمْلِقُ[٤] عيناها ، وتحمرُّ وجنتاها ، وتَذَبذَبُ شفتاها ، وتبادِرُكَ الوثبةَ إذا قمتَ ، ولا تجلسُ إلا بأمرك إذا جلستَ . قال : ٣٠/٢

فقبِلَها أنوشِروانُ وأمر بإثباتِ هذه الصفةِ فى دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كِسْرى بن هُرْمُز . فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشقَّت عليه ، وقال لزيد والرسولُ يسمع : أمَا فى مَها السَّوادِ وعِين فارسَ ما يبلُغ به كسرى حاجتَه ! فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المَها والعِينُ ؟ فقال له بالفارسية : كاوان ، أى البقر ، فأمسك الرسولُ . وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملكُ كرامتَكَ ولو علم أنَّ هذا يشُقُّ عليكَ لم يكتبْ إليكَ به . فأنزلهما يومين عنده ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذى طلب الملكُ ليس عندى ، وقال لزيد : اعذِرْنى عند الملكِ . فلما رجعا إلى كسرى ، قال زيدٌ للرسول الذى قَدِم معه : اصْدُقِ الملكَ عما سمعتَ ، فإنى سأحدِّثه بمثل حديثك ولا أُخالفكَ فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيدٌ : هذا كتابه إليك ، فقرأه عليه . فقال له كسرى : وأين الذى كنت خبَّرتنِى به ؟ قال : قد كنتُ خبَّرتُكَ بضِنَّتِهم بنسائهم على غيرهم ، وإنَّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوعَ والعُرْىَ على الشِّبَع والرِّياشِ ، وإيثارهم السَّمومَ والرياحَ على طِيب أرضكَ هذه ، حتى إنهم ليسمّونها السّجنَ ، فسلْ هذا الرسولَ

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ ، مـ : «عزيزة النَّفَر» بالراء .

(٢) كذا فى جميع الأصول بهاء التأنيث ، وجاء فى اللسان والقاموس : وامرأة قطيع الكلام — بغير هاء — إذا لم تكن سليطة .

(٣) كذا فى م . ورهوة الصوت : رقيقته سهلته . وفى باقى النسخ : «زهوة» بالزاى ولم يظهر له معنى مناسب .

(٤) فى اللسان : والمحلق من الأعين : ما حول مقلتيها بياض لم يخالطه سواد .

الذى كان معى عمّا قال ، فإنى أُكْرِمُ الملكَ عن مشافهته بما قال وأجاب به . قال للرسولِ : وما قال ؟ فقال له الرسولُ : أيها الملكُ ، إنه قال : أمَا كان فى بقَرِ السواد وفارِسَ ما يكفيه حتى يطلبَ ما عندنا ، فعُرِف الغضبُ فى وجهه ، ووقَع فى قلبه منه ما وقع ، لكنّه لم يزد على أن قال : رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّباب . وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النعمانَ ، وسكتَ كسرى أشهرًا على ذلك .

استجارة النعمان بسادات العرب ثم تسليمه نفسه لكسرى

وجعل النعمانُ يستعدّ ويتوقّعُ حتى أتاه كتابُه : أنْ أَقْبِلْ فإن للملِكِ حاجةً إليك ، فانطلق حين أتاه كتابُه فحمل سلاحَه وما قَوِىَ عليه ، ثم لحق بجَبَلَىْ طَيِّئٍ وكانت فَرَعة[1] بنتُ سعد بن حَارِثة بن لَأْم عنده ، وقد ولدت له رجلا وامرأة ، وكانت أيضاً عنده زينبُ بنتُ أوس بنِ حارثةَ ، فأرادَ النعمانُ طيّئا على أن يُدخلوه الجبلين ويمنعوه فأبَوْا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صهرُكَ لقتلناكَ ، فإنه لاحاجة بنا إلى مُعاداة كسرى ، ولا طاقةَ لنا به . وأقبل يطوف على قبائلِ العرب ليس أحدٌ منهم يقبلُه ، غيرَ أنّ بنى رَواحةَ بن قُطَيعة[2] بن عَبْسٍ قالوا : إن شئت قاتلنا معك ؛ لِمِنّةٍ كانت له عندهم فى أمر مروانِ[3] القَرَظ ، قال : ما أُحبُّ أنْ أُهْلِكَكُم ، فإنه لا طاقة لكم بِكِسْرَى . فأقبل حتى نزل بذِى[4] قَارٍ فى بَنِى شَيْبَانَ سِرًّا ، فلقِىَ هانئَ بنَ قَبِيصة ، وقيل بل هانئ ابن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبى ربيعةَ بن ذُهلِ بن شيبان ، وكان سيدًا مَنيعاً ، والبيتُ يومئذ من رَبِيعة فى آلِ ذِى الجَدَّينِ لقَيْس بن مسعود بن قيس بن خالد[5]

(١) كذا فى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٧ وشعراء النصرانية والأغانى طبع بولاق ج ٢٠ ص ١٣ ؛ وفى أ ، م ، خد : « قرعة » بالقاف والراء . وفى ب ، س ، مع : «قزعة» بالقاف والزاى .

(٢) فى ر س ، مع : «بن ربيعة» .

(٣) هو مروان بن زنباع العبسى ، أضيف إلى القرظ لأنه كان يغزو اليمن وبها منبته ، أو لأنه كان يحمى القرظ لعزته . ويضرب به المثل فى العزة فيقال : «أعزّ من مروان» .

(٤) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس .

(٥) كذا فى تاج العروس فى مادة «جدد» وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٢٠٨ اوالكامل لابن الأثير ج ١ ص ٣٥٦ وفى جميع الأصول : « خلد » بدون ألف .

ذى الجدَّين ، وكان كسرى قد أطعم قيسَ بنَ مسعود الأُبُـلَّةَ (١) ، فكره النعمانُ أن يدفع إليه أهلَه لذلك ، وعلم أن هانئاً يمنعه مما يمنع منه نفسَه .

وقال حمَّاد الراويةُ فى خبره : إنه إنما استجار بهانئ كما استجار بغيره فأجاره ، وقال له : قد لزمنى ذِمامُكَ وأنا مانِعُكَ مما أمنع نفسى وأهلى وولدى منه ما بقى من عشيرتى الأَدْنَيْنَ رجلٌ ، وإنّ ذلك غيرُ نافِعِكَ لأنه مُهلِكِى ومُهْلِـكُكَ ، وعندى رأىٌ لكَ ، لستُ أُشير به عليك لأدفعكَ عما تريده من مجاورتى ولكنه الصوابُ ، فقال هاتِه ، فقال : إن كلَّ أمر يجمُلُ بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد المُلْكِ سُوقَةً ، والموت نازلٌ بكل أحدٍ ، ولَأَنْ تموتَ كريماً خيرٌ من أن تتجرَّعَ الذلَّ ٣١/٢ أو تبقى سُوقَةً بعد المُلْكِ ، هذا إن بقيتَ ، فامضِ إلى صاحبك واحمِلْ إليه هدايا ومالًا وأَلقِ نفسَكَ بين يديه ، فإمّا أن صفح عنك فعُدتَ مَلِـكًا عزيزاً ، وإما أن أصابك فالموتُ خيرٌ من أن يتلعَّبَ بكَ صعاليكُ العرب ويتخطَّفَكَ ذئابها وتأكلَ مالكَ وتعيشَ فقيراً مجاوراً أو تُقتلَ مقهوراً ، فقال : كيف بحُرَمِى ؟ قال : هنَّ فى ذِمتى ، لا يُخْلَصُ إليهنَّ حتى يُخلَصَ إلى بناتى ، فقال : هذا وأبيكَ الرأىُ الصحيحُ ، ولن أجاوِزَه . ثم اختار خيلا وحُللًا من عَصْبِ (٢) اليمن وجوهراً وطُرَفاً كانت عنده ، ووجَّه بها إلى كسرى وكتب إليه يعتذِرُ ويُعلِمُه أنه صائرٌ إليه ، ووجَّه بها مع رسوله فقبلها كسرى وأمره بالقدوم ، فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم يرَ له عند كسرى سوءا . فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن (٣) لقيه زيدُ بنُ عدىّ على قنطرة

(١) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة ، وهى أقدم من من البصرة ، وكانت مدينة فيها مسالح وقائد من قبل كسرى .

(٢) العصب : ضرب من برود اليمن يعصب غزله ، أى يجمع ويشدّ ثم يصبغ وينسج فيأتى موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٣) المدائن : الموضع الذى كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التى قبلها وسماها باسم ، فسميت المدائن بذلك . وكان فتحها فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد سعد بن أبى وقاص فى صفر سنة ١٦ هـ .

ساباطَ(١) ، فقال له : انجُ نُعَيمُ(٢) ، إن استطَعْتَ النّجاء ، فقال له : أفعلتَها يا زيدُ ! أمَا واللهِ ، لئنْ عشتُ لكَ لأَقتلنَّكَ قِتلةً لم يُقتَلها عربىٌّ قط ولأُلحِقَنَّكَ بأبيك ! فقال له زيد : امضِ لشأنِكَ نُعَيمُ ، فقد واللهِ أخَّيتُ لك أُخيَّةً(٣) لايقطعُها المهرُ الأرِنُ(٤) .

وصول النعمان لكسرى وسجنه ثم موته

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيَّده وبعث به إلى سجن كان له بخانِقِينَ(٥) ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعونُ هناك فمات فيه .

وقال حَمّادٌ الراويةُ والكوفيون : بل مات بساباطَ فى حبسه . وقال ابن الكلبىّ : ألقاه تحت أرجل الفِيَلة فوطِئته حتى مات، واحتجُّوا بقول الأعشى :

فذاك(٦) وما أنجى من الموت ربَّه بساباطَ حتى ماتَ وهو مُحَزْرَقُ(٧)

قال : المحزْرَقُ : المضيَّق عليه . وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقِينَ ، وقالوا : لم يزل محبوساً مدّة طويلة ، وإنه إنما مات بعد ذلك بحينٍ قُبيلَ الإسلام ، وغضِبَت له العربُ حينئذ ، وكان قتلُه سببَ وقعةِ ذِى قارٍ .

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصَّبّاح وأخبرنى

---

(١) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

(٢) فى حد : «تنعم» .

(٣) الأخيَّة كأبيَّة ويقال أخيَة بتخفيف الياء وآخيَّة بالمد والتشديد ، وهى عود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تُشَدّ إليه الدابة . وقال ابن السكيت : الأخيَّة : أن يدفن طرفا قطعة من الحبل فى الأرض وفيها عُصَيَّة أو حُجَيِّر ويظهر منه مثل عروة تشد إليها الدابة وإنما توخى الأخية فى مهواة الأرضين لأنها أرفق بالخيل من الأوتاد الناشزة عن الأرض .

(٤) الأرن : النشيط ، يقال أرن يأرن أرنا إذا مرح مرحا فهو أرن .

(٥) خانقين : بلد بسواد بغداد كان النعمان خنق به عدى بن زيد حتى قتله .

(٦) كذا فى حـ وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٨ وتاج العروس واللسان (مادة حزرق) ومعجم ياقوت فى اسم ساباط . وفى باقى الأصول : «فداك» بالدال المهملة وهو تصحيف .

(٧) كما يقال حزرق الرجل بمعنى حبسه وضيّق عليه ، يقال : حرزقه أيضا بهذا المعنى . قال التَّوَّزِىّ : قلت لأبى زيد الأنصارى أنتم تنشدون قول الأعشى : «حتى مات وهو محزرق» ، وأبو عمرو الشيبانى ينشده « محرزق » بتقديم الراء على الزاى ؛ فقال : إنها نبطيَّة ، وأم أبى عمرو نبطيَّة فهو أعلم بها منا .

أحب عدىّ بن زيد هند بنت النعمان ثم تزوجها وقال فيها شعرا

الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال: قال علىّ بن الصبّاح حدّثنى هشامُ بن الكلبىّ عن أبيه قال :

كان عدىّ بنُ زيد بن حَمَّاد بن زيد بن أيوب الشاعر العِبادِىّ يهوَى هِنْدَ بنتَ النعمانِ بنِ المنذر بنِ المنذر[1] بنِ امرئ القيس بنِ النعمانِ بنِ امرئ القيس بن عمرو ابن عدىّ بن نَصْر بن رَبِيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غَنْم بن نُمارة ابن لَخْم وهو مالك بن عَدِىّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُبَ بن عَرِيب ابنِ زيد بن كَهْلانَ بن سَبَأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطانَ ، ولها يقول :

عَلِقَ الأحشاءَ من هندٍ عَلَقْ[2] مُستسِرٌّ فيه نَصْبٌ[3] وأَرَقْ

وهى قصيدةٌ طويلةٌ . وفيها أيضاً يقول :

مَنْ لِقَلب دَنِفٍ أو مُعتَمِدْ[4] قد عَصَى كُلَّ نَصُوحٍ ومُفَدّْ[5]

وهى طويلةٌ . وفيها أيضاً يقول :

٣٢/٢

يا خليلىّ يَسِّرَا التعسِيرا ثم رُوحا فهجِّرا تهجِيرا
عرِّجا بى على ديارٍ لهنـــدٍ ليس أن عُجْتُما المَطِىَّ كبيرا

قصة تزوّجه بهند

قال ٱبن الكلبىّ : وقد تزوّجها عدىّ . وقال ٱبن أبى سعد ، وذكر ذلكَ خالدُ ٱبنُ كُلثومٍ أيضاً قالا : كان سببُ عِشقه إياها أن هنداً كانت من أجمل نساء أهلها

(١) هذه الكلمة ليست موجودة فى ب ، س ، حـ .
(٢) العلق : العشق والهوى .
(٣) النَّصْب والنُّصْب والنُّصُب : الداء والبلاء والشرّ .
(٤) انظر فيما سيأتى الحاشية رقم ٦ ص ١٥٠ من هذا الجزء .
(٥) هو اسم فاعل من فدّاه يفدّيه إذا قال له : جُعلتُ فداك .

وزمانها ، وأمُّها ماريَةُ الكِنديّةُ ، فخرجتْ فى خميس الفِصْح[١] ، وهو بعد السَّعانِين بثلاثة أيام ، تتقرّب فى البيعة ، ولها حينئذ إحدى عَشرةَ سنةً ، وذلك فى مُلْكِ المنذر ، وقد قَدِم عدىّ حينئذ بهديّةٍ من كسرى إلى المنذر ، والنعمانُ يومئذ فتًى شابٌّ ، فاتفق دخولُها البيعةَ وقد دخلها عدىّ ليتقرّبَ ، وكانت مديدة القامة عَبْلَةَ[٢] الجسم ، فرآها عدىّ وهى غافلةٌ فلم تَتنَبّهْ له حتى تأمّلها ، وقد كان جواريها رأينَ عديًّا وهو مُقبِلٌ فلم يقُلْنَ لها ذلك ، كَىْ يراها عدىّ ، وإنما فعلن هذا من أجل أمةٍ لهند يقالُ لها ماريةُ ، وقد كانت أحبّتْ عديا فلم تَدرِ كيف تأتّى له . فلما رأتْ هند عديا ينظر إليها شقّ ذلك عليها ، وسَبّتْ جواريَها ونالَتْ بعضَهنّ بضرب ؛ فوقَعتْ هند فى نفس عدىّ ، فلبِثَ حولاً لا يخبر بذلك أحداً. فلما كان بعد حول وظنّتْ ماريةُ أنّ هنداً قد أضربَتْ عمّا جرى وصَفَتْ لها بِيعةَ دُومةَ — وقال خالدُ بنُ كلثومٍ : بِيعةَ تُومَا[٣] وهو الصحيح — ووصَفَتْ لها مَنْ فيها من الرواهب ، ومَنْ يأتيها من جوارى الحيرة ، وحسنَ بِنائها[٤] وسُرُجِهَا ، وقالت لها : سَلِى أُمّكِ الإذنَ لكِ فى إتيانها ، فسألَتْها ذلك فأذِنَتْ لها ، وبادرتْ ماريةُ إلى عدىّ فأخبرته الخبرَ فبادر فلبِسَ يَلْمَقاً[٥] كان « فَرْخانْشاهْ مَرْد » قد كساهُ إياهُ ، وكان مُذْهَباً لم يُرَ مِثلُه حُسناً ، وكان عَدِىّ حسنَ الوجه ، مديدَ القامة ، حُلوَ العينين ، حَسَنَ المَبسِم ، نقىّ الثّغر . وأخذ معه جماعةً من فِتيانِ الحيرة فدخل البِيعةَ ،

---

(١) كذا فى الأصول ، والمعروف فى أعياد النصارى «خميس العهد» وهو عيد يعمل قبل الفصح بثلاثة أيام ، والفصح : عيدهم إذا أفطروا وأكلوا اللحم ، وصومهم ثمانية وأربعون يوما ، ويوم الأحد الذى يجىء بعد ذلك هو العيد . والسعانين : عيد لهم يعمل قبل الفصح بسبعة أيام (والمشهور الشعانين بالشين المعجمة ، عبرانية معربة) ، فيكون عيد السعانين قبل خميس العهد بثلاثة أيام.(انظر بلوغ الأرب للآلوسى والعقد الفريد والقاموس) .

(٢) عبلة الجسم : ضخمته وتامة خلقه .

(٣) ذكر ياقوت فى معجم البلدان «دير توما» ولم يذكر موقعه وإنما أورد فيه أبياتا للمرّار الفقعسى منها :

تصيح إذا هجعت بدير توما حمامات يزدن الليل طولا

(٤) فى مع :«ثيابها» .

(٥) اليلمق : القباء ، فارسى معرب .

فلما رأته ماريةُ قالت لهند : انظرى إلى هذا الفتى ! فهو والله أحسَنُ من كُلِّ ما تَرَيْنَ من السُّرُجِ وغيرِها ! قالت : ومن هو ؟ قالت : عدىُّ بنُ زيد ، قالت : أتخافينَ أن يعرفَنى إن دنوتُ منه لِأَراه من قريبٍ ؟ قالت : ومِنْ أين يعرِفُكِ وما رآكِ قطّ مِنْ حيثُ يعرِفُكِ ! فدنَتْ منه وهو يُمازح الفتيانَ الذين معه وقد برع عليهم بجماله ، وحُسْنِ كلامه وفصاحته ، وما عليه من الثياب ، فَذَهِلَتْ لمّا رأَتْه وبَهُتَتْ[(١)] تنظر إليه . وعَرَفَتْ ماريةُ ما بها وتبيَّنَتْه فى وجهها ، فقالت لها : كَلِّميه ، فكَلَّمَتْه ، وانصرفَتْ وقد تبعته نَفسُها وهَوِيَتْه ، وانصرف بمثل حالها . فلما كان الغدُ تعرّضَتْ له ماريةُ ، فلما رآها هَشَّ ، وكان قبل ذلك لا يكلّمها ، وقال لها : ما غَدَا بِكِ ؟ قالت : حاجةٌ إليكَ ، قال : اذكريها ، فوالله لا تسألينى شيئاً إلا أعطيتُكِ إياه ، فعرّفَتْه أنها تهواهُ ، وأن حاجتَها الخَلوةُ به على أن تحتالَ له فى هند ، وعاهدَتْه على ذلك ، فأدخلها حانوتَ خمّارٍ فى الحِيرة ووقَعَ عليها ، ثم خرجَتْ فأتت هنداً ، فقالتْ : أما تشتهين أن تَرَىْ عديا ؟ قالت : وكيف لى به ؟ قالت : أَعِدُه مكانَ كذا وكذا فى ظَهْرِ القَصر وتُشرِفينَ عليه ؛ قالت : افعَلى ، فواعدَتْه إلى ذلك المكانِ ، فأتاه وأشرفَتْ هند عليه ، فكادَتْ تموت[(٢)] ، وقالت : إن لم تُدخِليه إلىّ هلَكْتُ . فبادرتِ الأمةُ إلى النعمان فأخبرَتْه خبرَها ، وصَدَقَتْه وذَكَرتْ أنها قد شُغِفَتْ به ، وأن سببَ ذلك رؤيتُها إياه فى يوم الفِصْح ، وأنه إن لم يزوّجها به افتضحت فى أمره أو ماتتْ ، فقال لها : ويلك ! وكيف أبدؤه بذلك ! فقالت : هو أرغبُ فى ذلك مِنْ أن تبدأه أنتَ ، وأنا أحتال فى ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفتَ أمره . وأتتْ عديًا فأخبرته الخبرَ ، وقالت : ادعُه ، فإذا أخذ الشرابُ منه فاخطُبْ إليه ابنته فإنه غيرُ رادِّك ، قال : أخشَى أن يُغضِبَه ذلك فيكونَ سببَ العداوةِ بيننا ، قالت : ما قلتُ لكَ هذا حتى فرغتُ منه معه ، فصنع عدىٌّ

---

(١) كذا فى ح ، ا . وفى ب ، س : «هبت» .
(٢) كذا فى ح بدون أن ، وهو الأفصح . وفى باقى النسخ : «أن تموت» .

طعاماً واحتفل فيه ، ثم أتى النعمانَ بعد الفِصْح بثلاثة أيام ، وذلك فى يوم الاثنين ، فسأله أن يتغدّى عنده هو وأصحابُه ، ففعل . فلما أخذ منه الشرابُ خطبها إلى النعمان ، فأجابه وزوّجه وضمّها إليه بعد ثلاثة أيام .

ترهّبت هند بعد قتل عدىّ

قال خالدُ بن كُلثوم : فكانت[1] معه حتى قتله النعمانُ ، فترهَّبَتْ وحبسَتْ نفسَها فى الدير المعروف بدير هند[2] فى ظاهر الحِيرةِ . وقال ابن الكلبىّ : بل ترهّبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسَها واحتَبسَتْ فى الدير حتى ماتت ، وكانت وفاتُها بعد الإسلام بزمان طويل فى ولاية المُغيرة بن شُعْبة الكوفةَ ، وخطبها المغيرةُ فردّته .

خطبها المغيرة بن شعبة فردته

أخبرنى عمى قال حدّثنى ابنُ أبى سَعْد قال حدّثنا علىّ بن الصَّبّاح عن هشام بن محمد ابن[3] الكلبىّ عن أبيه والشرَقىّ بنِ القَطامىّ قالا :

مرّ المغيرةُ بنُ شعبة لمّا ولاّه معاويةُ الكوفةَ بدير هند ، فنزله ودخل على هند بنتِ النعمانِ بعد أن استأذن عليها ، فأذِنتْ له وبسطَتْ له مِسْحًا[4] فجلس عليه ، ثم قالتْ له : ما جاء بكَ ؟ قال : جئتُك خاطباً ، قالت : والصليبِ لو علمتُ أن فىّ خَصلةً من جمالٍ أو شبابٍ رغَّبَتْكَ فىّ لأجبتُكَ ، ولكنّكَ أردتَ أن تقولَ فى المواسم : مَلَكتُ مملكةَ النعمانِ بن المنذر ونكحتُ ابنته ، فبحقّ معبودك أهذا أردتَ ؟ قال : إى والله ، قالت : فلا سبيل إليه ، فقام المغيرةُ وانصرف وقال فيها :

أدركتِ ما منَّيتُ نفسِىَ خالياً   لله درُّكِ يا بنةَ النعمانِ !

---

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى م ، ا : «فمكثت» .

(٢) دير هند هذا هو المسمى بدير هند الصغرى ، أما دير هند الكبرى فهو أيضا بالحيرة ، وقد بنته هند أم عمرو بن هند ؛ وهى هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندى . انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم «دير هند الصغرى» و «دير هند الكبرى» .

(٣) كذا فى حـ وفى باقى الأصول «عن هشام بن محمد عن ابن الكلبى» . وكلمة «عن» هنا وقعت غلطا ؛ لأن علىّ بن الصباح يروى عن هشام بن محمد بن الكلبى ، ولأن المؤلف سيقول بعد : «وقد روى عن ابن الكلبى غير علىّ بن الصباح » .

(٤) المسح : كساء من الشعر .

فلقد رددْتِ على المغيرة ذِهْنَهُ إنّ الملوكَ نَقِيَّةُ الأذهانِ

وفى رواية أخرى :

* إنّ الملوكَ بَطِيَّةُ الإذعانِ *

ياهندُ حسبُكِ قد صَدَقتِ فأمْسِكِي فالصِّدقُ خيرُ مَقالَةِ الإنسانِ

حديث عشقها لزرقاء اليمامة

وقد رَوَى عن ابن الكلبيّ غيرُ علىّ بن الصَّبّاح فى هند أنها كانت تهوَى زرقاءَ اليمامةِ ، وأنها أوّل امرأة أحبّت امرأةً فى العرب ، فإن الزرقاء كانت تَرَى الجيشَ من مَسيرة ثلاثين ميلا ، فغزا قوم من العرب اليمامةَ ، فلما قَرُبوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول ، مع الزرقاء ! فاجتمع رأيُهم على أن يقتلِعُوا شجرًا تسترُ كلُّ شجرة منها الفارسَ إذا حملها ، فقطعَ كلٌّ واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها ، فأشرفَتْ ، كما كانتْ تفعلُ ، فقال لها قومُها : ما تَرَيْنَ يا زرقاء ؟ وذلك فى آخر النهار ، قالت : أرَى شجرًا يسيرُ ، فقالوا : كذبتِ أو كذبَتْكِ عينُكِ ، واستهانوا بقولها ، فلما أصبحوا صبَّحهم[1] القومُ ، فاكتسحوا[2] أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وأخذوا الزرقاء فقَلَعوا عينها فوجدوا فيها عروقًا سوداء ، فسُئِلَتْ عنها فقالت : إنى كنتُ أُدِيمُ الاكتحالَ بالإثمِدِ فلعلَّ هذا منه ، وماتَتْ بعد ذلك بأيام ، وبلغ هندًا[3] خبرُها فترهَّبتْ ولَبِسَتْ المُسُوحَ وبنَتْ ديرا يعرفُ بديرِ هند إلى الآن ، فأقامت فيه حتّى ماتت .

وروى ابنُ حبيبَ عن ابن الأعرابىّ : أنّ النعمانَ لما حبَسَ عديًّا أكرهه فى أمرها

(١) يقال : صبح القوم ، إذا أتاهم صباحا بخير أو شر ، وصبّحهم -بتشديد الباء- إذا أتاهم صباحا.

(٢) فى م ، ا ، مع ، خد : «فاستباحوا» .

(٣) حكى إسماعيل الموصلى فى « كتاب الأوائل » ما أورده أبو الفرج من أن هندا أحبت الزرقاء وأنها أول امرأة أحبت امرأة ، ثم قال : «وفيه نظر ، فإن هند بنت النعمان ماتت فى ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة وزرقاء اليمامة من جديس ولهم خبر مع طسم وكانوا فى زمن ملوك الطوائف وبينهما زمان طويل ، فما أعلم من أين وقع لأبى الفرج هذا » ! . (انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ١٨٢) .

قيل إن النعمان أكره عديًّا على طلاق هند فطلقها

٣٤ / ٢

على طلاقها ولم يزل به حتى طلّقها . قال ابنُ حبيبَ : وذكر عدىّ بنُ زيد صِهرَه هذا للنعمان فى قصائده وكان زوجَ أختِه ـ هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة . وقالتْ رُواةُ العرب : إنه كان زوجَ ابنتِه هندٍ ـ فمن ذلك قولُه فى قصيدته التى أوّلها :

* أبصَرَتْ عينى عِشاءً ضَوءَ نارِ *

فقال فيها :

أَجْلَ نُعمَى رَبِّها أَوَّلُكُمْ ودُنُوِّى كان منكم واصْطِهارِى
نحن كنَّا قد علِمْتُم قبلها[1] عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ

سبب تنصر النعمان وما وقع بينه وبين عدىّ فى ذلك

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا إبراهيمُ بن فَهْدٍ قال حدّثنا خليفةُ ابنُ خيّاط شَبَابٌ[2] العُصْفُرِىُّ قال حدّثنا هشامُ بن محمد قال حدّثنى يحيى بن أيوبَ البَجَلىّ قال حدّثنا أبو زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير بن عبد الله البَجَلىّ قال : سمعتُ جدّى جريرَ بنَ عبد الله يقول ، وأخبرنى به عمّى قال حدّثنا أحمدُ بن عبيد الله قال أخبرنا محمدُ بن يزيدَ بن زياد الكلبىّ أبو عبد الله قال حدّثنى معروفُ بنُ خَرَّبُوذَ[3] عن يحيى بن أيوبَ عن أبى زُرعة بنِ عمرو قال : سمعت جدّى جريرَ بن عبد الله ـ ولَفْظُ هذا الخبر لأحمد بن عبيد الله وروايته أتم ـ قال :

كان سببُ تنصّر النعمان ـ وكان يعبد الأوثانَ قبل ذلك ، وقال أحمد بن عبيد الله فى خبره : النعمان بن المنذر الأكبر ـ أنه كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدىّ

(١) كذا وقع هنا فى جميع الأصول ، وقد تقدم فى جميع الأصول فى ص ١٠٢ من هذا الجزء : « قبلكم » .

(٢) كذا فى حـ . وفى ب ، س ، م : «خليفة بن خياط عن شباب العصفرى» ، والصواب ما أثبتناه إذ هو «خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفرى الملقب بشباب» (انظر تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال فى اسم خليفة) .

(٣) خربوذ ـ بفتح الخاء وتشديد الراء أو بسكونها وضم الموحدة ـ هو محدث لغوىّ إخبارىّ مكّىّ من موالى آل عثمان . (انظر تهذيب التهذيب وتاج العروس) .

ابن زيد العباديّ ، فمرّ على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها ، فقال له عديّ بن زيد : أبيتَ اللّعنَ ، أتَدْرِى ما تقولُ هذه المقابرُ ؟ قال : لا . وقال أحمدُ بنُ عُبيد الله فى خبره : فقال له : تقول :

أيُّها الركبُ المُخِبُّو نَ على الأرض المُجِدُّونْ
كما أنتم كُنَّا[1] وكما نحن تكونُونْ

وقال الصُّولِيُّ فى خبره : فقال له : تقول :

كُنَّا كما كنتُمُ حيناً فغَيَّرَنا دهرٌ فسوف كما صرنا تصيرونا[2]

قال : فانصرف وقد دخلته رِقَّةٌ ، فمكث بعد ذلك يسيرا ، ثم خرج خَرْجةً أخرى فمرّ على تلك المقابر ومعه عديّ ، فقال له : أبيتَ اللّعنَ ، أتدرِى ما تقولُ هذه المقابر ؟ قال : لا ، قال : فإنها تقول :

مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَه أنه مُوفٍ على قَرْنِ[3] زَوالِ
وصُروفُ الدَّهرِ لا يَبقَى لها ولِمَا تأتِى به صُمُّ الجبالِ
رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا[4] يشربون الخمرَ بالماء الزُّلالِ

---

(١) كذا فى جميع الأصول ، والشعر من مجزوء الرمل المسبغ ، وتقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فيكون على هذا غير موزون . وجاء فى شعراء النصرانية ج ٢ ص ٤٤٢ هكذا : * كما أنتم كذا كنا * وهذا الشطر أيضا من بحر آخر يقال له : الهزج ؛ وتقطيعه : * مفاعيلن مفاعيلن * ومن المحتمل أن يكون معطوفا بالواو على بيت قبله سقط حتى يصح الوزن . وانظر ص٩٤ من هذا الجزء .

(٢) فى مع ، رس ، نا : «تكونونا»

(٣) أى على طرف زوال .

(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى حـ ، مع ، نا ، رس . والكامل للمبرد ص٢٨٣ طبع أوروبا : «حولنا».

والأباريقُ[1] عليها فُدُمٌ[2] ... وجيادُ الخيلِ تَرْدِى[3] فى الجِلالِ

عَمِرُوا دهـــراً بعيشٍ حَسَنٍ ... آمِنِى[4] دَهْرِهِمُ غيرَ عِجالِ

ثم أضْحَوْا عصفَ الدَّهرُ بهم ... وكذاكَ الدهرُ يُودِى بالرِّجالِ[5]

وكذاكَ الدهرُ يرمِى بالفتى ... فى طِلابِ العيشِ حالًا بعدَ حالِ

قال الصُّولىُّ فى خبره وهو الصحيح : فرجع النعمان فتنصّر . وقال أحمد بن عبيد الله فى خبره عن الزيادىّ الكلبىّ : فرجع النعمانُ من وجهه وقال لعدىّ : ائتنى الليلةَ إذا هَدَأَتِ الرِّجلُ لتعلمَ حالى ، فأتاه فوجده قد لَبِسَ المُسوحَ وتنصّر وترهَّب وخرج سائحًا على وجهه فلا يُدْرَى ما كانت حالُه ، فتنصَّر ولدُه بعده وبَنَوا البِيعَ والصوامعَ ، وبنَتْ هند بنتُ النعمان بن المنذر [بن النعمان بن المنذر[6]] الديرَ الذى بظهر الكوفة ويقال له : « دير هند » ، فلما حبَس كِسرى النعمانَ الأصغرَ أباها ومات فى حبسه ترهَّبتْ هند ولبِست المسوحَ وأقامت فى ديرها مُترهِّبةً حتى ماتت فدُفِنَتْ فيه .

٣٥ / ٢

تصدُّر المؤلف لرواية أن النعمان هو الذى تنصر وتدليله على ذلك

قال مؤلفُ هذا الكتابِ : إنما ذكرتُ الخبرَ الذى رواه الزيادىّ على ما فيه من التخليط لأنى إذا أتيتُ بالقصَّة ذكرتُ [كلَّ[7]] ما يُروَى فى معناها ، وهو خبر مختلط ؛

---

(١) كذا فى حـ والكامل للمبرد ص ٢٨٣ طبع أوروبا وشعراء النصرانية . وفى سائر النسخ : «وأباريق» بدون ال .

(٢) فُدُم : جمع فدام ـ بفتح الفاء وكسرها ـ وهو ما يوضع فى فم الأبريق لتصفية ما فيه من شراب ، ولم ينص فى كتب اللغة على جمعه ولكن ما كان على وزن فعال ـ بكسر الفاء ـ يجمع على فُعُل باطراد نحو كتاب وكتب ، وكذلك ما كان على وزن فَعال نحو قَذال وقُذُل .

(٣) تردى : تعدو وترجم الأرض بحوافرها ، يقال : ردت الخيل رديا ورديانا ، أى رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها .

(٤) كذا فى جميع الأصول ، وفى شعراء النصرانية والكامل للمبرد ص ٢٨٣ : «قطعوا دهرهم» .

(٥) كذا فى جميع النسخ وقد تقدم هذا البيت فى ص ٩٣ من هذا الجزء هكذا :

عصف الدهر بهم فانقرضوا ... وكذاك الدهر حالا بعد حال

(٦) زيادة فى حـ وعليها يرد نقض أبى الفرج الآتى بعد .

(٧) زيدت لفظة كل هكذا فى نسختى ا ، م . وفى حـ وقعت هذه الجملة هكذا : «إذا ذكرت القصة أتيت بكل ما يروى الخ » .

لأن عدىّ بن زيد إنما كان صاحبَ النعمان بن المنذر وهو المحبوس، والنعمان الأكبر لا يعرفه عدىّ ولا رآه، ولا هو جدّ النعمان الذى صحبه عدىّ كما ذكر ابن زياد، وقد ذكرتُ نسبَ النعمان آنفا ، ولعل هذا النعمانَ الذى ذكره عمُّ النعمان بن المنذر الأصغر ابن المنذر الأكبر ، والمتنصِّر السائح على وجهه ليس عدىّ بن زيد أدخله فى النصرانية ، وكيف يكون هو المدخِلَ له فى النصرانية وقد ضرب به مثلا للنعمان فى شعره لمّا حبسه مع مَنْ ضرب به مثلا له من الملوك السالفة ! .

حكاية خالد بن صفوان مع هشام بن عبد الملك تذكّره قصة النعمان وتنصّره

حدّثنا بخبرِ ذلك الملكِ جعفرُ بن محمد الفِرْيابىّ وأحمدُ بنُ عبد العزيز بن الجَعْدِ الوَشَّاء قالا : حدّثنا إسحاق بنُ البُهلُول الأَنْبارىّ قال حدّثنى أبى البُهْلولُ بن حسَّان التَّنُوخىّ قال حدّثنى إسحاقُ بن زِيَاد من بنى سامةَ بنِ لُؤَىّ عن شَبِيبِ بن شَيْبَةَ عن خالد بن صَفْوان بن الأَهْتَم قال :

أوفدنى يوسفُ بن عمرَ إلى هشام بن عبد الملك فى وَفْد أهل العراق قال : فقَدِمتُ عليه وقد خرج بقَرابته وحَشَمِه وغَاشِيته(١) وجُلَسائه ، فنزل فى أرضٍ قاعٍ صَحْصَحٍ(٢) مُنِيفٍ أَفيحَ(٣) ، فى عامٍ قد بكَّر وَسْمِيُّه(٤) ، وتتابع وَلِيُّه ، وأخذت الأرضُ فيه زينتَها ، على اختلاف ألوان نَبتِها من نَوْرِ رَبيع مُونِقٍ ؛ فهو فى أحسنِ مَنظَرٍ ، وأحسن مُخْتَبَرٍ ، وأحسن مُسْتَمْطَرٍ ، بصعيدٍ كأنّ ترابَه قِطَعُ الكافور ، قال : وقد ضُرِبَ له سُرادِقٌ من حِبَرةٍ(٥) كان يوسفُ بنُ عمر صنعه له باليمن ، فيه فُسطاطٌ فيه أربعة أفرشةٍ من خَزٍّ أحمرَ مِثلُها مَرافِقُها ، وعليه دُرَّاعَةٌ من خَزٍّ أحمرَ مثلُها عِمامَتُها ، وقد أخذ

(١) غاشية الرجل : من ينتابه من زواره وأصدقائه .

(٢) الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار .

(٣) الأفيح : الواسع .

(٤) الوسمىّ : مطر الربيع الأول . والولىّ : المطر الذى يلى الوسمىّ .

(٥) الحِبَرة والحَبرة : ضرب من منسوج اليمن مُنَمَّر (فيه نقط سود) .

الناسُ مجالسَهم ، قال : فَأَخرجتُ رأسى من ناحية السِّماطِ(١) فنظر إلىَّ شِبهَ المستَنْطِقِ لى فقلتُ : أتمّ اللهُ عليكَ يا أمير المؤمنين نِعَمَه ، وجعل ما قَلَّدكَ من هذا الأمر رُشْدا ، وعاقبةَ ما يؤول إليه حمدا ، وأخلصَه لك بالتُّـقَى ، وكثّره لك بالنَّماء ، ولا كدّر عليك منه ما صَفا ، ولا خالط سرورَه بالرَّدَى ، فلقد أصبحتَ للمؤمنين ثقةً ومُستَراحًا ، إليك يقصدون فى مَظالمهم ، ويفزَعون فى أمورهم ، وما أجدُ شيئًا يا أميرَ المؤمنين هو أبلغُ فى قضاء حقك ، وتوقيرِ مجلسك ، وما منَّ اللهُ جلّ وعزّ علىّ به من مجالستك من أن أذَكّركَ نعمَ الله عليكَ ، وأنبّهك لشكرها ، وما أجدُ فى ذلك شيئًا هو أبلغ من حديث مَنْ سلف قبلك من الملوك ، فإن أذنَ أمير المؤمنين أخبرتُه به ، قال : فاستوى جالساً وكان مُتّـكئًا ثم قال : هاتِ يابن الأهتَم ، قال : قلت : يا أمير المؤمنين إنّ مَلِـكاً من الملوك قبلك خرج فى عام مثلِ عامكَ هذا إلى الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ(٢) فى عامٍ قد بكَّر وَسميُّه ، وتتابعَ وَليُّه ، وأخذتِ الأرضُ فيه زينتَها على اختلاف ألوان ٣٦/٢ نَبتِها فى رَبيع مُونقٍ ، فهو فى أحسن مَنظَر ، وأحسنِ مختبَر ، بصعيد كأن ترابَه قِطعُ الـكافور ، وقد كان أُعطِىَ فَتاءَ السنّ مع الـكثرة والغلَبة والقهر ، فنظر فأبعد النظرَ ثم قال لجلسائه : لِمَنْ مِثلُ هذا ! هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ! وهل أُعطِىَ أحدٌ مثلَ ما أُعطِيتُ ! قال : وعنده رجل من بقايا حَمَلة الحُجّةِ ، والمضىِّ على أدب الحقِّ ومِنهاجه ، قال : ولم تَخْلُ الأرضُ من قائم لِلّهِ بحُجَّةٍ فى عباده ، فقال : أيها الملكُ إنكَ سألتَ عن أمرٍ ، أفتأذَنُ فى الجواب عنه ؟ قال : نعم ، قال : أرأيتَ هذا الذى أنتَ فيه ، أشىءٌ لم تزلْ فيه ، أم شىءٌ صار إليك ميراثًا وهو زائلٌ عنكَ وصائرٌ إلى غيركَ كما صار إليك؟

---

(١) السماط : جمع سمط وهو الصف من الناس وغيرهم .

(٢) ذكر صاحب القاموس أن السدير نهر بالحيرة . قال شارحه : وقيل السدير : قصر فى الحيرة من منازل آل المنذر وأبنيتهم . وذكر الخلاف ياقوت فى معجم البلدان فقال : السدير : نهر ، وقيل : قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم . وسيتكلم المؤلف بعد قليل عن الخورنق .

قال : كذلك هو ، قال: فلا أراكَ إلا عَجِبْتَ[١] بشىء يسيرٍ تكون فيه قليلا وتغيبُ عنه طويلا ، وتكون غداً بحسابه مُرْتَهِنا ، قال : وَيْحكَ ! فأين المَهْرَبُ وأين المَطْلبُ ؟ قال : إما أن تُقيمَ فى ملكك فتعملَ فيه بطاعة الله ربِّكَ على ما ساءكَ وسرّكَ ، وأمَضَّكَ[٢] وأرْمَضَكَ[٣] ، وإما أن تضعَ تاجكَ ، وتخلَعَ[٤] أطْمارَكَ ، وتلبسَ أمْسَاحك ، وتعبدَ ربك حتى يأتيَك أجلُكَ ، قال : فإذا كان السَّحَرُ فاقرَعْ علىّ بابى فإنى مختارٌ أحدَ الرأيينِ — وربما قال إحدَى المنزلتين — فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصَى ، وإن اخترتُ فَلَواتِ الأرض وقَفْرَ البلاد كنتَ رفيقاً لا يُخالَفُ . قال : فقرعَ عليه عند السَّحَر بابَه فإذا هوَ قد وضع تاجَه ، وخلع[٥] أطمارَه ، ولبس أمساحَه ، وتهيأ للسياحة ، فلزِما والله الجبلَ حتى أتاهما أجلُهما ، وهو حيثُ يقول عدىّ بن زيد أخو بنى تميم :

أيُّها الشَّامِتُ المعيِّرُ بالدَّهـــرِ أأنتَ المــبرَّأُ الموفُورُ !
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيّـــام بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ !
مَنْ رأيتَ المَنُونَ خَلَّدْنَ[٦] أم مَنْ ذا عليه مِنْ أن يُضَـــامَ خفيرُ !

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى ح ، ر س : « فلا أراك أعجبت إلا بشىء الخ » . وذكر فى المصباح أن التعجب على وجهين : تعجب على وجه الاستحسان وهذا يقال فيه : أعجبنى بالألف . وتعجب بمعنى الإنكار وهذا يقال فيه : عجبت على وزان تعبت . ولكن فى القاموس ما يدل على أن عجب الثلاثى يستعمل فى الاستحسان كقوله : وأعجب به : عجب وسُرَّ كأعجبه .

(٢) كذا فى م ، ا . وفى باقى الأصول : «ومضّك» هكذا بدون ألف وكلاهما صحيح عربية إلا أن ثعلبا يقدم «أمضنى» ومعناها : أحرقنى وشق علىّ .

(٣) أرمضك : أوجعك ، يقال : أرمضنى الأمر أى أوجعنى .

(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ح : « وتضع أطمارك » .

(٥) فى ح ، نا : «ووضع أطماره» .

(٦) كذا فى جميع الأصول . وفى لسان العرب مادة (منّ) بدل «خلّدن» : «عزّين» . والمنون : الموت وقيل: الدهر . قال صاحب اللسان : وقد جعله عدىّ بن زيد جمعا وأورد هذا البيت . وفى معاهد التنصيص طبع بولاق ص ١٤١ : « جازته » بدل « خلدن » .

أين كسرى كسرى الملوك أنُوشِر(١) وانُ أم أينَ قبلَه سابورُ(٢) !
وبنو الأَصفر الكرامُ مُلُوكُ الرُّ وم لم يبق منهمُ مَذْكورُ !
وأخو الحَضْرِ إذ بنـاه وإذ دِجْلَةُ تُجْبَى إليـه والخابُورُ(٣) !
شادَهُ مَرْمراً وجَلَّلَه كِلْسًا(٤) فلِلطيرِ فى ذُراه وُكُورُ
لم يَهَبْه رَيبُ المنونِ فبادَ الْمُلْكُ عنه فبابُه مَهجُورُ
وتَذَكَّرْ(٥) رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذا أشْرَفَ يوماً وللهُدَى تَفكيرُ
سرَّه مالُه(٦) وكثرةُ ما يَمْلِكُ والبحرُ مُعرِضاً(٧) والسديرُ
فارعَوَى قلبُه فقال وما غِبْطَةُ حىٍّ إلى المماتِ يصيرُ !
ثم بعد الفلاح والملكِ(٨) والإمَّةِ وارَتْهمُ هُناكَ القبُورُ
ثم صاروا(٩) كأنهم وَرقٌ جَفَّ فألوَتْ(١٠) به الصَّبا والدَّبُورُ

---

(١) كذا فى أغلب النسخ ، وجاء فى لسان العرب مادة «كلس» وفى خد : «أبو ساسان» بدل «أنوشروان».

(٢) سابور الجنود وهو ابن أردشير ، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز ، وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان .

(٣) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

(٤) الكلس : الصاروج وهى النورة وأخلاطها التى تصرّج (تطلى) بها النزل وغيرها ، وهو بالفارسية جاروف عرّب فقيل صاروج وربما قيل شاروق .

(٥) كذا فى جميع النسخ . وفى معاهد التنصيص ص ١٤٢ طبع بولاق سنة ١٢٧٤ هـ وكتاب الشعر والشعراء ص ١١١ طبع ليدن سنة ١٩٠٢ م : «وتَبَيَّنْ» . وفى شعراء النصرانية : «وتفكَّرْ» .

(٦) كذا فى جميع النسخ وفى كتاب الشعر والشعراء ص ١١٢ ومعاهد التنصيص ص ١٤٢ طبع بولاق : «سره حاله» .

(٧) مُعرِض بمعنى متسع ، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض .

(٨) كذا فى جميع النسخ ، والإمَّة بالكسر : النعمة . وفى شعراء النصرانية : «والنعمة» .

(٩) كذا فى جميع النسخ . وفى الشعر والشعراء ومعاهد التنصيص : «ثم أضحوا» .

(١٠) ألوت به أى ذهبت به .

قال : فبكى والله هشامٌ حتى أخضل[1] لحيتَه ، وبلَّ عمامتَه ، وأمرَ بنزع أبنيته ، وبنقلان[2] قرابته وأهله وحشَمه وغاشِيَته من جلسائه ، ولزم قصرَه ، فأقبلتِ الموالى والحشمُ على خالد بن صفوانَ فقالوا : ما أردتَ إلى أمير المؤمنين ! أفسدتَ عليه لذّته ، ونغَّصتَ عليه مأدُبَتَه ، فقال : إليكم عنّى فإنى عاهدتُ اللهَ عزّ وجلّ ألّا أخلوَ بملِكٍ إلا ذَكَّرتُه اللهَ عز وجل .

قصرا الحضر والخورنق

٣٧ / ٢

فأما خبرُ الحَضْرِ وصاحبه ، والخورنقِ وصاحبه ، فإنى أذكر خبرهما هاهنا ؛ لأنه مما يحسنُ ذكرُه بعقِبِ هذه الأخبارِ ولا يُستغنَى عنه ، والشىء يتبعُ الشىءَ .

أخبرنى بخبره إبراهيمُ بنُ السَّرِىّ عن أبيه عن شُعيب عن سَيْف ، وأخبرنى به الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا الحارثُ بن محمد قال حدّثنا محمدُ بن سَعْد عن الواقِدىّ ، وأخبرنى به علىّ بنُ سليمان الأخفشُ فى كتاب المغتالين عن السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المفضَّل بن سَلَمَة الضَّبِّىّ ، وهشامُ بن الكلبىّ عن أبيه ، وإسحاق بن الجَصَّاص عن الكوفيِّين :

أن الحَضْرَ كان قصراً بحِيَال تَكْرِيتَ بين دِجْلَةَ والفُراتِ ، وأن أخا الحَضْرِ الذى ذكره عدىّ بنُ زيد هو الضَيْزَنُ بن مُعاويةَ بن العَبِيد بن الأَجْرام بن عمرو بن النَّخَع بن سَلِيح من بنى تَزِيدَ[3] بنِ حُلْوانَ بنِ عِمْرانَ بن الحاف بن قُضاعةَ ، وأمه

---

(١) فى ا ، م ، خد ، نا : «حتى اخضلت لحيته» .

(٢) كذا فى جميع الأصول ولم نجد فى كتب اللغة فى هذه المادة النقلان مصدر النقل . وفى كتاب الإمامة والسياسة طبع مطبعة النيل سنة ١٣٢٢ هـ ، ص ٢٠٣ ج ٢ : «ثم أمر بنزع أبنيته وأنتقاله ، وأقبلت العامة من الموالى على ابن الأهتم الخ» ولم يذكر ما يتعلق بقرابته وأهله .

(٣) كذا فى م ، ا وتاريخ الطبرى . وفى ب ، س : «يزيد» بالتحتية . وفى القاموس : «وتزيد ابن حلوان أبو قبيلة» ، قال المرتضى فى شرحه : «هكذا بالمثناة الفوقية ، وفى نسختنا بالفوقية والتحتية ، ثم نقل عن كتاب الإيناس للوزير المغربى : أن فى قضاعة تزيد بن حلوان وفى الأنصار تزيد بن جشم ، وسائر العرب غير هذين فبالياء المنقوطة من أسفل . ونقل عن السهيلى فى الروض الأنف : أنه لا يعرف تزيد إلا تزيد بن جشم وتزيد بن الحاف بن قضاعة وهم الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية ، قال المرتضى : وبه قال الدارقطنى والحقّ بيده ووافقه على ذلك أئمة النسب . (انظر تاج العروس فى مادة زيد) .

جَبْهَلَةُ (١) امرأةٌ من بنى تَزِيدَ بن حُلْوانَ أخى سَلِيح بن حُلوان ، وكان لا يُعرفُ إلا بأمه هذه ، وكان ملِكَ تلك الناحيةِ وسائرِ أرضِ الجزيرة ، وكان معه من بنى الأجرام ثم من بنى العَبِيد بن الأجرام وسائر قبائلِ قضاعة ما لا يُحصَى ، وكان مُلْكُه قد بلغ الشأمَ . فأغارَ الضيزنُ فأصاب أختا لسابور ذى الأكتافِ(٢) وفتح مدينةَ نهرشير(٣) وفتكَ فيهم ، فقال فى ذلك عمرو بن السَّلِيح بن(٤) حُدَىّ بن الدَّها بن غَنْم ابن حُلوانَ بن عِمرانَ بن الحاف بن قُضاعةَ :

لَقيناهم بجَمْعٍ من عِلافٍ(٥) وبالخيل الصَّلادِمة الذكورِ
فلاقتْ فارسٌ منّا نَكالًا وقَتَّلنا هَرابِذَ شَهْرَزُورِ(٦)
دلَفْنا(٧) للأعاجم من بعيدٍ بجمعٍ م الجزيرة كالسَّعِيرِ

قالوا : ثم إن سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم ، فأقام على الحَضْر أربع سنين

(١) كذا فى جميع الأصول «جبهلة» بالجيم والباء . وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٢٧ : «جيهلة» بالجيم والياء المثناة .

(٢) كذا فى جميع الأصول وقد نبّه ياقوت فى معجم البلدان فى اسم الحضْر على أن صاحب القصة إنما هو سابور الجنود وهو سابور بن أردشير لا سابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز ، وقال : إنما ذكرت ذلك لأن بعضهم يغلط ويروى أنه ذو الأكتاف .

(٣) كذا فى تقويم البلدان لأبى الفداء ص ٣٠٣ ، وفى ياقوت ج ١ ص ٧٦٨ : بهرسير بالباء الموحدة والسين المهملة وكذا فى البلاذرى ص ٢٦٢ .

(٤) كذا فى جميع الأصول . وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٢٨ : «الجدىّ بن الدهاء» . وفى معجم ياقوت فى اسم الحضر : «الجُدَىّ بن الدلهاث» .

(٥) هو علاف بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهو ريّان أبو جرم من قضاعة ، وإليه تنسب الخيل العلافية . والخيل الصلادمة : القوية الشديدة .

(٦) كذا فى حـ وتاريخ الطبرى ومعجم البلدان ، وشهر زور : كورة واسعة بين إربل وهمذان ، قال ياقوت : وأهل هذه النواحى كلهم أكراد ولأهلها بطش وشدة . وفى بقية الأصول : «نهر شير» ولم نجده فى أسماء الأماكن . والهرابذ : خدم نار المجوس وقومة بيت النار للهند (وهم البراهمة) وقيل : هم عظماء الهند أو علماؤهم ، واحده هربذ ، فارسية . (انظر القاموس وشرحه مادة هربذ ، وعباد النار وسبب عبادتها وبيوت النيران فى الجزء الأول من نهاية الأرب للنويرى طبع دار الكتب ص ١٠٥—١١٣) .

(٧) دلفنا : تقدمنا .

لا يَستقِلّ منهم شيئاً . ثم إن النَّضِيرة[١] بنتَ الضَّيْزَنِ عَرَكَتْ ـ أى حاضت ـ فأُخرِجَتْ إلى الرَّبَضِ[٢] ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وكذلك يفعلون بنسائهم إذا حِضْنَ ، وكان سابور من أجمل أهل زمانه ، فرآها ورأته ، وعشِقَها وعشِقَته ، فأرسلَتْ إليه : ما تجعل لى إن دللتُكَ على ما تهدِمُ به هذه المدينةَ وتقتلُ أبى ؟ قال : أُحكِّمكِ وأرفَعُكِ على نسائى ، وأخصُّكِ بنفسى دونَهنّ ، قالت : عليكَ بحمامة مطوّقة وَرْقاء ، فاكتُبْ فى رجلها بحَيْض جاريةٍ بكرٍ تكون زرقاء ، ثم أرسلْها فإنها تقعُ على حائط المدينة فتتداعَى المدينةُ ، وكان ذلك طِلَّسْمَها[٣] لا يَهدِمُها إلا هو ، ففعل وتأهّب لهم ، وقالت له : أنا أسقِى الحرَسَ الخمرَ ، فإذا صُرِعوا فاقتلْهم وادخل المدينة ، ففعل فتداعت المدينةُ ، وفتحها سابورُ عَنْوَةً ، فقَتَل الضيزنَ يومئذ ، وأبادَ بنِي العَبِيد ، وأفنى قُضاعةَ الذين كانوا مع الضَّيزنِ فلم يبق منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأُصِيبَتْ قبائلُ بنى حُلْوان وانقرضوا ودَرَجُوا ، فقال فى ذلك عمرُو بن آلة[٤] وكان مع الضَّيزنِ :

أَلَمْ يَحزُنْكَ والأنباءُ تَنْمِي[٥] بما لاقَتْ[٦] سَراةُ بَنِي العَبِيدِ

---

(١) كذا فى حـ ، ا وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ٢٢٩ ومعجم البلدان فى اسم الحضر . وفى ب ، س : «النصيرة» بالصاد المهملة .

(٢) الربض : ما حول المدينة من خارج .

(٣) طلسمها : سرُّها المكتوم ، قال المرتضى فى تاج العروس فى المستدرك بعد مادة « اصلخمّ » والطِّلَّسْمُ كسبطر ـ وشدّد شيخنا اللام وقال : إنه أعجمى وعندى أنه عربى ـ : اسم للسرّ المكتوم ، وقد كثر استعمال الصوفية له فى كلامهم فيقولون : سرّ مطلسم وحجاب مطلسم والجمع طلاسم . وذكر الشهاب الخفاجى فى شفاء الغليل : أن الطِّلَّسْمَ لفظ يونانى ولكنه قال: لم يعرّبه من يوثق به ، ثم نقل عن كتاب السرّ المكتوم أنه عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها .

(٤) كذا فى جميع الأصول . وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٢٨ : « عمرو بن إلّة » ونسب ياقوت فى معجم البلدان فى اسم الحضر هذه الأبيات لشاعر سماه «الجدىّ بن الدلهاث» .

(٥) تنمى أى تشيع ، وأصله من نمى الشىء ينمى إذا ارتفع وزاد .

(٦) الباء هنا زائدة ، و «ما لاقت» فاعل لقوله : «يحزنك» .

ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَنِي أبيــه وأحْلَاسِ[١] الكتائبِ مِن تَزيدِ
أتاهُم بالفُيُولِ مُجَلَّلَاتٍ وبالأبطال سابورُ الجنــودِ
فهدَّمَ من أَوَاسِي[٢] الحَضْرِ صَخْرا كأنَّ ثِقالَه زُبَرُ الحـديدِ

قال: فأخربَ[٣] سابورُ المدينةَ واحتملَ النَّضيرةَ بنتَ الضَّيْزَن فأعرَسَ بها ٣٨/٢ بعَينِ[٤] التمرِ ، فلم تزل ليلتَها تتضوّر[٥] من خَشانةٍ فى فُرُشِها وهى من حرير محشُوٍّ بالقزِّ ؛ فالتُمِسَ ما كان يؤذيها فإذا هى ورقة آسٍ ملتصقةٌ بعُكْنةٍ من عُكَنِها قد أثَّرتْ فيها . قال: وكان يُنظر إلى مُخِّها من لِينِ بشرتِها . فقال لها سابور : ويحكِ ! بأىّ شىء كان أبوكِ يُغَذِّيكِ ؟ قالت : بالزبدِ والمخِّ[٦] وشَهْدِ الأبكار من النحل وصَفْوَةِ الخمر . قال : وأبيكِ لأنا أحدَثُ عهداً بمعرفتِكِ ، وآثرُ[٧] لكِ من أبيكِ الذى غذَّاكِ بما

(١) أحلاس الكتائب : الشجعان الملازمون لها ، يقال : فلان من أحلاس الخيل أى هو فى الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس اللازم لظهر الفرس .

(٢) كذا فى ح ، م ، ا وتاريخ الطبرى وهو جمع آسية ، وهى ما أسس من بنيان فأحكم أصله من سارية وغيرها . وفى ب ، س : «رواسى» بالراء .

(٣) الظاهر من السياق هنا أن أخرب بمعنى هدّم ودمّر وقد ذكر الفيومى فى المصباح المنير والفيروزابادى فى القاموس والجوهرى فى الصحاح الكلمتين «أخرب وخرب» ولم يذكروا بينهما فرقا إلا أن صاحب اللسان والمرتضى فى شرح القاموس نقلا بينهما فرقا عن أبى عمرو بن العلاء فقالا : الإخراب : أن يترك الموضع خربا أى خاليا من السكان ، والتخريب : الهدم ، وخرجا عليه قوله تعالى: ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴾ فمن قرأها بالتشديد فمعناه يهدمونها ومن قرأها يخربون (بضم الياء ، وتخفيف الراء) فمعناه يخرجون منها ويتركونها خالية ، ومثله ما فى النهاية لابن الأثير فى هذه المادة . وفى روح المعانى ذكر الآلوسى فى تفسير هذه الآية هذا الفرق ثم قال : وقيل هما بمعنى واحد (انظر الكتب المتقدمة فى هذه المواد) .

(٤) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة .

(٥) تتضوّر : تتلوّى ، يقال : تضور أى تلوى وأظهر الضرر . وفى ب ، س : «تتضرر» .

(٦) فى م ، ا ، ب : «المح» بالحاء وهو ما فى جوف البيضة من أصفر ، وقال ابن شميل : من أصفر وأبيض .

(٧) كذا فى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٣٠ ، وفى أغلب النسخ : «أوثر لك فى أبيك» . وفى ب ، س : «وأثأر لك فى أبيك» ، ولم يظهر لهما معنى .

تذكرين ! ثم أمر رجلا فركب فرساً جَمُوحًا وضَفَرَ غدائرَها بذنبه ، ثم استركضه فقطَّعَها قِطَعاً ، فذلك قولُ الشاعر :

أقفرَ الحَضْرُ من نضيرةَ فالمِرْ باعُ منها فجانبُ الثَّرْثارِ[١]

قالوا : وكان الضَّيزنُ صاحبُ الحَضْر يُلَقَّبُ السَّاطِرونَ ، وقال غيرُهم : بل السَّاطِرُون صاحبُ الحَضْر كان رجلا من أهل باجَرْمَى[٢] والله أعلم أىّ ذلك كان . هذا خبر صاحب الحَضْر الذى ذكره عدىٌّ .

وأما صاحبُ الخَوَرْنَقِ فهو النعمانُ بنُ الشَّقِيقةِ ، وهو الذى ساح على وجهه فلم يُعرَفْ له خبرٌ ، والشقيقةُ أمه بنتُ أبى رَبيعةَ بن ذُهْل بن شَيْبان . وهو النعمانُ ابنُ امرئِ القيس بن عمرو بن عَدِىّ بن نَصْر بن رَبيعة بن الضَّخْم اللَّخْمىّ ، وهو صاحب الخوَرْنق ، فذكر ابنُ الكلبىّ فى خبره الذى قدّمنا ذكرَه وروايةَ علىّ بن الصبَّاح إياه عنه : أنه كان سببُ بنائه الخورنقَ أنّ يَزْدَجِردَ بنَ سابور كان لا يَبقى له ولد ، فسأل عن منزل مَرِىءٍ صحيح من الأدواء والأسقام ، فَدُلَّ على ظَهْر الحِيرةِ ، فدفع ابنَه بَهْرام جُور بن يزدَجِرد إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عاملَه على أرض العرب ، وأمره بأن يبنىَ الخورنقَ مسكناً له ولابنه ويُنزِلَه إياه معه ، وأمره بإخراجه إلى بوادى العرب ، وكان الذى بنى الخورنق رجلا يقال له « سِنِمَّارُ » ، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمتُ أنكم تُوفُونى أُجرتى وتصنعون بى ما أستحقُّه لَبَنيتُه بناء يدورُ مع الشمس حيثما دارَتْ ، فقالوا : وإنك لتبنى ما هو أفضل منه ولم تَبْنِه ! ثم أُمِرَ به فطُرِحَ من أعلى الجَوْسَقِ[٣] . وقال : فى بعض الروايات أنه قال له : إنى لأعرفُ

(١) الثرثار : وادٍ عظيم بين سنجار وتكريت كان فى القديم منازل بكر بن وائل ، واختص بأكثره بنو تغلب منهم ، ويمرّ بمدينة الحضر ثم يصب فى دجلة أسفل تكريت .

(٢) باجرمى : قرية من أعمال البَلِيخ قرب الرقة من أرض الجزيرة .

(٣) الجوسق : القصر ، فارسى معرب .

فى هذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هُدِمَ تداعى القصرُ أجمعُ ، فقال له : أمَا واللهِ لا تدلُّ عليه أحداً أبدا ، ثم رُمِىَ به من أعلى القَصْرِ . فقالت الشعراء فى ذلك أشعاراً كثيرة منها قولُ أبى الطَّمَحَانِ القَيْنِىّ :

جزاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها[1] وربِّها ... وباللّاتِ والعُزَّى جزاءَ المُكفَّرِ

ومنها قولُ سَلِيطِ بنِ سَعْد[2] :

جزى بنوه أبا الغِيلانِ[3] عن كِبَرٍ ... وحُسْنِ فِعلٍ كما يُجزَى سِنِمَّارُ

وقال عبد العُزَّى بن امرئ القيس الكَلْبىّ — وكان أهدَى إلى الحارث بن مارِيَةَ الغَسّانىّ أفراساً ، ووفَدَ إليه فَأُعْجِبَ به واختصّه ، وكان للملك ابنٌ مُسْتَرضَعٌ فى بنى عَبْدِ وُدٍّ مِن كَلْبٍ فنهشَتْه حَيَّةٌ ، فظنَّ المَلكُ أنهم اغتالُوه ، فقال لعبد العُزَّى : جئنى بهؤلاء القوم ، فقال : هم قوم أحرار ليس لى عليهم فضلٌ فى نسبٍ ولا فعلٍ[4] ، فقال : لَتأتيَنّى بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ ، فقال له : رَجَوْنا من حِبائِكَ أمراً حال دونه عِقابُكَ ، ودعا ابْنَيه شَراحِيلَ وعبدَ الحارث — فكتبَ معهما إلى قومه : ٣٩/٢

جزانى جزاه اللهُ شَرَّ جزائه ... جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذا ذنبِ

سوى رَصِّه البنيانَ عِشرينَ حِجةً ... يُعَلِّى عليه بالقَراميدِ[5] والسَّكْبِ

وهى أبيات . قال : فقتله النعمان ، وكان أمره قد عظُمَ ، وجعل معه كسرى كتيبتين :

---

(١) كذا فى أغلب النسخ وخزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ١٤٢ . وفى ح وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٥١ : «جزاها» .

(٢) كذا فى ح ، ا وشرح الأشمونى ج ١ ص ٤٠٧ طبع بولاق وخزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ١٤٢ وشرح الشواهد للعينى الموجود بهامش الخزانة . وفى ب ، س ، حد : «سعيد» .

(٣) كذا فى شرح الأشمونى وخزانة الأدب للبغدادى وشرح الشواهد للعينى . وفى الأصول : «غيلان» بالتنكير .

(٤) كذا فى جميع الأصول . وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٥٣ : «فعال» والفعال : اسم للفعل الحسن والكرم .

(٥) القراميد : جمع قِرْمِد وهو الآجرّ ، وقيل : حجارة لها خروق يوقد عليها حتى إذا نضجت بنى بها وهو رومىّ تكلمت به العرب قديما . والسكب : النحاس أو الرصاص .

إحداهما يقال لها : « دَوْسَر »[١] وهي لِتَنُوخ ، والأخرى : « الشَّهْباء » وهي للفُرس، وكانتا أيضاً تُسمَّيان القبيلتين ، وكان يغزو بهما بلادَ الشأم ، وكلَّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب . فجلس يوماً يُشرِفُ من الخَوَرْنَق فأعجبه ما رأى من مُلكه . ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما ذكره خالدُ بن صفوانَ لهشامٍ من مخاطبة الواعظِ وجوابِه وما كان من اختياره السياحةَ وتركِه مُلكَه .

رثاء النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني عبد الله ابن عمرو قال ذكر ابنُ[٢] حمزةَ عن مشايخه :

أن النعمان بنَ المنذر لما نُعِيَ إلى النابغة الذُّبيانيّ وحُدِّثَ بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالبُ الملوكِ ثم تمثَّلَ :

مَنْ يَطلُبِ الدهرُ تُدْرِكْه مَخالبُه والدَّهرُ بالوَتْرِ[٣] ناجٍ غيرُ مطلوبِ
ما مِنْ أُناسٍ ذَوِي مجدٍ ومَكرُمةٍ إلا يَشُدُّ عليهم شَدَّةَ الذِّيبِ
حتى يُبِيدَ على عَمْدٍ سَراتَهُمُ بالنافذاتِ من النَّبْلِ المَصاييبِ
إني وجدتُ سهامَ الموت مُعرِضَةً[٤] بكلّ حَتْفٍ من الآجال مكتوبِ

الغناء في شعر عديّ ابن زيد

وفي سائر قصائد عديّ بن زيد التي كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغانٍ .

(١) كانت أخشن كتائب النعمان وأشدها بطشا ونكاية ، وكانوا من كل قبائل العرب ، وأكثرهم من ربيعة . وسميت «دوسرا» اشتقاقا من الدسر وهو الطعن بالثقل؛ لثقل وطأتها (انظر بلوغ الأرب للآلوسي ج ٢ ص : ١٩١ طبع بغداد سنة ١٣١٤ هـ) .

(٢) في رس ، مع ، نا : « أبو حمزة » .

(٣) الوتر بالفتح والكسر : الذحل والثأر .

(٤) كذا في جميع النسخ بالعين المهملة ولعل معناه متعرضة ؛ ففي اللسان مادة عرض : والعرب تقول: عرض لي الشيء وأعرض وتعرض بمعنى واحد . ويحتمل أنه مصحف عن مغرضة بالغين المعجمة بمعنى مصيبة الغرض وهو الهدف .

منها :

صـوت

لم أر مثلَ الفتيانِ فى غَبَنِ الْ ... أيام يَنْسَوْنَ ما عواقِبُها
ينسَوْنَ إخوانَهـم ومصرَعَهم ... وكيف تَعْتاقُهـمْ مَخالِبُهـا
ماذا تُرجِّى النفوسُ مِن طلبِ الـ ... ـخير وحبُّ الحيـاةِ كارِبُها
تظنّ أن لن يصيبها عَنَتُ الـ ... ـدهرِ ورَيبُ المنونِ صائِبُها

ويروى : عُقَبُ[1] الدهر — يقول : الأيامُ تَغْـبِنُ الناسَ فتخدَعُهم وتختِلُهـم مثلَ الغبنِ فى البيع . وتَعتاقُهم : تحبِسُهم ، يقال : اعتاقه واعتقاه[2] . وكاربها هاهنا : غامُّها ، وهو فى موضع آخر القريبُ منها ، يقال كَرَبه الأمر وكرثه[3] وبهَضه وغنظه[4] إذا غمّه — الغناء فى هذه الأبيات لابن مُحْرز خفيفُ رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيها رمل بالبنصر ، نسبه حَبَشٌ ودَنانيرُ إلى حُنينٍ ، ونسبه الهشامىّ وابن المكىّ إلى الهُذَلِىّ .

ومنها :

صـوت

يا لُبينَى أوقِدِى النّارا ... إنّ مَنْ تَهوَيْنَ قد حارا

(١) عقب : جمع عقبة وهى الشدة ، يقال : لقى منه عقبة أى شدة .
(٢) اعتقاه : احتبسه . قال الأصمعى الاعتقاء : الاحتباس وهو مقلوب الاعتياق .
(٣) كذا فى حـ بالثاء المثلثة أى اشتد عليه وبلغ منه المشقة كما يقال : أكرثه ، وقال الأصمعى : لا يقال كرثه وإنما يقال أكرثه ، على أن رؤبة قد قال : * وقد تجلى الكرب الكوارث * انظر اللسان فى مادة كرث . وفى باقى نسخ الأصول : « كرّبه » وهو تحريف .
(٤) كذا فى حـ . وغنظه الأمر : غمه وبلغ منه المشقة فهو بمعنى بهظه وبهضه . وفى باقى النسخ : « وغيظه » وهو تحريف .

رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْمُقُها   تَقْضِمُ الهِندِىَّ والغارا
عندها ظَبىٌ يؤرِّثها   عاقِدٌ فى الجِيدِ تِقْصارا

عروضه من المديد — حار يحير هنا : ضلّ ، وحار فى موضع آخر : رجع . والغار : شجر طيّبُ الريح ، والغار أيضاً : شجرُ السوسِ ، والغار : الغَيرةُ . ويؤرِّثها : يوقِدُها ويُكثِر حَطَبَها . والتِّقْصارُ : المِخْنَقَةُ — الغناء لحُنينٍ خَفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنه لعَرِيبَ . ٤٠/٢

أخبرنى محمد بن مَزيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق ، وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن داود بن محمد عن حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس النحوىّ قال :

مات رجل من جُنْدِ أهل الشأم عظيمُ القدر ، له فيهم عزّ وعدد ؛ فحضر الحجّاجُ جنازتَه وصلّى عليه وجلَس على قبره وقال : لِيَنْزِلْ إليه بعضُ إخوانه ، فنزل نفرٌ منهم ، فقال أحدهم وهو يُسَوِّى عليه : رحمكَ اللهُ أبا قنان(١) ، إن كنتَ ما علمتُ لَتُجيدُ الغناء وتُسرِعُ ردَّ الكأسِ ، ولقد وقعْتَ فى موضع سَوْءٍ لا تخرجُ منه والله إلى يوم القيامة(٢) . قال : فما تمالَكَ الحجّاجُ أن ضَحِكَ ، وكان لا يكثر الضحكَ فى جِدٍّ ولا هزلٍ . فقال له : أهذا موضع هذا لا أُمَّ لكَ ! فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، فرسُه حبيسٌ فى سبيل الله لو سمعه الأميرُ وهو يُغنّى :

يا لُبَيْنَى أوقِدى النـــــارا   إن مَن تَهوَيْنَ قد حارا

(١) لم نهتد إلى ضبط هذا الاسم وقد سمى العرب قنانا وأبا قنان — بفتح القاف وتخفيف النون — كما ورد فى القاموس مادة قنن .

(٢) فى حـ ، مع : «يوم الدكة» ،وقد راجعنا فى شرح إحياء الغزالى للسيد محمد مرتضى الزبيدى ج ١٠ ص ٤٦٢ أسماء يوم القيامة فلم نجد فيها هذا الاسم ، وأقرب الأسماء إليه يوم الرجة ، ترج فيه الأرض بأهلها فتميد الناس على ظهرها ، فلعله محرف عنه أو لعله اسم من أسمائها لم يذكره الغزالى بدليل قوله تعالى : ﴿كلا إذا دُكّت الأرض دكًّا دكًّا وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا﴾ .

لانتشر الأميرُ على سعْنةَ(١) ، وكان الميتُ يلقَّبُ بسعنَةَ ، فقال : إنّا لله ، أخرجوه من القبر ! ما أبينَ حُجَّةَ أهل العراق فى جهلكم يا أهلَ الشام ! قال : وكان سعنةُ هذا الميتُ من أوحشِ خلقِ الله كلِّهم صورةً ، وأذمِّهم قامةً . فلم يبق أحد حضر القبرَ إلا استفرغ ضحكا .

ومنها من قصيدته التى أوّلها :

* لِمَنِ الدارُ تَعَفَّتْ بِخِيَمْ(٢) *

صوت

وثلاثٍ كالحماماتِ بها بين مَجْثاهنَّ توشيمُ الحُمَمْ(٣)
أسأل الدارَ وقد أنكرتُها عن حبيبى فإذا فيها صَمَمْ

— ويروى: توشيمُ العَجَم . والتوشيمُ أراد به آثار الوَقود قد صار فيها كالوَشْم . والثلاثُ يعنى الأثافىَّ التى تُنصب عليها القِدرُ — الغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيل أوّل مطلق فى مجرى البنصر عن عمرو وابن المكىّ . وفيه لحَكَم لحنٌ من كتاب إبراهيمَ غيرُ مجنّس . وهذه القصيدة التى أوّلها :

لمن الدارُ تعفَّتْ بخِيَمْ أصبحت غيَّرها طولُ القِدَمْ
ما تبِينُ العينُ من آياتها غيرَ نُؤْىٍ(٤) مثل خطٍّ بالقلمْ

وبعده :

وثلاثٍ كالحمامات بها بين مَجْثاهنَّ توشيمُ الحُمَمْ

(١) لم نقف على ضبط هذا الاسم ، والعرب سموا سعنة — بفتح السين — وسعنة ، بضمها (انظر القاموس مادة سعن) .

(٢) خيم : اسم جبل من عماية على يسار الطريق إلى اليمن .

(٣) الحمم : جمع حممة وهى الفحم والرماد وكل ما احترق بنار .

(٤) النؤى : حفرة تجعل حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر .

وعلى هذا خُفِضَ قولُه : وثلاث كالحمامات .

ومنها قوله :

* كفى غِيَرُ الأيام للمرءِ وازعا *

صــوت

بناتِ كِرامٍ لم يُرَبْنَ[1] بضُـرَّةٍ دُمًى شَرِقاتٍ[2] بالعَبيرِ رَوادِعا[3]
يُسارِقْنَ مِ الأستارِ طَرْفًا مُفَتَّرًا ويُبرِزْنَ من فَتْقِ الخدُورِ الأصابعا

بنات كرامٍ موضعه نصب وهو يتبع ما قبله وينصب به وهو قوله :

* وأَضْحِي ظِباءٌ فى الدِّمَقْسِ[4] خواضِعا *

بناتِ كرام ، هكذا فى القصيدة على تواليها ، وقد يجوز رفعه على الابتداء . ويروى : بضُرَّةٍ وبضَرَّةٍ جميعاً بالضم والفتح . والدُّمَى :الصُّوَرُ ، واحدتُها دُمْيَةٌ . الغناء فى هذين ٤١/٢ البيتين لابن قندحٍ[5] ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو ، وذكر الهشامىّ أنه لمحمد بن إسحاقَ ابن عمرو بن بَزِيعٍ ، وذكر حبشٌ أنه لإبراهيمَ .

ومنها :

صــوت

أَرِقْتُ لمكفَهِرٍّ بات فيــه بَوارِقُ يرتقِينَ رءوسَ شِيبِ
تروحُ المشرَفِيَّةُ فى ذُراهُ ويَجلُو صفحةَ الدَّبِلِ القَشِيبِ

والمكفَهِرُّ والمكرهِفُّ : السحابُ المتوالِى المتراكِب[6]. والشِّيبُ : السحائبُ التى

(١) لم يربن : لم يُسَأْنَ .
(٢) شرقات : ممتلئات ، يقال : شرق الجسد بالطيب ، امتلأ .
(٣) روادعا ، جمع رادع ، والرادع : ما فيه أثر الردع وهو الطيب .
(٤) الدمقس : الديباج وقيل هو الحرير .
(٥) ورد هذا الاسم هكذا فى جميع الأصول ولم نقف له على ضبط فى كتب اللغة أو غيرها .
(٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ح ، نا ، رس ، مع : «المتراكم» بالميم .

فيها سواد وبياض ؛ شبّهها بالرءوس الشِّيب ، وقال قوم : بل شِيبٌ : جبل معروفٌ . شبّه البرق فى السحاب بلمعان السُّيوف . ورواه ابن الأعرابىّ :

* ويجلو صفحَ دَخْدارٍ قَشيبِ *

وقال : الدَّخْدارُ : الثوب المَصُونُ ، وهو أعجمىّ معرّب أصله تخت دار . والقشيب : الجديد . الغناء لِعَرِيبَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر .

ومنها من قصيدته التى أوّلها :

* ألا يا طالَ ليـــلِى والنهارُ *

صـــوت

ألا مَنْ مُبلغُ النعمانِ عنِّى علانيةً فقد ذهبَ السِّرارُ
بأنّ المرءَ لم يُخلَقْ حَديدًا ولا هَضْبًا توَقّاه الوِبارُ[1]
ولـكنْ كالشِّهاب فثمَّ يَخْبو وحادِى الموتِ عنه ما يَحارُ
فهل مِن خالدٍ إما هلـكنا وهل بالموتِ يا للنّاسِ عارُ !

الهَضْبُ : الجبلُ . والوِبار[2] : جمع وَبْرٍ . والشِّهابُ : السراجُ . ويخبو : يَطْفأُ . الغناء لبابُويَه[3] ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش والهشامىّ .

---

(١) كذا فى حـ وهو المناسب لما يذكرونه فى الوبر من أنها دويبة تكون بالغور . وفى باقى النسخ : «ترقاه» بالراء .

(٢) والوبر بالتسكين : دويبة على قدر السنّور غبراء أو بيضاء من دوابّ الصحراء حسنة العينين شديدة الحياء تكون بالغور .

(٣) كذا فى حـ ، وورد هكذا اسما لمغن فى الجزء الرابع ص ٣٦ وفى الجزء السابع ص ١٦٣ من الأغانى طبع بولاق . وفى باقى الأصول : «بابونة» بالنون .

ومنها :

صـــوت

ألا مَن مُبلِغٌ النعمانِ عنّى فبينا المرء أغْرَبَ[١] إذ أراحا[٢]
أطَعْتَ بنى بُقَيْـلَةَ فى وَثاقٍ وكنا فى حُلوقِهِمُ ذُباحا[٣]
منحتَهمُ الفُراتَ وجانبيهْ[٤] وتَسقينا الأواجِنَ[٥] والمِلاحا

الغناء لحُنَين خفيف ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها :

صـــوت

مَنْ لقلبٍ دَنِفٍ أو مُعْتَمَدْ قد عَصَى كلَّ نَصيحٍ ومُفَدْ
لستُ إن سَلْمَى نأتنى دارُها سامعاً فيها إلى قول أحَـدْ

المعتَمَدُ : الذى عمَدَه الوجعُ يَعمِده عَمْدًا[٦] . غنّاه ابن محرز ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو[٧] . وذكر يونس أن فيه لمالك لحنا ، ولسِنانٍ الـكاتبِ لحنا ، وهو ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش .

---

(١) أغرب : من الإغراب وهو كثرة المال وحسن الحال .
(٢) أراح : مات ، يقال : أراح الرجل إذا مات ؛ كأنه استراح . قال العجاج :
* أراح بعد الغمّ والتغمغم *
(٣) الذباح : وجع فى الحلق .
(٤) فى ح ، رس ، مع : «وما يليه» .
(٥) الأواجن : جمع آجن وهو الماء المتغير الطعم واللون .
(٦) ذكر المؤلف هذا المعنى للمعتمد ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا كاللسان والقاموس والصحاح والمصباح اعتمد بهذا المعنى ، وإنما جاء فيها عمده المرض بمعنى أضناه وأوجعه ، وعَمِدتُ بمعنى وَجِعت .
(٧) فى رس ، نا : «حبش» .

ومنها :

صــوت

أَرَواحٌ مُوَدِّعٌ أم بُكورُ لكَ فاعمِدْ لأىّ حالٍ تَصيرُ
ويقولُ العُداةُ : أَوْدَى عدىٌّ وعدىٌّ بسُخْطِ ربٍّ أَسيرُ
٤٢/٢ أيّها الشامتُ المعيِّرُ بالدهــــر أأنت المبرَّأُ الموفورُ !
أم لديكَ العهدُ الوثيق من الأيام بل أنت جاهلٌ مغرُورُ !

يريد : أَرَواحٌ نودِّعُكَ فيه أم بكورٌ ؟ أيّهما تُريد ؛ فاعمِدْ للذى تصيرُ إليه من أمر آخرتكَ . والموفورُ : الذى لم تُصِبه نوائبُ الدهر . الغناء لحُنَين من كتاب يونسَ ولم يذكر طريقتَه ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ حُنَينا غنّاه خالدا القَسْرِىَّ أيام حرَّم الغِناءَ ، فرَقَّ له وقال : غَنِّ ولا تُعاشِر سفيهاً ولا مُعَرْبِدًا . والخبر فى ذلك يُذكر فى أخبار حنين .

وممّا يُغَنَّى فيه أيضاً من شعر عدىّ :

صــوت

أَلَا يا رُبَّما عَــزَّ خليـــــلى فتهاونْتُ
ولو شئتُ على مَقْدُ رَةٍ مِــنِّىَ لعاقبتُ
ولـكن سَرَّنى أن يعـــلَمُوا[1] قَدْرِى فأَقْلعتُ
أَلا لا فاســـألوا الفتيـــة ما قـــالوا وقد قمتُ

الغناء لسِيَاطٍ رمل عن الهِشامِىّ . وفيه ليحيى المكىّ خفيفُ ثقيلٍ نسبه إلى مالك وليس له . ولِعَرِيبَ فى البيتين الأوّلين ثقيل أوّل . وبعدهما بيتٌ ليس من الشعر وهو :

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : «تعلموا» .

ولكنّ حبيبى[1] جـلّ عندى فتغافلتُ

ومما يُغنَّى فيه من شعره :

صوت

تَعرِفُ أمْسِ مِنْ لَميسَ الطَّلَلْ مثلَ الكتاب الدارسِ الأحْوَلْ

الذى قد درَس فلا يُقرأ .

أنعِمْ صَباحاً عَلقَمَ بنَ عَـدِىّ أثْوَيْتَ اليومَ أم تَرْحَلْ

قد رحَّلَ الفِتيانُ عِيرَهُمُ واللحمُ بالغِيطانِ[2] لم يُنْشَلْ[3]

إذ هى تَسْبِى الناظرين وتجـلو واضحاً كالأقْحُوانِ رَتِلْ[4]

الرَّتِلُ : المستوِى البِنْيةِ[5] .

عذباً كما ذقتُ الجَنِىَّ من التـفاح مَسْقِيًّا ببردِ الطَّلّْ

هكذا يُغنَّى . والذى قاله عدىّ : يَسقِيهِ بردُ الطَّلّْ . الغناء لحنين رملٌ بالوسطى عن عمرو .

أخبرنى الحسينُ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبىّ أن عمرو بنَ امرئ القيس المكنّى بأبى سريح[6] وعَلْقمةَ بن عدىّ — وقيل علقم بن عدىّ بن كعب —

(١) كذا فى م ، ا . وفى باقى النسخ : «حل» بالحاء المهملة .

(٢) جمع غائط وهو المطمئن الواسع من الأرض ، وقيل : المطمئن المنبت .

(٣) ينشل : ينزع من القدر ، يقال : نشَلت اللحم من القدر أنشِله وأنشُله نشلا إذا انتزعته منها .

(٤) فى ب ، س : «الرتل» . ويلاحظ أن فى الأبيات خللا عروضيا واضحاً .

(٥) كذا فى جميع الأصول . ولعلها «النبتة» وهى شكل النبات وحالته التى ينبت عليها . وفى اللسان : ثغر رَتِلٌ ورَتَلٌ : حسن التنضيد مستوى النبات .

(٦) كذا ورد هذا الاسم فى أغلب النسخ . وفى ح ، مع : «شريح» بالشين .

وعمرَو بنَ هند خرجوا إلى الصيد فأتَوْا قصرَ[١] ابنِ مُقاتِل فمكثوا فيه يتصيّدون ، فزعموا أن علقمةَ بن عدىّ تَبِـعَ حماراً فصرعه والشمسُ لم تَطلُع ، ثم لحِق آخرَ فطعنه فانقصَف الرمحُ فيه ، ومرَّ به فرسُه يركضُ ، فجال به العَيرُ فضربه فأصاب صدرَه فقتله . وقيل : إن الرمحَ المنقصفَ دخل فى صدره فقتله ، وذلك فى أيام الربيع ، وكان عدىّ ابن زيد معهم وإليه قصدوا ، وكان نازلاً فى قصر ابن[١] مقاتل ، فقال عدىّ هذه القصيدة يرثيه بها .

(١) كذا فى جميع الأصول . ولم نجد هذا الاسم فى أسماء الأماكن . والذى ورد فى معجم البلدان لياقوت «قصر مقاتل» ، وقال : هو قصر كان بين عين التمر (بلدة غربى الكوفة) والشام وهو منسوب إلى مقاتل ابن حسان بن ثعلبة ، وخربه عيسى بن على بن عبد الله ثم جدد عمارته فهو له .

صوت من المائة المختارة

٤٣ / ٢

عَفا مِنْ سُلَيمَى مُسحُلانُ لحامِرُهْ ... تَمَشَّى به ظِلْمانُه وجآذِرُهْ

بمستأسِدِ القُرْيانِ عافٍ[1] نَباتُه ... فَنُوّارُه مِيلٌ[2] إلى الشمس زاهِرُهْ

رأتْ عارِضًا جَوْنًا فقامَتْ غَرِيرةً ... بِمِسْحاتِها قبل الظلامِ تُبادِرُهْ

فما بَرِحَتْ حتى أتى الماءُ دونها ... وسُدّتْ نواحِيه ورُفِّعَ دابِرُهْ

عروضه من الطويل . عفا : درس . مُسحُلانُ : موضعٌ ، وحامِرُه : موضع أضافه إلى مُسحُلان[3]. والظِّلمانُ : ذكورُ النعام واحدُها ظليم . والجآذر . أولادُ البقر واحدها جُؤْذُر وجُؤذَر بضم الذال وفتحها . وتَمشَّى : تُكْثِر المشيَ . والقُرْيانُ : مجارى الماء إلى الرِّياض واحدها قَرِىٌّ . والمستأسِدُ : ما ٱلتفّ منها وطال . والنُّوّارُ يقال : إنه يكون أبدا حِيالَ الشمس يستقبلها بوجهه ؛ فيقول : إن نُوّار هذه الروضة يميلُ زاهرُه حيالَ الشمس . والعارضُ : السحابُ . والجون : الأسود . والغريرةُ : الناعمةُ التى لم تجرِّب الأمورَ ؛ يقول : لما رأت هذه

(١) الذى فى ديوان الحطيئة طبع ليبسك ص ٦٢ : « حُوٌّ نَباته » وحوّ : جمع أحوى وهو الأسود . وفى رس ، مع : « حوٌّ تِلاعه » .

(٢) مِيل ، هكذا بكسر الميم كما جاء وصفا للضباب فى قول ساعدة بن جؤية :

* ضباب تنتحيه الريحُ مِيلُ *

قال ابن جنى : الميل جمع وأجراه على الضباب وإن كان واحدا من حيث كان كثيرا ، فذهب بالجمع إلى الكثرة كما قال الحطيئة :

* فنواره ميل إلى الشمس زاهره *

قال : ويجوز أن يكون ميل واحدا كنِقْضٍ ونِضو ومِرط . (انظر اللسان مادة ميل) .

(٣) قال ابن السكيت : مسحلان وحامر : واديان بالشام (انظر معجم ياقوت فى اسم حامر) .

المرأةُ السحابةَ السوداءَ قامت بِمِسْحاتِها تُصْلِحُ النُّؤْيَ حوالَيْ بيتها وهو الحاجزُ بينه وبين الأرض المستوية . وقوله : رُفِّعَ دابرُه أى مؤخره الذى يلى المــاء من النؤى .

الشعرُ للحطيئة يهجو الزِّبْرِقانَ بنَ بَدْر . والغناء لابن عائشةَ ولحنُه المختارُ خفيفُ رملٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاقَ ، وذكر حبشٌ أن له فيــه لحناً آخرَ من الثقيل الثانى .

خبر الحطيئة ونسبه

والسبب الذى من أجله هجا الزبرقان بن بدر

نسبه

الحطيئةُ لقبٌ لُقِّبَ به ، وأسمه جَرْوَلُ بنُ أوس بن مالك بن جُؤَيَّةَ بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيعةَ بن عبس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيس ابن عَيْلانَ بن مُضَرَ بن نِزار . وهو من فحول الشعراء ومتقدِّميهم وفصحائهم ، متصرِّفٌ فى جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنَّسيب ، مجيدٌ فى ذلك أجمع ، وكان ذا شرٍّ وسَفَهٍ ، ونسبُه مُتدافعٌ بين قبائل العرب ، وكان ينتمى إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين . وهو مُخضرَمٌ أدركَ الجاهليةَ والإسلامَ ، فأسلم ثم آرتدّ وقال فى ذلك :

إسلامه وارتداده وشعره فى ذلك

أطعنا رسولَ الله إذ كان بيننا فيا لعبادِ الله ما لأبى بكر
أيُورِثها[1] بكراً إذا مات بعده وتلك لعمرُ الله قاصمةُ الظهر[2]

سبب لقبه الحطيئة

ويكنى الحطيئةُ أبا مُليكةَ ، وقيل : إن الحطيئةَ غلب عليه ولُقِّبَ به لقِصَره وقُرْبه من الأرض . وقال حمّادٌ الراويةُ قال أبو نصر الأعرابىّ : سمِّى الحطيئةَ لأنه ضَرِط ضَرْطةً بين قوم ، فقيل له : ماهذا ؟ فقال : إنما هى حُطَيئةٌ[3] فسمِّىَ الحطيئةَ . وقال المدائنىّ قال أبو اليقظان : كان الحطيئةُ يدّعى أنه آبنُ عمرو بن علقمة أحد بنى الحارث بن سَدُوس ، قال : وسمِّى الحطيئةَ لقربه من الأرض .

(١) فى ا ، م ، ب : «أيورثها بكر» .
(٢) هذا البيتان أوردهما ابن جرير الطبرى فى حوادث سنة ١١ هـ . فى جملة أبيات عزاها للخُطَيل ابن أوس أخى الحطيئة .
(٣) كذا فى نسخة م وتاج العروس شرح القاموس (مادة حطأ) ، وحطيئة : تصغير حَطْأة فَعْلَة ، من قولهم حَطَأَ حَطْأً إذا ضرط . وفى أغلب الأصول : « حطأة » .

انتماؤه إلى بنى ذهل ابن ثعلبة

أخبرنى الفَضلُ بنُ الحُبَاب الجُمَحىّ أبو خليفةَ فى كتابه إلىّ بإجازته لى يذكر عن محمد بن سلاّم : أنّ الحطيئةَ كان ينتمى إلى بنى ذُهل بن ثعلبةَ فقال :

إنّ اليَمامةَ خيرُ ساكنِها أهلُ القُرَيَّةِ من بنى ذُهلِ

٤٤/٢ قال : والقُرَيّةُ : منازلهم ، ولم ينبت(١) الحطيئةُ فى هؤلاء .

تلونه فى نسبه وانتسابه إلى عدة قبائل

وأخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنى عمّى عن ابن الكلبىّ قال : سمعتُ خِراشَ بنَ إسماعيل وخالدَ بن سَعيد يقولان : كان الحُطيئة إذا غضب على بنى عبس يقول : أنا من بنى ذُهْل ، وإذا غضب على بنى ذهل قال : أنا من بنى عبس .

أخبرنى الحسين بن يحيى المِرْداسىّ قال قال حمّاد بن إسحاق قال أبى قال ابن الكلبىّ : كان الحُطيئة مغموز النسب(٢) ، وكان من أولاد الزنا الذين شَرُفوا . قال إسحاق وقال الأصمعىّ : كان الحُطيئةُ يضربُ بنسبه إلى بكر بن وائل فقال فى ذلك :

قومى بنو عَوْفِ(٣) بن عمرٍو إن أراد العلمَ عالِمْ
قومٌ إذا ذهبَتْ خضارِمُ(٤) منهم خَلَفَتْ خضارمْ
لا يَفشلون ولا تبيتُ على أنوفهمُ المَخاطِمْ(٥)

---

(١) فى خد ، مع ، وس ، نا : «يثبت» .

(٢) فى حـ : «كان الحطيئة مغموز النسب . قال أبى : وكان من أولاد الزنا الخ» . وفى مع ، رس : «مغمور» .

(٣) كذا فى جميع الأصول وفى نسخة الديوان التى بخط الشيخ محمد محمود الشنقيطى والنسخة طبع أوروبا : «عمرو بن عوف» .

(٤) الخضارم : جمع خضرم وهو الجواد الكثير العطيّة ، وقيل السيد الحمول .

(٥) كذا بالأصول وهو جمع مَخْطِم ، والمخطم : موضع الخطام من الأنف . وفى ديوانه طبع أوروبا ص ١٩٣ : «الخواطم» وهو جمع خاطم ، والخاطم : واضع الخطام فى أنف البعير وهو حبل يوضع فى أنف البعير ليقاد به ، وكلتا الروايتين لا تتمشى فى البيت ؛ لأن الظاهر أن المراد الخطام نفسه .

قال الأصمعىّ : وقدِمَ الحُطيئةُ الكوفةَ فنزل فى بنى عَوْف بن عامر بن ذُهْلٍ يسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال فى ذلك :

سِيرِى أُمامَ فإنّ المال يجمعه ... سَيْبُ الإله وإقبالى وإدْبارى

إلى معاشرَ منهم يا أُمامَ أبى ... من آلِ عَوْف بُدُوءٍ[1] غيرِ أشْرارِ[2]

نمشى على ضوء أحسابٍ أضأْنَ لنا[3] ... ما ضوّأتْ ليلةُ القَمْراء للسّارى

خبره مع أخويه ابنى أوس بن مالك

وقال ابن دُرَيد فى خبره عن عمه عن ابن الكلبىّ عن أبيه ، وحمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبىّ عن أبيه قال: كان أوسُ بنُ مالك بن جُؤَيَّةَ بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيعةَ بن عَبس تزوّج بنتَ رِياح بن عمرو[4] بن عَوف بن الحارث ابن سَدُوس بن شيبان بن ذُهل بن ثَعْلبةَ ، وكان له[5] أَمةٌ يقال لها الضَّرّاء فأعلقها بالحطيئة ورحل عنها . وكان لبنت رِياح أخٌ يقال له : الأَفقمُ ، وكان طويلا أفقم[6] صغيرَ العينين ، مضغوط اللَّحْيين ، فولدت الضَّرّاء الحُطيئةَ فجاءت به شبيهاً بالأفقم ، فقالت لها مولاتُها : من أين هذا الصبىّ ؟ فقالت لها : من أخيك ، وهابت أن تقولَ لها من زوجك ، فشبَّهته بأخيها ؛ فقالت لها : صدقتِ . ثمّ مات أوسٌ وترك[7] ابنين من الحُرَّة ، وتزوّج الضَّرّاءَ رجل

(١) كذا فى الديوان ص١٩٢ طبع أوروبا ، والبدوء : جمع بَدْءٍ وهو السيد ، وقيل : الشاب المستجاد الرأى المستشار . وفى جميع الأصول : «بدور» بالراء المهملة .

(٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «أسرار» بالسين المهملة .

(٣) كذا فى ديوانه . وفى حـ ، ا : «إلى ضوء أحساب أضأن لنا» . وفى باقى الأصول : « إلى ضوء إحسان أضاء لنا » .

(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى حـ : « رياح بن عوف بن عمرو » .

(٥) فى مع ، رس ، نا : «وكانت لها» .

(٦) الأفقم من الفقَم ، والفقَم فى الفم : أن تدخل الأسنان العليا ، وقيل : أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه ، ويقال لكل معوج : أفقم .

(٧) فى حـ ، م ، ا ، مع ، رس ، خد : « ثم مات الأفقم وترك ابنين من حرة الخ » .

من بني عبس فولدت له رجلين فكانا أخوي الحطيئة من أمه . فأعتقت بنتُ رِياح الحطيئةَ وربّته فكان كأنه أحدُهما . وترك الأقمُ نخلا باليمامة ، فأتى الحُطيئةُ أخويه من أوسِ بنِ مالكٍ وقد كانت أمه لما أعتقتها بنت رِياح اعترفت أنها اَعتلقتْ من أوس بن مالك بن جؤية ، فقال لهم : أفرِدُوا إليّ من مالكم قطعةً ، فقالا : لا ، ولكن أقِمْ معنا فنحن نُواسيكَ فقال :

أأمرْتماني أن أقيم عليكما   كلاَّ لعمرُ أبيكما الحبّاقِ
عَبدانِ خيرُهما يُشَلُّ بضَبْعه   شَلَّ الأجير قلائصَ الوَرّاقِ(١)

سأل أمه من أبوه فخلطت عليه فقال شعرا

قال : وسأل الحطيئةُ أمَّه : مَنْ أبوه ، فخلَطتْ عليه فقال :

تقول لِيَ الضّراء : لستَ لوَاحدٍ   ولا اثنين فانظر كيفَ شِرْكُ أولئكا
وأنتَ امرؤ تَبغي أبًا قد ضَلَلتَه   هَبِلْتَ(٢) ألمَّا تَستفيق من ضلالكا!

خبره مع إخوته من بني الأقم

قال : وغضبَ عليها فلحقَ بإخوته بني الأقم فقال :

٤٥/٢ سِيرِي أُمامَ فإن المالَ يجمعُه   سَيبُ الإله وإقبالي وإدباري

قال : فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال :

إنَّ اليمامَة خيرُ ساكنِها   أهلُ القُرَيَّةِ مِن بني ذُهلِ

وسألهم ميراثه من الأقم فأعطوه نخلاتٍ من نخل أبيهم تُدعى نخلات أمّ مُليكة ، وأمّ مليكة : امرأة الحطيئة ، فقال :

---

(١) كذا في ح ، ا . ويشلّ : يطرد . والضبع : وسط العضد بلحمه . والورّاق : صاحب الورق: المال من إبل ودراهم وغيرها . وفي ب ، س :

عبدان سيرهما يَسلّ بضبعه   سلّ الأجير قلائص الوراق

(٢) يقال : هبلته أمه أي ثكلته ، والقياس في المسند للمخاطب أن يقال : هُبِلْتَ بالبناء للمفعول ، لأنه إنما يدعى عليه بأن تهبله أمه ، ولكن صاحب اللسان في مادة « هبل » نقل عن ابن الأعرابي أنه يقال في الدعاء : هَبِلْتَ بالبناء للفاعل ، ولا يقال هبلت بالبناء للمفعول .

لِيَهْنِئْ(١) تُراثِى لامرئٍ غيرَ ذِلَّةٍ   صَنَابِيرُ أُحدانٌ لهنّ حَفيفُ(٢)

قال : ثم لم تُقنعه النُّخَيلاتُ . وقد أقام فيهم زماناً فسألهم ميراثَه كاملاً من الأقم فلم يُعطوه شيئاً وضَرَبوه ، فغضبَ عليهم وقال :

تمنَّيتُ بكرا أن يكونوا عِمارتى(٣)   وقومِى ، وبكرٌ شَرُّ تلك القبائلِ
إذا قلتُ بكرِىٌّ نَبَوْتُمْ(٤) بحاجتى   فياليتنى من غيرِ بكرِ بنِ وائلِ

فعاد إلى بنى عبس ، وانتسب إلى أوس بن مالك . وقال الأصمعىّ فى خبره : لما أتى أهلَ القُرَيَّةِ ، وهم بنو ذُهلٍ ، يطلُب ميراثَه من الأقم مدحهم فقال :

إنّ اليمامةَ خيرُ ساكنِها   أهلُ القُرَيَّةِ من بنى ذُهْلِ
الضامنون لمالِ جارِهمُ   حتى يتمّ نواهضُ(٥) البقلِ
قوم إذا انتسبوا ففرعُهمُ   فَرعِى وأثبتُ أَصْلِهم أصلِى

قال : فلم يُعطوه شيئاً ، فقال يهجوهم :

إنّ اليمامة شَرُّ ساكنِها   أهلُ القُرَيَّةِ من بنى ذُهلِ

---

(١) كذا فى حـ ، م ، ا : « ليهنى » بياء ساكنة ، وفى اللسان مادة «وحد» ليهنئْ بجزم الهمز وكلاهما صحيح . وفى ب ، س : «ليهن» ، وذكر صاحب اللسان أن ليهنك (أى بغير همز ولا ياء) تقوله العامة وهو غير جائز . ولكن ورد فى صحيح البخارى فى حديث توبة كعب بن مالك : «ليهنك توبة الله عليك» انظر تاج العروس مادة « هنأ » .

(٢) كذا فى حـ ، ا ولسان العرب مادة صنبر ومادة وحد ، غير أن كلمة صنابير رواها صاحب اللسان هكذا «صنابر» من غير ياء بعد الباء ، وحكى أن ابن الأعرابى فسرها بالسهام الدقاق ، وأن ابن سيده قال : لم أجد هذا إلا عن ابن الأعرابى ولم يأت لها بواحد . وأحدان : أفراد لا نظير لها . وفى ب ، س :

* صنانير أخدان لهنّ حفيف *   وهو تصحيف .

(٣) العمارة بكسر العين وفتحها : أصغر من القبيلة ، وترتيبها هكذا : الشعب أكثر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط .

(٤) نبوتم : تجافيتم وتباعدتم .

(٥) نواهض البقل : ما استوى منه ، يقال : نهض النبت إذا استوى .

تزوجت أمه فهجاها

وقال أبو اليَقْظان فى خبره : كان الرّجل الذى تزوّج أمَّ الحطيئة أيضا ولدَ زنا أسمه الكَلْب بن كُنَيس[1] بن جابر بن قَطَن بن نَهْشل . وكان كُنَيْس[1] زنى بأمَةٍ لزُرَارة يقال لها رُشَيَّة ، فولدت له الكلبَ ويَرْبوعا ، فطلبهم من زُرارةَ فمنعَه[2] منهم ، فلما مات طلبهم من أبيه لقيط فمنعه ، وقال لَقِيط فى ذلك :

أفى نِصف شهر ما صَبَرتم لحقِّنا ... ونحن صبرنا قبل ذاك سِنِينا

وهى أبيات . فتزوّج الكلبُ الضَّرّاء أمَّ الحطيئة ؛ فهجاه الحطيئة وهجا أمّه فقال :

ولقد رأيتُكِ فى النساء فسُؤْتِنى ... وأبا بنيكِ فساءنى فى المجلسِ
إنَّ الذليل لمن تزُور ركابُه ... رهطَ ابن جَحْشٍ فى الخطوب الحُوَّسِ[3]
قَبح الإلهُ قبيلةً لم يمنعوا ... يومَ المُجَيْمِر[4] جارَهم من فَقْعَسِ[5]
أبلغ بنى جَحْش[6] بأنَّ نِجارَهم[7] ... لؤم وأنَّ أباهمُ كالهِجْرِسِ[8]

وقال الحطيئةُ يهجو أمّه :

جزاكِ اللهُ شرًّا من عجوزٍ ... ولقَّاكِ العُقُوقَ من البنينِ

(١) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى م ، ا : « الكبيش » .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « فمنعهم منه » .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . والحوّس : الأمور الشداد التى تنزل بالقوم وتغشاهم . وفى حـ ، مع ديوانه (النسخة المخطوطة الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣ أدب ش) هكذا :
* رهط ابن جحش فى مضيق المحبس *
(٤) قال ياقوت : المجيمر : جبل بأعلى مُسْهِل (ماء فى ديار بنى تميم) وقيل المجيمر : أرض لبنى فزارة .
(٥) فقعس : حى من بنى أسد .
(٦) فى ديوانه واللسان مادة هجرس : « أبلغ بنى عبس » .
(٧) النجار : الحسب والأصل .
(٨) الهجرس : ولد الثعلب أو القرد ، وقد يوصف به اللئيم .

قد مُلِّكتِ(١) أمرَ بنيكِ حتّى ... تركتِهمُ أدقَّ من الطَّحينِ

فإن تُخْلَىْ وأمرَكِ لا تَصُولِى ... بمشتدٍّ قُواهُ ولا مَتينِ

لسانُكِ مِبْرَدٌ لا خيرَ(٢) فيه ... ودَرُّكِ دَرُّ جاذبةٍ(٣) دَهِينِ

٤٦/٢

وقال يهجو أمّه أيضاً :

تَنَحَّىْ فاجلِسِى منّى بعيدًا ... أراحَ اللهُ منكِ العالَمينا

أغِرْبالاً(٤) إذا استُودِعْتِ سرًّا ... وكانونًا(٥) على المتحدِّثينا

حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سُوءٍ ... وموتُكِ قد يسرُّ الصالحينا

كان هجّاء دنىء النفس فاسد الدين وذم نفسه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمه قال :

كان الحطيئة جَشِعاً سَؤولا مُلحِفاً ، دنىءَ النفس ، كثيرَ الشرِّ ، قليلَ الخير ، بخيلاً ، قبيحَ المنظَر ، رثَّ الهيئة ، مَغمُوزَ النسب ، فاسدَ الدِّين ، وما تشاء أن تقولَ فى شعر شاعرٍ من عيبٍ إلا وجدتَه ، وقلَّما تجد ذلك فى شعره .

أخبرنى ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عُبيدة قال : بُخلاء العرب أربَعةٌ : الحطيئةُ ، وحميدٌ الأرْقط ، وأبوالأسْود الدُّؤَلِىّ ، وخالدُ بن صَفْوانَ .

---

(١) الذى فى الديوان ولسان العرب مادة «سوس» : * لقد سوّست أمر بنيك حتى *
يقال : سُوِّس الرجلُ أُمورَ الناس (على مالم يسم فاعله) إذا ملك أمرهم .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى اللسان : «لا عيب فيه» . وفى الديوان : «لسانك مبرد لم يبق شيئا» .

(٣) كذا فى الايوان ولسان العرب . والجاذبة : الناقة التى جذبت لبنها من ضرعها فذهب صاعدا . والدهين من الإبل : الناقة البكيئة القليلة اللبن التى يمرى ضرعها فلا يدرّ قطرة . وفى جميع النسخ «جارية دهين» .

(٤) الغربال : النمّام .

(٥) الكانون : الثقيل الوخم من الناس .

أخبرنا ابن دُريد قال حدّثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة : كان الحطيئة بَذِيًّا هَجَّاء ، فالتمس ذات يوم إنسانًا يهجوه فلم يجده ، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول :

أَبَتْ شفتايَ اليومَ إلا تكلُّمًا ... بشرٍّ[(١)] فما أدْرِى لِمن أنا قائِلُهْ

وجعَل يُدَهْوِرُ هذا البيتَ فى أشداقه ولا يَرَى إنسانًا ، إذ اطَّلَعَ فى رَكِيٍّ[(٢)] أو حوض فرأى وجهه فقال :

أَرَى لِىَ وجهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَه ... فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

قدم المدينة فجمعت له قريش العطايا خوفا من شره

نسختُ من كتاب الحرمىّ بن أبى العَلاء : حدّثنا الزُّبَيْرُ بنُ بَكّار قال حدّثنى عمّى قال :

قدم الحطيئةُ المدينةَ فأَرْصَدَتْ[(٣)] قريشٌ له العطايا خوفاً من شَرِّه ، فقام فى المسجد فصاح : مَنْ يَحْمِلنى على بغلين .

أخبرنى أبو خَليفةَ قال حدّثنا محمدُ بن سَلاَّم وأخبرنى الحسينُ بن يحيى المِرْداسِىّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبَيدة والمدائنىّ ومُصعَبٌ :

كان الحطيئة سَؤُولًا جشِعاً ، فقدِم المدينةَ وقد أرصدَتْ له قريشٌ العطايا ، والناسُ فى سَنَةٍ مُجدِبَةٍ وسَخْطَةٍ من خليفة ، فمشى أشرافُ أهلِ المدينة بعضُهم إلى بعض ، فقالوا : قد قَدِمَ علينا هذا الرجلُ وهو شاعر ، والشاعرُ يَظُنّ فيُحقِّقُ ، وهو يأتى الرجل من أشرافكم يسأله ، فإن أعطاه جَهَدَ نَفْسَه بَهْرَهَا[(٤)] ، وإن حرمَه هجاه ، فأجمعَ رأيُهم على أن يجعلوا له شيئاً مُعَدًّا يجمعونه بينهم له ، فكان أهلُ البيت من قريش والأنصارِ

(١) فى مع : « بسوء » .
(٢) الركىّ : البئر .
(٣) أرصدت : أعدّت .
(٤) أى كلف نفسه فوق طاقتها .

يجمعون له العشرةَ والعشرينَ والثلاثين ديناراً[١] حتى جمعوا له أربعمائة دينار ، وظنوا أنهم قد أغنَوْه ، فأتَوْه فقالوا له : هذه صلةُ آلِ فلانٍ وهذه صلةُ آلِ فلان ، وهذه صلةُ آلِ فلانٍ فأخذها ؛ فظنوا أنهم قد كَفُّوه عن المسئلة ، فإذا هو يومَ الجمعة قد استقبل الإمامَ ماثلاً[٢] ينادى : مَنْ يحملنى على بغلين وقاه الله كَبَّةَ[٣] جهنّم .

كان متين الشعر ليس فى شعره مطعن

ووصف أبو عبيدةَ ومحمدُ بن سلاّم شعرَ الحطيئة فجمعتُ متفرّقَ ما وصفاه به فى هذا الخبر ، أخبرنا به أبو خَلِيفة عن محمد بن سلّام وابن دُرَيد عن أبى حاتم عن أبى عُبَيدةَ قالا :

طلب من كعب بن زهير أن يقول شعرا يضعه فيه معه فقال ، هجاه لذلك مزرد ابن ضرار

كان الحطيئة مَتين الشعر ، شَرُودَ[٤] القافية ، وكان دنِىءَ النفس ، وما تشاء أن
٤٧ / ٢ تطعن فى شعر شاعر إلا وجدتَ فيه مطعَنا ، وما أقلّ ما تجد ذلك فى شعره . قالا : فبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعبَ بن زُهَير — وكان الحطيئة راوِيَةَ زهير وآل زهير — فقال له : قد علمتَ روايتى لكم أهلَ البيت وانقطاعى إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيرى وغيرُكَ ، فلو قلتَ شعراً تذكر فيه نفسَكَ وتضعُنى موضعاً بعدك ! — وقال أبو عبيدة : تبدأ بنفسك فيه ثم تُثَنِّى بى — فإن الناس لأشعاركم أروَى وإليها أسرع ! فقال كعبٌ :

فمن للقوافى شانَهَا[٥] مَنْ يَحوكُها إذا ما ثَوَى كعبٌ وفوّزَ[٦] جَرْوَلُ

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «الدينار» بأل وهو خطأ عربية .

(٢) من مَثَل يمثُل إذا انتصب قائما .

(٣) أورد ابن الأثير فى النهاية فى مادة كبّ وصاحب اللسان فى مادتى كبّ وقلب قول معاوية حين احتضر وكان يقلَّب على فراشه : «إنكم لتقلبون حوّلا قلَّبا إن وُقى كبة النار» ثم قالا : الكبة بالفتح : شدّة الشىء ومعظمه ، وكبة النار : صدمتها .

(٤) يقال : قافية شرود : سائرة فى البلاد تشرد كما يشرد البعير .

(٥) شانها : جاء بها شائنة أى معيبة . وثوى : مات ، وكذا فوّز . قال ابن بَرّى : وقد قيل : إنه لا يقال فوّز فلان حتى يتقدم الكلام كلام فيقال : مات فلان وفوّز فلان بعده ، يشبه بالمصلى من الخيل بعد المجلى .

(٦) فوز : مات .

كَفَيتُكَ لا تلقَى من الناس واحدا تَنَخَّلَ(١) منها مثلَ ما نَتَنَخَّلُ
نقولُ فلا نعيا بشيء نقولُه ومِن قائليها مَنْ يُسيء ويُجمِلُ
نُثَقِّفُها(٢) حتى تَلِينَ مُتونُها فيقصُرُ عنها كلّ ما يُتَمثَّلُ(٣)

قال : فاعترضه مُزَرِّدُ بن ضِرَارٍ ، واسمه يزيد وهو أخو الشَّمَّاخ ، وكان عِرِّيضاً أى شديد العارِضة(٤) كثيرَها ، فقال :

باستك(٥) إذ(٦) خلَّفتَنى خلفَ شاعرٍ من الناس لم أُكْفِئْ(٧) ولم أتنحّلِ
فإن تَخْشِبا(٨) أَخْشِبْ وإن تتنخَّلا وإن كنتُ أفتَى منكما أتنخَّلِ
فلستَ كحَسَّانَ الحُسامِ ابنِ ثابتٍ ولست كشَمّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ

أنشد عمر شعرا هجا به قومه ومدح إبله

نسختُ من كتاب الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَيرُ بن بَكَّار قال حدّثنى محمد بن الضحَّاك قال :

---

(١) كذا فى م ، ا ، حـ والشعر والشعراء بالخاء المعجمة ، يقال تنخلت الشىء : تخيرته واستقصيت أفضله . وفى ب ، س : «تنحل» بالحاء المهملة وهو تصحيف .

(٢) كذا فى حـ وخزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٤١١ بالنون . وفى باقى النسخ : «يثقفها» بالياء .

(٣) يتمثل : يضرب مثلا ، يقال : تمثل هذا البيت وتمثل به أى ضربه مثلا .

(٤) كذا فى جميع الأصول ولم نجد هذا المعنى الذى أورده أبو الفرج فى كتب اللغة كاللسان والقاموس والذى ذكرته فى معنى العرِّيض أنه الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) كذا فى جميع الأصول وفى طبقات الشعراء لابن سلام طبع أوربا صحيفة (٢١) سطر (١٨) «وباستك» .

(٦) فى ا ، د ، م : «أن» .

(٧) من الإكفاء المعدود فى عيوب الشعر وهو المخالفة بين حركات الروىّ رفعا ونصبا وجرا ، وله تعاريف أخرى (انظر اللسان مادة كفأ) . والتنحل : أن يدعى الشعر لنفسه وهو لغيره .

(٨) كذا فى حـ ، ، د ، ا . يقال : خشب الشعر يخشبه خشبا أى يمرّه كما يجيئه ولم يتأنق فيه ولا تعمَّل له ، وهو يخشب الكلام والعمل إذا لم يحكمه ولم يجوّده . وفى باقى النسخ :

فإن تخشنا أخشن وإن تتنحلا وإن كنت أفتى منكما أتنحل

بالنون فى «تخشنا وأخشن» وبالحاء المهملة فى تتنحلا وأتنحل وهو تصحيف . وفى طبقات الشعراء لابن سلام ، فإن تجشبا أجشب» بمعنى خشن .

أنشد الحطيئةُ عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدحَ إبله فقال :

مَهارِيسُ[1] يُرْوِى رِسْلُها ضيفَ أهلها إذا الريحُ[2] أبدتْ أوجُهَ الخَفِرات
يُزِيلُ القَتادَ جذبُها بأصوله إذا أصبحتْ مُقْوَرَّةً[3] خَرِصات[4]

دخل فى حفل عند سعيد بن العاص أنكره الناس ثم عرف فكرّم

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ عن التَّوَّزِىّ عن أبى عُبيدةَ قال : بينا سَعيد ابن العاص يُعَشِّى الناسَ بالمدينة والناسُ يخرجون أوّلا أوّلا ، إذ نُظِر على بساطه إلى رجل قبيح المنظَر ، رثِّ الهيئة ، جالسٍ[5] مع أصحاب سَمَره ، فذهب الشُّرَطُ يُقيمونه فأبى أن يقومَ ، وحانتْ من سعيدٍ التِفاتةٌ فقال : دَعُوا الرجلَ ، فتركوه ، وخاضوا فى أحاديثِ العرب وأشعارها مَلِيًّا ، فقال لهم الحطيئةُ : والله ما أصبتم جيِّدَ الشعرِ ولا شاعِرَ العرب ، فقال له سعيد : أتعرِفُ من ذلك شيئًا ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعرُ العربِ ؟ قال : الذى يقول :

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدْمًا ولكن فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ؛ فقال له : مَنْ يقولها ؟ قال : أبو دُوَادٍ الإيادىّ ، قال: ثم مَنْ ؟ قال : الذى يقول :

(١) المهاريس من الإبل : التى تقضم العيدان إذا قل الكلأ وأجدبت البلاد ، كأنها تهرسها بأفواهها أى تدقها . وقيل . الشداد ، سميت بذلك لشدة وطئها . والواحد مهراس . ورسلها : لبنها .

(٢) كذا فى جميع الأصول . وفى الديوان ولسان العرب مادة هرس : «إذا النار» .

(٣) كذا فى جميع الأصول ، والديوان . والمقورّة هنا : المهازيل ، ويُطلق أيضاً على السمان ، فهو من أسماء الأضداد . وفى اللسان مادة خرص «مقرورة» من القرّ وهو البرد .

(٤) كذا فى الديوان ، والخرصة : الجائعة المقرورة . وفى جميع الأصول : «خورات» من الخور وهو الضعف .

(٥) كذا فى نسخة ط وهو وصف آخر لرجل ، وفى سائر النسخ : «جالسا» وهو صحيح أيضا على أنه حال من رجل لأن النكرة إذا وصفت صح فيما يذكر بعد أن يكون حالا منها .

أَفلح(١) بما شئتَ فقد يُدْرَكُ بالـ ـجَهْلِ(٢) وقد يُخدَّعُ الأريبُ

ثم أنشدها حتى فرغ منها ؛ قال : ومن يقولها ؟ قال عَبِيد بن الأبرَص ، قال : ثم من ؟ قال : والله لَحَسْبُكَ بى عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعتُ إحدى رجلَىّ على الأخرى ثم عَوَيْت فى أثر القوافى عُواء الفَصِيل الصّادِى ، قال : ومن أنت ؟ قال : الحطيئةُ . قال : فرحَّبَ به سعيد ، ثم قال : أسأتَ بكِتمانِنا نفسَكَ منذ الليلة ، ووصَله وكَساه .

قدم على عتيبة بن النهاس فلم يكرمه ثم عرّف به فأكرمه

٤٨ / ٢

ومضى لوجهه إلى عُتيبةَ بن النَّهَّاس العِجْلِىّ فسأله ، فقال له : ما أنا على عملٍ فأعطيكَ من عَدَدِه ، ولا فى مالى فضل عن قومى ، قال له : فلا عليك ، وانصرف . فقال له بعضُ قومه : لقد عرّضتنا ونفسَك للشر ! قال : وكيف ؟ قالوا: هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبثَ هجاء ؛ فقال : رُدّوه ، فردّوه إليه ، فقال له : لِمَ كتمتَنا(٣) نفسَك كأنك كنت تطلب العِلَل علينا ! اجلسْ فلك عندنا ما يسرّك ، فجلس فقال له : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

ومَنْ يَجعَلِ المعروفَ من دون عِرْضِه يَفِرْهُ(٤) ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

فقال له عتيبةُ : إنّ هذا من مقدّمات أفاعيك ، ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلبُ شيئاً إلا اشتريتَه له ؛ فجعل يَعرِضُ عليه الخزَّ ورقيقَ الثياب فلا يريدها ويُومِئُ إلى الكرابيس(٥) والأكسية الغِلَاظِ فيشتريها له حتى قضى أربَه ثم مضى . فلما جلس عتيبةُ فى نادى قومه أقبل الحطيئةُ ، فلما رآه عتيبة قال : هذا مقامُ العائذِ بك

(١) كذا فى ا واللسان ونسخة المعلقات بشرح التبريزى . وأفلح من الفلاح وهو البقاء أى عش بما شئت من عقل وحمق ، فقد يرزق الأحمق ويحرم العاقل ، أو من الفلاح وهو الفوز والظفر . وفى م : «أفلج» بالجيم وهو بمعنى أفلح ، أى فز واظفر . وفى بقية الأصول : «أدرك» .

(٢) كذا فى جميع الأصول . وفى المعلقات : «فقد يبلغ بالضعف» . وفى اللسان مادة فلح : «فقد يبلغ بالنوك» .

(٣) فى م ، ب ، س : «كتمت نفسك» .

(٤) يفره : يتمه ولا ينقصه ، ويستعمل وفر لازما فيقال : وفر عرضه وفرا ووفورا أى كرم ولم يبتذل . وقد يتعدى لمفعولين فيقال وفره عرضه أى لم يشتمه كأنه أبقاه له كثيرا طيبا لم ينقصه بشتم .

(٥) الكرابيس : جمع كرباس وهو ثوب من القطن الأبيض ، فارسى معرب .

يا أبا مُليكةَ من خيرك وشرّك ، قال : قد كنت قلتُ بيتين فاستمِعْهما ثم أنشأ يقول :

سُئِلتَ فلم تبخَل ولم تُعْطِ طائلًا ... فَسِيّانِ لا ذمٌّ عليكَ ولا حمدُ
وأنتَ امرؤ لا الجودُ منكَ سَجِيّةٌ ... فتُعطِى ولا يُعدِى[1] على النائل الوُجْدُ[2]

ثم ركَض فرسَه فذهب .

ليس فى شعره مطعن

أخبرنى الحسينُ بن يحيى ومحمدُ بن مَزْيد البُوشَنْجِىّ[3] قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن عمرو الجَرْجَرائىّ[4] عن أبى صَفْوانَ الأحوزىّ[5] قال :

ما من أحدٍ إلا لو أشاء أنْ أجدَ فى شعره مطعَناً لوجدته إلا الحطيئةَ .

أنشد إسحاق من شعره وقال إنه أشعر الشعراء بعد زهير

قال حمّاد : وسمعت أبى يقول وقد أَنشَدَ قولَ الحطيئةِ :

وفتيانِ صِدقٍ من عَدِىٍّ عليهمُ ... صفائحُ بُصْرَى عُلِّقتْ بالعَوَاتق
إذا ما دُعُوا لم يَسأَلوا مَنْ دعاهمُ ... ولم يُمْسِكوا فَوقَ القلوبِ الخَوافقِ
وطارُوا إلى الجُرْدِ العِتاقِ فألجموا ... وشَدُّوا على أوساطهم بالمَناطق
أولئك آباءُ الغَريبِ وغاثَةُ ... الصَّرِيخِ ومأوَى المُرْمِلين الدَّرادِق[6]
أَحَلُّوا حِياضَ الموت[7] فوق جِباههم ... مكانَ النَّواصى من وجوه السَّوابِق

---

(١) فى م ، ا ، د وخزانة البغدادى (ج ١ ص ٤١١) والديوان ولسان العرب مادة «عدا» : «وقد يعدى» . ويعدى : يعين .

(٢) الوجد مثلث الواو : اليسار والسعة .

(٣) نسبة الى بوشنج : بليدة نَزِهة خصيبة فى واد مُشْجِرمن نواحى هَراة بينهما عشرة فراسخ .

(٤) نسبة إلى جرجرايا : بلدة منأعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد ، والنسبة إليها جرجرائى كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال فى الكلام على محمد بن الصباح الجرجرائى .

(٥) كذا فى ب ، س . وفى ا ، م : «الأجوزىّ» . وفى د : «الأحوذىّ» ولم نهتد لتصحيح هذاالاسم.

(٦) الدرادق : الصبيان الصغار ، واحده دردق .

(٧) كذا فى د ، ا ، م . وفى باقى النسخ : «حياض المجد» وإضافة الحياض إلى الموت معروفة ، ويكنى بها عن المنية كما فى شعر كعب بن زهير :

لا يقع الطعن إلا فى نحورهم ... وما لهم من حياض الموت تهليل =

ويروى :

* «إذا استَلْحِموا[١]» ... ... * و * إذا ركبوا لم ينظروا عن شِمالهم *

ويروى : أولئك أبناء العَزِيف[٢] — ثم قال : أما إنى ما أزعم أن أحداً بعد زُهير أشعرُ من الحطيئة .

وافقه ابن ميادة فى شطر فعرف أنه شاعر

أخبرنى الحسينُ بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : بلغنى أنه لما قال ابنُ مَيّادة :

* تمشَّي به ظِلْمانه وجآذِرُهْ *

قيل له : قدسبقك الحطيئةُ إلى هذا ، فقال : والله ما علمتُ أنّ الحطيئةَ قال هذا قطّ ، والآن علمتُ والله أنى شاعر حين واطأتُ الحطيئةَ .

قال الأصمعى وقد أنشد شعره إنه أفسده بالهجاء

قال حَمّاد : قال أبى : وقال لى الأصمعىّ وقد أنشدنى شيئاً من شعر الحطيئة : أفسد مثلَ هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع .

سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه يعنى نفسه

قال حمّاد : قال أبى : وبلغنى عن عبد الرحمن بن أبى بكرة[٣] أنه قال : لقيت الحطيئةَ بذاتِ عِرْقٍ[٤] فقلت له : يا أبا مُلَيكة ، مَن أشعر الناس ؟ فأخرج لسانَه كأنه لسانُ الحية ثم قال : هذا إذا طَمِع .

= وقد قال المحبِّى فى كتابه «مايعول عليه فى المضاف والمضاف إليه» : وقد شاع ذلك حتى صار كالحقيقة فيقال هو فى الحياض ، كما يقال : فى النزع والغرغرة .

(١) استلحموا : نشبوا فى الحرب ودخلوا فى غمارها . وهذه الرواية فى البيت الثانى الذى أوله : إذا ما دعوا ...

(٢) العزيف : الصوت له دوىّ ، ومنه عزيف الرعد لدويّه وعزيف الريح لما يسمع من دويها وعزيف القوس تصويتها ، ولعله يريد هنا صوت مايستنبض به للحرب كالطبل ونحوه أو أصوات الأبطال فى حومة الوغى.

(٣) كذا فى أغلب النسخ وهو الموافق لما فى الشعر والشعراء لابن قتيبة . وفى ا ، م «عبد الرحمن ابن أبى بكر» وكلتا الروايتين محتملة ؛ لأن كلا من عبد الرحمن بن أبى بكرة وابن أبى بكر كان فى عهد الحطيئة .

(٤) ذات عرق : مهلّ أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

ابن حسان متنكرا سمع من شعره

ونسخت من كتاب أحمدَ بن سَعيد الدِّمَشْقىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى يحيى ابن محمد بن طَلْحة المدائنىّ وكان قد قارَب ثمانينَ سنة قال :

٤٩/٢

أخبرنى بعضُ أشياخنا أن أعرابيا وقف على حَسَّانَ بنِ ثابت وهو يُنشِدُ ، فقال له حسّان : كيف تَسمَعُ(١) يا أعرابىّ ؟ قال : ما أسمع بأساً ، قال حسّان : أما تسمعون إلى الأعرابىّ ! ما كنيتكَ أيها الرجل ؟ قال : أبو مُلَيكة ، قال : ما كنتَ قطُّ أهونَ علىّ منك حينَ اكتنيتَ بامرأة ، فما اسمُك ؟ قال : الحطيئة ، فأطرق حسّان ثم قال له : امضِ بسلام .

كان بخيلا يطرد أضيافه

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن المدائنىّ قال :

مرّ ابنُ الحَمامة بالحطيئة وهو جالس بفِناء بيته ، فقال : السلامُ عليكم ، فقال : قلتَ ما لا يُنكَر ، قال إنى خرجت من عند أهلى بغير زاد ، فقال : ماضَمِنتُ لأهلك قِراكَ ، قال : أفأذن لى أن آتىَ ظلَّ بيتك فأتفيأَ به ؟ قال : دونَك الجبلَ يفِىء عليك ، قال : أنا ابنُ الحَمامة ، قال : انصرف وكن ابنَ أىّ طائر شئت .

وأخبرنا بهذا الخبر اليَزيدىّ عن الخزّاز(٢) عن المدائنىّ فحكى ما ذكرْناه من قول الحُطَيئة عن أبى الأسود الدُّؤَلىّ .

وأخبرنى الحُسَين عن حَمّاد عن أبيه عن أبى عُبيدة والمدائنىّ قالا :

أتى رجلٌ الحطيئةَ وهو فى غنم له فقال له : ياصاحبَ الغنم ، فرفَع الحطيئةُ العصا

(١) فى حـ ، رس : «كيف ترى يا أعرابى ؟ قال : ما أرى بأسا» .

(٢) كذا فى م . وفى أغلب الأصول «الخرّاز» ، والصواب ما أثبتناه وهو «أحمد بن الحارث بن المبارك الخزّاز» صاحب أبى الحسن المدائنى وراويته ، وله ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت ج ١ ص ٤٠٧ والفهرست لابن النديم ص ١٠٤ ، ولم نهتد لتصحيح هذا الاسم فى الجزء الأول فكنا نكتب ما فى أغلب الأصول (الخرّاز) براء وزاى وننبه على أن فى بعضها «الخزّاز» بزايين . انظر ص ١٦ س ١ و ص ٢٢ س ١١ من الجزء الأول من هذه الطبعة .

وقال : إنها عَجْراء(١) من سَلَم ، فقال الرجل : إنى ضيف ، فقال : للضِّيفان أعددتُها ، فانصرف عنه . قال إسحاق : وقال غيرهما : إن الرجل قال له : السلام عليكم ، فقال له : عَجْراء من سَلَم ، فقال : السلام عليكم ؛ فقال : أعددتُها للطُّرّاق ، فأعاد السلام فقال له : إن شئتَ قمتُ بها إليك ، فانصرف الرجُل عنه .

كان يقول إنما أنا حسب موضوع

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يَزيد قال : زعم الجاحظُ أن الحطيئة كان يقول : إنما أنا حَسَبٌ موضوعٌ ، فسمع عمرُو بن عُبَيد رجلا يحكى ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صِدِّيقة ، فقال عمرو : كذب تَرَّحه(٢) الله إنما ذلك التقوى .

كان يهجو أضيافه وقد ضافه صخر ابن أعيى فتهاجيا

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال الأصمعىّ : لم ينزل ضيفٌ قطُّ بالحطيئة إلاهجاه ، فنزل به رجلٌ من بنى أسد لم يسمِّه الأصمعىّ ، وذكر أبو عبيدة أنه صَخْر بنُ أَعْيَى الأسَدِىّ أحدُ بنى أَعْيَى بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَيْنٍ ، فسقاه شَربةً من لبنٍ ، فلما شربها قال :

لمّـا رأيتُ أنّ مَنْ يبتغى القِرَى وأن ابنَ أعْيَى لا محـالةَ فاضِحِى
شَدَدْتُ حَيَازِيمَ ابنِ أعيى بشربةٍ على ظَمَإٍ(٣) سَدَّتْ أصولَ الجوانحِ(٤)

وروى الأصمعىّ : شَدَّتْ بالشين المعجمة .

ولم أكُ مثـلَ الـكاهِلِىِّ وعِرْسِـه بَغَى الوُدَّ من مَطْروفةِ العينِ طامِحِ(٥)

(١) العجراء : العصا التى فيها عقد . والسلم : شجر معروف .
(٢) ترحه : أحزنه .
(٣) كذا فى جميع الأصول . وفى الديوان : «على فاقة» .
(٤) سدّت : ملأت . والجوانح : الضلوع واحدتها جانحة . وأصول الجوانح : خللها . والمراد أنها ملأت جوفه فسدت خلل الضلوع .
(٥) الكاهلى : رجل من بنى كاهل بن أسد ، فركته (أبغضته) امرأته فاحتالت له حتى سقته سمًّا فقتله . والمطروفة من النساء : التى قد طرفها حب الرجال ، أى أصاب طرفها ، فهى تطمح وتشرف لكل من أشرف لها ولا تغضّ طرفها كأنما أصاب طرفها طرفة (نقطة حمراء تحدث فى العين) أو عود . وهذه رواية أغلب الأصول . وفى حـ ، رس : «مطروفة الودّ» وهى رواية الجوهرى فى الصحاح . انظر اللسان (مادة طرف) .

غـدا باغياً يَبْغِى رضـاها وودَّها وغابت له غيبَ امرئٍ غير ناصِحِ
دعتْ ربَّهـا أَلَّا يزالَ بفـاقةٍ ولا يغتدِى إلاعلى(١) حدٍّ(٢) بارحِ(٣)

قال فأجابه صخرُ بنُ أعيَى فقال :

ألا قَبَحَ اللهُ الحطيئـــةَ إنه على كلّ ضيف ضافه هو سالحُ(٤)
دُفِعْتُ إليـه وهو يخنُقُ كلبَه ألا كلّ كلبٍ لا أبا لكَ نابحُ
بكَيتَ على مَذْقٍ(٥) خبيثٍ قَرَيْتَه ألا كلُّ عَبْسِىٍّ على الزاد شائحُ(٦)

قال أبو عبيدةَ وهجا الحطيئةُ أيضاً رجلا من أضيافه فقال :

وسَـلَّمَ مرّتينِ فقلتُ مهلاً كفتكَ المرّةَ الأولى السَّـلاما
ونَقْنَقَ(٧) بطنُـه ودعا رُؤَاساً(٨) لِمَا قد نالَ من شِـبَعٍ وناما

٥٠
—
٢

فقدناقة فقالشعراً

أخبرنى أبو خَلِيفةَ عن محمد بن سَلَّام عن يونس أن الحُطَيئة خرج فى سفر له ومعه

(١) كذا فى ديوانه . وفى جميع الأصول : « رأى» .
(٢) كذا فى جميع النسخ ، ونحن وإن كنا لا نخليه من معنى (وهو ولايغتدى إلا على جهة بارح وناحيته) إلا أنا نرى أن من المحتمل تحريفه عن الجدّ (بالجيم المعجمة) بمعنى الحظّ .
(٣) البارح : مامرّ من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك ، والعرب تتطير به ، لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف ، وضده السانح وهو ما مرّ بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك ، والعرب تتيمن به ؛ لأنه أمكن للرمى والصيد .
(٤) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « هو سانح » بالنون بدل اللام ، وهو من سنح عليه إذا أحرجه وأصابه بشرّ .
(٥) مذق : بمعنى ممذوق ، يقال : لبن مذق أى مخلوط بالماء .
(٦) شائح : حذر .
(٧) كذا فى ح والديوان ؛ ونقنق : ترقر . وفى ب ، س : «ونفق» وهو تحريف . وجاءت فى باقى الأصول خالية من الإعجام .
(٨) رؤاس : من بنى كلاب ، يقول : حين شبع أشر ونادى : يالبنى رؤاس (انظر ص ٢٢٢ من شرح ديوان الحطيئة طبع ليبسك رقم ١١٨٩ أدب بدار الكتب المصرية) .

امرأته أُمامةُ وابنته مُلَيكةُ ، فنزل منزِلًا وسرحَ ذَوْدًا له ثلاثًا ، فلما قام للرَّواح فقَد إحداها فقال :

أذئبُ القفرِ أم ذئبٌ أنيسٌ أصاب البَكْرَ(١) أم حَدَثُ الليالِى
ونحن ثلاثةٌ وثَلاثُ ذَوْدٍ(٢) لقد جارَ الزمانُ على عِيـــالِى

ليس فى الشعر أصدق من قوله : « لايذهب العرف بين الله والناس » .

أخبرنى محمد بن خَلَف وكِيع والحُسَين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه قال قال أبو عَمْرو بن العَلاء : لم تقل العربُ بيتاً قطُّ أصدَق من بيت الحُطَيئةِ :

مَنْ يَفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوَازِيَه(٣) لا يَذْهَبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

فقيل له : فقولُ طَرَفَة :

ستُبدِى لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ويأتيكَ بالأخبار مَنْ لم تُزوِّدِ

فقال : من يأتيك بها ممن زوّدتَ أكثر ، وليس بيتٌ مما قالته الشعراء إلا وفيه مَطعَنٌ إلا قولَ الحطيئة :

* لا يذهبُ العرفُ بين الله والنـــاسِ *

قال إسحاق قال المدائنىّ قال سَلْمُ بن قُتَيبة : ما أعلم قافيةً تستغنى عن صدرها وتدلّ عليه وإن لم يُنشَدْ مثلَ قول الحطيئة :

* لا يذهبُ العرفُ بين الله والنـــــاسِ *

---

(١) البكر من الإبل بمنزلة الفتىّ من الناس ، يطلق على الذكر والأنثى . والبكر أيضا : الناقة التى ولدت بطنا واحدا .

(٢) الذود : الثلاث من الإبل إلى العشر ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها . وفى اللسان (مادة ذود) : وقد قالوا : «ثلاث ذود يعنون ثلاث أينق» . كما يقال ثلاثة نفر وتسعة رهط يراد نفر هم ثلاثة ورهط هم تسعة .

(٣) جوازيه : جمع جازية اسم مصدر للجزاء كالعافية .

كتب له الأصمعى أربعين قصيدة فى ليلة

أخبرنى محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيدٍ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال سمعت الأصمعىّ يقول : كتبت للحطيئة فى ليلةٍ أربعينَ قصيدةً .

قوله : « لايذهب العرف » البيت مكتوب فى التوراة

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبى عُبيدة قال :

بلغنى أن هذا البيت فى التوراة ، ذكره غير واحد عن أُبَىّ بن كَعْب . يعنى قولَ الحطيئة :

* لا يذهب العرف بين الله والنـــاسِ *

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أَيُّوبَ بن عثمانَ الدِّمَشْقىّ عن عثمانَ ابن أبى عائشة قال : سَمِـعَ كَعْبٌ(١) الحِبْرُ رجلا يُنْشِدُ بيتَ الحطَيئة :

مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازيَه لايذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ

فقال : والذى نفسى بيده إنّ هذا البيت لمكتوبٌ فى التوراة . قال إسحاق قال العُمَرىّ : والذى صح عندنا فى التوراة « لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والعبادِ » .

وصى عبيد الله بن شدّاد ابنه محمدا بشعره

أخبرنى(٢) الحسين عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عدْنان : لما حضَرتْ عبيدَ الله(٣) ابن شَدّاد الوفاةُ دعا ابنَه محمداً فأوصاه وقال له : يا بنىّ أَرَى داعِيَ الموتِ لا يُقلِعُ ، وبِحَقٍّ(٤) أنّ مَنْ مضى لا يرجع ، ومن بَقِىَ فإليه ينزِعُ . يا بنىّ لِيَكُنْ أَوْلَى الأمورِ بك تقوَى الله فى السرّ والعلانية ، والشكرَ لله ، وصِدقَ الحديث والنيّةِ ، فإنّ للشكر مزيدًا ، والتقوى خيرُ زادٍ ، كما قال الحطيئةُ :

(١) يقال : كعب الحبر (بكسر الحاء) فمن جعله وصفا له نوّن كعبا ، ومن جعله المداد لم ينوّن وأضافه إلى الحبر . وقد منع صاحب القاموس من أن يقال : كعب الأحبار ، ونوزع فى ذلك . (انظر تاج العروس للسيد مرتضى مادة حبر) .

(٢) ورد هذا الخبر فى الأمالى (ج ٢ ص ٢٠٢ طبع دار الكتب المصرية) بتفصيل عما هنا فراجعه .

(٣) كذا فى جميع الأصول . وفى الأمالى لأبى على القالى : «عبد الله بن شداد بن الهاد ... الخ » .

(٤) كذا فى ا ، ء ، د . وفى ب ، س ، مع : «ويحق» . وفى م : «ولحق» .

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مال ... ولكنّ التقىّ هو السعيدُ
وتقوَى الله خيرُ الزاد ذخراً ... وعند الله للأتقَى مَزِيدُ
وما لا بدّ أن يأتى قريبٌ ... ولكنّ الذى يمضى بعيدُ

روى حماد لبلال مدحه فى أبى موسى الأشعرى

أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال أخبرنى أبو عُبيدةَ عن يونس قال: قَدِم حَمّادٌ الراويةُ البصرةَ على بِلال بن أبى بُرْدة وهو عليها؛ فقال له: ما أطرفتَنِى شيئا

٥١ / ٢ يا حَمّاد، قال: بَلَى، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة فى أبى موسى الأشعَرِىّ يمدحه:

جمعتَ من عامرٍ فيه[(1)] ومن جُشَمٍ ... ومن تَميم ومن حاءٍ[(2)] ومن حامِ[(3)]
مُسْتَحقباتٍ[(4)] رَوَاياها[(5)] جَحافِلَها[(6)] ... يَسْمُو بها أشعَرِىٌّ طَرْفُه سامِى

فقال له بلال: ويْحكَ! أيمدحُ الحطيئةُ أباموسى الأشعرىّ وأنا أروى شعرَ الحطيئةِ كلَّه فلا أعرفُها! ولكن أشِعْها تذهَبْ فى الناس.

---

(١) كذا فى ديوانه. والضمير يرجع إلى الجحفل فى البيت الذى قبله وهو:
وجحفل كبهيم الليل منتجع ... أرض العدو ببؤس بعد إنعام
وفى جميع الأصول: «فيها».

(٢) كذا فى حـ، ط، رس، مع، نا، والديوان. وحاء: حىّ من مذحج. وفى ب، س: «سام».

(٣) جاء فى شرح الديوان أن حاماً من ناهس بن عِفْرِس بن خلف بن أنمار وهم خثعم.

(٤) مستحقبات: من استحقب الشىء، إذا احتمله من خلف.

(٥) الروايا: الإبل التى تحمل أزوادهم وأثقالهم.

(٦) جحافلها: جمع جحفلة، وهى من الخيل والحمير والبغال والحافر بمنزلة الشفة للإنسان والمشفر للبعير. والضمير يعود إلى الخيل المذكورة فى الأبيات قبل هذا البيت وهى:

وما رضيت لهم حتى رفدتهم ... من وائل رهط بسطام بأصرام
فيه الرماح وفيه كل سابغة ... جدلاء مبهمة من نسج سلاّم
وكل أجرد كالسرحان أترزه ... مسحُ الأكف وسقىٌ بعد إطعام
وكل شوهاء طوع غير آبية ... عند الصباح إذا هموا بإلجام

والمعنى أن الخيل تجنب إلى الروايا فتضع جحافلها على أعجاز الإبل. (انظر شرح الديوان المخطوط المحفوظ بدار الكتب تحت رقم ٣ أدب ش).

وذكر المدائنىّ أن الحطيئة قال هذه القصيدة فى أبى موسى ، وأنها صحيحة ؛ قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده :

* جمعتَ من عامرٍ فيه(١) ومن أسَدٍ(٢) *

وذكر البيتين وبينهما هذان البيتان وهو :

فـــــا رضيتَهمُ حتى رَفدْتَهمُ بوائلٍ رهطِ ذى الجَدَّين بِسْطامِ(٣)
مُسْتَحْقِبَاتٍ رَوَاياها جَحافِلَها يَسمُو بها أشعرىٌّ طرفُه سامى

فوصله أبو موسى ، فكتب إليه عمر رضى الله عنه يلومه على ذلك ، فكتب إليه : إنى اشتريت عِرْضِى منه بها ، فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا وإنما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح(٤) والفخر فقد أحسنت . ولما وَلِىَ بلالُ بنُ أبى بُرْدةَ أنشده إياها حمّادٌ الراويةُ فوصله أيضاً .

كذّبه عمر فى بيت قاله

ونسخت من كتاب لحمّاد بن إسحاق حدّثنى به أبى وأخبرنى به عمّى عن الكُرانىّ عن الرّياشىّ قال حدّثنى محمدُ بن الطُّفَيل عن أبى بكر بن عَيّاش عن الحارث ابن عبد الرحمن عن مكحول قال :

سبَق رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم على فرس له فَجَثا على ركبتَيْه وقال : « إنه لبَحْرٌ(٥) » ، قال عمر : كذَبَ الحطيئةُ حيث يقول :

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٧٥ .
(٢) هذه غير رواية حماد كما ذكر شارح الديوان .
(٣) كذا فى الأصول . وبسطام هو بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيبانى ويسمى ذا الجدّين . وفى الديوان : «رهط بسطام بأصرام» . والأصرام : البيوت المجتمعة ، يقال للقطعة منها صِرْم (بالكسر) .
(٤) فى ط : «للبذخ» .
(٥) أى واسع الجرى . وفى صحيح الإمام البخارى : كان بالمدينة فزع فاستعار النبى صلى الله عليه وسلم فرسا لأبى طلحة يقال له «مندوب» فركبه وقال : «ما رأينا من فزع وإن وجدناه لبحرا» . انظر (باب الركوب على الدابة الصعبة من كتاب الجهاد) .

وإنّ جيادَ الخيل لا تستفِزُّنا ... ولاجاعلاتُ الرَّيْطِ[1] فوقَ المَعاصِمِ

لو تَرَكَ هذا أحدٌ لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أراد سفرا فاستعطفته امرأته بشعر فرجع

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبى عُبَيدة أن الحُطَيئة أراد سفراً فأتته امرأتُه وقد قُدِّمتْ راحلتُه ليركبَ ، فقال لها :

عُدِّى السنين إذا هممتُ برحلةٍ ... ودعى الشهورَ فإنهن قِصارُ

فقالت امرأته :

أُذكُرْ تحنُّنَنا إليك وشوقَنا ... واذكُرْ بناتِك إنهنّ صِغارُ

فقال : حُطُّوا ، لا رحلتُ لسفرٍ أبدا .

يزعم رجل أنه ضاف قوما من الجن منهم صاحب الحطيئة

أخبرنى محمد بن العَبّاس اليَزيدىّ ومحمد بن الحسن بن دُرَيد قالا حدّثنا عبد الرحمن ابنُ أخى الأصمعىّ عن عمه عن أبيه قال :

قال رجل : ضِفتُ[2] قوماً فى سفر وقد ضلَلْتُ[3] الطريقَ ، فجاءونى بطعام أجدُ طعمَه فى فمى وثِقَله[4] فى بطنى ، ثم قال شيخ منهم لشابٍّ أنشِدْ عمَّك ، فأنشدنى :

عفا من سُلَيمى[5] مُسْحُلانُ فحامِرُهْ ... تَمَشَّى به ظِلمانُهُ وجآذِرُهْ

فقلت له : أليس هذا للحُطَيئة ؟ فقال : بلى ، وأنا صاحبُه من الجن .

أنشد ابن شبرمة من شعره وقال هو من جيد الشعر

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال :

---

(١) الريط : جمع ريطة وهى كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، أو كل ثوب لين رقيق.

(٢) أى نزلت عليهم ضيفا .

(٣) فى جميع النسخ : «أضللت» . وفى اللسان ضللت المسجد والدار إذا لم تعرف موضعهما . قال أبوعمرو بن العلاء : إذا لم تعرف المكان قلت : ضللته ، وإذا سقط من يدك شىء قلت : أضللته ، أو بعبارة أخرى تقول للشىء الزائل عن موضعه : قد أضللته ، وللشىء الثابت فى موضعه إلا أنك لم تهتد إليه : ضللته .

(٤) كذا فى أغلب الأصول ، وفى ط: «ثفله» والثُّفل : ماسفل ورسب من كل شىء، ومن المحتمل أن يكون «وثقلته» — بفتح الثاء وسكون القاف وفتحها — وهى ما يجده الرجل فى جوفه من ثِقَل الطعام .

(٥) فى مع ، رس : «عفا مسحلان من سليمى» .

قال ابن عُيَينة : سمعت ابن شُبْرُمَةَ يقول : أنا والله أعلم بجيِّد الشعر ، لقد أحسن الحطيئةُ حيث يقول :

أولئك قوم إن بَنَوْا أحسنوا البُـنَى وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقَدوا شَدُّوا
وإن كانتِ النَّعْماء فيهم جَزَوْا بها وإن أَنْعموا لا كدَّرُوها ولا كَدُّوا
وإن قال مَوْلاهم على جُلِّ حادثٍ من الدهر: رُدُّوا فضلَ أحلامكم رَدُّوا

قال : وقال الأصمعىّ وقد سأله أبو عَدْنان عن هذا البيت : ما واحد البُنَى ، قال : بِنْية ، فقال له : أتُجْمَع فِعْـلة على فُعَل ؟ قال : نعمْ مثل رِشْوة ورُشًى وحِبْوة وحُبًى(١). ٥٢/٢

حدّثنا أحمد بنُ عبد الله بن عَمّار قال حدّثنى محمد بن أحمد بن صَدَقة الأنبارىّ قال حدّثنا ابن الأعرابىّ عن المفضّل :

نزل على بنى مقلد بن يربوع فأحسنوا جواره ومدحهم

أن الحطيئة أقحمتْه السنةُ(٢) ، فنزل ببنى مُقَلَّد بن يَرْبُوع ، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : إن هذا الرجل لا يَسْلَم أحدٌ من لسانه ، فتعالَوْا حتى نسألَه عما يحبّ فنفعلَه(٣) وعما يكره فنجتنبَه ، فأتَوْه فقالوا له : يا أبا مُلَيْـكة ، إنك اخترتَنا على سائر العرب ووجب حقُّك علينا ، فمُرْنا بما تحبّ أن نفعلَه وبما تحب أن ننتهىَ عنه ، فقال : لا تُـكثروا زيارتى فتُمِـلُّونى ، ولا تقطعوها فتُوحِشُونى ، ولا تجعلوا فِناءَ بيتى مجلساً لـكم ، ولا تُسْمِعوا بناتى غناءَ شُبّانكم ؛ فإن الغناء رُقْيةُ الزنا . قال : فأقام عندهم . وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال : أُمُّـكم الطلاقُ لئن تغَـنَّى أحد منكم والحطيئةُ

(١) الذى ورد فى كتب اللغة بنية بالكسر وبنية بالضم ، وورد فى جمعهما بِنى بالكسر وبُنى بالضم . وأنشد الفارسى بيت الحطيئة على ضم الباء فى قوله : «أحسنوا البنى» . قال صاحب اللسان : ويروى «أحسنوا البنى» أى بالكسر . والرشوة أيضا جاءت بتثليث الراء وجمعت على «رشى» بضم الراء و «رشى» بكسرها ، وكذلك الحبوة بمعنى الثوب الذى يحتبى به رويت بكسر الحاء وضمها وجمعت على حبى بالكسر وحبى بالضم .

(٢) أقحمته : أوقعته فى شدة ومشقة . والسنة : الجدب .

(٣) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «فنفعله به» .

مقيمٌ بين أظهرِنا لأضربنّه ضربةً بسيفي أخذتْ منه ما أخذتْ . فلم يزل مقيما فيما يرضَى حتى انجلتْ عنه السَّنةُ ، فارتحل وهو يقول :

جاورتُ آلَ مُقَلَّدٍ فحَمِدتُهم ... إذ ليس كلُّ(١) أخي جِوارٍ يُحْمَدُ
أيامَ(٢) مَنْ يُرِدِ الصنيعةَ يَصْطَنِعْ ... فينا ومن يُرِدِ الزَّهادةَ يَزْهَدُ(٣)

خبره مع الزبرقان ابن بدر وسبب هجائه إياه

فأما خبره مع الزِّبْرِقان بن بَدْر والسببُ في هجائه إياه فأخبرني به أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام ولم يتجاوزْه به ، وأخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن محمد ابن سَلّام عن يونس ، وأخبرني محمد بن الحَسَن بن دُرَيد عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة ، وأخبرني اليَزِيديّ عن عمّه عبيد الله عن ابن حَبيب عن ابن الأعرابيّ وقد جمعتُ رواياتِهم وضممتُ بعضَها إلى بعض :

أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان ولّى الزِّبْرِقانَ بن بَدْر بن امرئ القيس ابن خَلَف بن بَهْدَلة بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَميم عَمَلاً — وذكر مثلَ ذلك الأصمعيُّ ، وقال : الزِّبْرِقان : القمر ، والزبرقان : الرجل الخفيفُ اللحْية — قال : وأقرّه أبو بكر رضي الله عنه بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم على عمله ، ثم قدم على عمرَ في سنة مُجْدِبة ليؤدّيَ صدقاتِ قومه ، فلقيه الحطيئةُ بقَرْقَرَى(٤) ومعه ابناه أوسٌ وسَوادةُ وبناتُه وامرأتُه ، فقال له الزِّبْرِقان وقد عرَفه ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قال : العراقَ ؛ فقد حطَمَتْنا هذه السنةُ ، قال : وتصنَع ماذا ؟ قال : ودِدْتُ أن أصادف

(١) كذا في أغلب الأصول . وفي الديوان ، ا ، د ، ط ، خد : « إذ لا يكاد أخو » .
(٢) في ط ، خد : « أزمان » .
(٣) القافية تقتضي رفع يزهد ، ووقوعه جوابا للشرط يقتضي جزمه . ولكن رفع المضارع الواقع جوابا لفعل شرط مضارع يجوز ولو في غير الضرورة وإن كان خلاف الأفصح . وفي ط ، مع : « يزهد » بكسر الدال وهو اللغة الفصيحة وإن كان عليها قد دخله الإقواء وهو اختلاف حركة الرَّوِيّ رفعا وجرا .
(٤) قرقرى : أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة . (انظر معجم ياقوت في قرقرى) .

بها رجلا يَكْفينى مَؤونةَ عيالى وأُصفِيه[١] مَدْحِى أبدا ، فقال له الزبرقان : قد أصبتَه ، فهل لك فيه يُوسِعُك لبناً وتمراً ويجاورُك أحسنَ جِوار وأ كرمَه ؟ فقال له الُحطَيئة : هذا وأبيكَ العيشُ ، وما كنتُ أرجو هذا كلَّه ، قال : فقد أصبتَه ؛ قال : عندَ مَنْ ؟ قال : عندى ، قال : ومن أنت ؟ قال : الزِّبْرِقان بن بدر ، قال : وأين محلُّك ؟ قال : اركبْ هذه الإبلَ ، واستقبلْ مَطْلِعَ الشمسِ ، وسَلْ عن القمر حتى تأتى منزلى .

قال يونُس : وكان اسمُ الزِّبْرِقان الُحصَينَ بن بدر ، وإنما سمِّى الزِّبْرِقانَ لحسنه ؛ شُبِّهَ بالقمر . وقيل : بل لبس عمامةً مُزَبْرَقَةً[٢] بالزَّعْفران فسمِّىَ الزِّبْرِقانَ لذلك .

وقال أبو عُبَيدة فى خبره : فقال له : سِرْ إلى أم شَذْرَةَ[٣] وهى أم الزِّبْرِقان — وهى أيضاً عمة الفرزدق — وكتب إليها أن أحْسِنى إليه ، وأكثرى له من التمر واللبن .

وقال آخرون : بل وكَله إلى زوجته . فلحِق الحطيئةُ بزوجته[٤] على رواية ابن سلَّام ، ٥٣ / ٢
وهى بنت صَعْصَعة بن ناجِيةَ المُجَاشِعِيَّةُ ، واسمُها هُنَيدة ، وعلى رواية أبى عُبَيدة : أنها أمُّه ، وذلك فى عامٍ صَعْبٍ مُجْدِب فأكرمته المرأةُ وأحسنتْ إليه . فبلغ ذلك بَغِيضَ بن عامر بن شَمَّاس بن لَأْى بن جَعْفر وهو أنْفُ الناقة بن قُرَيع بن عَوْف[٥] ابن كعب[٦] بن سَعْد بن زَيْد مَنَاة بن تَميم ، وبلغ إخوته وبَنِى عمه فاغتنموها .

وفى خبر اليَزِيدىّ عن عمه قال ابن حَبِيبَ عن ابن الأعْرابىّ : وكانوا يغضَبون من أنفِ الناقة ، وإنما سُمِّىَ جعفرٌ أنفَ الناقة لأن أباه قُرَيعا نحر ناقةً فقَسَمها بين نسائه ، فبعثتْ جعفراً هذا أمُّه ، وهى الشَّمُوس من وائل ثم من سَعْد هُذَيم ، فأتى أباه ولم يَبْقَ من الناقة إلا رأسُها وعنقُها ، فقال : شأنَك بهذا ؛ فأدخل يده

(١) أصفيه : أخلصه .
(٢) مزبرقة : مصبوغة . يقال : زبرق ثوبه إذا صبغه بحمرة أو صفرة .
(٣) فى خد : «أم حزرة» وهى أم الزبرقان بن بدر .
(٤) فى حـ : «فرحل الحطيئة حتى لحق بزوجته» .
(٥) فى ا ، ب ، س : «عمرو» بدل «عوف» . وهو تحريف .
(٦) ابن كعب ، زيادة فى ط . ويؤيد صحة هذه الزيادة ما ورد فى شرح القاموس للسيد مرتضى فى مادة «أنف» .

فى أنفها وجرَّ ما أعطاه ؛ فسمِّىَ أنفَ الناقة . وكان ذلك كاللَّقب لهم حتى مدَحهم الحطيئةُ ، فقال :

قوم هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ومن يسوِّى بأنفِ الناقة الذَّنَبا !

فصار بعد ذلك فخرا لهم ومدحا ، وكانوا ينازعون الزِّبْرِقان الشرفَ — يعنى بَغِيضا وإخوتَه وأهله — وكانوا أشرفَ من الزِّبْرِقان ، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسِه . وقال أبو عُبَيدة فى خبره : كان الحُطَيئة دَمِيما سَنِىءَ(١) الخَلْق ، لا تأخُذه العينُ ، ومعه عِيال كذلك ، فلما رأت أمُّ شَذْرَةَ حاله هان عليها وقصَّرت(٢) به ، ونظر بغيضٌ وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة ، فأرسلوا إليه : أن ائتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغَفْلة ، ولستُ بالذى أحمل على صاحبها ذَنْبَها . فلما ألح عليه بنو أَنْف الناقة ، وكان رسولهم إليه شَمَّاسَ بن لأْى وعَلْقَمةَ ابن هَوْذَة وبَغِيضَ بن شماس والمُخَبَّلَ الشاعر ، قال لهم : لستُ بحامل على الرجل ذنبَ غيره ، فإن تُرِكت وجُفيت تحولتُ إليكم ؛ فأطمَعُوه ووعَدوه وعداً عظيما . وقال ابن سلاَّم فى خبره : فلما لم يُجبهم دسُّوا إلى هُنَيدة زوجةِ الزِّبْرِقان أنَّ الزبرقان إنما يريد أن يتزوّج ابنته مُلَيكة ؛ وكانت جميلةً كاملةً ، فظهرت من المرأة للحُطَيئة جَفْوة وهى فى ذاك تُداريه . ثم أرادوا النُّجْعة(٣) . قال أبو عُبَيْدة : فقالت له أمُّ شَذْرة — وقال ابن سلام : فقالت له هُنيدة — : قد حضَرت النُّجْعةُ فاركبْ أنت وأهلُك هذا الظَّهرَ إلى مكان كذا وكذا ، ثم اردُدْه إلينا حتى نلْحَقك فإنه لا يسَعُنا جميعا ؛

(١) فى ط : «شنىء الخلق» ولعله فعيل بمعنى مفعول من شُنِىءَ الرجل (بالبناء للمفعول) اذا أبغض . ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا أو لعله تحريف عن «مشيأ الخلق» ، والمشيأ : المختلف الخلق المخبله القبيح .

(٢) قصرت به : لم تكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

(٣) النجعة : طلب الكلأ فى موضعه .

فأرسل إليها : بل تقدَّمى أنتِ فأنت أحقُّ بذلك ؛ ففعلتْ وتثاقلتْ عن ردّها[١] إليه وتركَتْه يومين أو ثلاثةً ، وألح بنو أنف الناقة عليه وقالوا له : قد تُرِكتَ بمَضْيَعة . وكان أشدَّهم فى ذلك قولاً بَغِيضَ بن شَمَّاس وعَلْقَمَةَ بن هَوْذة ، وكان الزِّبْرِقان قد قال فى عَلْقمة :

ولى ابنُ عمٍّ لا يزا ... ل يَعِيبُنى ويُعِينُ[٢] عائبْ
وأعِينُــــه فى النائبا ... ت ولا يُعِين على النوائبْ
تَسْرِى عَقَــارِبُه إلىَّ ... ولا تَدِبُّ له عقاربْ
لاهِ[٣] ابنُ عَمِّكَ لا يَخاف ... المُخْزِناتِ[٤] من العواقبْ

قال : فكان عَلْقمة ممتلئاً غيظا عليه . فلما ألَحُّوا على الحُطَيْئة أجابهم وقال[٥] : أما الآن فنعمْ ، أنا صائرٌ معكم . فتحمَّل معهم ، فضرَبوا له قُبَّةً ، وربَطوا بكلِّ طُنُب من أطنابها جُلَّةً[٦] هَجَرِيَّةً ، وأراحُوا[٧] عليه إبلَهم ، وأكثروا له من التمر واللبن، وأعْطَوْه لِقَاحاً[٨] وكُسْوةً . قال : فلمّا قَدِم الزِّبْرِقان سأل عنه فأُخْبِر بقصَّته ، فنادى فى بنى بَهْدلة ٥٤/٢

(١) كذا فى جميع النسخ ولعله : «رده» . أو أنه أنث الضمير باعتبار أن مرجعه الدابة وهى تقع على المذكر والمؤنث قال الله تعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾ .

(٢) كذا فى ط وفى سائر الأصول : «ويعيب» ، وعائب على هذه النسخة بمعنى ذى عيب يقال : عاب الشىء عيبا : صار ذا عيب .

(٣) لاه : بمعنى لله ، ومثله قول ذى الأصبع العدوانى :

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب ... عنى ولا أنت ديّانى فتخزونى

(٤) فى رس : «المخزيات» .

(٥) كذا فى ط وهى أنسب . وفى سائر النسخ : «فقال» .

(٦) فى اللسان : «الجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكنز فيها» . وقال فى مادة «وزن» : «والوزن : القدرة من التمر لا يكاد الرجل يرفعها بين يديه تكون ثلث الجلة من جلال هجر» . وفى ط ، رس : «حلة» ولعلها تصحيف «جلة» . وفى باقى الأصول : «قلة» والسياق لا يساعد على تصويبه .

(٧) إراحة الإبل : ردها فى العشىّ .

(٨) اللقاح : جمع لقوح وهى الناقة الحلوب .

ابن عَوْف ، وهم لأمٍّ دون قُرَيع ، أُمُّهم السَّفْعاء بنت غَنْم بن قُتَيبة من باهِلة . فركب الزبرقانُ فرسَه ، وأخذ رمحَه ، وسار حتى وقف على نادى بنى شَمَّاس(١) القُرَيْعِيِّين ، فقال : رُدّوا علىّ جارى ؛ فقالوا : ما هو لك بجارٍ وقد أَطَّرحتَه وضيّعتَه ؛ فألمَّ(٢) أن يكونَ بين الحَيَّيْن حربٌ ، فحضرَهم(٣) أهلُ الحِجَا من قومهم ، فلاموا بَغيضاً وقالوا : ارددْ على الرجل جارَه ؛ فقال : لستُ مُخْرِجَه وقد آويته ، وهو رجل حرٌّ مالكٌ لأمره ، فخيِّروه فإن اختارنى لم أُخْرِجْه ، وإن اختاره لم أُكْرِهْه . فخيَّروا الحطيئةَ فاختار بَغيضاً ورَهْطَه ، فجاء الزبرقانُ ووقف عليه وقال له : أبا مُلَيكة ، أفارقتَ جوارى عن سُخْطٍ وذَمّ؟ قال : لا ؛ فانصرف وتركه . هذه رواية ابن سَلاَّم ، وأما أبو عُبَيدة فإنه ذَكَر أنه كان بين الزِّبْرقان ومن معه من القُرَيعيِّين تلاَحٍ(٤) وتَشاحٌّ . وزعم غيرهما أن الزبْرقانَ استعدَى عمرَ بنَ الخطَّاب على بَغيض ، فحكم عمرُ بأن يُخْرَجَ الحطيئةُ حتى يُقام فى موضعٍ خالٍ بين الحَيَّيْن وحدَه ويُخَلَّى سبيلُه ، ويكون جارَ أيِّهما اختار ؛ ففُعِل ذلك به ، فاختار القُرَيعيِّين . قال : وجعل الحطيئةُ يمدَحهم من غير أن يَهْجُوَ الزِّبْرقان ، وهم يحضُّونه على ذلك ويُحرِّضونه فيأبى ويقول : لا ذنبَ للرجل عندى ؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النَّمر بن قاسِط يقال له دِثار بن شَيْبان ، فهجا بَغيضاً فقال :

أرَى إبلِى بجَوْف الماء حَلَّتْ(٥) وأَعْوزها به الماءُ الرَّواءُ
وقد وَرَدَتْ مِياهَ بنى قُرَيع فما وصلُوا القرابةَ مذ أساءوا

---

(١) فى مع ، نا : «بنى عبد شمس» .

(٢) ألمّ : قرب ، يقال : ألمّ أن يذهب بصره أى قرب أن يذهب . ومنه الحديث : «وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلمّ» ، قال أبو عبيد : معناه أو يقرب من القتل .

(٣) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «فحضر أهل الحجا .... » .

(٤) تلاح : تنازع .

(٥) فى مع ، خد ، رس : «حنت» .

تُحَلَّأُ(١) يومَ وِرْد الناس إبْلِى وتَصْدُرُ وهى مُحْنِقةٌ(٢) ظِماءُ
ألم أكُ جارَ شمّاس بنِ لَأْيٍ فأسلمنِى وقد نزل البَلاءُ
فقلتُ : تحـوّلِى يا أمَّ بَكْرٍ إلى حيثُ المكارمُ والعَلاءُ
وجدنا بيتَ بَهْدلةَ بنِ عَوْفٍ تعالى سَمْكُهُ ودَحَا(٣) الفِناءُ(٤)
وما أَضْحَى لشَمّاسِ بنِ لَأْيٍ قَديمٌ فى الفَعال(٥) ولا رَباءُ(٦)
سِوَى أن الحطيئةَ قال قولاً فهـذا من مقالتِه جزاءُ

فحينئذ قال الحطيئةُ يَهْجُو الزِّبْرِقان ويُناضِل عن بَغِيض قصيدتَه التى يقول فيها :

واللهِ ما مَعْشَرٌ لامُوا امْرأً جُنُباً فى آل لَأْيِ بن شَمّاس بأَكْياسِ
ما كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أبا لكمُ فى بائسٍ جاء يَحْدُو آخرَ الناسِ
لقد مَرَيْتُكمُ(٧) لو أن دِرَّتَكم(٨) يوماً يَجِىء بها مَسْحِى وإبْسَاسِى
وقـد مدحتُكمُ عمداً لأُرْشِدَكم كيما يكون لكم مَتْحِى وإمراسى
لما بدا لىَ منكم غيبُ(٩) أنفسِكم ولم يكن لِجراحى فيكمُ آسى

(١) كذا فى حـ . وتحلأ : تمنع ، يقال : حلأه عن الماء تحليئا وتحلئة : طرده ومنعه . وفى باقى النسخ : «تحلى» وهو تحريف .

(٢) محنقة : ضامرة .

(٣) وردت دحا بمعنى بسط ووسّع ، ولم تجىء فى كتب اللغة التى بين أيدينا لازمة إلا فى قولهم : دحا البطن أى عظم واسترسل إلى أسفل ، فيصح أن يكون قوله : «دحا الفناء» هنا بمعنى عظم واتسع . أو لعلها دجا (بالجيم المعجمة) بمعنى سبغ أى طال واتسع .

(٤) فناء الدار : ما اتسع من أمامها .

(٥) الفعال بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٦) الرباء بالفتح : الطول والمنة والفضل .

(٧) مريتكم : من مرى الناقة يمريها ، أى مسح ضرعها . والمراد مداراتهم ومدحهم ليدرّوا عليه بالعطاء .

(٨) الدرة : اللبن .

(٩) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «عيب» بالعين المهملة .

أزمعتُ يأساً مُبِيناً[١] من نَوَالِـكُمُ ... ولن يُرَى[٢] طارداً للحُرِّ كاليأسِ

جارٌ لقـــومٍ أَطالُوا هُونَ منزِلِهِ ... وغادرُوه مقيماً بينَ أَرْماسِ

٥٥/٢

مَلُّوا قِرَاه وهَرَّتْه كلابُهمُ ... وجَرَّحُوه بأنيابٍ وأَضْراسِ

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لِبُغْيَتِها ... واقْعُدْ فإنكَ أنت الطاعمُ الكاسِي

مَن يَفْعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَه ... لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

ما كان ذنبيَ أن فَلَّتْ مَعَاوِلَــكم ... من آلِ لَأْيٍ صَفَاةٌ أصلُها راسِي

قد نَاضَلُوكَ فسَلُّوا من كَنَائِنِهم ... مجداً تَليداً ونَبْلاً غيرَ أَنْــكاسِ[٣]

— الجُنُب : الغريب . والإبْسَاس : أن يُسَكِّنَها عند الحَلْب . والماتِح : المستَقِي الذي يجذِب الدلوَ من فوقُ . والإمراسُ : أن يقع الحبلُ في جانب البَكَرة فيُخرِجَه —

استعدى الزبرقان عليه عمر فحبسه

فاستَعْدَى عليه الزبرقانُ عمرَ بن الخطاب ، فرفَعه عمرُ إليه واستنشَدَه فأنشده ؛ فقال عمر لحسَّان : أتُرَاه هجاه ؟ قال : نعمْ وسلَح عليه ، فحبَسه عمر .

فصل زياد فى حادثة تقدمت له بنحو مافصل عمر فى أمر الزبرقان والحطيئة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وحَبِيبُ بن نَصْر المُهَلَّبىّ قالا حدّثنا عمر ابن شَبَّة قال حدّثنى أحمد بن مُعاوية عن أبى عبد الرحمن الطائىّ عن عبد الله بن عَيَّاش عن الشَّعْبىّ قال :

شهدتُ زياداً وأتاه عامرُ بن مسعود بأبى عُلاثَةَ التَّيْمِىّ ، فقال : إنه هجانى ؛ قال : وما قال لك ؟ قال قال :

---

(١) كذا فى حـ ، م والديوان . وفى ب ، س : «متينا» .

(٢) فى ط : «ولن ترى طاردا» .

(٣) أنكاس : جمع نكس وهو أضعف السهام . وقد أورد صاحب اللسان (مادة نكس) رواية الأزهرى لهذا البيت وقال فى شرحه : ومعنى البيت أن العرب كانوا إذا أسروا أسيرا خيروه بين التخلية وجزّ الناصية ، والأسر ؛ فإن اختار جزّ الناصية جزّوها وخلوا سبيله ، ثم جعلوا ذلك الشعر فى كنائنهم ، فإذا افتخروا أخرجوه وأروهم مفاخرهم (انظر اللسان مادة نكس) .

وكيف أرجّى ثَرْوَها ونماءَها … وقد سار فيها خُصْيةُ[1] الكلبِ عامرُ

قال أبو علاثة: ليس هكذا قلتُ؛ قال: فكيف قلتَ؟ قال قلتُ:

وإنى لأرجو ثَرْوَها ونماءها … وقد سار فيها ناجذ الحقِّ عامرُ

قال زيادٌ: قاتل الله الشاعرَ، ينقلُ لسانَه كيف شاء، والله لولا أن تكون سُنَّةً لقطعتُ لسانَك! فقام قَيْسُ بن فَهْد الأنصارىّ فقال: أصلح الله الأمير، ما أَدْرِى مَن الرجلُ؛ فإن شئتَ حدثتُك عن عمرَ بما سمعتُ منه — قال: وكان زيادٌ يعجبه الحديثُ[2] عن عمرَ رضى الله عنه — قال: هاتِه، قال: شهدتُه وأتاه الزِّبْرِقان بن بدر بالحُطَيئة فقال: إنه هجانى؛ قال: وما قال لك؟ قال قال لى:

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها … واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسِى

فقال عمر: ما أسمعُ هجاء ولكنّها معاتبةٌ؛ فقال الزبرقان: أَوَ ما تبلُغ مروءتى إلاّ أن آكُلَ وألبَس! فقال عمر: علىّ بحسّان، فجِئ به فسأله؛ فقال: لم يَهْجُه ولكن سلَح عليه — قال ويقال: إنه سأل لَبيداً عن ذلك فقال: ما يسرُّنى أنه لَحِقنى من هذا الشعر ما لَحِقَه وأن لى حُمُرَ النَّعَم — فأمر به عمرُ فجُعِل فى نَقِيرٍ[3] فى بئر ثم أُلْقِىَ عليه شىء، فقال:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ[4] … زُغْبٍ[5] الحواصِلِ[6] لا ماءٌ ولا شَجَرُ

(١) فى مع: «ناجذ الحق».

(٢) فى ط: «وكان زياد يعجبه أن يسمع الحديث عن عمر».

(٣) النقير: ما نقر من حجر أو خشب ونحوها.

(٤) فى هامش ط: «ويروى: بذى أمر» وقد ورد البيت فيها فيما يلى بهذه الرواية. وذكر صاحب القاموس فى مادة «مرخ» أن ذا مرخ بالتحريك واد بالحجاز. وقال ياقوت: هو واد بين فدك والوابشية كثير الشجر، وأورد هذا البيت، ثم قال: والرواية المشهورة «بذى أمر»، وذو أمر: موضع بنجد من ديار غطفان.

(٥) كذا فى أغلب الأصول. وفى حـ، رس والديوان: «حمر الحواصل». والمراد من حمرتها خلو جلدها من الريش لقرب عهدها بالولادة.

(٦) الحوصلة من الطائر والظليم بمنزلة المعدة فى الإنسان.

ألقيتَ كاسِبَهم فى قعـــرِ مُظْلِمةٍ فاغفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ
أنت الإمامُ الذى من بعدِ صاحبِه أَلْقَى إليك مقاليـــدَ النُّهى البَشَرُ
لم يُؤْثِروكَ بها إذ قـــدَّموك لها لـكن لأنفسِهم كانتْ بكَ[1] الأَثَرُ

فأخرجه وقال له : إيّاكَ وهِجَاءَ الناس ، قال : إذًا يموت عِيَالى جوعاً ، هذا مكسَبى ومنه مَعاشِى ؛ قال : فإياكَ والمُقْذِعَ من القول ؛ قال : وما المقذع ؟ قال : أن تخاير بين الناس فتقولَ : فلان خَيْرٌ من فلان ، وآل فلان خيرٌ من آل فلان ؛ قال : فأنت والله أَهْجَى منّى . ثم قال : والله لولا أن تـكون سُنّةً لقطعتُ لسانك ، ولـكن أُذهبْ فأنت له ، خُذْه يا زِبْرِقان ؛ فألقى الزبرقانُ فى عنقه عمامةً فاقتاده بها ؛ وعارضتْه غَطَفَانُ فقالوا له : يا أبا شَذْرَة ، إخوتُك وبنو عمِّك ، هَبْه لنا ؛ فوهَبه لهم . فقال زيادٌ لعامر بن مَسْعود : قد سمعتَ ما رُوى عن عمر ، وإنما هى السُّنَن ، فاذهبْ به فهو لك ؛ فألقى فى عُنُقه حبلا أو عمامة ، وعارضتْه بَكْرُ بنُ وائل فقالوا له : أخوالُك[2] وجيرانُك ؛ فوهَبه لهم . ٥٦/٢

استعطف عمر بشعر فأطلقه

أخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عُبَيدة :

أن الحطيئةَ لـما حبَسه عمرُ قال وهو أوّلُ ما قاله :

أَعُـــوذُ بجَدِّكَ إنّى آمرؤٌ سقَتْنِى الأعادى إليكَ السِّجالا
فإنكَ خيرٌ من الزِّبرقانِ أشدُّ نـكالاً وأَرْجَى نَوالا
تحـــنَّنْ علىَّ هَداكَ المليـكُ فإنّ لـكلِّ مقـــامٍ مَقـــالا
ولا تأخُذَنّى بقـــول الوُشاةِ فإنّ لـكل زمانٍ رِجالا

(١) الأثر : جمع أثرة وهى المكرمة . وفى ط : «كانت بك الخير» وفى الديوان : «كانت بها الخير».

(٢) فى ط ، رس ، مع ، نا : «إخوتك وجيرانك» .

فإن كان ما زَعُموا صادقاً فسِيقَتْ إليكَ نسائى رِجالا[١]
حَواسِرَ لا يشتكينَ الوَجا[٢] يُخَفِّضْنَ آلاً ويرفَعْنَ آلا

فلم يلتفت عمرُ إليه حتى قال أبياتَه التى أوّلها :

* ماذا تقول لأفراخ بذى مَرَخٍ[٣] *

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء ومحمد بن العَبَّاس اليَزيدىّ وعمرُ بن عبد العزيز ابن أحمد وطاهرُ بن عبد الله الهِشامىّ[٤] قالوا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدثنى محمد ابن الضحَّاك بن عثمان الحِزامِىّ قال حدّثنى عبد الله بن مُصْعَب عن رَبيعة بن عثمان عن زيد[٥] بن أسْلَم عن أبيه قال :

أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلّمه فيه عمرو بن العاص وغيرُه فأخرجه من السجن فأنشده قولَه :

ماذا تقول لأفراخ بذى مَرَخٍ[٦] زغبِ الحواصِل لا ماء ولا شجرُ
ألقيتَ[٧] كاسبَهم فى قعر مظلمةٍ فاغفرْ عليك[٨] سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليدَ النُّهَى البشرُ

(١) رجالا : جمع رجلة (بفتح الراء وضم الجيم) ، أى راجلة .
(٢) الوجا : الحفا وقيل شدته .
(٣) فى ط : « بذى أمر » .
(٤) فى ط ، نا : «الهاشمى» .
(٥) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «يزيد» وقد أورد فى الخلاصة فى أسماء الرجال زيد بن أسلم هذا وقال : إنه يروى عن أبيه وإنه مولى لعمر بن الخطاب . وفى سائر النسخ : «يزيد بن أسلم» ولم نجده فى كتب التراجم .
(٦) فى ط ، نا : «بذى أمر » .
(٧) فى ط ، خد ، نا ، مع : «غادرت» .
(٨) فى ط ، نا : «فاغفر هداك عليك الناس» .

لم يؤثروكَ بها إذ قدَّموكَ لها … لكن لأنفسِهم كانت بكَ الأَثَرُ(١)

فامنُنْ على صِبْيةٍ بالرمل مسكنُهم … بين الأباطح تَغْشاهم بها القِرَرُ(٢)

أهلي فِداؤكَ كم بيني وبينهمُ … من عَرْض داوِيَّة تَعْمَى بها الخُبُرُ(٣)

— قال فبكى حين قال :

* ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ *

فقال عمرو بن العاص : ما أظلَّتِ الخضراء ولا أقلَّت الغَبْراء أعدلَ من رجلٍ يبكى على تركه الحطيئة — فقال عمر : علىّ بالكُرسِىّ ، فأُتى به ، فجلَس عليه ثم قال : أشيروا علىّ فى الشاعر ، فإنه يقول الهُجْرَ(٤) ويَنْسُبُ بالحُرَم ويمدح الناس ويذمُّهم بغير ما فيهم ، ما أُرَانِى إلاّ قاطعا لسانَه ، ثم قال : علىّ بالطَّسْت(٥) ، فأُتِى بها ، ثم قال : علىّ بالمِخْصَف(٦) ، علىّ بالسِّكِّين ، لا بل علىّ بالمُوسَى ، فهو أوْحَى(٧) ؛ فقالوا : لا يعود يا أميرَ المؤمنين ، فأشاروا(٨) إليه أن قُلْ : لا أعود ؛ فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين ؛ فقال له : النَّجَاء . قال : فلما ولّى قال له عمر : يا حُطَيئة ، كأنى بك عند فتًى من قريش ، قد بسَط لك نُمْرُقةً(٩) وكسرَ لك أخرى وقال : غنِّنا يا حُطَيئة ، فطَفِقْتَ تغنِّيه بأعراض الناس . قال ابن أَسْلَم : فما انقضتِ الدنيا حتى رأيتُ الحطيئةَ عند عُبَيد الله بن عُمَر قد بسَط له نُمْرُقةً وكَسر له أخرى وقال : غنِّنا يا حطيئة ، فجعل ٥٧/٢

(١) فى مع ، نا : « كانت بك الخير » .
(٢) القرر : جمع قرّة — بالكسر — وهى البرد .
(٣) الداوية والدوّية : الفلاة الواسعة ، وفى مع ، نا : «يخفى بها الخبر » .
(٤) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «الهجو» بالواو .
(٥) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « على بطست » بالتنكير .
(٦) المخصف : مخرز الإسكافى وهو الإشفى .
(٧) فى ح : «فهى أوحى» والموسى يذكر ويؤنث . وأوحى : أسرع .
(٨) كذا فى جميع النسخ بالفاء . والمناسب للمقام هنا العطف بالواو .
(٩) النمرقة : الوسادة .

يغنّيه ، فقلتُ له : يا حُطَيئة ، أتذكُر قولَ عمر ؟ ففزع وقال : يرحَم الله ذلك المرء ، أما إنه لو كان حيًّا ما فعلتُ . قال : وقلت لعُبَيد الله : سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل .

اشترى منه عمر أعراض المسلمين بعطاء

ورُوِى عن عبد الله بن المُبارَك أنّ عمر رضى الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الُحجة فاشترى منه أعراضَ المسلمين جميعا بثلاثة آلافِ درهم ؛ فقال الحطيئةُ فى ذلك :

وأخذتَ أطرافَ الكلام فلم تَدَعْ   شَتْما يضُرّ ولا مَديحا ينفعُ
وحَمَيْتَنِى عِرْضَ اللئيم فلم يَخَفْ   ذَمِّى وأصبح آمنًا لا يَفزَعُ

شفع له عبدالرحمن ابن عوف عند عمر

أخبرنى الُحسَين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمه عن نافع بن أبى نُعَيم :

أن عبد الرحمن بن عوف هو الذى استرضَى عمرَ بن الخطاب وكلّمَه فى أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن . قال حَمَّاد وأخبرنى أبى عن أبى عُبَيدة أن عمَر رضى الله عنه لما أطلقه قال الشاعر النَّمَرىّ الذى كان الزِّبرْقان حَمله على هجاء بَغيضٍ :

دَعانِى الأُثْبَجانِ[1] ابنا بَغيضٍ   وأَهْلِى بالعَلاَةِ[2] فمَنَّيَانِى
وقالوا : سِرْ بأهلك فأتِيَنَّا   إلى حَبٍّ وأَنْعامٍ سِمانِ
فسرتُ إليهمُ عشرين شهراً   وأربعةً فذلك حِجَّتانِ

---

(١) كذا فى م ، ا ومختارات أشعار العرب لابن الشجرى . والأثبجان : مثنى أثبج وهو الأحدب ويقال على الناتئ الصدر وعلى العظيم الجوف وعلى الناتئ الثبَج وهو مابين الكتفين والكاهل . وذكر صاحب اللسان فى مادة ثبج أن بيت النمرى هذا فسر بهذه المعانى كلها . وفى أغلب النسخ : « الانتجان» وهو تصحيف .

(٢) كذا فى جميع الأصول . والعلاة : جبل فى ديار النمر بن قاسط . وفى اللسان مادة ثبج : « بالعراق » . وفى مختارات ابن الشجرى : «بالفلاة » .

فلما أن أتيتُ ابنَىْ بغيضٍ   وأسلمنى بدائى(١) الداعيانِ
يبيتُ الذئبُ والعَشْواءُ(٢) ضيفاً(٣)   لنا بالليل بئس الضائفانِ
أُمارِسُ منهما(٤) ليلاً طويلاً   أُهَجْهِجُ(٥) عن بَنِىّ ويَعْرُوانِ
تقولُ حليلتى لما اشتكَيْنا :   سيدرِكُنا بنو القَرْمِ الهِجانِ(٦)
سيُدْرِكُنا بنو القمرِ بن بَدْرٍ   سراجِ الليلِ للشمس الحَصانِ
فقلتُ : أُدْعِى وأَدْعُوَ إن أَندَى(٧)   لصوتٍ أن ينادِىَ داعيانِ
فمن يَكُ سائلاً عنّى فإنّى   أنا النَّمَرِىُّ جارُ الزِّبْرِقانِ
طَرِيدُ عَشِيرةٍ وطريدُ حربٍ   بما اجترمتْ يَدِى وجنَى لسانى
كأنّى إذ نزلتُ به طريداً   نزلتُ على الممنَّعِ من أَبانِ(٨)
أتيتُ الزِّبْرِقانَ فلم يُضِعْنِى   وضيَّعَنِى بِتِرْيَمَ(٩) مَنْ دَعانِى

(١) فى مختارات ابن الشجرى : « لدائى » .

(٢) العشواء : الضبع .

(٣) الضيف : يكون للواحد والجمع كعدل وخصم . وفى التنزيل العزيز : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ .

(٤) كذا فى مختارات ابن الشجرى وهو الصواب . وفى الأصول : « منهم » .

(٥) يقال : هجهج السبع وهجهج به إذا صاح به وزجره ليكف .

(٦) الهجان : الرجل الحسيب .

(٧) كذا فى جميع الأصول وهى رواية فى البيت . وأدعو منصوب بعد واو المعية المسبوقة بالأمر ، وتسمى واو الصرف كما ذكره أبو عبيد البكرى فى التنبيه على أوهام أبى على . وفى كتاب الأمالى لأبى على ومختارات ابن الشجرى : * فقلت ادعى وأدع فإن أندى * وجزم « وأدع » على توهم اللام ، كأنه قال : ولأدع .

(٨) أبان : جبل . والممنع : العالى الذى يمتنع من أن يبلغه أحد .

(٩) تريم بكسر أوله وفتح الياء : اسم وادٍ بين المضايق ووادى ينبع .

مكث فى بنى قريع إلى أن أخصبوا وأجازوه فرحل عنهم ومدحهم

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن أبى عُبَيْـدة قال :

لم يزل الحطيئةُ فى بنى قُرَيع يمدحُهم حتى إذا أُحْيَوْا[١] قال لَبغيض : فِ لى بما كنتَ تضمّنتَ ؛ فأتى بَغيضٌ عَلْقمةَ بن هَوْذة فقال له : قد جاء الله بالحَيا ، فَفِ لى بما قلتَ — وكان قد ضمِن له مائةَ بعير — وأَبرِئْنى مما تضمّنْتَه عهدتى ؛ فقال : نعمْ ، سَلْ فى بنى قُرَيع فمهما فضَل بعد عطائهم أن يُتِمَّ مائةً أتممتُه ، ففعـل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً ، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعيرَ والبعيرين ؛ قال : فأتمّها علقمةُ له مائةً وراعِيَيْن فدُفِعتْ إليه . فلم يزل يمدحهـم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمتَه السينيّة ، واستعدى الزبرقانُ عليه عمرَ رضى الله عنه . فلما رحل عنهم قال :

٥٨/٢

لا يُبْعِـدِ اللهُ إذ ودّعتُ أرضَهمُ ... أخى بَغيضًا ولـكن غـيرُه بَعِـدا
لا يبعد الله من يُعْطِى الجزيلَ ومن ... يَحْبو الجليلَ وماأَكْدى ولا نَكِدا
ومن تُلاقيه[٢] بالمعروف مبتهِجاً ... إذا اجْرَهَدَّ[٣] صَفَا المذمومِ أوصلَدا
لاقيتُه ثَلِجاً[٤] تَنْدَى أنامـلُه ... إن يُعْطِك اليومَ لا يمنعْك ذاكَ غَدا
إنّى لرافِـدُه وُدّى ومَنْصَرَتِى ... وحافظٌ غيبَه إن غاب أو شهِدا

أقبل على ابن عباس وسأله : أعليـه جناح فى هجاء الناس؟

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد[٥] بن الحارث عن المَدائنىّ عن ابن دَأْب عن عبد الله بن عَيّاش المَنْتوف قال :

---

(١) أحيوا : أصابهم الحيا وهو المطر .

(٢) كذا فى ا ، م بالتاء ، وهو المناسب للسياق . وفى ب ، س ، حـ ، ط : «يلاقيه» .

(٣) يقال : اجرهدت الأرض إذا لم يوجد فيها نبات ولا مرعى . والصفا : جمع صفاة وهى الصخرة الملساء .

(٤) ثلجا : فرحا مبتهجا .

(٥) كذا فى حـ ، خد . وفى سائر النسخ : «محمد» وقد تقدم فى صفحة ١٧٠ حاشية ٣ من هذا الجزء أنه أحمد بن الحارث الخزاز صاحب المدائنى وراويته .

بَيْنا ابن عباس جالسٌ فى مجلس[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كُفَّ بصرُه وحولَه ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابىٌّ يَخْطِر وعليه مِطْرَفٌ وجُبَّةٌ وعِمامة خَزٌّ ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام ، فقال : يا بنَ عمّ رسول الله ، أَفْتِنى ؛ قال : فماذا ؟ قال : أتخاف علىّ جُناحاً إن ظلمنى رجل فظلمتُه وشتمنى فشتمتُه وقصّر بى فقصّرتُ به ؟ فقال : العفو خير ، ومن انتصر فلا جُناح عليه ، فقال : يابن عمّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أرأيت آمرأً أتانى فوعدنى وغرّنى ومنّانى ثم أخلفنى واُستخفّ بُحرْمتى ، أيسعُنى أن أهجوَه ؟ قال : لا يصلُح الهجاء ، لأنه لا بد لك من أن تهجُوَ غيره من عشيرته فتظلمَ من لم يظلِمْك وتشتُمَ من لم يشتُمك ، وتَبْغِى على من لم يَبْغِ عليك ، والبغى مَرْتع وخيم ، وفى العفو ما قد علمت من الفضل ؛ قال : صدقت وبَرِرْتَ ، فلم ينشب أن أقبل عبد الرحمن بن سَيْحان المحاربىّ حليف قريش ، فلما رأى الأعرابىّ أجلَّه وأعْظمه وألطَف فى مسألته ، وقال : قرّب الله دارَك يا أبا مُلَيكة ، فقال ابن عباس : أجَرْوَل ؟ قال : جرول ، فإذا هو الحطيئة ، فقال ابن عباس : لله أنت ! أىّ مِرْدًى[2] قِذَافٍ ، وزائدٍ عن عشيرةٍ[3] ، ومُثْنٍ بعارفة تؤْتاها أنت يا أبا مليكة والله لو كنتَ عَرَكتَ[4] بجنبك بعضَ ما كرِهتَ من أمر الزِّبْرِقان كان خيرا لك ، ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظلِمْك ، وشتمتَ من لم يشتُمك ، قال: إنّى والله بهم يا أبا العباس[5] لعالم ، قال : ما أنت بأعلم بهم من غيرك ، قال : بلى والله ! يرحمك الله ! ثم أنشأ يقول :

(١) أى فى المكان الذى كان يجلس فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن ابن عباس كف بصره بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وسياق الحكاية نفسها يدل على ذلك . وفى مع ، نا ، خد : «مسجد» .

(٢) المردى فى الأصل : حجر يرمى . ويطلق على الرجل الشجاع فيقال : إنه لمردى حروب .

(٣) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «عشيرته» .

(٤) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله . وأنشدوا على هذا :

إذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما ... يريب من الأدنى رماك الأباعد

(٥) كنية عبد الله بن عباس رضى الله عنه .

أنا أبنُ بَجْدَتِهم(١) عِلْمــاً وتجربةً   فَسَلْ بسعدٍ تجـــدْنى أعلم الناسِ
ســعدُ بن زيد كثيرٌ إن عددْتَهمُ   ورأسُ ســعدِ بن زيد آلُ شَمّاسِ
والزبرقانُ ذُناباهم(٢) وشـــرُّهمُ   ليس الذُّنابى أبا العبـاس كالراسِ

فقال أبن عباس: أقسمتُ عليك ألا تقول(٣) إلا خيرا ، قال : أفعل . ثم قال أبن عباس: يا أبا مُليكة ، من أشعر الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقين ؟ قال : من المـاضين ، قال : الذى يقول :

ومن يجعل المعروفَ من دون عِرْضِه   يَفِرْهُ ومن لا يَتَّقِ الشتم يُشْتَمِ

ومادونه الذى يقول :

ولستَ بمسـتبقٍ أخـــاً لا تَلُمُّهُ   على شَعثٍ ، أى الرجال المهذَّبُ !

٥٩ / ٢ ولـكن الضراعـــةَ أفسدته كما أفسدتْ جَرْولاً — يعنى نفسه — واللهِ يابنَ عمّ رسولِ الله لولا الطمع والجَشَع لـكنتُ أشعرَ(٤) المـاضين ، فأما الباقون فلا تَشُكَّنَّ أنّى أشعرهم وأصْرَدُهم(٥) سهماً إذا رَميتُ .

منع الزبرقان عبد الله بن أبى ربيعة ماءه فهجاه وهجاه لذلك بنو أنف الناقة

أخبرنى أحمدبن عُبيد الله بن عَمّار قال : رُوِى لنا عن أبى عُبَيدة والهَيْثم بن عدىّ وغيرهما :

أنّ عبدالله بن أبى ربيعة لمـا قدم من البحرين نزل على الزبرقان بن بدر بمائه فحَلَّأَه

(١) البجدة : دخلة الأمر وباطنه . ومن الأمثال : « أنا آبن بجدتها » يقال ذلك للعالم بالشىء المتقن له . والهاء راجعة إلى الأرض .
(٢) ذناباهم : ذَنَبُهم .
(٣) كذا فى ا ، م . وفى ب ، س ، حـ ، ، ط : « أن تقول » بدون لا ، وحذف لا النافية فى مثل هذا الموضع جائز ، انظر الحاشية رقم ١ ص ١٧٤ ج ١ من الأغانى طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر .
(٤) فى ب ، س ، ط : « لكنت أشعر الناس الماضين » .
(٥) أصردهم : أنفذهم .

وهو الماء الذى يقال له بُنْيان[١] ، فنزل على بنى أنف الناقة بمائهم وهو الذى يقال له وَشِيع ، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا : لو كانت إبلنا منّا قريبةً لنحرْنا لك ، فراح من عندهم يتغنّى فيهم بقوله :

وما الزبرقانُ يومَ يمْنَــــــع ماءه ... بمُحْتَسِبِ التَّقْوى ولا متوكِّـــلِ

مقيمٌ على بُنْيانَ يمنـــع ماءه ... وماءُ وَشِيعٍ ماءُ ظمآنَ مُرْمِلِ

قال : فركب الزِّبْرِقان إلى عمرَ رضى الله عنه فاستعداه على عبدالله وقال : إنه هجانى ياأمير المؤمنين ؛ فسأل عمر عن ذلك عبدَ الله ، فقال له : ياأمير المؤمنين ؛ إنى نزلت على مائه فحَلَّأنى عنه ، فقال عمر رضوان الله عليه : يازبرقانُ ، أتمنع ماءك من ابن السبيل ! قال : ياأميرالمؤمنين ألا أمنع ماءً حفَرَ آبائى مجاريه ومستقره وحفرتُه أنا بيدى ! فقال عمر: والذى نفسى بيده ، لئن بلغنى أنك منعتَ ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتَنى بنجد أبدا ! فقال بعضُ بنى أنف الناقة يُعيِّرُ الزِّبرقان مافعله :

أتدرى مَنْ منعتَ ورودَ حوضٍ ... سَليل خَضارمٍ مَنعوا البِطــاحا

أزادَ الركبِ[٢] تمنع أم هِشاماً ... وذا الرُّمْحَين[٣] أمنعَهم ســلاحا

هُم منعوا الأباطحَ دون فِهْرٍ ... وَمنْ بالخَيف والبُــدْنَ اللّقاحا

---

(١) كذا فى معجم ياقوت ، وضبطه بالضم وقال : كذا وجدته فى شعر الأعشى ، ووجدته بخط الترمذى الذى نقله من خط ثعلب «بنيان» بالفتح فى قول الحطيئة : مقيم على بنيان يمنع ماءه الخ . وقال : هى قرية باليمامة ينزلها بنو سعد بن زيد بن مناة بن تميم . وفى جميع الأصول : «تبيان» وهو تحريف .

(٢) زاد الركب : لقب أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وهو عم عبد الله بن أبى ربيعة . والملقبون بزاد الركب ثلاثة من قريش هذا أحدهم ، والثانى مسافر بن أبى عمرو بن أمية ، والثالث زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسيد بن عبد العزى . وإنما قيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا إذا سافروا يطعمون كل واحد يكون معهم ويكفونه الزاد .

(٣) ذو الرمحين هو أبو ربيعة بن المغيرة والد عبد الله بن أبى ربيعة .

بضربٍ دونَ بَيْضتِهم[١] طِلَخْفٍ[٢] إذ اللهوفُ لاذ بهم وصاحا
وما تَدْرِى بأيِّهِـــمُ تُلاقِى صُـــدُورَ المَشْرَفيَّة والرِّماحا

وصيته عند موته بالشعراء والفقراء والأيتام

وللحطيئة وصيَّةٌ ظريفة يأتى كلُّ فريق من الرواة ببعضها ، وقد جمعتُ ماوقع إلىّ منها فى موضع واحد وصدَّرْتُ بأسانيدها .

أخبرنى بها محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ قال حدّثنا عُيَينة[٣] بن المِنْهال عن الأصمعىّ ، وأخبرنى بها أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة ، وأخبرنى إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتَيبة ، ونسختُها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبدىّ عن الهَيْثَمَ بن عَدِىّ عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى عمرة عن أبيه ، وأخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبى عبيدة ، وأخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا أبو غَسَّان دَماذ عن أبى عبيدة قالوا :

لما حضرت الحطيئةَ الوفاةُ اجتمع إليه قومُه فقالوا : ياأبا مُليكَة : أوصِ فقال : ويلٌ للشِّعْر من راوية السوء ؛ قالوا : أَوصِ رحمك الله ياحُطَىْء ؛ قال : من الذى يقول :

إذا أَنْبَضَ[٤] الرامون عنها تَرَنَّمَتْ تَرَنُّمَ ثكلى أوجعتها الجنائزُ ؟

قالوا : الشَّمّاخ ؛ قال: أبلغوا غَطَفانَ أنه أشعرُ العرب ، قالوا : وَيْحك ! أهذهِ وَصيَّةٌ ؟ أوْصِ بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهل[٥] ضابئٍ أنه شاعرٌ حيث يقول :

٦٠ / ٢

(١) بيضتهم : حوزتهم وساحتهم .
(٢) طلخف : شديد .
(٣) فى ط : «عتيبة بن المنهال» .
(٤) أنبض القوس وأنضبها : جذب وترها لتصوّت .
(٥) هو ضابئ بن الحارث البرجمى ثم اليربوعى الشاعر من بنى تميم .

لِكُلِّ جديدٍ لَذَّةٌ غيرَ أنني رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ

قالوا : أوصِ ويحك بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهلَ امرئْ القيس أنه أشعرُ العرب حيث يقول :

فيالَكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَهُ بكلِّ مُغَار الفَتْلِ شُدَّتْ بيَذْبُلِ[١]

قالوا : اتَّقِ الله ودعْ عنك هذا ، قال : أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعرُ العرب حيث يقول :

يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابُهم لا يسألون عن السَّواد المُقْبِلِ

قالوا : هذا لا يُغْنِي عنك شيئا ، فقل غيرَ ما أنتَ فيه ؛ فقال :

الشِّعْرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتقَى فيه الذى لا يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ به إلى الحضيض قَدَمُهْ يريدُ أن يُعْرِبَه فيُعْجِمُهُ[٢]

قالوا : هذا مِثْلُ الذى كنتَ فيه ؛ فقال :

قد كنتُ أحياناً شديدَ المعتَمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ[٣] على الخَصْمِ أَلَدّْ

* فوَرَدَتْ[٤] نفسى وما كادتْ[٥] تَرِدْ *

(١) مغار الفتل : محكمه ، وهو اسم مفعول من أغار الحبل إغارة وغارة : شدّ فتله . ويذبل : جبل لباهلة .

(٢) الفاء هنا للاستئناف ، والمعنى فإذا هو يعجمه ولا يصح نصبه عطفا على قوله : « يعربه » لأنه لا يريد إعجامه .

(٣) الغرب : الحدّ ، ومنه غرب السيف : حدّه .

(٤) وردت : أشرفت ، يقال : ورد فلان بلد كذا وماء كذا، إذا أشرف عليه وإن لم يدخله . ولعله يريد من الورد الإشراف على الموت .

(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م ، ط : «كانت » بالنون .

قالوا : يا أبا مُلَيكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا والله ، ولكن أجزَع على المديح الجيِّد يُمدَح به من ليس له أهلا . قالوا : فمَنْ أشعرُ الناس ؟ فأومأ بيده إلى فِيهِ وقال : هذا الجُحَيْرُ إذا طَمِعَ فى خير (يعنى فَمَه) واستعبرَ باكيا ؛ فقالوا له : قل : لا إله إلا الله ؛ فقال :

قالتْ وفيها حَيْدَةٌ(١) وذُعْرُ عَوْذٌ بِرَبِّى مِنْكُمُ وحُجْرُ(٢)

فقالوا له : ما تقول فى عَبيدك وإمائك ؟ فقال : هم عَبيدٌ قِنٌّ ما عاقبَ الليلُ النهارَ ؛ قالوا : فأَوْصِ للفقراء بشىء ؛ قال : أُوصيهم بالإلحاحِ فى المسألة فإنها تجارةٌ لا تَبُورُ ، واُسْتُ(٣) المسئولِ أضيقُ .

قالوا : فما تقولُ فى مالك ؟ قال : للأُنْثَى من وَلَدِى مثلُ(٤) حَظِّ الذكر ؛ قالوا : ليس هكذا قَضَى اللهُ جَلَّ وعزّ لهنّ ؛ قال : لكنِّى هكذا قَضَيْتُ .

قالوا : فما تُوصِى لليتامى ؟ قال : كُلُوا أموالَهم ونيكوا(٥) أمَّهاتِهم ؛ قالوا : فهل شىءٌ تَعْهَدُ فيه غيرُ هذا ؟ قال : نعمْ ، تَحْملوننى على أتانٍ وتتركوننى راكبها حتى أموتَ فإنّ الكريم لا يموتُ على فراشه ، والأتانُ مَرْكبٌ لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطّ ؛ فحَملوه على أتان وجَعَلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول :

لا أحدٌ ألأَمُ من حُطَيَّةْ هجا بَنِيهِ وهجا المُرَيَّةْ
* من لُؤمهِ ماتَ على فُرَيَّةْ *

(١) حيدة : من حاد عن الشىء إذا صدّ عنه أو نفر خوفا منه .

(٢) حجر ، أى دفع ومنع ، والعرب تقول عند الأمر تنكره : حجرا له بالضم ، أى دفعا . قاله صاحب اللسان واستشهد عليه بالبيت .

(٣) هذا كناية عن العجز ، يقال للرجل يستضعف : استك أضيق من أن تفعل كذا ، ويقال للجماعة : أنتم أضيق أستاهاً من أن تفعلوا كذا . انظر اللسان وتاج العروس مادة «سته» .

(٤) فى ب ، س ، د ، ط : «مثلا» .

(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى م : «وأنكحوا» .

والفُرَيَّة : الأَتَان(١) .

الغناء فى شعر الحطيئة

ذكر ما غُنِّىَ فيه من القصائد التى مدح بها الحطيئةُ بَغِيضاً وقومَه وهجا الزبرقان وقومه .

منها :

صــوت

أَلَا طَرَقَتْنا بعدَ ما هَجَعُوا هِنْدُ   وقد جُزْنَ(٢) غَوْراً واستبانَ لنا نَجْدُ
وإنّ التى نَكَّبْتُها(٣) عن مَعاشِرٍ   عَلَىَّ غِضابٍ أَنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

الغناء لعُلَّوَيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، وهذه القصيدة التى يقول فيها :

٦١ / ٢

أتتْ آلَ شَمَّاسِ بن لَأْيٍ وإنّما   أتاهم بهــا الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ(٤)
فإنّ الشقىَّ مَن تُعادِى صدورُهم   وذو الجَدِّ مَن لانُوا إليه ومَن وَدُّوا
يَسُوسون أحلاماً بعيداً أَناتُها   فإن غَضِبُوا جاء الحَفِيظةُ والجِدُّ
أَقِلُّوا عليهم لا أبَا لأبِيكمُ   مِن اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى   وإن عاهدُوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا(٥) شَدُّوا

(١) كذا فى الأصول ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا ما يدل على أن الفرية من أسماء الأتان . والتى بها من هذه المادة «الفرأ» (وقد يسهل ومنه «كل الصيد فى جوف الفرا») وهو حمار الوحش ولعله أنث بالتاء وسهل مع تصغيره فصار فرية .

(٢) كذا فى جميع الأصول . وفى ديوان الحطيئة ومختارات ابن الشجرى : «وقد سرن خمسا واتلأبّ بنا نجد»، ومعنى اتلأبّ : انبسط .

(٣) أراد المدحة التى عدل بها عن آل الزبرقان إلى بغيض وقومه ، وبين هذا البيت وما قاله جملة أبيات فراجعها فى ديوانه .

(٤) العِدّ : القديم ، ومنه قولهم : ماء عِدٌّ أى قديم لاينتزح ، ونقل صاحب اللسان عن بعض المتحذلقين أنه فسر العِدّ فى قولهم : حسب عِدّ بمعنى كثير ؛ أخذاً من قولهم : ماء عد أى كثير ، ثم قال : وهذا غير قوىّ وأن يكون العد القديم أشبه ، واستشهد على هذا المعنى بالبيت .

(٥) رواية اللسان مادة عقد : «وإن عاقدوا شدوا»

وإن كانت النُّعْمَى عليهم جَزَوْا بها ... وإن أنعمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا
وإن قال مَوْلاهُمْ على جُلِّ[1] حادثٍ ... من الدهر : رُدُّوا فَضْلَ أحلامِكم ، رَدُّوا
مَطاعِينُ فى الهَيْجا مَكاشيفُ للدُّجَى ... بَنَى لهمُ آباؤهم وبَنَى الجَدُّ

ومنها :

صوت

وأدمَاء حُرْجُوجٍ[2] تعَالَلْتُ[3] مَوْهِنًا ... بَسوْطِىَ فارمَدَّتْ نَجاءَ الخَفيْدَدِ
إذا آنَستْ وقْعاً من السَّوْط عارضَتْ ... به الجوْرَ حتى يستقيم ضُحَى الغَدِ[4]
وتشربُ بالقَعْبِ[5] الصغير وإن تُقَدْ ... بِمشْفَرِها يوماً إلى الحَوْض تَنْقَدِ

(١) كذا فى ا ، م . وفى باقى النسخ : « كل حادث » وظاهر أنه محرف .
(٢) الحرجوج : الناقة الطويلة على وجه الأرض ، وقيل : الضامرة ، وقيل : الوقادة الحادة القلب .
(٣) تعاللت : استخرجت علالة (بقية) سيرها .
(٤) كذا ورد هذا البيت فى الأصول . ورواية الكامل للمبرد ص ٢٣٨ طبع أوروبا :

وإن آنست حسا من السوط عارضت ... بى الجور حتّى يستقيم ضحى الغد

يريد أنها تحاذى به الجور (وهو الميل عن القصد فى السير) أى تمشى معه على غير اهتداء حتى تستقيم فى ضحوة الغد . ورواية ديوان الحطيئة :

فإن آنست حسا من السوط عارضت ... بى القصد حتّى تستقيم ضحى الغد

يريد أنها جانبت بى القصد ولم تسر فيه حتّى تستقيم فى ضحوة الغد . وفى مختارات ابن الشجرى (النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٨٦ أدب) :

وإن خاف جوراً من طريق رمى بها ... سوى القصد حتّى تستقيم ضحى الغد

وقال فى شارحه : إن خاف أن تجور به عن الطريق اعتسف بها غير الطريق حتّى تلقّى الطريق ضحوة الغد لما فيها من العلالة والبقية ؛ وورد البيت فى اللسان مادة خزم هكذا :

إذا هو نحاها عن القصد خازمت ... به الجور حتّى يستقيم ضحى الغد

ولكنه نسبه لابن فسوة وقال فى تفسيره : ذكر ناقته أن راكبها إذا جار بها عن القصد ذهبت به خلاف الجور حتّى تغلبه فتأخذ على القصد .
(٥) القعب : القدح الضخم الغليظ الجافى .

المَوْهِن : وقتٌ من الليل بعد مُضِيّ صَدْر منه . وارمدّت : نجت ، والأُرمداد : النَّجَاء[١] . والخَفَيْدَد : الظَّلِيم[٢] .

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق . وذكر الهِشامىّ : أنّ فيه لإبراهيمَ خفيفَ رَمَلٍ آخر ، وهو فى جامع إبراهيم غير مُجَنَّس . وفيه خفيف ثقيل مجهول ، وذكر حَبَشٌ : أنه لمَعْبَد ، ويُشبِه أن يكون ليحيى المكىّ .

عدّه بعضهم أشعر الناس

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى إبراهيم ابن المنذِر عن ابن عَبَاية عن محمد بن مسلِم الجَوْسق عن رجل من كعب قال :

جئتُ سوق الظَّهْر[٣] فإذا بكُثَيِّر ، وإذا الناسُ مُتَقَصِّفون[٤] عليه فتخلَّصْتُ حتى دَنَوْتُ منه فقلت : أبا صخرْ ، قال : ما تشاء ؟ قلتُ : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : الذى يقول :

وآثرتُ إدلاجِى على لَيْلِ حُرَّةٍ هَضِيمِ الحشا حُسَّانَةَ المتَجَرَّدِ[٥]
تُفَرِّقُ بالمِدْرَى أَثِيثاً[٦] نباتُه[٧] على واضحِ الذِّفْرَى[٨] أسيلِ المُقَلَّدِ

قال : قلتُ : هذا الحطيئة ؟ قل : هو ذاك .

---

(١) النجاء : السرعة فى السير .
(٢) الذى فى كتب اللغة : الخفيدد : الخفيف من الظلمان .
(٣) لم نضبط هذه الكلمة ويحتمل أن تكون مضمومة الظاء وهو الوقت المعروف ، وفى نسخة ا ، ط : ضبطت الظهر بفتح الظاء ، والظهر : الإبل .
(٤) أى مزدحمون .
(٥) الحسانة (بضم الحاء وتشديد السين): الشديدة الحسن . والمتجرد بالفتح: مصدر بمعنى التجرد وقد يكسر يراد به الجسم .
(٦) أى شعرا كثيفا كثيرا .
(٧) كذا فى أغلب النسخ ومختارات ابن الشجرى . وفى ب ، س ، ط : «كأنه» وهو تحريف .
(٨) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . والأسيل : الطويل . والمقلد : العنق .

كذ به سيدنا عمر فى شعر له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز عن المدائنىّ عن علىّ بن مُجاهد عن هشام بن عُرْوة :

أنّ عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه أُنْشِد قولَ الحطيئة :

مَتَى تأتِهِ تَعْشُو[1] إلى ضَوْء نارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خَيْرُ مُوقِدِ

فقال عمر : كَذَب ، بل تلك نارُ موسى نبىِّ الله صلى الله عليه وسلم .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِىّ عن حَمَّاد الراوية :

أنّ رَجُلا دَخَل على الحُطَيْئة ، وهو مُضْطَجع على فِراشه وإلى جانبه سَوْداءُ قد أخرجتْ رِجْلَها من تحت الكساء ، فقال له : ويحك ! أفى رجلك خُفٌّ ؟ قال : لا والله ولكنها رِجْلُ سوداء ، أتدرى مَنْ هى ؟ قال : لا ؛ قال : هى والله التى أقول فيها :

* وآثرتُ إدلاجِى على ليلِ حُرَّةٍ *

— وذكر البيتين — والله لو رأيتَها يا بْنَ أخى لَمَا شَرِبتَ الماءَ من يدها ؛ قال : فجعلتْ تَسُبُّه أقبحَ سَبٍّ وهو يضحك .

٦٢ / ٢

ومنها :

(١) تعشو : تقصد فى الظلام . قال المرزوقى فى شرح الفصيح : يقال: عشا يعشو إذا سار فى ظلمة تسمى عشوة . وقال ابن يعيش : عشوته أى قصدته فى الظلام ، ثم اتسع فقيل لكل قاصد: عاشٍ . وتعشو حال من ضمير المخاطب فى قوله : تأته . انظر الخزانة للبغدادى ج ٣ ص ٦٦٠ و ٦٦١

صوت

ما كان ذنبُ بَغيضٍ لا أَبَالَكُمُ ... فى بائسٍ جاء يحدو أَيْنُقاً شُزُبا(١)

طافتْ أُمامةُ بالرُّكبان آونةً ... يا حُسْنَها من خَيَالٍ زارَ مُنْتَقِبا

إذ تَسْتَبِيكَ بمصقولٍ عَوَارِضُه(٢) ... حَمْشِ(٣) اللِّثات تَرَى فى مائِهِ شَنَبا

قد أخلقتْ عهدَها من بعد جِدَّته ... وكذَّبَتْ حُبَّ مَلْهوفٍ وما كَذَبا

الغناء لاَبن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة .

ومنها :

صوت

جزَى اللهُ خيرا — والجزاءُ بكفّه — ... بأحسنِ ما يَجْزِى الرجالَ بغيضا

فلو شاء إذ جئناه صَدَّ فلم يُلَمْ ... وصادفَ مَنْأًى(٤) فى البلاد عريضا

الغناء للهُذَلىّ ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشامىّ .

---

(١) شزبا : جمع شازبة وهى الضامرة . وقال الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول : ما قال الحطيئة : « أينقا شزبا » ، إنما قال : « أعنزاً شسبا » ، وشسباً : جمع شاسبة بالسين لغة فى شازبة بالزاى .

(٢) العوارض : الثنايا ؛ سميت عوارض لأنها فى عرض الفم ، وقيل : هى أربع أسنان تلى الأنياب ثم الأضراس تلى العوارض ، وقيل : العوارض ما يبدو عند الضحك . قال كعب بن زهير :

تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول

(٣) حمش اللثات : دقيقها فى حسن .

(٤) المنأى : اسم مكان من النأى وهو البعد .

أخبار آبن عائشة ونسبه

اسمه وكنيته ولم يعرف له أب فنسب إلى أمه

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر ، ولم يكن يُعرَف له أبٌ فكان ينسب إلى أمّه ، ويلقّبه مَن عاداه أو أراد سبَّه : «ابنَ عاهة الدار» . وكان هو يَزْعُم أنّ اسم أبيه جعفر؛ وليس يُعرَف ذلك . وعائشة أُمّه مولاة لكَثِير بن الصَّلْت الكِنْدِيّ حَلِيفِ قُرَيش . وقيل : إنها مَوْلاة لآل المُطَّلِب بن أبى وَدَاعة السَّهْمِىّ ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد ابن سلّام . وحكى آبن الكلبيّ القولَ الأوّل ، وقال إسحاق : هو الصحيح ، يعنى قول ابن الكلبيّ . وقال إسحاق فيما رواه لنا الحُسَين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه : إنّ محمد بن مَعْن الغِفَارِىّ ذكر له عن أبى السائب المخزومىّ أنّ آبن عائشة مَوْلى المُطَّلِب بن أبى وَدَاعة السَّهْمِىّ ، وإنّه كان لغير رَشْدة[1] ، فأدركتُ المَشْيَخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حَسَنا قالوا : أحسنَ آبنُ المرأة . قال إسحاق وقال عِمْران بن هند الأَرْقَمِىّ : بل كان مَوْلًى لِكَثِير بن الصَّلْت .

سأله الوليد بن يزيد عن نسبه لأمه فأجابه

قال إسحاق : قال عُبَيد الله بن محمد بن عائشة : قال الوليد بن يزيد لابن عائشة : يا محمد ، أَلِغَيَّةٍ أنتَ ؟ قال: كانت أمىّ يأمير المؤمنين ماشطة ، وكنت غلاما ، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا : ارفعوا هذا لابن عائشة ؛ فغلبتْ على نَسَبى .

كان يفتن كل من سمعه وأخذ عن معبد ومالك

قال إسحاق : وكان آبنُ عائشة يَفْتِن كلّ من سَمِعَه ، وكان فِتْيان من المدينة قد فَسَدوا فى زمانه بمحادثته ومجالسته . وقد أخذ عن مَعْبَد ومالك ولم يَمُوتا حتّى ساواهما على تقديمه لهما وآعترافه بفضلهما .

(١) لغير رشدة : لغير نكاح صحيح . يقال : فلان ولد لرشدة ، أى لنكاح صحيح . وضده غية ، فيقال : ولد لغية ، أى لزنية .

كان جيد الغناء دون الضرب

وقد قيل : إنه كان ضارباً ولم يكن بالجيِّد الضرب ؛ وقيل : بل كان مُوَتَّجِلا لم يَضْرِب قطّ .

كان يضرب بابتدائه المثل وكان أحسن المغنين بعد معبد

وابتداؤه بالغناء كان يُضرَب به المثل ، فيقال للابتداء الحَسَن كائنا ما كان من قراءة قرآن ، أو إنشاد شِعر ، أو غِناء يُبدأ به فيستحسن : كأنه ابتداء ابنِ عائشة . قال إسحاق: وسمعتُ علماءنا قديماً وحديثاً يقولون : ابنُ عائشة أحسنُ الناس ابتداءً ، وأنا أقول : إنه أحسنُ الناس ابتداءً وتوسُّطا وقَطْعا بعد أبي عبَّاد مَعْبَد ، وقد سمعتُ مَنْ يقول : إنّ ابنَ عائشة مثلُه ؛ وأمّا أنا فلا أَجْسُرُ على أن أقول ذلك .

٦٣ / ٢

وكان ابنُ عائشة غيرَ جَيِّد اليدين فكان أكثرَ ما يُغَنِّى مُوتَجِلا . وكان أطيبَ الناس صوتاً .

قال إسحاق وحدّثنى محمد بن سلاّم قال قال لى جرير : لا تخدعنّ عن أبى جعفر محمد بن عائشة ، فلولا صَلَفٌ كان فيه لَمَا كان بعدَ أبى عَبّاد مثلُه .

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكىّ عن أبيه عن جدّه قال : ثلاثةٌ من المغنِّين كانوا أحسنَ الناس حُلوقاً : ابنُ عائشة وابنُ تيزَن[1] وابنُ أبى الكَنّات .

ضرب ابن أبي عتيق رجلا خدش حلقه

حدّثنى عمى قال حدّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنى مُصْعَب الزُّبَيْرِىّ عن أبيه قال :

رأى ابنُ أبى عَتِيق حَلْقَ ابن عائشة مُخَدَّشا فقال : مَنْ فَعَل هذا بك ؟ قال : فلان ، فمضى فَنَزَع ثيابَه وجلس للرجل على بابه ، فلمّا خرَج أخذ بتَلْبيبه[2] وجعل

(١) انظر الكلام عليه فى حاشية ١ صفحة ٢٩٣ من الجزء الأول من الأغانى طبع هيئة التأليف والنشر .

(٢) التلبيب من الإنسان : مافى موضع اللبب من ثيابه ، واللبب : موضع القلادة من الصدر ، يقال : أخذ فلان بتلابيب فلان إذا جمع عليه ثوبه الذى هو لابسه عند صدره وقبض عليه يجرّه .

يضربه ضَرْبا شديداً والرجل يقول له : مالكَ تضرِبُنى ! أىّ شيء صنعتُ ! وهو لايجيبه حتى بلغ منه ؛ ثم خلاّه وأقبل على مَنْ حضَر فقال : هذا أراد أن يكسر مَزامير داود ؛ شَدّ[١] على ٱبن عائشة فخنَقه وخدَش حَلْقَه .

لو كان آخر غنائه كأوله لفاق ابن سريج

قال إسحاق فى خبره : وحدّثنى أَبِى عن سِياطٍ عن يونسَ الـكاتبِ قال : ماعَرَفْنا بالمدينة أحسنَ ٱبتداءٍ من ابن عائشة إذا غنَّى ، ولو كان آخرُ غِنائه مِثْلَ أوّله لقدّمتُه على ابن سُرَيج . قال إبراهيم : هو كذاك عندى ، وقال إسحاقُ مِثلَ قولهما . قال: وقال يونس : كان ابنُ عائشة يضرِب بالعود ولم يكن مُجيداً ، وكان غناؤه أحسنَ من ضَرْبه، فـكان لايكاد يَمَسُّ العودَ إلاّ أن تجتمع جماعةٌ من الضُّرّاب فيضربون[٢] عليه ويضرب هو ويُغَنّى ، فناهيك به حُسْناً ! .

كان يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك

أخبرنى الُحسَين عن حَمّاد عن أبيــه عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن صالح بن حسّان أنه ذكر يوماً المغنِّين بالمدينة ، فقال : لم يكن بها أحدٌ بعدَ طُوَيس أعلمَ من ٱبن عائشة ولا أظرفَ مجلساً ولا أكثرَ طِيباً ، وكان يَصْلُح أن يكون نَديمَ خليفة أو سَميرَ مَلِك . قال إسحاق : فأذكرنى هذا القولُ قولَ جَميلة له : وأنتَ يا أبا جعفر فمعَ الخلفاء تصلُح أن تـكون .

كان تياها سيء الخلق

رآه الحسن بن الحسن بالعقيق فأكرهه على أن يغنيه مائة صوت فلم ير أحسن منه غناء فى ذلك اليوم

قال إسحاق وحدّثنى المدائنىّ قال حدّثنى جرير قال : كان ابنُ عائشة تائها سَيِّءَ الُخلُق ، فإن قال له إنسانٌ : تغَنّ ، قال : أَلِمِثْلِى يقال هــذا ! وإن قال له إنسان وقد ٱبتدأ هو بغناء : أحسنتَ ، قال : ألمثلى يقال أحسنت ! ثم يسكت ، فـكان قليلا ما يُنْتَفَع به . فسالَ العَقيقُ مرّةً فدخل عَرْصَةَ سعيدِ بنِ العاصى المـاءُ حتى ملأها ، فخرج الناسُ إليها وخرج ٱبنُ عائشة فيمن خَرَج ، فجلس علىقَرْن البئر ، فبينا هم

(١) كذا فى م ، ا . وفى أغلب النسخ : « وشدّ » بواو العطف .
(٢) لعل الصواب : فيضرب عطفاً على « تجتمع » .

كذلك إذ طلع[1] الحسن بنُ الحسن بنِ عليّ بن أبي طالب، عليهم السلام، على بَغْلة وخَلْفَه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين، فقال لهما: امْضِيا رُوَيداً حتى تَقِفا بأصل القَرْن الذى عليه ابنُ عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك. ثم ناداه الحسنُ: كيف أصبحتَ يابنَ عائشة؟ قال: بخيرٍ، فداكَ أبي وأمي، قال: انظر من إلى جَنْبك[2]، فنظر فإذا العبدان، فقال له: أتعرفهما؟ قال: نعم، قال: فهما حُرّان لئن لم تُغَنِّنِي مائةَ صوت لآمُرَنَّهما بطَرْحِك فى البئر، وهما حُرّان لئن لم يفعَلا لأقطعنّ أيديهَما، فاندفع ابنُ عائشة فكان أوّلُ ما ابتدأ بهِ صوتاً له وهو:

ألا لله درُّكَ من فتَى قومٍ إذا رَهِبُوا

ثم لم يسكت حتى غنّى مائةَ صوت، فيقال إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثرَ مما سمعوا فى ذلك اليوم، وكان آخر ما غنّى:

٦٤
٢

صوت

قل للمنازل بالظَّهْرَانِ[3] قد حانا أن تنطق فتُبينِي القــول تبْيانا

قال جرير: فما رُئى يومٌ أحسنُ منه، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثلَه، وما بلغنى أن أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشىء، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ. ولقد تبادر الناسُ من المدينة وما حولها حيث بلغهم الخبر لاستماع غنائه، فيقال: إنه مارُئى جَمْعٌ فى ذلك الموضع مثلُ ذلك الجَمْع، ولقد رفَع الناس أصواتَهم يقولون له: أحسنتَ والله، أحسنتَ والله، ثم انصرفوا حولَه يَزُفُّونه إلى المدينة زَفًّا.

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ا، م، خد: «أقبل».
(٢) فى رس، نا، مع: «انظر من تحتك».
(٣) الظهران: واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مرّ تضاف إلى هذا الوادى فيقال مرّ الظهران.

نسبة مافى هذا الخبر من الأغانى

منهـا :

صـوت

ألا لله درُّكَ مِنْ فتىَ قومٍ إذا رَهِبُوا
وقالوا : مَنْ فتًى للحرب يَرْقُبُنـــا ويَرْتَقبُ
فـكنتَ فتاهمُ فيهـــا إذا تُدْعَى لهـــا تَثِبُ
ذكرتُ أخى فعاوَدَنِى رُدَاعُ[1] السُّقْمِ والوَصَبُ
كما يعتـاد ذاتَ البَـــوِّ بعدَ سُلُوّها الطَّرَبُ[2]
على عَبْدِ بن زُهْرَةَ بتُّ طولَ الليـل أنتحبُ[3]

الشعر لأبى العِيَال الهُذَلىّ . والغناء لَمعْبد ، وله فيه لَحْنان ، أحدهما ثقيلٌ أولُ بالخِنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق يُبْدَأ فيه بقوله :

ذكرتُ أخى فعـاودنى رداعُ السـقم والوصبُ

والآخر خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عَمْرو بن بانة . وفيه لابن عائشةَ خفيفُ رملٍ آخرُ ، وقيل بل هو لَحْن معبد . وذكر حَمَّاد بن إسحاق أن خفيفَ الرَّمَل لمالك . البَوُّ : جلد يُحْشَى تِبناً ويجفَّف لـكيلا تَخبُثَ رائحتُه ، ويُدْنَى إلى الناقة التى قد نُحر فصيلها أو مات لتَشَمّه فتَدِرّ عليه .

---

(١) الرداع : النكس . وفى مج ، نا ، ر س : «صداع الرأس» .
(٢) الطرب هنا : الحزن .
(٣) ورد هذا البيت فى ا ، م ، د ، ط ، خد ، نا هكذا :
على عبـد بن زهرة طـو ل هذا الليـل أكتئب

ومنها:

صوت

قل للمنازل بالظَّهْرانِ قد حانا ... أن تنطقى فتُبيِّنى القولَ تِبْيانا
قالت ومن أنت قل لى قلتُ ذو شَغَفٍ ... هِيجتِ له من دَوَاعى الحبِّ(١) أحزانا

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن عائشة خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن الهِشامىّ وحَبَش .

غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثنى عبد الرحمن بن سليمان عن علىّ بن الجَهْم الشاعر قال حدّثنى رجل :

أن ابن عائشة كان واقفا بالموسم متحيِّراً ، فمرّ به بعضُ أصحابه فقال له : ما يُقيمك ها هنا ؟ فقال : إنى أعرف رجلا لو تكلّم لحبسَ الناسَ ها هنا فلم يذهب أحد ولم يجئْ ؛ فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال أنا ، ثم اندفع يغنى :

جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها : أَجِيزى ... نَوًى مشمولةً فمتى اللقاءُ !

قال : فحُبِس الناس ، واضطربت المَحاملُ ، ومدّت الإبلُ أعناقها ، وكادت الفتنة أن تقع . فأُتِىَ به هشامُ بنعبدالملك ، فقال له : ياعدوَّ الله ، أردتَ أن تَفتِن الناسَ ! قال فأمسك عنه وكان تَيَّاها ، فقال له هشام : ارفُقْ بتيهك ، فقال : حَقّ لمن كانت هذه مَقْدِرته على القلوب أن يكون تَيَّاهاً ، فضحك منه وخلّى سبيله .

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م : «الشوق» بدل «الحب» .

٦٥ / ٢

نسبة هذا الصوت الذى غناه ابن عائشة

صوت

جرتْ سُنُحًا فقلتُ لها : أجِيزِى ... نَوًى مشمولةً فمتى اللقاء !
بنفسِى مَنْ تذكُّره سَقامٌ ... أعانيه ومَطْلَبُه عَناء

السانح : ما أقبل من شِمالك يريد يمينك ، والبارح ضدّه . وقال أبو عبيدة : سمعت يونسَ بن حَبيب يسأل رُؤبة عن السانح والبارح ، فقال: السانح : ماولّاك مَيامِنَه ، والبارح : ماولّاك مَشائمه . وقوله : أجيزى ، أى أنْفُذِى[1] . قال الأصمعىّ : يقال : أجَزْتُ الوادىَ إذا قطعتَه وخلّفته ، وجُزْتُه أى سرتُ فيه فتجاوزته ، وجاوزتُه مثلُه ، قال أوْس بن مَغْراء :

ولا يَرِيمُون فى التعريف موقفَهم ... حتى يقال أَجِيزُوا آلَ صوفانا[2]

ومشمولةٌ : سريعة[3] الانكشاف . أخذه من السحابة المشمولة، وهى التى تصيبها الشَّمال فتكشفها ومن شأن الشمال أن تقطع السحابَ ، واستعارها هاهنا فى النَّوى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم ، وأجرى ذلك مُجرى الذمّ للسانح لأنه يُتشاءَم به . البيت الأول من الشعر لزُهَير بن أبى سُلْمَى ، والثانى مُحْدَث ألحقه المغنُّون به لا أعرف قائلَه . والغناء لابن عائشة ، ولحنه ثقيل أول بالبنصر .

غنى الوليد بحضرة معبد ومالك فطرب الوليد من غنائه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدّثنا إسحاق وأخبرنى به

(١) فى مع ، نا ، رس : «ابعدى» .

(٢) كذا فى أغلب النسخ واللسان مادة ريم . وفى ب ، س ، رس : «صفوان» بغير ألف الإطلاق .

(٣) فسره فى اللسان فى مادة سنح وشمل بأنه أخذ بها ذات الشمال .

محمد (١) بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثم بن عدىّ عن حمّاد الراوية قال :

كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أما بعد ، فإذا قرأتَ كتابى هذا فسَرِّحْ إلىّ حماداً الرّاويةَ على ما أحبّ من دوابّ البريد ، وأعطه عشرة آلاف درهم يتهيأ بها . قال : فأتاه الكتاب وأنا عنده فنَبَذه إلىّ ، فقلتُ : السمعُ والطاعةُ فقال : يادُكَين ، مُرْ شجرةَ يعطيه عشرة آلاف درهم ، فأخذتُها . فلما كان اليومُ الذى أردت الخروجَ فيه أتيتُ يوسف بن عمر ؛ فقال : ياحماد ، أنا بالموضع الذى قد عرفتَه من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنياً عن ثنائك ، فقلت : أصلح الله الأمير « إن العَوانَ لا تُعَلَّمُ الِخمرةَ (٢) » وسيبلغك قولى وثنائى . فخرجتُ حتى انتهيتُ إلى الوليد وهو بالبَخْراء (٣) فاستأذنتُ عليه فأذن لى ، فإذا هو على سرير ممهّد ؛ وعليه ثوبان أصفران : إزارٌ ورداء يقيئان الزّعْفران قيئا ، وإذا عنده معبد ومالك بن أبى السمح وأبو كامل مَولاه ، فتركنى حتى سَكَن جَأشى ، ثم قال : أنشدنى :

* أمِنَ المنون ورَيْبها تتوجّعُ *

فأنشدتُه حتى أتيتُ على آخرها ، فقال لساقيه : ياسَبْرة اسقه ، فسقانى ثلاثة أكؤس خَثّرن (٤) ما بين الذّؤابة والنعل . ثم قال : يا مالك ؛ غنّنى :

(١) كذا فى ا ، م . وفى باقى النسخ : « محمد بن جرير » والمؤلف يروى عن محمد بن جرير كما يروى عن محمد بن مزيد ، ولكن النسخ قد اتفقت فيما سيأتى على ذكر هذا الذى يروى عنه المؤلف وعن الحسين بن يحيى عن حماد باسم محمد بن مزيد .

(٢) العوان من النساء : التى قد كان لها زوج ، وقيل هى النصف فى سنها أو هى الثيب . والخمرة : الهيئة من الاختمار أى لبس الخمار . وهذا مثل يضرب للمجرّب الذى يعرف أمره ولا يحتاج إلى أن يعلم كيف يفعل .

(٣) هى أرض بالشام كما فى معجم ما استعجم للبكرى . وقال ياقوت فى معجم البلدان : هى ماءة منتنة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز ، وذكر قصة يستفاد منها أن الوليد بن يزيد قتل وهو نازل بالبخراء .

(٤) خثّرن : جعلنه خاثرا فاترا منكسرا .

ألا هل هاجَكَ الأظعا نُ إذ جاوزْنَ مُطَّلَحا

فقعل . ثم قال له : غنِّنى :

جَلاَ أميَّــةُ عنِّى كلَّ مظلمــة سهل الحجاب وأوفى بالذى وعدا

فقعل . ثم قال له : غنِّنى .

أتنسى(١) إذ تُودِّعنا سُلَيمَى بفَرْع بشامةٍ(٢) ، سُقِىَ البَشامُ

فقعل . ثم(٣) قال : ياسبرة ، أو يا أبا سبرة ، اسقنى بزُبِّ فِرْعون ، فأتاه بقدح مُعْوَجّ فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أميرَ المؤمنين ، الرجلُ الذى طلبت بالباب ، قال : أدخلْه ، فدخل شابٌّ لم أر شابًّا أحسنَ وجها منه ، فى رجْله بعضُ القَدَع(٤) فقال : ياسَبرة اسقه ، فسقاه كأساً ؛ ثم قال له : غنِّنى : ٦٦/٢

وهْى إذ ذاكَ عليها مِئْزَرٌ ولها بيتُ جوارٍ من لُعَبْ

فغنّاه ؛ فنبذ إليه الثوبين . ثم قال له : غنِّنى :

طــاف الخــيالُ فمرْحبا ألفاً برؤية زينبــــــا

فغضب معبد وقال : ياأمير المؤمنين ، إنا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا ، وإنك تركتَنا بمَزْجر الكلب ، وأقبلتَ على هذا الصبىّ ! فقال : والله ياأبا عَبَّاد ، ماجهلتُ قدرَك

---

(١) هكذا فى الأصول وديوان جرير ، وفى اللسان : «أتذكر يوم تصقل عارضيها» وأورد صاحب اللسان لهذا الصدر رواية أخرى نسبها للتهذيب وهى : «أتذكر إذ تودعنا سليمى» .

(٢) بشامة : واحدة البشام ، وهو شجر طيب الريح والطعم يستاك به ، والمعنى أنها أشارت بسواكها تودعه ولم تتكلم خيفة الرقباء .

(٣) كذا فى ح ، م . وفى سائر النسخ : «ثم قال له ياسبرة» ولا موقع لكلمة «له» فى الكلام .

(٤) القدع : عوج وميل فى المفاصل خلقة أو داء ، وأكثر ما يكون فى الرسغ من اليد والقدم .

ولا سِنِّك ، ولكنَّ هذا الغلام طرحنى فى مثل الطَّناجير[١] من حرارة غنائه . قال حماد الراوية : فسألت عن الغلام فقيل لى هو ابن عائشة .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صوت

جلا أُمَيَّةُ عنّى كلَّ مظلمة سهلُ الحجاب وأوفى بالذى وعَدا
إذا حَلَلْتُ بأرض لا أراكَ بها ضاقت علىَّ ولم أعرف بها أحدا

الغناء لابن عبّاد الكاتب خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاقَ . وذكر عمرو بن بانةَ أنه لعمرَ الوادىّ . وذكر حبشٌ أن فيه لمالك لحنا من خفيف الثقيل الأول بالوُسْطى .

ومنها :

صوت

أتَنْسَى إذ تودِّعُنا سُلَيْمَى بفَرْعِ بشامة سُقِىَ البَشامُ
متى كان الخِيَامُ بذى طُلُوحٍ[٢] سُقِيتِ الغيثَ أيتُها الخِيَامُ

(١) الطناجير : جمع طنجير ، والطنجير ذكره صاحب القاموس ولم يبين معناه ، وإنما يقال : إنه معرب فارسيته باتيله ، ويؤخذ من كلام شارحه أنه يقال على القدر من النحاس حيث قال : والطنجير كناية عن الجبان واللئيم ، هكذا تستعمله العرب فى زماننا وكأنهم يعنون به الحضرىّ الملازم أكله فى قدور النحاس وصحونه . وفى أقرب الموارد : والطنجرة : قدر من نحاس دخيلة ، والطنجير : وعاء يعمل فيه الخبيص ، معرب . وفى حـ ، مع : « الطياجين » جمع طيجن وهو الطاجن (المقلى) وهو بالفارسية تابه .

(٢) ذو طلوح : موضع بين اليمامة ومكة كما فى القاموس وشرحه . وقال ياقوت فى معجمه : هو اسم موضع للضباب اليوم فى شاكلة حِمَى ضَرِيَّةَ وهو فى حَزْن بنى يربوع بين الكوفة وفيد ، ثم أنشد بيت جرير هذا .

أَتَمْضُونَ(١) الخيامَ ولم تُسَلِّمْ(٢) كلامُكُمُ علىَّ إذاً حرامُ
بنفسي مَنْ تَجَنُّبُه عزيزٌ علىَّ ومَنْ زيارتُه لِمامُ
ومن أُمسِي وأُصبِح لا أراه ويَطْرُقُنى إذا رقَدَ(٣) النِّيامُ

الشعر لجرير . والغناء لابن سُرَيج ، وله فى هذه الأبيات ثلاثة ألحان : أحدها فى الأوّل والرابع ثقيلٌ أوّلُ بالخِنصر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق ، والآخر فى الثانى ثم الأوّل ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو ، والآخرُ فى الثالث وما بعدَه رَمَلٌ بالبنصر عن الهشامىّ وحَبَشٍ . وللدَّلاَلِ فى الثانى والثالث ثانى ثقيلٍ بالسَّبَّابة فى مجرَى الوُسْطى عن إسحاق والمكّىّ . وللغَرِيض فى الأوّل والثانى والثالث خفيفُ رمَلٍ بالبِنْصر عن عمرو . وفيها لمالك ثقيل أوّل بالبنصر عن الهِشامِىّ . ولابن جامع فى الأوّل والثانى والرابع والخامس هَزَجٌ عن الهِشامِىّ . وفيها لابن جُنْدَبٍ خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر .

ومنها الصوت الذى أوّله فى الخبر :

* وهى إذ ذاك عليها مِئْزَرٌ *

وأوّله :

(١) كذا فى الأصول ، وجاء هذا البيت فى ديوان جرير الذى هو رواية محمد بن حبيب تابعا لبيت قبله والبيتان هكذا :

أقول لصحبتى لما ارتحلنا ودمع العين منهمر سجام
أتمضون الرسوم ولا تحيا كلامكم على إذا حرام

وجاء فى التعليق على هذا البيت فى بعض النسخ المخطوطة المحفوظة بدار الكتب ، أى تتركون يقال : مضيت فلانا إذا جاوزته ولم تسلم عليه وكذلك مضيت المنزل ا هـ . ولم نجد هذا المعنى فى كتب اللغة التى بين أيدينا . وجاء هذا الشطر فى بعض كتب الشواهد من علم النحو هكذا : « تمرون الديار ولم تعوجوا » ونقل المبرد عن عمارة بن بلال بن جرير أنه قال : إنما قال جدى : « مررتم بالديار ولم تعوجوا » . انظر شرح الشواهد للعينى الموجود بهامش خزانة الأدب ج ٢ ص ٥٦٠ طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

(٢) كذا فى أغلب النسخ وفى حـ : « تسلم » .

(٣) فى حـ ، مع ، رس ، نا وديوان جرير : « هجع » .

صــوت

٦٧/٢ عَهِدَتْنِى ناشئـــــاً ذا غِرَّة   رَجِلَ[١] الجُمَّةِ ذا بَطْنٍ أَقَبّْ[٢]

أَتبعُ الوِلدانَ[٣] أُرْخِى مِئْزَرِى   ابنَ عَشْرٍ ذَا قُرَيْطٍ من ذهبْ

وهى إذ ذاكَ عليها مـــئْزَرٌ   ولها بيتُ جَـــوارٍ من لُعَبْ

الشعر لأمرئ القيس ، ويقال : إنه أوّلُ شعرٍ شُبِّب فيه بالنساء . والغناء لابن عائشة ثانى ثقيلٍ بالبِنْصر عن الهِشامىّ ودَنانِيرَ[٤] وحَمّاد بن إسحاق . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر ذكر حَمّاد فى أخبار جَمِيلة أنه لها ، وذكر حَبَش والهشامىّ أنه لابن سُرَيج ، وقيل : إنه لغيرهما .

ومنها :

صــوت

ألاَ هل هاجكَ الأظعا   نُ إذ جاوزْنَ مُطَّلَحا[٥]

نعمْ ولوَشْـــكُ بَيْنِهِمُ   جرَى لكَ طائرٌ سُنُحا

أَخَذْنَ[٦] الماءَ من رَكَكٍ   وضوءُ الفجرِ قد وضَحا

---

(١) رجل الجمة ، أى أن جمته ما بين السبوطة والجعودة . والجمة : شعر الرأس الساقط على المنكبين . وفى صفته صلى الله عليه وسلم : كان شعره رجلا . أى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما .

(٢) أقب : ضامر .

(٣) الولدان (بكسر الواو) : جمع وليد وهو الغلام والجارية إذا استوصفا قبل أن يحتلما .

(٤) كذا فى د ، حـ . ودنانير معروفة برواية الغناء ، وقد ذكرت فى مواضع كثيرة من الأغانى ، وترى أخبارها فى الأغانى ج ١٦ طبع بولاق . وفى باقى النسخ : « دمانة » ولم نقف فى رواة الأغانى أو المغنيات على من تسمى بهذا الاسم .

(٥) تقدمت هذه الأبيات مع التعليق على بعض كلماتها فى ج ١ ص ٣٢١–٣٢٢ من الأغانى طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول هنا ووردت باتفاق الأصول فى الجزء الأول من الأغانى ، « أجزن » بالجيم والزاى . وفى رس : « الصبح » .

يَقُلْنَ[(١)] مَقِيلُنا قَرْنٌ نُباكِرُ مــاءَه صُبُحا

تبعتُهمُ بطَـــرْفِ العيـ ن حتى قيل لى افتضَحا

يودِّعُ بعضُنا بعضًا وكلٌّ بالهــوى جُرِحا[(٢)]

فمن يفــرَحْ ببينِهمُ فغيرى إذ غَــدَوْا فَرِحا

الشعر تَرْوِيه الرواة جميعاً لعمر بن أبى ربيعة سوى الزُّبَيْر بن بكّار فإنه رواه عن عمه وأهله لجعفر بن الزُّبَيْر بن العَوّام ، وقد ذكر خبره فى هذا[(٣)] مع أخباره المذكورة فى آخر الكتاب . ورواه الزُّبَيْر * إذ جاوزْن مَنْ طَلَحا * وقال : ليس على وجه الأرض موضعٌ يقال له : مُطَّلح . والغناء لمالك وله فيه لحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصر[(٤)] عن إسحاق ، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمَعْبد ثقيلٌ أوّل بالخِنْصر فى مجرى الوُسْطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج فى الخامس — وهو « تَبِعْتُهمُ بطرف العين » إلى آخر الأبيات — ثقيلٌ أوّلُ مُطْلَق فى مجرى البِنْصر عن إسحاقَ . وفيها للغَرِيض ثانى ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهِشامىّ ، قال : وهو الذى فيه استهلالٌ . وذكر ابن المكىّ أن الثقيلَ الثانىَ لمالكٍ ، وخفيفَ الثقيلِ للغَرِيض .

ومنها :

صــوت

طرَق الخيــالُ فمرْحبًا ألفــاً برؤية زينَبــا

---

(١) فى الجزء الأول من الأغانى : «فقلن» بالفاء .

(٢) فى مع ، نا ، خد : «صرحا» .

(٣) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «وقد ذكر خبره فى هذا الكتاب» ويظهر أنها من زيادة النساخ .

(٤) فى حـ ، ر س : «بالخنصر» .

أنّى اهتديتَ لفِتْيةٍ سلكوا السَّليل(١) فُعْلَيَبا(٢)

طرب أبى جعفر الناسك لغناء ابن عائشة

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن محمد بن سَلاَّم قال حدّثنى جَرِيرٌ قال:

أخذ بعضُ وُلاة المدينة المغنِّين والمخنَّثين والسُّفَهاء بلزوم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فى المسجد رجلٌ ناسكٌ يكنى أبا جَعْفر مولًى لابن عيّاش ابن أبى رَبيعة المَخْزُومىّ يُقْرِئُ الناسَ القرآنَ، وكان ابن عائشة يلازمه، فخلا لابن عائشة يوماً الموضعُ مع أبى جعفر فقرأ له فطرَّب ورجَّع، فسمع الشيخ صوتا لم يسمع مثلَه قَطُّ، فقال له: يا بنَ أخى، أفسدتَ نفسَك وضيَّعتَها، فلو أنك لزمت المسجدَ وتعلّمت القرآنَ لأمّتَ(٣) للناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان، ولأصبتَ بذلك من الولاة خيرا، فوالله ما دخل أذنى قطُّ صوتٌ أحسنُ من صوتك؛ فقال ابن عائشة: فكيف لو سمعتَ يا أبا جعفر صوتى فى الأمر الذى صُنِع(٤) له! قال: وما هو؟ قال: انطلقْ معى حتى أُسمِعكَه، فخرج معه إلى مِيضَأةٍ(٥)

(١) السليل: اسم لواد بعينه، كما نقله ياقوت عن العمرانى. وذكر صاحب القاموس للسليل معانى منها أنه واد واسع غامض ينبت السلم. وفى مع، رس: «الشليل».

(٢) عليب (بضم أوله وإسكان ثانيه، هكذا ذكره سيبويه. وحكى فيه غيره عليب بكسر أوله): واد لهذيل بتهامة، وقيل: قرية بين مكة وتبالة. قال الزمخشرى فيما حكاه عنه العمرانى: أظن أن قوما كانوا فى هذا الموضع نزولا، فقال بعضهم لأبيه: عل يا أب، فسمى به المكان. وقال المرزوقى: كأنه فعيل من العلب وهو الأثر، والوادى لا يخلو من انخفاض وحزن. (انظر معجم ما استعجم للبكرى ومعجم ياقوت فى اسم عليب).

(٣) كذا فى ا، م، د. وفى حـ، رس، مع: «لأممت الناس». وفى ب، س،: «لأمت الناس» وكلاهما تحريف.

(٤) فى حـ: «صيغ له».

(٥) الميضأة (بالقصر وقد تمد): مطهرة كبيرة يتوضأ منها، وميمها زائدة والعامة تقول ميضة (انظر شفاء الغليل للخفاجى).

ببَقِيع[1] الغَرْقَد عند دار المُغيرة بن شُعْبة ، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كلَّ يوم ، فاندفع ابنُ عائشة يغنِّى :

الآنَ أبصرتُ الهدى وعلا المَشِيبُ مَفارِقِى

فبلغ ذلك من الشيخ كل مبلغ ، وقال : يابنَ أخى ، هذا حَسَنٌ وأنا أشتهى أن أسمَعه ، ولكن لا أطلُبه ولا أمشى إليه ؛ قال ابن عائشة : فعلىّ أن أُسْمِعَكه ؛ فكان يَرْصُده ، فإذا خرج أبو جعفر يتوضأ خرج ابن عائشة فى أثَرِه حتى يقفَ خَلْفَ جِدار المِيضَأة بحيث يسمَع غناءه ، فيغنِّيه أصواتا حتى يفرُغ أبو جعفر من وضوئه . فلم يزل يفعل ذلك حتى أُطْلِقوا من لزوم المسجد .

نسبة هذا الصوت

صوت

طَرق الخيالُ المُعْتِرى وَهْنًا فؤادَ العاشقِ
طَيْفٌ ألمّ فهاجَنِى للبَيْنِ أمْ مُساحِقِ
ألآنَ أبصرتُ الهدى وعلا المَشِيبُ مفارقِى
وتركتُ أمرَ غَوَايتى وسلكتُ قصدَ طرائقى
ولقد رضيتُ بعيشنا إذ نحن بين حدائقِ
وركائبٌ تَهْوِى بنا بين الدُّروبِ فدابِقِ[2]

(١) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة المنورة .

(٢) كذا فى ا ، د . وفى ب ، س : «فدائق» بالهمزة بدل الباء وهو تحريف . ودابق بكسر الباء — ويروى بفتحها — : قرية على أربعة فراسخ من حلب بها قبة سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وقد كان سليمان عسكر بها وعزم ألا يرجع حتى يفتح القسطنطينية أو تؤدى الجزية ، فمات ودفن بها . وفى نسخة ر س : «ركابنا» .

الشعر للوَليد بن يَزِيد ، ويقال : إنه لابن رُهَيْمة . والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بالبِنْصر عن عَمْرو ، وذكره يونس أيضا له فى كتابه . وفيه لأبى زَكَّارٍ الأعمى خفيفُ رملٍ بالوُسْطى عن عمرو والهشامىّ . وذكر ابن خُرْداذْبَه(١) أنه لأبى زَكَّارٍ الأعمى وهو قديم ، وأنه وجَد ذلك فى كتاب يونس . وفيه لحَكَمَ الوادى لحن فى كتاب يونس غيرُ مجنَّس ، ولا أدرى أيُّها هو . وفى هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ متنازَعٌ فيه نُسِب إلى مَعْبد وإلى مالِك ، ولم أجده لهما عن ثقة ، وأظنُّه لَحْنَ حَكَم .

أكرهه الحسن بن الحسن على الخروج معه الى البغيبغة ليغنيه

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأَزْهر البُوشَنْجِى والحُسَين(٢) بن يحيى الأعور المِرْداسِىّ قالا حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلَّام عن أبيه قال :

كان الحَسَن بن الحسن مُكرِماً لابن عائشةَ مُحِبًّا له ، وكان ابن عائشة منقطعا إليه ، وكان من أَتْيَهِ خَلْق الله وأشدِّه(٣) ذَهاباً بنفسه، فسأله الحسن أن يخرُج معه إلى البُغَيْبِغة(٤) فامتنع ابنُ عائشةَ من ذلك ؛ فأقسم عليه فأبى ؛ فدعا بغِلْمانٍ حُبْشان وقال : نُفِيتُ من أبى لئن لم تَسِرْ معى طائعاً لتسيرَنّ كارهاً ، ونُفِيتُ من أبى لئن لم يُنفذوا أمرى فيك لأقطَعنّ أيديَهم . فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحَسَن علم أنه لا بد من الذهاب ،

(١) انظر ص ٣٥٦ ج ٢ من هذا الكتاب طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر فقد ورد هناك ضبط شارح القاموس له بكسر الذال وسكون الياء المثناة التحتية وآخره هاء .

(٢) فى ط : «الحسن» .

(٣) وحد الضمير ذهابا الى المعنى . وفى اللسان مادة حنا : روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «خير نساء ركبن الإبل خيار نساء قريش أحناه على ولد فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده» قال ابن الأثير : وإنما وحد الضمير ذهابا إلى المعنى وتقديره أحنى من وجد أو خلق أو من هناك ، ومنه أحسن الناس خلقا وأحسنه وجها ، يريد أحسنهم ، وهو كثير من أفصح الكلام ا هـ .

(٤) البغيبغة : ضيعة بالمدينة كانت لآل جعفر ذى الجناحين رضى الله عنه ، قاله الخليل . ونقل الليث والأزهرى أنها عين غزيرة الماء كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم . كذا فى القاموس وشرحه مادة «بغبغ» . وذكر المبرد فى الكامل ص ٥٥٦ طبع أوروبا أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقف عين أبى نيروز والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، لسنتين من خلافته ، وأورد نص ما كتبه الإمام علىّ فى وقف هذين الموضعين .

فقال له : بأبى أنت وأمّى ، أنا أمضِى معك طائعا لا كارها . فأمر الحسنُ بإصلاح ما يُحتاج إليه ورَكِب ، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا ، حتى صاروا إلى البُغَيْبِغة فنزلا الشِّعْبَ[1] ، وجاءهم ما أَعَدّوا فأكلوا ؛ ثم أمَرَ الحسنُ بأمرِه وقال : يا محمد ؛ فقال له : لبَّيْك يا سيدى ؛ قال : غنِّنى ؛ فاندفع فغنّاه : ٦٩/٢

صـــوت

يدعــو النبىَّ بعمِّـــه فيُجيبُه   يا خيرَ من يدعو النبىَّ جَلالا
ذهب الرجالُ فلا أُحِسُّ رجالا   وأرى الإقامةَ بالعراق ضلالا
وأرى المرجِّىَ للعراق وأهــله   ظَمْآنَ هاجِرَةٍ يؤمِّل آلا[2]
وطَرِبتُ إذ ذَكَر المدينةَ ذاكرٌ   يوم الخميس فهاج لى بَلْبَالا[3]
فظَلِلْتُ أنظر فى السماء كأننى   أبغى بناحيــــة السماء هلالا

— الشعر لابن المَوْلَى من قصيدة طويلة قالها وقد قدِم إلى العراق لبعض أمرِه فطال مُقامه بها واشتاق إلى بلده . وقد ذُكِر خبره فى موضعه[4] من هذا الكتاب . والغناء لابن عائشة ثقيلٌ أولُ بالبِنْصر عن حمّاد والهِشامىّ وحَبَش . وقال الهِشامىّ خاصةً : فيه لحن لقَرَارِيطَ — فقال له الحسن : أحسنتَ والله يابن عائشة[5] ! فقال ابن عائشة : والله لاغنّيتُك فى يومى هذا شيئاً ؛ فقال الحسن : فوالله لا برِحتَ البُغَيْبِغَة ثلاثة أيام !

---

(١) لم نقف على أن الشعب اسم مكان بعينه بالبغيبغة ، ولعل المراد معناه اللغوى وهو مسيل الماء فى بطن من الأرض له حرفان مشرفان وعرضه بطحة رجل إذا انبطح .

(٢) الآل : السراب ، وقيل : الآل من الضحى إلى زوال الشمس . والسراب بعد الزوال إلى صلاة العصر . وفى خد : « وأرى العراق ومن يرجى أهله » .

(٣) البلبال : شدة الهم .

(٤) ترجمة ابن المولى هذا فى الجزء الثالث من الأغانى طبع بولاق ص ٩٣ .

(٥) فى ط ، خد ، مع ، نا : « أحسنت والله يابن عائشة أحسنت » .

فاغتمّ ابن عائشة ليمينه وندِم وعلم أنّه لا حيلة له إلا المُقام ، فأقاموا . فلمّا كان اليوم الثانى قال له الحسن : هاتِ ما عندكَ فقد بَرّتْ يمينُك ، وكانوا جلوساً على شىء مرتفع ، فنظروا إلى ناقة تَقْدُم جماعةَ إبل ، فاندفع ابن عائشة فغنّى :

تَمُرّ كجَنْدلة المَنْجنيـ ـقِ يُرْمى بها السورُ يوم القتالِ
فماذا تُخَطرِف من قُـلّة ومن حَدَبٍ وإكامٍ توالى
ومن سيرها العَنَقُ المُسْبِطـرُ والعَجْرفيّة بعد الكَلالِ

فقال له الحسن : وَيلَكَ يا محمد ! لقد أحسنت الصنعة[1] ؛ فسكت ابن عائشة ؛ ثم قال له : غننى ، فغنّاه :

إذا ما انتشيتُ طرَحْتُ اللّجا مَ فى شَدْقِ مُنْجَرِدٍ[2] سَلْهَبِ
يبُـذُّ[3] الجياد بتقريبـه[4] ويأوى إلى حُضُرٍ مُلْهِبِ[5]
كُمَيْتٌ كأنّ على مَتْنِهِ سبائكَ من قِطَع المُذْهَبِ[6]
كأنّ القرَنْفُل والزنجبيل يُعَـلّ على رِيقها الأطيبِ

فقال له الحسن : أحسنت يا محمد ، فقال له ابن عائشة : لكنّك ، بأبى أنت وأمّى ، قد ألجمتنى بحجر فما أُطيق الكلام . فأقاموا باقىَ يومهم يتحدثون ؛ فلما كان اليوم

(١) فى مع ، نا ، خد ، رس : «الصفّة» .
(٢) المنجرد من الجياد : القصير الشعر . والسلهب : الطويل .
(٣) يبذ : يغلب ويسبق .
(٤) التقريب : أن يرفع الفرس يديه معا ويضعهما معا . ويقال : قرب الفرس تقريبا إذا عدا عدوا دون الإسراع .
(٥) الحضر (بالضم وحرك هنا للضرورة) : العدو . وملهب : مثير للهب لشدته . واللهب : الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار .
(٦) المذهب : كل ما طلى بالذهب . ويستعمل المذهب وصفا للفرس ، فيقال : كميت مذهب ، أى تعلو حمرته صفرة .

الثالث قال الحسن : هذا آخر أيامك يا محمد ؛ فقال ابن عائشة : عليه وعليه إن غنّاك إلّا صوتاً واحداً حتّى تنصرف ، وعليه وعليه إن حلفتَ ألاّ أبرّ قسمك ولو فى ذَهاب رُوحه ! فقال له الحسن : فلك الأمان على مَحبّتك ؛ فاندفع فغناه :

صــوت

أنعِم الله لى بذا الوجهِ عيناً … وبه مرحباً وأهــلا وسهلا

حين قالت لا تذكرنّ حديثى … يابن عمّى أقسمتُ قلتُ أجلْ لا ٧٠/٢

لا أخون الصديقَ فى السرّ حتى … يُنقلَ البحرُ بالغرابيل نقــلا

قال : ثم أنصرف القوم ، فما رأى الحسن بنُ الحسنِ ٱبنَ عائشة بعدها .

نسبة الغناء فى الشعر الذى غنى به ابن عائشة ذلك اليوم

نسبة مالم تمض نسبته فى الخبر من هذه الأصوات

منهــا :

صــوت

تمــرُّ كجَنْدلة المَنْجَنيــ … قِ يُرْمَى بها السورُ يوم القتالِ

فــاذا تُخَطْرِف من قُــلّة … ومن حَدبٍ وإكامٍ تُوالى

ومن سيرها العَنَقُ المُسبطِرُّ … والعَجْرفيّةُ بعد الكَلالِ

ألا يا لقومٍ لِطَيْف الخيا … لِ أرّق من نازح ذى دَلالِ

يُثَــنّى التحيّة بعــــد السلا … م ثمّ يُفَــدّى بعــمٍّ وخالِ

خيال لسَلْمَى فقــد عاد لِى … بنُــكْسٍ من الحبّ بعد آندمالِ

أما الذى قاله الشاعر فى هذا الشعر فإنّه قال : يمر بالياء لأنه وصف به حماراً وحْشيًّا ،

ولـكن المُغنِّين جميعاً يغنّونه بالتاء على لفظ المؤنث ، وقد وصَف فى هذه القصيدةِ الناقة ولم يذكر من صفتها إلا قوله :

* ومن سيرها العَنَقُ المُسْبطرّ *

ولـكنّ المغنّين أخذوا من صفة العَير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوهما وغنّوْا فيهما . وقوله :

* فماذا تُخَطْرِف من قُلّة *

يعنى أنّه يمرّ بالمَوْضع المُرْتفع فيَطفِره[1] . وروَى الأصمعىّ :

فماذا تُخَطرِف من حالقٍ ومن قُلّة وحجابٍ وجال

فالحالق : ما أشرف . والحجاب : ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض . والجال : حَرْف[2] الشىء ، يقال له: جالٌ وجُولٌ . والعَنَق المُسْبَطِرّ: المُسترسِل السهل. والعَجْرفِيّة : التعسف والإسراع . يقول : إذا كَلّتْ وتعِبتْ تَعجْرفتْ فى السيرمن بقيّة نفسها وشِدّتها . وروى الأصمعىّ فيها :

خَيالٌ لجَعْدَةَ قد هاج لِى نُكاساً من الحبّ بعد اندمالِ

يقال : نُكْس ونُكاس بمعنى واحد وهو عَودُ المرض بعد الصحة . والاندمال : الإفاقة من العِلّة ، واندمال الجُرْح : بُرْؤه . فأمّا الأبيات التى يصِف فيها الناقةَ فقولُه :

(١) كذا فى حـ . ويطفره : يثبه ، يقال : طفر الحائط أى وثبه إلى ماوراءه . وفى سائر الأصول « فيظفره » بالظاء المعجمة وهو تحريف .

(٢) كذا فى حـ وهو الموافق لما فى كتب اللغة وشرح أشعار الهذليين لأبى سعيد السكرى طبع أوروبا (ص ١٩٥) من أن جال الشىء : جانبه وحرفه ، وهو المراد هنا ، وفى سائر الأصول : « جوف » ولعله محرف عن جوف وهو ما أكلته السيول أو جانب النهر الذى يسقط كل ساعة جزء منه .

فَسَلِّ الهمومَ بعَيْرانةٍ(١) مُواشِكةِ(٢) الرَّجْعِ بعد انتقالِ
ذَمُولٍ(٣) تَزِفُّ زَفيفَ الظَّلِيـ ـمِ شمَّرَ(٤) بالنَّعْفِ وَسْطَ الرِّئالِ(٥)
وتَرْمَدُّ(٦) هَمْلَجةً(٧) زَعْزعاً(٨) كما انخرط الحبلُ فوق المَحالِ(٩)
ومِنْ سيرها العَنَقُ المُسْبَطِرُّ والعَجْرفيَّةُ بعد الكَلالِ
كأنّى ورحلى إذا رُعتُها(١٠) على جَمَزَى(١١) جازئٍ بالرمالِ

وأمّا صفة الحمار فى هذه القصيدة فقوله فيه وفى الأُتُنِ :

---

(١) العيرانة : الناقة الناجية فى نشاط .

(٢) مواشكة الرجع : سريعته ، والرجع : ردّ يديها فى السير . وقوله : بعد انتقال ، رواية فى البيت وقد اجتمعت عليها جميع النسخ . وفى أشعار الهذليين « بعد النقال » وقال شارحها : النقال والمناقلة : ضرب من السير . (انظر شرح أشعار الهذليين ص ١٨٣ طبع أوروبا) .

(٣) الذمول : وصف للناقة ، من الذميل وهو ضرب من سير الإبل ، قيل : هو السير اللين ، وقيل : هو فوق العنق . قال أبو عبيد : إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم ، والزفيف : الإسراع ومقاربة الخطو .

(٤) شمر : جدّ مسرعا ، والنعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى .

(٥) كذا فى أغلب النسخ وشرح أشعار الهذليين لأبى سعيد السكرى طبع أوروبا . والرئال : جمع رأل وهو ولد النعام . وفى ب ، س : « الربال » بالباء الموحدة وهو تحريف .

(٦) ترمدّ : تسرع فى العدو ، يقال : أرمدّ إذا مضى على وجهه وأسرع .

(٧) الهملجة كالهملاج : حسن سير الدابة فى سرعة .

(٨) زعزعا : شديدا ، يقال سير زعزع أى شديد .

(٩) المحال والمحالة : البكرة العظيمة التى يستقى عليها ، وإنما سميت محالة لأنها تدور فتنتقل من حالة إلى حالة .

(١٠) كذا فى ب ، س وأشعار الهذليين . ورعتها : ذعرتها . وفى م ، حـ : «وزعتها» بالزاى المعجمة وهى رواية حكيت فى شرح أشعار الهذليين عن الجمحى . وزعتها : حثثتها ، يقال : زاع ناقته بالزمام يزوعها زوعا إذا هيجها وحركها بزمامها لتزداد فى سيرها .

(١١) جمزى : وثاب سريع ، وهو وصف لحمار وحش شبه به ناقته . وجازئٌ : مكتف بالرطب عن الماء .

فظَلّ يُسوِّف(١) أبوالَهــا ويُوفى(٢) زيازِىَ حُدْبَ التِّلالِ(٣)
فطاف بتعشيره(٤) وآنتحى جَوائلَها(٥) وهو كالمُسْتَجالِ
تَهادَى حوافرُها جَنْدَلاً(٦) زواهقَ(٧) ضربَ قُلاتِ بِقالِ(٨)
رمَى بالجَراميزِ(٩) عُرْضَ الوَجِـ ينِ(١٠) وآرمدّ فى الجرى بعد آنفتالِ(١١)
بشأوٍ(١٢) له كضريم الحـــريـ ـــق أو شِقّة(١٣) البرق فى عُرْض خالِ(١٤)

---

(١) يسوّف : يشم ، ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة كاللسان وتاج العروس «سوّف» مضعفا بمعنى شمّ ، وإنما الموجود «ساف واساف وساوف» .

(٢) يوفى : يشرف ويعلو ، وعير ميفاء على الآكام إذا كان من عادته أن يوفى عليها ويعلوها .

(٣) زيازى : جمع زيزاءة وهى الأرض الغليظة . وحدب التلال : صعابها ، جمع حدباء وهى الصعبة .

(٤) رواية أشعار الهذليين : «فصاح بتعشيره» وأشار شارحها إلى الرواية التى هنا . والتعشير : النهيق يقال : عشّر الحمار إذا تابع النهيق عشر نهقات ؛ فهو معشر ، ثم قيل للنهيق : تعشير . وانتحى : اعتمد وقصد .

(٥) فسره أبو سعيد السكرى فى شرحه على أشعار الهذليين المطبوع بأوروبا بقوله : وانتحى أى اعتمد جوائلها أى ما جال منها حين حمل كالمستجال المستخف استجاله شىء فجال ؛ ثم قال : والمستجال كأنما أصاب فزعا فاستجال .

(٦) معنى تهادى الحوافر الجندل : أن تتقذفه هذه إلى هذه ، أى ترمى به اليد إلى الرجل والرجل إلى اليد .

(٧) زواهق : سابقات متقدمات .

(٨) تشبيه بحال لعبة من ألعاب العرب ؛ والقلات : جمع قلة وهى الخشبة الصغيرة التى تنصب وقدرها ذراع ، وهذه الخشبة تضرب بعود كبير يقال له : القال والمقلى .

(٩) جراميز الوحش : قوائمه وجسده .

(١٠) الوجين : الغليظ من الأرض .

(١١) كذا فى ح ، م . وفى سائر النسخ وأشعار الهذليين لأبى سعيد السكرى طبع أوروبا : «انتقال» وقد نبه أبو سعيد السكرى فى شرحه هذه الأشعار على الرواية التى اخترناها هنا وبين هذا البيت والذى قبله جملة أبيات تراجع فى الديوان .

(١٢) الشأو : الشوط .

(١٣) شقة البرق : لمح منه .

(١٤) الخال : السحاب المتهيئ للمطر .

يمـــرّ كجَنْدَلة المَنْجَنِيـ ـقِ يُرْمَى بها السورُ يوم القتالِ
فماذا تُخَطْرِف من حالقٍ ومن حَدَبٍ وحجابٍ وجالِ

الشعر لأمية بن أبى عائذ الهذلىّ . والغناء لابن عائشة . ولحن ابن عائشة مشكوك فيه : أىّ الألحان المصنوعة فى هذا الشعر هو ، فيقال : إنّه خفيفُ الرمَل ، ويقال : إنّه هو الثقيل الأول ، ويقال : إنه الرمَل . فأمّا خفيف الرمل فهو بالخنْصر فى مَجْرى الوُسْطَى ، وذكره ابن إسحاق فى موضع فتوقّف عنه ولم ينسُبه ، ونسبه فى موضع آخَرَ إلى ابن أبى يَزَن المكىّ . ونسبه عمرو بن بانةَ إلى مَعْبَد وقال : فيه خفيفُ رَمَل آخر لمالك . وذكره يونس فى أغانى ابن أبى يزن المكىّ ونسبه ولم يجنِّسه . وذكر ابن خُرْدَاذْبَه[1] والهشامىُّ أنّ فيه لهشام بن المُرِيّة لحناً من الثقيل الأول ، ورأيت ذلك أيضا فى بعض الكتب بخطّ علىّ بن يحيى المنجم كما ذكرا . وذكر إسحاق أنّ الرمَل مطلق فى مَجْرَى الوُسْطَى وأنّه لابن عائشة . وذكر أحمد بن المكىّ أنّه لأبيه ، وذكر غيره أنّه غَلَطٌ وأنّ لحن أبيه هو الثقيل الأول والرمَل لابن عائشة . وقال حَبَش : فيه لابن سُرَيج هَزَجٌ خفيفٌ بالوُسْطَى .

ومنها — وقد مضى تفسيره فى الخبر واقتصِر على البيت[2] الأوّل منه — :

صــوت

إذا ما انتشيتُ طَرحتُ اللّجـا مَ فى شِدْقِ مُنْجَرِدٍ سَلْهَبِ

الشعر للنّابغة الجَعْدىّ . والغِناء لابن عائشة : خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ وحَمّاد .

(١) انظر ما كتبناه عليه قريبا ص ٢١٩ حاشية رقم ١ .

(٢) كذا فى ط . وفى باقى النسخ : «فاقتصر» ، وفى نا ، خد : «شعره» .

ومنها الصوت الذى أوّله :

* أنعمَ اللهُ لى بذا الوجهِ عيناً *

وقد جُمِع مع سائر ما يُغنَّى فيه من القصيدة ، وهو :

صوت

أثْلَ(١) جُودِى على المتيَّم أثْلاَ   لا تَزِيدى فؤادَه أثْلَ خَبْلاَ
أثْلَ إنّى والراقصاتِ(٢) بجَمْعٍ(٣)   يتبارَيْن فى الأزِمّة فُتْلا(٤)
سابحاتٍ يَقْطعْنَ من عرفاتٍ   بين أيدى المَطِىِّ حَزْناً وسهلا
والأكفِّ المُطهّراتِ على الرُّ   كْنِ لِشُعْثٍ(٥) سعَوْا إلى البيت رَجْلا(٦)
لا أخون الصديق فى السرّ حتى   يُنْقَلَ البحر بالغرابيل نَقْلا
أو تمورَ الجبالُ مَوْرَ سَحابٍ   مُرْتَقٍ قد وَعَى من الماء ثِقْلا
أنعم اللهُ لى بذا الوجهِ عيناً   وبه مرحباً وأهلاً وسهلا
حين قالت لا تُفْشِيَنَّ حديثى   يابن عمّى أقسمتُ قلتُ أجَلْ لا
فاتقى اللهَ واقبلى العذر منّى   وتجافَىْ عن بعض ما كان زَلّا
إن(٧) أكن سُؤْتُكُمْ به فلكِ العُتْ   بَى لَدَينا وحَقَّ ذاك وقلّا
لم أُرحِّب بأن سَخِطتِ ولكنْ   مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا

(١) كذا فى نسخة د وفيما سيأتى فى ترجمة الحارث بن خالد المخزومى ص ١١٣ ج ٣ من الأغانى طبع بولاق . وفى سائر النسخ هنا : «أيل» بالياء المثناة .
(٢) أى المسرعات فى سيرها يقال : رقص البعير يرقص رقصا إذا أسرع فى سيره .
(٣) يعنى بجمع المزدلفة ، وسميت المزدلفة بذلك لاجتماع الناس فيها .
(٤) الفتل جمع فتلاء وهى الناقة التى فى ذراعيها فتل وهو اندماج فى مرفق الناقة .
(٥) شعث : جمع أشعث وهو متلبّد الشعر مغبرّه .
(٦) رجلا : اسم جمع لراجل وهو خلاف الراكب .
(٧) فى ط ، خد ، مع ، نا :
ما أكن سؤتكم به فلك العتـ   ـبي وحق ذاك وجلا

٧٢/٢

إنّ شخصاً رأيتُه ليلة البد ر عليه ٱبتَنَى الجمالُ وحَلاّ
جعل الله كلّ أنثى فِداءً لكِ بل خدَّها لرجليْكِ نعلا
وجهُكِ الوجهُ لو سألتِ به المز نَ من الحسن والجمال استهلاّ

الشعر للحارث بن خالد المخزومىّ . والغناء لمَعْبد فى الأربعة الأبيات الأُوَل : خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانةَ . ولابن هَوْبَر(1) فى الأول والثانى ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق . ولابن سريج فى الأوّل والثانى والخامس ثقيل أوّل ، وآخَرُ بالبِنْصر أوّله ٱستهلال . وللغريض فى الخامس وما بعده إلى التاسع خفيف ثقيلٍ بالوسطى . ولدَحْمان فى التاسع والثالث عشرَ والرابع عشرَ خفيفُ ثقيلٍ أول بالبِنْصر . ولمالك فى التاسع إلى آخر الثانى عشرَ لحن لمالك من كتاب يونُس ولم يقع إلىّ من يُجنّسه . ولابن سريج فيها بعينها رَمَل بالوُسْطَى عن الهشامىّ . وفيها أيضا للغَريض خفيفُ رمَلٍ بالبنصر . ولابن عائشة فى السابع والثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يُجنّسه .

غنى الوليد بن يزيد فطرب وقبل كل أعضائه وخلع عليه ثيابه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وإسماعيل بن يونُس الشِّيعِىّ وحَبيب ابن نصر المُهَلَّبِىّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدثنى محمد بن سلام ، وأخبرنى محمد ابن مَزْيد بن أبى الأزْهر والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد ابن سلام عن أبيه عن شيخ من تَنُوخ ، ولم يقل عمر بن شبّة فى خبره : محمد بن سلام عن أبيه ، ورواه عن محمد عن شيخ من تَنُوخ ، قال :

كنتُ صاحبَ سِتْر الوليد بن يزيد ، فرأيت ٱبن عائشة عنده وقد غنّاه :

(1) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م : «هوير» بالياء المثناة ، وقد وردت فى الجزء الثالث من الأغانى طبع بولاق ص ١١٤ هذه القصيدة وعقبها الغناء فيها على النحو الذى هنا غير أنه ذكر هناك بدل ابن هوبر هذا ابن بيزن (هكذا) ولعله محرف عن ابن تيزن الذى ورد ذكره كثيرا فى كتاب الأغانى . انظر الأغانى طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر ج ١ ص ٢٩٣ ، ٤٢٣ .

صوت

إنّى رأيتُ صَبيحةَ النَّفْرِ ... حُوراً نَفَيْنَ عزيمةَ الصبرِ

مثلَ الكواكب فى مطالعها ... بعد العشاء أطفْنَ بالبدرِ

وخرجتُ أبغِى الأجْرَ مُحتسبا ... فرجَعتُ مَوْفورا من الوِزْرِ

— قال إسحاق فى خبره : والشعر لرجل من قريش ، والغناء لمالك . هكذا فى خبر إسحاق . وما وجدتُه ذكره لمالك فى جامع أغانيه . ووجدته فى غِناء ابن سريج خفيفَ رمل بالوُسْطى عن الهشامىّ — قال : فطرب الوليد حتى كفر وألحد ، وقال : يا غلام ، اسقِنا بالسماء الرابعة ، وكان الغِناء يعمل فيه عملا ضلّ عنه مَنْ بعدَه ؛ ثم قال : أحسنتَ والله يا أميرى ! أعِد بحقّ عبد شمس ، فأعاد ؛ ثم قال : أحسنت والله يا أميرى ! أعد بحقّ أميّة ، فأعاد ؛ ثم قال : أعد بحق فلان ، أعد بحق فلان ، حتى بلغ من الملوك نفسَه ، فقال : أعد بحياتى ؛ فأعاده . قال : فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عُضْو من أعضائه إلا قبّله وأهوى إلى هَنِه ؛ فجعل ابنُ عائشة يضمّ فَخِذيه عليه ؛ فقال : والله العظيم لا تَرِيم حتى أُقبِّله ، فأبداه له فقبّل رأسه ، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه ، وبقِيَ مجرّداً إلى أن أتَوْه بمثلها ، ووهب له ألف دينار ، وحمله على بغلة وقال : اركبها — بأبى أنت — وانصرِفْ ، فقد تركتَنى على مثل المِقْلَى من حرارة غِنائك ؛ فركبها على بساطه وانصرف .

73/2 وأخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى محمد بن الحسن النَّخَعىّ قال حدّثنى محمد بن الحارث بن كُلَيب بن زيد الرَّبعِى قال :

أمر الحجاج بمال فأبى إلا سماعه فحكى ذلك للوليد فجعله فى ندمائه

خرج ابن عائشةَ المدنىّ من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه :

أبعدَكَ مَعْقِلاً أرجو وحِصْناً ... قَدَ اَعْيتنِى المَعاقلُ والحُصونُ

— وهى أربعة أبيات ، هكذا فى الخبر ، ولم يَذْكُر غيرَ هذا البيت منها — قال :

فأطربه فأمر له بثلاثين ألفَ دِرْهم وبمثل كارةِ[١] القَصّار كُسوةً . فبينا ابنُ عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادى القُرَى كان يشتهى الغِناء ويشرب النبيذ ، فدنا من غلامه وقال : مَن هذا الراكبُ ؟ قال : ابن عائشة المغنى ؛ فدنا منه وقال : جُعِلتُ فداءك ، أنت آبن عائشةَ أمِّ المؤمنين ؟ قال : لا ، أنا مَوْلًى لقريش وعائشةُ أمّى وحسبُك هذا فلا عليك أن تكثر ؛ قال : وما هذا الذى أراه بين يديك من المال والكُسوة ؟ قال : غنّيتُ أميرَ المؤمنين صوْتا فأطربته فكَفَر وتركَ الصلاةَ وأمر لى بهذا المال وهذه الكُسوة ؛ قال : جُعِلتُ فداءك ، فهل تمنُّ علىّ بأن تسمعنِى ما أسمعتَه إيّاه ؟ فقال له : ويلك ! أمثلى يُكلَّم بمثل هذا فى الطريق ! قال : فما أصنع ؟ قال : آلحَقْنى بالباب . وحرّكَ ابنُ عائشة بغلةً شَقْراء كانت تحته لينقطع عنه ؛ فعدا معه حتى وافَيَا البابَ كفَرَسَىْ رِهانٍ ، ودخل آبن عائشة فمكث طويلا طمعا فى أن يَضْجَر فينصرفَ ، فلم يفعل ؛ فلمّا أعياه قال لغلامه : أدخِلْه ؛ فلما دخل قال له : ويلك ! من أين صَبّك الله علىّ ! قال : أنا رجل من أهل وادى القُرَى أشتهِى هذا الغناء ؛ فقال له : هل لك فيما هو أنفعُ لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائتا دينار وعَشَرةُ أثواب تنصرف بها إلى أهلك ؛ فقال له : جُعِلتُ فداءك ، والله إنّ لى لَبُنَيّةً ما فى أذنها — علِم الله — حَلْقة من الوَرِق فضلا عن الذهب ، وإنّ لى لزوجةً ما عليها — يشهد الله — قميصٌ ، ولو أعطيتَنى جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخَلّة[٢] والفقر اللذَيْن عرّفتُكهما وأضعفتَ لى ذلك ، لكان الصوتُ أعجبَ إلىّ — وكان أبن عائشة تائها لا يغنّى إلاّ لخليفة أو لذى قدر جليل من إخوانه — فتعجّب ابن عائشة منه ورَحِمه ، ودعا بالدَّواة[٣] وكان يغنّى مُرتجلا ، فغنّاه الصوتَ ؛ فطَرِب له طربا شديدا ، وجعل

(١) كارة القصار : الثياب التى يجمعها ويحملها ، وسميت كارة لأن القصار يكوّر الثياب فى ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

(٢) الخلة : الحاجة والخصاصة .

(٣) كذا فى جميع النسخ ، ولعلها محرفة عن الأداة : آلة من آلات الغناء ، أو لعله دعا بدواة لينقر عليها فى توقيعه .

يُحرّك رأسَه حتى ظنّ أن عُنُقه سينقصف ، ثم خرج من عنده ولم يَرْزَأه شيئا ، وبلغ الخبرُ الوليدَ بن يزيد فسأل ابنَ عائشة عنه ، فجعل يَغيب عن الحديث . ثم جدّ الوليد به فصدَقه عنه ، وأمر بطلب الرجل فطُلِب حتى أُحضِر ، ووصلَه صِلة سنيّة ، وجعله في ندمائه ووكّله بالسَّقْي ، فلم يزل معه حتى مات[1] .

سمع الشعبي غناءه فمدحه

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال حدّثنى عمر بن أبى خَلِيفة قال :

كان الشَّعْبىّ مع أبى فى أعلَى الدار ، فسمعنا تحتَنا غِناء حسنا ، فقال له أبى : هل ترى شيئا ؟ قال : لا ، فنظرنا فإذا غلام حسنُ الوجه حديث السنّ يتغنّى :

قالتْ عُبَيْد تجـرُّماً[2] فى القول فعلَ المـازحِ

فما سمعتُ غِناء كان أحسن منه ، فإذا هو ابن عائشة ، فجعل الشَّعْبىّ يتعجّب من غِنائه ويقول : يُؤتِى الحِكْمةَ مَن يشاء .

٧٤/٢

نسبة هذا الصوت

صـوت

قالتْ عُبَيْـد تجرُّماً فى القول فعلَ المـازحِ :
أنجِـزْ بعمْرك وعدَنا فأظنّ حبَّـك فاضحِى
فأجبتُها : لـو تعلمِيـ نَ بما تُجِنّ جـوانحى
فـيما أرى لَرَحِمتِنِى من حَمْل حُبٍّ قادحِ

(١) فى خد : «فقتل» .
(٢) أى تجنيا ، يقال : تجرّم عليه أى ادّعى عليه ذنبا لم يفعله .

ما فى البرية لى هوًى فاسمعْ مَقَالة ناصحِ
أشكو إليه جَفاءكم إلاّ سلام مُصافحِى

زعم حَبش أنّ الغِناء لابن عائشة خفيفُ ثقيل بالبِنْصَر .

حج ولقيه جماعةمن قريش فاحتالوا عليه حتى غنى لهم

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى بعض أهل المدينة قال : حدّثنى مَن رأى ٱبنَ عائشة حاجّا وقد دعاه فِتْيةٌ من بنى هاشم فأجابهم ، قال : وكنت فيهم ، فلمّا دخلنا جعلوا صدرَ ٱلمجْلس لابن عائشة فجلس فتحدّثوا حتّى حضَر الطعام ، فلما طَعِموا دعا بشراب فَشرِبوا ، وكان ٱبن عائشة إذا سئل أن يغنّىَ أبى ذلك وغَضِب ، فإذا تحدّث القوم بحديث ومضى فيه شعرٌ قد غُنّى فيه ابتدأ هو فغنّاه ، فكان مَن فَطِن له يفعلُ ذلك به ، فقال رجل منهم : حدّثنى اليوم رجل من الأعراب ممّن كان يصاحب جَمِيلاً بحديث عجيب ؛ فقال القوم : وما هو ؟ فقال : حدّثنى أن جَمِيلاً بينما هو يُحدّثه كما كان يحدّثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يَرَى، فثار نافراً ، مُقشعِرّ الشعر ، مُتغيِّر اللَّوْن ، إلى ناقة له مجتمعةٍ[(١)] قريبة من الأرض ، مُوثّقَة[(٢)] الخَلْق؛ فشدّ عليها رَحْلَه ، ثم أتاها بِمحْلَب فيه لبن فشربته، ثم ثنّى فشربتْ حتّى رَوِيتْ ، ثم قال : ٱشدُد أداة رَحْلك وٱشرب وٱسقِ جملَك ، فإنى ذاهب بك إلى بعض مَذاهبى ، ففعلتُ ، فجال[(٣)] فى ظَهْر ناقته وركبتُ ناقتى ، فسِرْنا بياضَ يَوْمنا وسَوَادَ ليلتنا ، ثم أصبحنا فسِرْنا يومَنا لا والله ما نَزَلنا إلا للصلاة؛ فلما كان اليوم الثالث دَفَعْنا إلى نسوة فمال اليهنّ فوَجدنا الرجالَ خُلُوفا[(٤)] ، وإذا قِدْرُ لِبأٍ[(٥)] وقد جُهِدتُ

(١) أى شديدة قوية .

(٢) كذا فى ط ، وناقة موثقة الخلق أى محكمة قوية . وفى باقى الأصول : «مؤنقة» أى معجبة لمن رآها لحسن منظرها . تقول : آنقنى الشىء إيناقا أى أعجبنى .

(٣) كذا فى ا ، م ، س بالجيم المعجمة ، ولعل معناه أنه جاء وذهب على ظهر ناقته ليطمئن عليها ويستقر . وفى سائر النسخ : «فحال» بالحاء المهملة ولم يظهر له معنى .

(٤) خلوفا : غائبين عن الحى . (٥) اللبأ : أول اللبن فى النتاج .

جوعاً وعَطَشا ، فلما رأيتُ القِدْر اقتحمتُ[1] عن بعيرى وتركتهم جانباً ، ثم أدخلت رأسى فى القِدر ما يَثْنِينى حَرُّها حتى رَوِيتُ ، فذهبتُ أُخرِجُ رأسى من القدر فضاقتْ علىَّ وإذا هى على رأسى قَلَنْسُوَةٌ ، فضحِكْنَ منّى وغَسَلْنَ ما أصابنى . وأُتِىَ جميلٌ بِقِرًى فوالله ماالتفتُ إليه ؛ فبينا هو يحدّثهنّ إذا رَوَاعِى الإبل ، وقد كان السلطانُ أحلَّ لهم دَمَه إن وجدوه فى بلادهم، وجاء الناس فقالوا[2] : وَيْحَكَ ! أُنْجُ وتقدّمْ ، فوالله ماأكبرَهم ذلك الإكبار ، فإذا بهم يَرْمونه ويَطْردونه ، فإذا غَشَوْه قاتلهم ورَمَى فيهم ، وقام بى جَمَلِى ، فقال لى : يَسِّرْ لنفسك مَرْكبا خَلْفى ، فأردفَنى خَلْفَه ، لا والله ماانكسر ولاانحلَّ عن فرصته[3] حتى رجع إلى أهله ، وقد سار ستَّ ليالٍ وستة أيام وما التفتَ إلى طعام وقال فى ذلك :

إنّ المنازلَ هيّجَتْ أطرابِى ... واستعجَمَتْ آياتُها بجوابى

وهى قصيدة طويلة . وقال أيضاً :

٧٥ / ٢ وأحسنُ أيامى وأبهجُ عِيشَتى ... إذا هِيجَ بِى يَوْماً وهُنَّ قُعُودُ

قال فقال ابن عائشة : أفلا أُغنّى لكم ذلك ؟ فقلنا : بلى والله ، فاندفع فغنّاه ، فما سَمِعَ السامعون شيئاً أحسنَ من ذلك[4] ، وبقى أصحابنا يتعجبون من الحديث وحُسْنه والغناء وطِيبه ؛ فقال له أصحابنا : يا أبا جعفر ، إنّا مستأذنوك ، فإن أذِنتَ لنا سألناك ، وإن كَرِهتَ تركناك ؛ فقال : سَلُوا ، فقالوا : نحبُّ أن تُغنّينا فى مجلسنا هذا

(١) أى بادرت بالنزول عنه .
(٢) فى رس : «وجاء النسوة فقلن» .
(٣) كذا فى جميع النسخ ولعلها : «قرقصته» .
(٤) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «أحسن من ذلك الغناء» والجملة بعده ترجح الرواية الأولى لأن عجب القوم من الحديث والغناء .

ما نَشطْتَ هذا الصوتَ فقط ؛ فقال لهم : نعم ونُعْمةَ عَينٍ وكرامةً ، فما زلنا فى غاية السرور حتى انقضى المجلس .

نسبة هذا الغناء

صوت

إنّ المنازلَ هَيَّجَتْ أطرابِى   واستعجمتْ آياتُها بجوابى
قفْرٌ تَلُوحُ بذى اللُّجَين[1] كأنها   أَنْضَاءُ[2] وَشْمٍ[3] أو سُطُورُ كتابِ
لمّا وقفتُ بها القَلُوصَ[4] تبادرتْ   منّى الدموعُ لفُرقةِ الأحبابِ
وذكرتُ عصراً يابُثَيْنَةُ شاقَنِى   إذ فاتَنِى وذكرتُ شَرْخَ شبابِى

الشعر لجميل . والغناء للهُذَلِىّ ثانى ثقيل بإطلاق الوتَرَ فى مَجْرَى البِنْصر عن إسحاق.

أخبرنى عَمّى قال حدّثنى عبدُ الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى أحمد بن يحيى المكّىّ عن أبيه قال حدّثنى[5] عمرو بن أبى الكَنَّات الحَكَمِىّ قال حدثنى يونس الكاتب قال:

---

(١) لم نقف فى معجم ياقوت ولا معجم ما استعجم للبكرى ولا فى لسان العرب ولا تاج العروس على أن اللجين أو ذا اللجين اسم موضع .

(٢) الأنضاء : جمع نضو وأصله البعير المهزول أو المهزول من جميع الدواب ويطلق على ما بقى من الرسم لقلته وأخذه فى الذهاب ، كما أطلق على ما بقى من النبات فى قول الشاعر :

* ترعى أناض من حرير الحمض *

فأناض هنا جمع أنضاء الذى هو جمع نضو .

(٣) كذا فى نسخة نص عليها بهامش نسخة ا . وفى جميع النسخ : «رسم» وقد رجحنا الرواية الأولى لما هو مألوف عند العرب من هذه التشبيهات ، ومنها قول طرفة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

(٤) فى مـ ، ر س : « الركاب » .

(٥) كذا فى حـ ونهاية الأرب للنويرى ج ٤ ص ٣٢٦ وفيما جاء فى ترجمته من كتاب الأغانى ج ١٨ ص ١٢٦ طبع بولاق .

كنّا يوماً مُتَنَزِّهِينَ بالعَقِيق أنا وجماعةٌ من قُرَيش ، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشى ومعه غلام من بنى لَيْث وهو مُتَوَكِّئٌ على يده ، فلما رأى جماعتنا وسمعنى أَغَنِّى جاءنا فسلَّم وجلس إلينا وتحدَّث معنا ، وكانت الجماعة تَعْرِف سوءَ خُلُقِه وغَضَبَه إذا سئل أن يُغَنِّىَ ، فأقبلَ بعضُهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كُثَيِّر وجميل وغيرهما من الشعراء ، يَسْتَجِرُّون بذلك أن يَطْرَبَ فيُغَنِّى ، فلم يجدوا عنده ما أرادوا ، فقلتُ لهم أنا : لقد حدّثنى اليومَ بعضُ الأعراب حديثاً يأ كل الأحاديث ، فإن شئتم حدّثتكم إياه ؛ قالوا : هاتِ ؛ قلتُ : حدّثنى هذا الرجلُ أنه مَرَّ بناحية الرَّبَذَة[1] فإذا صِبْيانٌ يتغاطَسُون[2] فى غَدِيرٍ ، وإذا شابٌّ جَميلٌ منهوكُ الجسم عليه أثرُ العِلّة ، والنحولُ فى جسمه بَيِّنٌ ، وهو جالسٌ ينظر إليهم ، فسلّمتُ عليه فردّ علىّ السلام وقال: من أَيْنَ وَضَحَ[3] الراكب ؟ قلتُ : مِنَ الحِمَى ؛ قال : ومتى عَهْدُكَ به ؟ قلتُ : رائحاً ؛ قال : وأينَ كان مَبِيتُك ؟ قلتُ : ببنى فلان ؛ فقال : أَوَّهْ ! وألقى بنفسه على ظهره وتَنَفَّسَ الصُّعَداء تنفُّساً قلتُ إنه قد خَرَّقَ حِجابَ قلبه ؛ ثم أنشأ يقول :

صوت

سَقَى بلداً أمستْ سُلَيْمَى تَحُلُّه ... مِنَ المُزْنِ ما يَرْوَى به ويُسِيمُ[4]
وإن لم أكُنْ من قاطِنِيهِ فإنّه ... يَحُــلّ به شخصٌ علىّ كَرِيمُ
ألا حَبّذا مَنْ ليسَ يَعْدِلُ قُرْبَهُ ... لَدَىَّ وإنْ شَطَّ المَزارُ نَعِيمُ
ومَنْ لامَنِى فيهِ حَمِيمٌ وصاحبٌ ... فَرُدَّ بغَيْظٍ صاحِبٌ وحَمِيمُ

---

(١) الربذة : قرية على ثلاثة أميال من المدينة وبها قبر أبى ذرّ الغفارى رضى الله عنه .

(٢) فى حـ ، مع ، ئا ، رس : «يتغامسون» ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة والموجود منه المغامسة وهى المفاعلة من غمسه فى الماء إذا غطه ، وقد فسر صاحب اللسان قوله : وهما يتغاطسان فى الماء فقال : أى يتقامسان فيه .

(٣) أى من أين بدا وطلع .

(٤) يقال : سامت الإبل إذا رعت وأسامها صاحبها ، أى أرعاها ، ولعله يريد بقوله : «ويسيم» أن يكون صالحا للإسامة بما يكون فيه من خصب وكلأ .

٧٦ / ٢

ثم سَكن كالمَغشِىّ عليه ، فصِحْتُ بالصِّبْية[١] ، فأتوا بماء فصَبَبْتُه على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول :

إذا الصَّبُّ الغريبُ رأى خُشُوعِى   وأنفاسِى تَزَيَّنَ بالخُشُوعِ

ولى عَيْنٌ أَضَرَّ بها ٱلتفاتِى   إلى الأجزاع[٢] مُطلقةَ الدموعِ

إلى الخَلَوات يأنسُ فيكِ قلبى   كما أَنِسَ الغريبُ إلى الجميعِ

فقلتُ له : ألاَ أنزلُ فأساعدَك ، أو أكُرُّ عودِى على بَدْئى إلى الحَى فى حاجة إن كانت لك حاجةٌ أو رسالة ؟ فقال : جُزِيتَ خيراً وصَحِبَتْك السلامةُ ! امضِ لطيّتك[٣] ، فلو أنى علمتُ أنك تُغنِى عنّى شيئاً لكنتَ موضِعاً للرغبة وحقيقا بإسعاف المسألة ، ولكنّك أدركتنى فى صُبابةٍ من حَيَاتى يسيرةٍ ؛ فانصرفتُ وأنا لا أراهُ يُمسِى ليلتَه إلّا مَيِّتا ؛ فقال القوم : ما أعجبَ هذا الحديث ! وٱندفَع ابنُ عائشة فتغنَّى فى الشعرين جميعا وطَرِبَ وشَرِبَ بقيّة يومه ، ولم يزل يُغَنِّينا إلى أن ٱنصرفنا .

فأما نسبةُ هذين الصوتين فإنْ فى الأوّل منهما لحَناً من خَفيف الرَّمَل الثقيل المطلَق فى مَجْرى الوُسْطى ، نَسَبه يحيى المكّىّ إلى مَعْبَد ، وذكر الهِشامىّ أنه مَنْحول . وفى هذا الخبر : أنّ ابنَ عائشةَ غنّاه ، وهو يُغَنِّى فى البيت الأوّل والثانى من الأبيات . وفيه للضَّيْزَنِىّ[٤] الملقب بنُبَيْكَةَ[٥] لحنٌ جيِّد من الثقيل[٦] الأوّل. وكان نُبَيكة هذا من حُذّاق المغنِّين وكبارهم ، وقد خَدَم المُعتَمد ثم شَخص إلى مصر فخدم خُمَارَوَيْه بنَ أحمد ، ثم قَدِمَ بغدادَ فى أيام المقتَدر ، ورأيناه وشاهدناه ، وكانت فى يده صُبابة قويّةٌ من

(١) فى ط ، مع ، خد ، نا : «بالأصيبية» بالتصغير .
(٢) فى ب ، س ، د ، ط : «الأجراع» بالراء بعد الجيم .
(٣) أى لوجهتك ، يقال : مضى لطيته ، أى لوجهه الذى يريده ولنيته التى انتواها .
(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «النصيرى» .
(٥) وفى مع ، ر س : «بسكة» .
(٦) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «ثقيل الأول» .

إفضال ابن طُولُون واستغنَى بها حتى مات ، وله صنعةٌ جيِّدةٌ قد ذكرتُ ما وقع إلىَّ منها فى المجرَّد(١) . وذكرتُ ممّا وقَع إلىّ له فى هذا الكتاب لحنًا جيِّداً فى شعر سَعْد ذَلْفاء(٢) ، وهو :

* ولمَّا وَقَفْنا دُونَ سَرْحَةِ مالِكٍ *

فى موضعه من أخباره(٣) .

وأمّا الشعرُ الثانى الذى ذكرتُ فى هذا الخبر الماضى : أنَّ ابنَ عائشة غنَّاه فما رأيتُ له نِسْبةً فى كتاب ولا سمعتُ فيه صنعةً من أحد ، ولعله ممّا انطوى عنّى أو لم يَشْتهِر فسقط عن الناس .

غنى من قصر ذى خشب ورأى نسوة يمشين فاتجه نحوهن فسقط فمات

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرنى به الحسن بن علىّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حمّاد عن أبيه عن يعقوب ابن طَلْحة اللَّيْثىّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال :

أقبلَ ابنُ عائشة من الشأم حتى نَزَل قَصْرَ ذى خُشُبٍ(٤) ومعه مالٌ وطيبٌ وكُساً(٥) فشَرِبَ فيه ، ثم تَطَرَّقوا(٦) إلى ظَهْرِ القَصْرِ فصَعِدُوا ، ثم نَظَر فإذا بِنِسْوَةٍ يَتَمَشَّيْنَ فى ناحية الوادى ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهنّ ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنَهض فلَبِسَ

---

(١) اسم كتاب لأبى الفرج الأصبهانى (انظر الكلام على مؤلفاته فى تصدير دار الكتب فى الجزء الأول) .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «فى شعر ذلفاء» بدون كلمة سعد .

(٣) لم نعثر فى كتاب الأغانى على بحث خاص لنبيكة الضبزنى أو لسعد ذلفاء .

(٤) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة فى طريق الشام .

(٥) كسا بالضم : جمع كسوة .

(٦) تطرقوا : ابتغوا إليه طريقا .

مُلاءَة(١) مَدْلوكة ، ثم قام على شُرْفةٍ(٢) من شُرُفات القَصْر فتغنَّى :

وقد قالتْ لأترابٍ لها زُهْرٍ تَلاقَيْنا
تَعالَيْنَ فقد طابَ لنا العَيْشُ تعالَيْنا

فأَقْبلنَ إليه فَطَرِبَ وآستدارَ حتى سَقَطَ من السطح ؛ وهذا الخبرُ يُذكَر على شرحه فى خبر وفاته .

كان يغنى بشعر الحطيئة ويقول أنا عاشق له

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حَمَّاد : قرأتُ على أبى عن محمد بن سلاَّم عن جرير أبى الحُصَين قال :

كان ٱبنُ عائشةَ إذا غَنَّى فى(٣) صَوْت له من شعر الحطيئة وهو :

* عَفَا من سُلَيْمى مُسْحُلانُ فحَامِرُهْ *

٧٧/٢ نظر إلى أعطافه فى كلّ رَنّة ، فسئل يوماً — وقد دَبَّ فيه الشرابُ — عن ذلك ، فقال : أنا عاشقٌ لهذا الصوت ، وعاشقٌ لحديثه ، وعاشقٌ لغريبه ، وعاشقٌ لقول الحطيئة : إنّ الغناءَ رُقْيَةُ من رُقَى النَّيْك ، ويُعجبنى فهمُ الحطيئة بالغناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غِناء ، وكيفَ لا أُعجَبُ به ومَحلُّه منّى هذا المحلّ ! وكان لا يسأله أحدٌ إيّاه إلاّ غنّاه ، فمن فَطِنَ له أكثرَ سؤالَه إيّاه . وكان جرير يقول : إنه أحسنُ صوتٍ له وأرقّه وأجوده .

(١) الملاءة : الملحفة ، ومدلوكة : مصقولة رقيقة .
(٢) كذا فى حـ . والشرفة : ما يبنى على الحائط منفصلا بعضه عن بعض على هيئة معروفة . وفى سائر النسخ : «شرافة» بالألف ، وهو تحريف .
(٣) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «من» .

وفاة ابن عائشة

توفى فى خلافة الوليد بن يزيد

وتُوُفِّىَ ٱبنُ عائشة فيما قيل فى أيّام هِشام بن عبد الملك ، وقيل فى أيّام الوليد . وما أظنّ الصحيح إلاّ أنه تُوُفِّىَ فى أيام الوليد ، لأنه أقدمه إليه . وذكر من زعَم أنّه تُوُفِّى فى خلافة هشام : أنّه إنّما وفَد على الوليد وهو ولىّ عهد .

قيل إن الغمر بن يزيد أمره بالغناء فأبى فأمر برميه من السطح فمات

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

ذكر عِمْرانُ بن هند : أنّ الغَمْر بن يزيد خرج إلى الشأم ، فلما نَزَل قَصْرَ ذى خُشُب شرب على سَطْحه ، فغنّى ٱبنُ عائشة صوتا طَرِبَ له الغَمْر ، فقال : ارْدُدْه ، فأبى ، وكان لا يرُدّ[1] صوتا لسوء خُلُقه ، فأمرَ به ، فطُرِحَ من أعلَى السّطح فمات . ويقال : بل قامَ من الليل وهو سَكْران ليَبُول فسَقط من السطح فمات .

حكايات أخرى فى سبب وفاته

قال إسحاق فحدّثنى المدائنىّ قال حدّثنى بعض أهل المدينة قال : أقبل ٱبن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازَه وأحسنَ إليه فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده ، فلمّا قَرُب من المدينة نزل بذى خُشُب على أربعة فراسخ من المدينة ، وكان واليَها إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ ، ولاّه هشامٌ وهو خاله ، وكان فى قصر هناك ، فقيل له : أصلحَ الله الأمير ، هذا ابنُ عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد ، فلو سألته أن يقيم عندنا اليومَ فيُطْرِبَنا ويَنْصَرِفَ من غَدٍ ! فدعا به فسأله المُقامَ عنده فأجابه إلى ذلك ، فلمّا أخذوا فى شُرْبهم أخرجَ المخزومىّ جواريَه ، فنظر إلى ابن عائشةَ وهو يَغْمِز جاريةً منهنّ ، فقال لخادمه : إذا خرج ابنُ عائشة يريد حاجته فارْمِ به ، وكانوا يشربون فوقَ سَطْحٍ ليس له إفريزٌ ولا شُرُفات ، وهو

(١) كذا فى أغلب النسخ وهو المناسب لقوله : «اردده» . وفى ب ، س ، حـ ، مع ، رس: «يردد» وهو من الترديد الذى هو كثرة الرد .

يُشْرِف على بُستان ، فلمّا قام ليبول رَمَى به الخادمُ من فوق السطح فمات ، فقبرُه معروف هناك .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه وأخبرنى به الحسن بن علىّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طَلْحة الليثىّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال :

أقبل ابن عائشة من الشأم حتى نزل بقصر ذى خُشُب ومعه مال وطيبٌ وكُساً ، فشرب فيه ، ثم تَطَرَّقُوا[1] إلى ظهر القَصْر فصعدوا ، ثم نظر فإذا بِنسْوة يتمشَّيْنَ فى ناحية الوادى ، فقال لأصحابه ، هل لكم فيهن ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنَهض فلبس مُلاءة مدلوكةً[2] ، ثم قام على شُرْفة من شُرَف القصر فتغنَّى فى شعر ابن أُذَينة :

وقد قالــت لأَتْرابٍ لها زُهْــرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْنَ فقــد طاب لنــا العيشُ تعالَيْنا

فأقبلن إليه ، وطرِب فاستدار فسقط فمــات . قال : وقال قوم : بل قَدِم المدينةَ فمــات بها .

بكى عليه أشعب فأضحك الناس

قال : ولمــا مات قال أَشْعَبُ : قد قلتُ لكم ، ولكنّه لا يُغْنِى حَذَرٌ من قَدَر ، : زوِّجوا ابنَ عائشة رُبَيحة الشَّمّاسِيّة تخرُج لكم بينهما مزاميرُ داود فلم تفعلوا ، وجعل يَبْكِى والناس يضحكون منه .

٧٨/٢

(١) فى ا ، د : «تطرفوا» بالفاء ولعله محرف عن تطرفوا أى ابتغوا إليه طريقا . وقد مر فى ص ٢٣٧ (الحاشية ٦) وفى سائر النسخ : «نظروا» ولعله محرف كذلك عنه .

(٢) مدلوكة : مصقولة رقيقة .

نسبة هذا الصوت الذى غناه ابن عائشة

صــوت (١)

سُلَيْمَى أَزْمعتْ بَيْنَا فأين تقولُهــا(٢) أَيْـنـا !
وقد قالتْ لأتراب لهــا زُهْرٍ تلاقَيْنا
تعالَـيْنَ فقـد طاب لنـا العيشُ تعالَيْنا
وغاب الـبَرَمُ(٣) اللي لة والعينُ فـلا عَيْنا
فأقبَلْنَ إليهـا مسـ رِعـاتٍ يَتَهـادَيْـنا
إلى مثـلِ مَهَـاةِ الرمـ لِ تـكْسُو المجلسَ الزَّيْنا
إلى خَـوْدٍ منعَّمةٍ حَفَفْنَ بهـا وفَدَّيْنا
تمَنَّـيْنَ مُناهـنّ فـكُنَّا ما تمَنَّيْـنا

الشعر لعُرْوة بن أُذَينة . والغناء لابن عائشةَ لحنان أحدهما رَمَلٌ مطلَقٌ فى مَجْرَى الوسطى عن إسحاق ، والآخرُ ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ .

كان مالك بن أنس يكره الغناء

أخبرنى الحَسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

سمعتُ إبراهيمَ بن سَعْد يحلف للرشيد وقد سأله عمّن بالمدينة يكره الغناء ، فقال : من قنّعه(٤) الله بخِزْيِه مالكُ بن أنس ، ثم حلف له إنه سمع مالـكا يُغنِّى :

---

(١) وردت هذه الكلمة فى ا ، م ، خد ، رس .
(٢) كذا فى ط . وتقول هنا بمعنى تظن . وفى باقى الأصول : «فأين بقولها» بالباء .
(٣) البرم : الثقيل . وفى خد ، نا : «اليوم» ، فلو صحت هذه الرواية لوجب زيادة «فى» بعد «اليوم» .
(٤) قنعه : غطاه ، ومنه الحديث : «أتاه رجل مقنع بالحديد» أى مغطى بالسلاح .

سُلَيمى أزمعتْ بينا فأين تقولها أينا

فى عُرْسِ رجلٍ من أهل المدينة يكنى أبا حَنْظَلَة .

مر ابن عائشة بابن أذينة وطلب إليه أن يقول له شعرا يغنيه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى أبو غَسَّان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال :

مَرَّ ابن عائشة بابن أُذَينة فقال له : قل أبياتاً هَزَجاً أُغَنِّ فيها ؛ فقال له : اجلسْ فجلس ؛ فقال :

* سليمى أزمعت بينا *

الأبيات . قال أبو غسّان : فحُدِّثتُ أن ابن عائشة رواها ، ثم ضحك لما سمع قوله :

تمنَّيْنَ مُناهنّ فكنّا ما تمنَّيْنا

ثم قال له : يا أبا عامر ، تمنَّيْنَك لمّا أقبَل بَخَرُك ، وأدبَر ذَفَرُك[(١)] ، وذبُل ذَكَرُك ! فجعل يشتمه . هذا لفظ إسماعيل بن يونس .

أخبرنى الجوهرىّ وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى أبو غَسَّان قال فحدّثنى حمّاد الخَشَبى[(٢)] قال :

ذُكِر ابنُ أُذَينة عند عمر بن عبد العزيز ، فقال : نِعْم الرجلُ أبو عامِر ، على [أنه][(٣)] الذى يقول :

(١) الذفر : خبث الريح . قال ابن الأعرابى : الذفر : النتن ولا يقال فى شىء من الطيب ذفر إلا المسك . وخص اللحيانى به رائحة الإبطين المنتنين . وقيل : إن الذفر يقع على الطيب والكريه ، ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به . والمراد هنا الرائحة الطيبة .

(٢) فى ح : « الحسنى » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من سائر النسخ إلا نسخ ح ، رس ، مع ، نا . وذكرها ضرورى فى الكلام .

وقد قالت لأتراب لها زُهْرٍ تلاقَيْنا

غنى للوليد بن يزيد بمكة فطرب وأجازه

أخبرنى محمد بن مَزْيد والحَسين بن يحيى قالا[1] حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن المدائنىّ عن إسحاق بن أيُّوبَ القُرَشِىّ قال :

كان هِشام بن عبد الملك مُكرِما للوليد بن يزيد ، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبا للوليد ، وكان ، فيما يقال ، زِنديقا ، فحمل الوليدَ على الشراب والاستخفافِ بدينه ، فاتخذ نُدَماء وشرب وتهتّك ، فأراد هشامٌ قطعَهم عنه ، فولّاه المَوْسِمَ فى سنة عشرٍ ومائة ، فرأى الناسُ منه تهاونا واستخفافا بدينه ، وأمَر مولاه عيسى فصلّى بالناس ، وبعث إلى المغنّين فغنَّوْه وفيهم ابن عائشة فغناه :

* سُلَيمى أجمعت[2] بَيْنا *

فنعَر[3] الوليدُ نَعْرةً أَذِن[4] لها أهلُ مكة . وأمر لابن عائشة بألف دينار ، وخلَع عليه عدّة خِلَع ، وحمله[5] ، فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناسُ ، وأمر المغنِّين بدون ذلك . فتكلم أهلُ الحجاز وقالوا : أهذا ولىّ عهدِ المسلمين ! وبلغ ذلك هشاماً فطمع فى خَلْعه ، وأراده على ذلك فأبى ؛ وتنكّر هشام للوليد ، وتمادى[6] الوليد فى الشرب واللذات فأفرط ، وتعبَّث[7] هشام بالوليد وخاصّته ومَوَاليه ، فنزل بالأَزْرق بين أرض

٧٩/٢

(١) كذا فى حـ ، ا ، وهو الصواب . وفى سائر النسخ ، « قال » بغير ألف التثنية .
(٢) الرواية فى كل ما تقدم « أزمعت » .
(٣) نعر : صاح وصوّت بخيشومه .
(٤) أذن ، أى استمع .
(٥) حمله : أعطى له ما يركبه .
(٦) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « فتمادى » بالفاء .
(٧) كذا فى ب ، د ، حـ ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا « تعبث » . وعبارة الطبرى فى حوادث سنة ١٢٥ : « وكان هشام يعيب الوليد وينتقصه وكثر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به » . وفى س ، م ، ا : « بعث » والمعروف أن الوليد ومن معه خرجوا من تلقاء أنفسهم ونزلوا بالأزرق ، فالظاهر أنها محرفة عن « عبث » .

بَلْقَيْن (١) وفَزارة على ماء يقال له الأَغْدَق (٢) ، حتى مات هشام . انقضت أخباره .

ذه فى صوت المائة الصوت المختارة

ومما فى المائة الصوت المختارة من أغانى ابن عائشة

صـوت

من رواية علىّ بن يحيى :

حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِى ... بعضَ الحَنِينِ فإن شَجْوَكِ شائقِى
بأبى الوليـدُ وأمٌّ نفسى كلّمـا ... بدت النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارقِ
أثْوَى فأكرَمَ فى الثَّوَاء وقُضِّيتْ ... حاجاتُنا من عند أرْوعَ باسقِ
لا تَبْعَـدنّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت حَدِيثًا(٣) للشَّراب العاتقِ

ويروى : بالشراب العاتق . عروضه من الكامل . حنّت ، يعنى ناقته . وهذا البيت يتبع بيتاً قبله وهو :

فإلى الوليد اليـومَ(٤) حنّتْ ناقتى ... تَهْوِى بمُغْبَرِّ المُتُون سَمَالِقِ(٥)

---

(١) كذا ضبط فى ط ، ولم نوفق إلى مصدر آخر نعتمد عليه فى ضبطه .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى م : «الأعذق» . وفى حـ : « الأعذب » . وفى ط : « الأغدف » ولم نعثر على أحد هذه الأسماء اسماً لموضع خاص غير أن الأعذق أورده البكرى فى معجم ما استعجم فى صفحة ٦٢٢ فى شعر يدل على أنه جبل فى نواحى المدينة وهو :

أحب الصُّلْضُلَيْنِ فبطنَ خاخٍ ... إلى بطن البـلاط إلى البقيـــع
إلى قــبر النبى فجانبيـــــه ... إلى العنقـاء قبر بنى مطيـــع
إلى وادى صلاصل فالمصــلّى ... إلى أكناف أعذق ذى منيـــع
منازل غبطـــة وديار أمـــن ... تكف عن المفاقـــر والتنـوع

(٣) كذا فى أغلب النسخ . يريد أنها كانت إلى عهد قريب معدة للشراب . وفى ا ، م ، خد : «خدينا» أى مصاحبة . وفى حـ ، رس : « قديماً » .

(٤) كذا فى اللسان فى مادة « سملق » . وفى جميع الأصول : « إليه » .

(٥) السمالق : جمع سَمْلَق وهى الأرض المستوية الجرداء التى لاشجر بها . وإنما وصف مغبرّ المتون وهو مفرد بالسمالق وهو جمع لأنه أراد مغبرات المتون فوضع الواحد موضع الجمع ووصفه بالجمع ، ويجوز أن يكون أراد سملقاً فجعله سمالق كأن كل جزء منه سماق . (انظر اللسان مادة سملق) .

وبعده « حنت إلى برق ... » . وقوله : « قِرِى » من الوَقار ؛ كأنها لما حنّت أسرعت ونازعت إلى الوطن أو المقصد ، فقال يخاطبها : قِرِى . وذَرّ قرنُ الشارق : طلع قرن الشمس ؛ يريد : بأبى الوليدُ وأمى فى كل ليل ونهار أبدا . وأثْوَى : أنزَل . والثَّوَاء : الإقامة ؛ قال الأعشى :

لقد كان فى حول ثَوَاء ثويته ... تُقَضَّى لُباناتٌ ويَسأم سائمُ

والباسق : الطويل ؛ قال الله عز وجل : ﴿ والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾[1] أى طِوالاً . ويروى :

* لا تَبْعَدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ[2] *

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاةَ المحَارِبىّ . والغناء لابن عائشة . ولحنه المختار ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر فى مجرى البِنْصَر عن إسحاق . وفيه للهُذَلِىّ لحنٌ آخر من الثقيل الأوّل عن الهِشامىّ وابن المكىّ . فأوّلُ لحنِ الهذلىّ استهلالٌ فى :

* حنت إلى برق فقلت لها قِرِى *

وأوّل لحن ابن عائشة :

بأبى الوليدُ وأمِّ نفسى كلّمـــا ... بدت النجومُ وذَرّ قرنُ الشارقِ

---

(١) ق ١٠ .

(٢) لم يتبين وجه الاختلاف بين هذه الرواية والتى قبلها لأن رسم الكتابة فيهما واحد . ولعل اختلاف الروايتين بكسر الدال فى قوله « تبعدن » ونصب قوله « إداوة مطروحة » كما جاء مضبوطاً فى الرواية الأولى فى نسخة ط وبفتح الدال فى قوله « تبعدن » ورفع « إداوة مطروحة » كما ضبط فى هذه الرواية فى نسخة ط أيضاً ، ومن المحتمل أن يكون اختلاف الروايتين فى قوله « لا تبعدن » ببنائه للفاعل فى إحداهما وبنائه للمفعول فى الأخرى .

أخبار ابن أرطاة ونسبه

نسبه

هو عبدُ الرحمن بنُ أرطاة ، وقيل : عبد الرحمن بنُ سَيْحانَ بنِ أرطاة بنِ سَيْحان ابن عمرو بنِ نُجَيد بنِ سَعْد[1] بنِ لاحِب بن رَبِيعة بن شُكُم[2] بن عبد الله بن عَوْف ابن زيد بن بكر بن عُمَير بن علىّ بن جَسْر بن مُحارب بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان ابن مُضَر بن نِزَار . وأمّ جَسْر بن مُحارِب كأس بنت لُكَيز بن أَفْصَى بن عبد القيس ، وأم علىّ بن جسر ماوِيَّة بنت علىّ بن بكر بن وائل ، هذه رواية أبى عمرو الشيبانىّ أخبرنى بها عمِّى والصُّولىّ عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه ، قال : وشُكُم ابن عبد الله أوّل مُحارِبِىّ سادَ قومَه وأَبَذَّهم[3] رأسا بنفسه ، وكانوا جيرانا فى هَوَازِنَ ؛ وآلُ سَيْحان حلفاء حَرْبِ بنِ أميّة بنِ عبدِ شمس بن عبدِ مناف ، وبمنزلةِ بعضهم عندَهم خاصّة وعند سائر بنى أميّة عامّة . ٨٠/٢

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّه قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عِمْران قال :

بنو سَيْحان من بنى جَسْر بن مُحارب ، وبنو عبد مناف تُقَوِّى حِلْفَهم ، وهم عندى أعِزّاؤهم وليسوا بأحلافهم .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّه قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غَسّان قال :

لما قتَل هشامُ بن الوليد أبا أُزَيْهِر ، بعثتْ قُرَيش أَرْطاةَ بن سَيْحان حَلِيفَ

(١) فى حـ ، مع ، نا ، رس : « سعيد » .
(٢) كذا ضبطت هذه الكلمة فى ط . ولم نجد فى مصدر آخر ما يؤيده أو ينفيه ، وفى مع : « شُكَيم » .
(٣) كذا فى حـ ، ا . وفى ب ، س : «وأفنهم» وفى د ، ط ، نا : «وأقردهم» ، وفى رس: «بذهم» .

حَرْب بن أميّة إلى الشَّراة(١) يُحذِّر مَنْ بها من تُجّار قُرَيش ، وخرجَ حاجزٌ الأَزْدِيّ لِيُخْبِرَ قَوْمَه ، فسبقَه أرطاةُ ، وقال فى ذلك وقد حذَّرهم فنَجَوْا :

مثلُ الحليفِ يَشُدُّ عُرْوتَه يَثْنِي العِناجَ(٢) لها مع الكَرَبِ(٣)
زَلَمٌ(٤) إذا يَسَرُوا(٥) به يُسُرٌ ومناضلٌ يَحْمِي عن الحَسَبِ
هل تَشْكُرَنْ فِهرٌ وتاجِرُها دَأْبَ(٦) السُّرَى بالليلِ والخَبَبِ
حتى جَلَوْتُ لهم يَقينَهُمُ ببيانِ لا أَلْسٍ(٧) ولا كَذِبِ

شاعر مقل إسلامى ليس من الفحول وكان حليفاً لبنى أمية ومدحهم

وكان عبد الرحمن شاعراً مُقِلاً إسلاميًّا ليس من الفحول المشهورين ولكنّه كان يقول فى الشراب والغَزَل والفَخْر ، ومدح أحلافه من بنى أميّة ، وهو أحدُ المعاقِرين للشراب والمحدودين فيه ، وكان مع بنى أميّة كواحدٍ منهم إلا أنّ اختصاصَه بآل أبى سُفْيان وآل عثمان خاصّة كان أكثرَ ، وخُصُوصُه بالوليد بن عثمان ومُؤانَسَتُه إيّاه أزيدُ من خصوصه بسائرهم ، لأنهما كانا يَتَنادَمان على الشّراب .

---

(١) الشراة : صقع بالشأم بين دمشق والمدينة المنورة .

(٢) قال فى اللسان : العناج : خيط أو سير يشدّ فى أسفل الدلو ثم يشدّ فى عروتها أو فى عرقوتها ، (وعرقوتا الدلو : خشبتان تعرضان عليها كالصليب) . وقيل العناج : عروة فى أسفل الغرب من باطن تشدّ بوثاق إلى أعلى الكرب فإذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع فى البئر ، وكل ذلك إذا كانت الدلو خفيفة وإذا كان فى دلو ثقيلة حبل أو بطان يشدّ تحتها ثم يشدّ إلى العراقى فيكون عوناً للوذم فإذا انقطعت الأوذام أمسكها العناج . قال الحطيئة يمدح قوماً عقدوا لجارهم عهداً فوفوا به ولم يخفروه :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

(٣) الكرب : الحبل الذى يشد على الدلو بعد المنين وهو الحبل الأول فإذا انقطع المنين بقى الكرب . وقال ابن سيده : الكرب الحبل يشدّ على عراقى الدلو ثم يثنى ثم يثلث . وفى خد ، نا : «مع الرّكب» .

(٤) الزلم (بالتحريك ، وبضم ففتح) : أصله القدح الذى لاريش فيه ، ويقال على القدح يستقسم به فى الجاهلية ، ويشبه به الرجل القصير الخفيف الظريف والغلام الشديد الخفيف ، ومنه : * بات يقاسيها غلام كالزلم *

(٥) يسروا : لعبوا الميسر .

(٦) فى مع ، نا ، رس : «ذات السُّرى» .

(٧) كذا فى أغلب الأصول ، والألس : الخيانة والكذب . وفى نسخة ا : «لا لبس» .

وهذه الأبيات التى فيها الغناء يقولها فى الوليد بن عثمان ، وقيل : بل فى الوليد ابن عُتْبَة . وخبرُه فى ذلك يُذكَر بعد هذا .

أصابه خمار فداواه منه الوليد ابن عثمان

أخبرنا محمد بن العباس اليَزِيدِىّ قال قال عُتْبَة[1] بن المِنْهال المُهَلَّبِىّ حدّثنى غيرُ واحد من أهل الحجاز قالوا :

كان ابن سَيْحَان حَلِيفا لقريش ينزِل بالمدينة ، وكان نديما للوليد بن عثمان ، فأصابه ذات يوم خُمَار[2] ، فذَهب لسانُه ، وسَكَنَتْ أطرافُه ، وصرَخ أهلُه عليه ، فأقبل الوليد إليه فَزِعاً ، فلما رآه قال : أخى مَخْمور وربِّ الكعبة ، ثم أَمَر غلاما له فأتاه بشَراب من منزله فى إداوة ، فأَمَرَ به فأُسخن ، ثم سقاه إيّاه وقيَّأه ، وصنع له حِساء[3] وجعل على رأسه دُهْنا ، وجعل رجليه فى ماء سُخْن ، فما لَبِثَ أن انطلَقَ[4] وذهبَ ما كان به . ومات الوليدُ بعد ذلك . فبينا ابنُ سَيْحان يوماً جالسٌ وبعضُ متاعه يُنقَلُ من بيت إلى بيت ، إذ مَرّت الخادم بإداوة الوليد التى كان داواه بما فيها من الشراب وقد يَبِسَتْ وتَقَبَّضت ، فانتحب وقال :

لا تَبْعَدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ كانتْ حديثا[5] للشرابِ العاتِقِ

وذكر باقىَ الأبيات .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدثنا عمر بن شَبّة قال حدثنا أحمد ابن معاوية عن الواقدىّ قال حدثنا عبد الله بن أبى عُبيدة عن أبيه قال :

---

(١) كذا وقع هذا الاسم هنا فى جميع الأصول ، وقد تقدم قريباً باسم عنيبة أو عيينة بن المنهال .
(٢) الخمار : ما يصيب الرجل من ألم الخمر وصداعها وأذاها .
(٣) الحساء : طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن وقد يحلى ويكون رقيقاً يحسى .
(٤) أى مشى بطنه . ولم نجد فى كتب اللغة إلا استطلق بطنه وأطلقه الدواء .
(٥) انظر صفحة ٢٤٤ حاشية رقم ٣ .

كان الوليدُ بن عثمان بن عفّان يشرب مع الوليد بن عُتْبة بن أبى سُفيان وابن سَيْحان وكان يُخْمَرُ(١) فأصابه من ذلك شىء حتى خِيفَ عليه، وشقَّ النساءُ عليه الجُيُوبَ، فدُعِىَ له ابنُ سَيْحان، فلما رآه قال: اخْرُجْنَ عنّى وعن أخى، فَخَرَجْنَ، فقال له: الصَّبوحَ أبا عبد الله، فجلس مُفِيقاً؛ فذلك حيثُ يقولُ ابنُ سَيْحان: ٨١/٢

بأبى الوليـدُ وأُمِّ نفسى كلّما ... بَدَتِ النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارقِ
أثْوَى فأكرَمَ فى الثَّوَاءِ وقُضِّيَتْ ... حاجاتُنا من عنـد أَرْوَعَ باسِقِ
كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ ... وفضائلٍ معـدودةٍ وخلائقِ
وسَماحةٍ للمُعْتَفِين(٢) إذا اعْتَفَوْا ... فى ماله حَقًّا وقَـوْلٍ صادقِ
لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مَطروحةٌ ... كانتْ حَديثا(٣) للشرابِ العاتقِ

كان من ندماء الوليد بن عثمان المختصين به

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان الوليدُ بنُ عثمان يُكنَى أبا الجَهْم، وكان لابن سَيْحان صديقا ونديما، وكان صاحبَ شراب، فمرِض فعادَه الوليد وقال: ما تشتهى؟ قال: شرابا، فبعث فجاءه بشراب فى إداوة. ثم ذكر باقى الخبر نحو الذى قبله.

قيل إنه خرج مع الوليد بن عثمان إلى الحجاز لجنى تمره ولما عاد أعطاه إداوة شراب وذكرها فمدحه

أخبرنى محمدُ بنُ خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب ابن عَبَاية قال:

كان الوليدُ بنُ عثمان ذا غَلَّة فى الحجاز، فكان يخْرُجُ إليها فى زمان التَّمْـر بنفَرٍ من قومه، يَجْنُون له ويُعاونونه، فكان إذا حضَر خروجهُم دفَعَ إليهم نَفَقاتٍ لأهليهم

(١) يخمر: يصاب بالخمار.
(٢) جمع معتف وهو الضيف وكل طالب فضل أو رزق. وفى تا: «وكرامة للمعتفين».
(٣) انظر صفحة ٢٤٤ حاشية رقم ٣.

إلى رَجْعتهم ، نخرج بهم مَرّة كما كان يَخْرُج وفيهم ابنُ سَيْحان ، فأتى ابنَ سَيْحان كتابٌ من أهله يسألونه القُدُوم لحاجة لا بدَّ منها ، فاستأذنه فأَذِنَ له ، فقال له ابنُ سَيْحان : زَوِّدونى من شرابكم هذا ، فزَوَّدوه إداوةً ملأَها له من شرابهم ؛ فكان يَشْرَبها فى طريقِهِ حتّى قَدِمَ على أهله ، فألقاها فى جانب بيته فارغةً ، فمكثَ زمانا لا يذكرها ، ثم كَنَسوا البيتَ فرآها مُلقاةً فى الكُناسة فقال :

لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ كانت حَديثا للشراب العاتقِ
إن تُصْبِحِى لا شىءَ فيكِ فرُبَّما أُترِعْتِ من كأسٍ تَلَذُّ لذائقِ
بأبى الوليدُ وأُمِّ نفسى كُلَّما بَدَتِ النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارقِ
كم عندَه من نائلٍ وسَماحَةٍ وشمائلٍ مَيْمونةٍ وخلائقِ
وكرامةٍ للمُعْتَفِين إذا اعْتَرَوْا فى ماله حَقًّا وقَوْلٍ صادقِ
أَثْوَى فأَكرَمَ فى الثَّواءِ وقُضِّيَتْ حاجاتُنا من عندِ أَرْوَعَ باسِقِ
لَماَّ أتيناهُ أَتَيْنَا ماجد الأخلاق سَبَّاقاً لِقَرْمٍ[1] سابقِ
قال الوليدُ يَدِى لكم رَهْنٌ بما حاوَلْتُمُ من صامتٍ أو ناطقِ
فإلى الوليد اليومَ[2] حنَّتْ ناقتى تَهْوِى بِمُغْبَرِّ المُتُونِ سَمالقِ
حنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِى بَعْضَ الحَنِينِ فإنَّ شَجْوَكِ شائقِ

حدّ مروان بالخمر ومنع منه معاوية

أخبرنى عَمِّى قال حدَّثنى محمد بن عبد الله التَّميمى الأصبَهانىّ المعروف بالحَزَنْبَل قال حدّثنى عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن أبيه وأخبرنى الحسين بن يحيى المِرْداسىّ[3] قال قال حماد بن إسحاق : قرأتُ على أبى ، قالا جميعا :

(١) القرم : السيد .
(٢) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٤٤ .
(٣) فى ط : « المرادسى » .

كان عبد الرحمن بن سَيْحان قد غاظ مَرْوانَ بنَ الحَكَمِ أيام كان معاوية يُعاقِبُ بينه وبين سَعيد بن العاص فى ولاية الحَرَمَيْن، وأنكر عليه أشياءَ بَلَغَتْه فغاظَتْه : مِن مدحه سعيدا وآنقطاعِهِ إليه وسرورِه بولايته ، فرَصَدَه حتى وجَده خارجاً من دار الوليد بن ٨٢/٢ عثمان وهو سَكْران فضربه الحدَّ ثمانين سَوْطا . وقدِم البريدُ من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجَعَل يخبره بها حتى آنتهى به الحديثُ إلى قصة آبن سيحان فأخبره أن مروان ضربه الحدَّ ثمانين ؛ فغضبَ معاوية وقال : واللهِ لو كان حليفَ أبى العاص لمَا ضربه ولكنَّه ضرَبه لأنه حليفُ حَرْب ، أليس هو الذى يقول :

وإنى امرؤٌ حِلْفٌ(١) إلى أفضل الوَرَى ... عَديداً إذا ارْفَضَّتْ(٢) عَصا(٣) المُتَحَلَّفِ(٤)

كذب واللهِ مروان ، لا يَضْربه فى نبيذِ أهلِ المدينة وشَكِّهم وحُمْقهم ؛ ثم قال لكاتبه : أُكتُبْ إلى مروان : فَلْيُبْطِل الحدَّ عن ابن سيحان ، وليَخْطُبْ بذلك على المِنْبر ، وليَقُل إنه كان ضَربه على شُبْهة ثم بانَ له أنه لم يشرب مُسْكِرا ، وليُعْطِه ألفَيْ درهم . فلما ورَد الكتابُ على مروان عَظُم ذلك عليه ، ودعا بابنه عبد الملك فقَرأه عليه وشاورَه فيه ؛ فقال له عبد الملك : راجِعْه ولا تُكَذِّبْ نَفْسَك ، ولا تُبْطِلْ حُكْمَك ؛ فقال مروان : أنا أعلم بمعاوية إذا عزَم على شىء أو أراده ، لا واللهِ لا أُراجِعُه . فلما كان يومُ الجمعة وفرَغ من الخطبة قال : وابنُ سيحان فإنا كشَفنا أمْرَه فإذا هو لم يَشْرب مُسْكِرا وإذا نحن قد عَجَّلنا عليه ، وقد أَبْطَلْتُ عنه الحدَّ . ثم نزَل فأرسل إليه بألفَى درهم .

---

(١) فى ط ، مع ، رس : « حلق » .
(٢) ارفضت : انشقت وتفرقت . والعصا يراد بها الجماعة ، يقال : شق فلان عصا المسلمين إذا فرّق جماعتهم.
(٣) فى ط : « حصى » .
(٤) المتحلف : مصدر ميمى بمعنى المحالفة .

رآه مروان سكران وشنع به فجلده الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان الحدّ

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أحمد ابن معاوية عن الواقدىّ قال حدّثنى عبد الرحمن بن أبى الزّناد عن أبيه قال :

كان عبد الرحمن بن سيحان المحاربىّ شاعرا ، وكان حلوَ الأحاديث ، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيامها وأشعارها ، وكان على ذلك يُصيب من الشراب ، فكان كلُّ مَن قَدِم من وُلاة بنى أُميّة وأحداثهم ممّن يُصيب الشراب يدعوه وينادمه ، فلمّا وَلِىَ الوليدُ بن عُتْبة بن أبى سُفيان وعُزل مَرْوان وجَد مروانُ فى نفسه ، وكان قد سَبَعه(١) ، فحقد ذلك عليه مَرْوان واضطغنه . وكان الوليد يُصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سَيْحان فيشرب معه ، وابن سيحان لا يظنّ أنّ مَرْوان يفعل به الذى فعله ، وقد كان مدحه ابن سيحان ووَصَله مَرْوان ، ولكنّ مَرْوان أراد فضيحة الوليد ، فرصَده ليلةً فى المسجد ، وكان ابن سيحان يخرج فى السَّحَر من عند الوليد ثَمِلا فيمرّ فى المقصورة من المسجد حتّى يخرجَ فى زُقاق عاصِم ، وكان محمد بن عمرو يبيت فى المسجد يصلّى ، وكذلك عبد الله بن حَنْظَلَة وغيرهما من القُرّاء يَبِيتُون فى المسجد يتهجّدون ، فلمّا خرَج ابن سيحان ثَمِلاً من دار الوليد أخذه مَرْوان وأعوانُه ؛ ثمّ دعا له محمدَ بنَ عمرو وعبدَ الله بن حَنْظَلَة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أمّ القرآن فلم يقرأها ، فدفعه إلى صاحب شُرْطَتِه(٢) فحبسه ؛ فلمّا أصبح الوليد بلغه الخبر ، وشاع فى المدينة ، وعلِم أنّ مَرْوان إنّما أراد أن يفضَحه ، وأنّه لو لقىَ ابنَ سيحان ثَمِلا خارجا من عند غيره لم يَعْرض له ، فقال الوليد : لا يُبَرِّئُنى من هذا عند أهل المدينة إلاّ ضربُ ابن سيحان ، فأمر صاحبَ شُرْطَته(٢) فضربه الحدَّ ثم أرسله ، فجلس ابن سيحان فى بيته لا يخرُج حياءً من الناس ، فجاءه عبد الرحمن

(١) كذا فى ح . وسبعه : طعن عليه وعابه وشتمه ووقع فيه بالقول القبيح . وفى ب ، س ، د ، ط : « شعثه » ولم نجد لشعث مخففاً أو مضعفاً معنى يناسب المقام . وفى م : « سعنه » ولا معنى لها ، وفى رس : « سعفه » . وفى مع : « شغبه » .

(٢) فى ط ، مع ، نا : « شرطه » .

مكث فى بيته استحياء فحمله عبد الرحمن بن الحارث على الخروج إلى المسجد

ابن الحارث بن هشام فى ولده وكان له جليسا فقال له : ما يُجْلِسك فى بيتك ؟ قال : الاستحياء من الناس ؛ قال : اخرجْ أيها الرجل ، وكان عبد الرحمن قد حَمل له معه كُسْوة ، فقال له : الْبَسْها ورُحْ معنا إلى المسجد فهذا أَحْرَى أن يكذِّب به مُكذِّب ، ٨٣/٢ ثم تَرْحَلُ إلى أمير المؤمنين فتخبِرُه بما صنع بك الوليد فإنّه يَصِلُك ويُبطِل هذا الحدّ عنك . فراح مع عبد الرحمن فى جماعة ولده متوسِّطا لهم حتى دخل المسجدَ نصلّى ركعتين ، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأُسْطُوانة ؛ فقائل يقول : لم يُضْرب ، وقائل يقول : أنا رأيته يُضْرَب ، وقائل يقول : عُزِّرَ أسواطاً . فمكث أيّاما ، ثم رحل إلى مُعاوية فدخل إلى يزيد فشرِب معه ، وكلّم يزيدُ أباه مُعاوية فى أمره فدعا به فأخبره بقصّته وما صنعه به مَرْوان ، فقال : قبّح الله الوليد ما أضعفَ عقلَه ! أما استحيا من ضربك فيما شرِب ! وأمّا مَرْوان فإنّى كنتُ لا أحسَبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومَوَدّتِك له ، ولكنّه أراد أن يضَع الوليد عندى ولم يُصِب ، وقد صيّر نفسه فى حدٍّ كنّا نُنزِّهه عنه ، صار شُرْطيا ! ثم قال لكاتبه : اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله مُعاويةَ أميرِ المؤمنين إلى الوليد بن عُتْبة . أمّا بعد ، فالعجَب لضربك ابنَ سَيْحان فيما تَشْرَب منه ، ما زدتَ على أن عرّفتَ أهل المدينة ما كنتَ تَشْرَبه مما حُرّمَ عليك ، فإذا جاءك كتابى هذا فأبطل الحدّ عن ابن سيحان ، وطُفْ به فى حِلَق المسجد وأَخبِرْهم أن صاحب شُرَطِك تعدّى عليه وظلَمه ، وأنّ أمير المؤمنين قد أبطَل ذلك عنه ، أليس ابنُ سيحان الذى يقول :

رحل إلى معاوية وشفع فيه يزيد فعفا عنه وكتب بذلك إلى الوليد

وإنّى امرُؤٌ أَنْمِى(١) إلى أفضل الورَى ... عديداً إذا ارفَضّتْ عصا المُتحلِّفِ
إلى نَضَدٍ(٢) من عبد شمس كأنَّهم ... هِضابُ أَجاً(٣) أركانُها لم تَقَصَّفِ

(١) مر فى صحيفة ٢٥١ سطر ٨ « حلف » بدل « أنمى » .
(٢) النضد : الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف .
(٣) أجا أصله أجأ بالهمز فأبدل الهمزة فقلبها حرف علة للضرورة كما فى قوله : مثل خناذيذ أجا وصخره .
وأجأ أحد جبلى طيئ ، والآخر يقال له سلمى .

مَيامينُ يَرْضَوْن الكِفايةَ إنْ كُفُوا ... ويَكْفُون إمّا وُلُّوا بغير تكلُّفِ
غَطارِفةٌ(١) ساسوا البلاد فأحْسَنوا ... سياستَها حتّى أقرّت لِمُرْدِفِ(٢)
فمن يكُ منهم مُوسِرًا يُفْشِ فضلَه ... ومن يكُ منهم مُعسِرًا يَتَعفَّفِ
وإنْ تُبْسَطِ النُّعْمَى لهم يَبْسُطوا بها ... أكُفًّا سِباطًا(٣) نفعُها غيرُ مُقْرِفِ(٤)
وإن تُزْوَ عنهم لا يَضِجُّوا وتُلْفِهِمْ ... قليلي التشكّي عندها والتكلُّفِ
إذا انصرفوا للحقّ يومًا تَصرّفوا ... إذا الجاهل الحيران لم يتصرَّفِ
سَمَوْا فعلَوْا فوق البرية كلِّها ... بِبُنْيانِ عالٍ من مُنيفٍ ومُشْرِفِ

قال : وكتب له بأن يُعْطَى أربعمائة شاةٍ وثلاثين لِقْحَة مما يُوطِنُ السَّيالةَ(٥) وأعطاه هو خمسمائة دينار ، وأعطاه يزيدُ مائتي دينار . ثم قدِم بكتاب مُعاوية إلى الوليد ، فطاف به في المسجد ، وأبطل ذلك الحدّ عنه ، وأعطاه ما كتب به له معاوية . وكتب مُعاوية إلى مَرْوان يلومه فيما فعله بابن سَيْحان ، وما أراده بذلك . ودعا الوليدُ عبدَ الرحمن بن سَيْحان إلى أن يعود للشرب معه ؛ فقال : والله لاذقتُ معك شرابا أبدا .

ضرب به مروان الحدّ فأبطله معاوية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو مسلم الغِفاريّ قال حدّثني موسى بن عبد العزيز قال :

---

(١) كذا في جميع الأصول وهو جمع غطريف ، والغطريف : السيد الشريف السخيّ الكثير الخير . وفي اللسان مادة ردف ، وياقوت في الكلام على أجأ : « قلامسة » جمع قلمس وهو السيد العظيم ، ويقال للداهية من الرجال .

(٢) اسم فاعل من أردف بمعنى تبع . وفي مع ، تا : « سياستهم » .

(٣) سباطا جمع سبط وهو السمح ، يقال : فلان سبط الكفين أي سمحهما ، قال حسان :

ربّ خالٍ لي لو أبصرته ... سبط الكفين في اليوم الخصر

(٤) غير مقرف أي غير مشوب بما يشينه .

(٥) السيالة : أرض يطؤها طريق الحاج ، قيل هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة . قال ابن الكلبي : « مرّتُبّع بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة وواديها يسيل فسماها « السيالة » . انظر معجم البلدان لياقوت في اسم السيالة .

أُخذ ابنُ سَيْحان الجَسْرِىّ — هكذا قال وهو غلط — فى شراب فى إمارة مَرْوان، وكان حليفاً لأبى سُفْيان بن حَرْب ، فضربه مَرْوان ثمانين سَوْطا على رءوس الناس ، فكتب إلى مُعاوية يشكوه ، فكتب إليه مُعاوية : أمّا بعد ، فإنّك أخذت حليف حَرْب (٨٤/٢) فضربته ثمانين على رءوس الناس ، والله لَتُبطِلنّها عنه ، أو لأُقيدَنّه منك ؛ فقال مَرْوان لابنه عبد الملك : ما تَرَى ؟ قال : أرى والله ألاّ تفعل ؛ قال : وَيْحَكَ ! أنا أعلم بعَزَمات[1] مُعاوية منك ، فصَعِد المِنبرَ فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيّها الناس ، إنا كنا ضربنا ابنَ سَيْحان بشهادة رجل من الحَرَس ووجدناه غير عدلٍ ولا رِضاً ، فاشهدوا أنى قد أبطلتُ ذلك الحدّ عنه .

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد العزيز ابن عِمْران قال :

ضَرب مَرْوانُ عبدَ الرحمن بنَ سَيْحان فى الخمر ثمانين سَوْطا ، فكتب إليه مُعاوية : أمّا بعد ، فإنّك ضربتَ عبد الرحمن فى نبيذ أهل الشأم الذى يَستعمِلونه وليس بحرام ، وإنّما ضربتَه حيث كان حِلفُه إلى أبى سُفيان بن حَرْب ، وآيْمُ الله لو كان حَليفا للحَكَم ما ضربتَه ، فأَبْطِلْ عنه الحدّ قبل أن أضرِب مَن أخذَ معه : أخاكَ عبدَ الرحمن بنَ الحَكَم ؛ فأبطل مَرْوانُ عنه الحدّ ؛ فقال ابنُ سَيْحان فى ذلك يذكر حِلفه :

إنّى آمرؤٌ عَقْدى[2] إلى أفضل الورى عَديدا إذا ٱرفَضّتْ عصا المُتَحالِفِ

وقال الطُّوسِىّ : كان عبد الرحمن بنُ الحَكَم أخو مَرْوان يشرَب مع ابن سَيْحان، فلمّا ضرَبه مَرْوانُ الحَدّ كتب إليه مُعاوِية : والله لتُبْطِلنّه عنه أو لأبعثنّ إلى أخيك مَن يضرِب ظهرَه بالسَّوْط فى السُّوق ، أليس ابن سَيْحان الذى يقول :

(١) فى نا : « حنقات » . وفى رس ، مع : « حماقات »
(٢) انظر ص ٢٥٣ والحاشية رقم ١ بها .

سَمَوْتُ بِحِلْفِى للطِّوال من الرُّبَى ولم تَلْقَنِى قِنًّا لدَى مَبْرَكِ الجُرْبِ
إذا ما حَلِيفُ الذُّل أَقْمَأَ[1] شخصَه ودَبَّ كَادِبِّ الحَسيرِ[2] على نَقْبِ[3]
وهَصْتُ[4] الحصَى لا أَخْنَسُ[5] الأنفِ قابِعاً[6] إذا أنا راخَى لى خِناقِى بنو حَرْبِ

كان مع سعيد بن عثمان حين قتل وهرب عنه ثم رثاه

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء وأحمد بن سُلَيمان الطُّوسِىّ قالا حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب وغيره قالوا :

قدِم سعيد بن عثمانَ المدينةَ فقتله غِلْمانٌ جاء بهم من الصُّغْد[7] ، وكان معه عبد الرحمن بن أَرْطاةَ بن سَيْحان حَلِيفُ بنى حرب بن أمية ، فهرَب عنه لما قتلوه ، فقال خالد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط يرثِى سعيدَ بن عثمان — وعثمانُ أخوه لأمه — :

يا عينُ جُودِى بدمع منك تَهْتانا وٱبكِى[8] سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عَفّانا
إنّ ٱبنَ زِينةَ لم تصدُق مودّتُه[9] وفرّ عنه ٱبنُ أرطاةَ بنِ سَيْحانا[10]

فقال ٱبن سَيْحانَ يعتذر من ذلك :

---

(١) أقمأ : صغر وذلل .
(٢) الحسير : المعيى .
(٣) النقب : رقة الأخفاف وهو من باب فرح يقال : نقب خف البعير نقبا إذا حفى حتى يتخرق فرسنه ، وتسكين القاف هنا لضرورة الوزن .
(٤) وهصت : دققت وكسرت .
(٥) لا أخنس : من الخنس وهو انخفاض القصبة وعرض الأرنبة .
(٦) أى مستخفياً ، من القبوع وهو أن يدخل الإنسان رأسه فى قميصه . ويسمى القنفذ القبع لأنه يقبع رأسه بين شوكه أى يخبؤه ، ويقال : فلان يقبع قبوع القنفذ إذا توارى .
(٧) انظر ص ٣٨ حاشية ٤ من الجزء الأول من الأغانى طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر
(٨) فى رس : « على سعيد »
(٩) فى ط : « لم يصدق مودته » .
(١٠) تقدم هذان البيتان مع خبرهما بالجزء الأول من الأغانى طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر ص٣٨ فانظره.

يقول رجالٌ : قد دعاك فلم تُجِبْ وذلك من تِلقَاءِ مثلِك[1] رائعُ
فإن كان نادَى دعوةً فسمعتُها فشَلَّتْ يدى وأُستكَّ[2] منّى المسامعُ
وإلا فكانتْ بالذى قال باطلاً ودارتْ عليه الدائراتُ القوارعُ
يلومونني أن كنتُ فى الدار حاسراً وقد فرَّ عنه خالدٌ وهو دارِعُ[3]

فقال بعض الشعراء يجيبه :

فإنك لم تسمعْ ولكن رأيتَه بعينيك إذ مَجْراك فى الدار واسعُ
وأسلمتَه للصُّغْد تَدْمَى كُلُومُه وفارقتَه والصوتُ فى الدار شائعُ
وما كان فيها خالدٌ بمعذَّرٍ[4] سواء عليه صَمٌّ أو هو سامعُ ٨٥/٢
فلا زلتُما فى غُلِّ سَوْءٍ بعِبْرةٍ ودارتْ عليكم بالشَّمَاتِ القَوَارعُ

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن العُتْبىّ قال :

لما قُتل سعيدُ بن عثمان بن عفّان قالت أمّه : أشتهى أن يرثيَه شاعرٌ كما فى نفسى حتى أُعطيَه ما يحتكم ؛ فقال ابن سَيْحان :

إن كنتِ باكيةً فتًى فابْكِى — هَبِلْتِ[5] — على سعيدِ

(١) فى ح ، مع ، نا ، س : « نفسك » .
(٢) أى صمت وضاقت ، ومنه قول النابغة :
أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى وتلك التى تستك منها المسامع
(٣) الدارع : لابس الدرع .
(٤) المعذر : الذى لم يثبت له عذر .
(٥) هبلت : ثكلت ، يقال هبلته أمه هبلا أى ثكلته . وذكر صاحب اللسان أن هبلت يقال فى الدعاء بالبناء للفاعل ، ولا يقال هبلت بالبناء للمفعول وإن كان هو القياس؛ لأنه إنما يدعى عليه بأن تهبله أمه أى تثكله. وهذا أحد أفعال ثلاثة جاءت من باب فعل (بكسر العين) المتعدى وجاء مصدرها على فعل بالتحريك ، ثانيها عمل الشيء عملا ، وثالثها زكنت الخبر زكنا .

فارقتَ أهلكَ بغتـــةً وجَلَبتَ حَتْفَكَ من بعيدِ
أذْرِى دموعَكِ والدِّما ءَ على الشَّهيدِ ابنِ الشهيدِ

فقالت : هكذا كنت أشتهى أن يقال فيه ، ووصلتِ ابنَ سيحان ، وكانت تندُبه بهذا الشعر .

وقال أبو عمرو فى روايته التى ذكرتُها عن عمّى عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه قال :

جلَس ابنُ سَيْحان وخالدُ بن عُقْبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدّثان ، فجرى ذكرُه فبكيا جميعاً عليه ، فقال ابن سَيْحان يرثيه :

ألاَ إنّ خيرَ الناس إن كنتَ سائلاً سعيدُ بنُ عثمانَ القَتِيلُ بلا ذَحْلِ(١)
تداعتْ عليـــه عُصْبةٌ فارسيّةٌ فأَضْحَى سعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِى

وقال خالد بن عُقْبة :

ألا إنّ خيرَ النـاس نفساً ووالداً سعيدُ بن عثمانٍ قتيلُ الأعاجمِ
بكتْ عينُ من لم يَبْكِه وَسْطَ يَثْرِبٍ مَدَى(٢) الدهرِ منه بالدموع السَّوَاجِمِ
فإن تـكن الأيامُ أَرْدتْ صروفُها سعيداً ، فمَنْ هذا عليها بسالِمِ !(٣)

قال الحَزَنْبَلُ : أنشدنى عمرو بن أبى عمرو عن أبيه لابن سَيْحان قال عمِّى وأنشدنى السُّكَّرِىّ عن ابن حَبِيبَ والطُّوسِىّ له :

(١) الذحل : الثأر .
(٢) فى ط : « يد الدهر » ويد الدهر كمدى الدهر : كلمة يراد بها الدوام .
(٣) فى ط ، مع ، نا : « فمن هذا من الموت سالم » وعلى هذه الرواية يكون فى البيت إقواء .

صــوت

رحِم اللهُ صاحِبَيَّ أُبَيَّ الحا   رثِ إذ ينْهَيانِنِي أن أبُوحا
بالتي تيَّمتْ فؤادي وأن أُذْ   رِي دموعي على ردائي سُفُوحا[1]
في مَغانى منازلٍ من حبيب   باشرتْ بعدَه قِطاراً[2] وريحا
ولقد قلتُ للفؤاد ولكنْ   كان قِدْماً إلى هواه جَمُوحا
قلتُ : أقْصِرْ عن بعض حُبِّك أرْوَى   إن بعض الحِبابِ[3] كان فُضُوحا
فعصانِي ، فليس يسمَعُ قولاً   من حَمامٍ على الأراكِ ، جُنُوحا
أمَّ يحيَى تقبَّل اللهُ يحيِي   بقَبُول كما تقبَّلَ نُوحا
أمَّ يحيَى لولا طِلابُكِ قد سِحْ   تُ مع الوحشِ أو لَبِسْتُ المُسُوحا[4]
ولقد قلت لا أُحدِّث سِرًّا   سرَّ أخرَى ما دمتُ أمشِي صحيحا

الغناء لَمْعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . وفيه لزُرَيق رَمَل .

قال أبو عمرو : وابنُ سَيْحان الذي يقول :

ألا هل هاجَك الأظعا   نُ إذ جاوزْنَ مُطَّلحا

---

(١) سفح الدمع سفوحاً : صبه .
(٢) قطاراً : جمع قطر وهو المطر .
(٣) الحباب : المحابة والموادّة والحب ، قال أبو ذؤيب :
فقلت لقلبي يالك الخير إنما   يدليك للخير الجديد حبابها
وفي ا ، د ، ط : « الأحباب » .
(٤) المسوح : جمع مسح وهو الكساء من الشعر .

جفاه بنو مطيع فذمهم ومدح بنى عبد الرحمن بن الحارث

والناس يَرْوُونه لعُمَر بن أبى ربيعة لغلبتِه على أهل الحجاز جميعا . وقال أبو عمرو فى خبره : كان ابنُ سَيْحانَ يحدِّث قال : كنت آلَفُ(١) من قريش أهلَ بيتين سِوَى من ٨٦/٢ كنت منقطعا إليه من بنى أمية : بنى عبدالرحمن بن الحارث بن هِشام ، وبنى مُطِيع ، فلما ضربنى مروانُ الحدَّ جئتُ فجلست إلى بنى مُطِيع كما كنت أجلس ، فلما رأَوْنى عرفتُ الكراهةَ فى وجوههم ، والله ما أقبلوا علىّ بحديثهم ولا وَسَّعُوا لى ، فانصرفتُ ورُحت إلى بنى عبد الرحمن ، فلما رأَوْنى أقبلوا بوجوههم علىّ وحَيَّوْا ورحَّبوا وسهَّلوا ووسَّعوا ، ورفعونى إلى حيثُ لم أكنْ أجلس ، وأقبلوا علىّ بوجوههم يحدّثوننى ، وقالوا : لعلك خَشَعْتَ للذى لحَقَك ، أما والله لقد علم الناسُ أنك مظلوم ، وظَلَّموا(٢) مروانَ فى فعله ، ورأَوْا أنه قد أساء وأخطأ فى شأنك ، وقالوا : ما ضَرَّكَ ذلك ولا نقَصك ولا زادك إلا خيرا ، ولم يزالوا حتى بَسَطُونى ، فقلت أمدحهم وأذمُّ بنى مطيع :

لقد حرَّمتُ وُدَّ بنى مُطِيع حَرامَ الدُّهْنِ للرجل الحرامِ(٣)
وإن جنَف(٤) الزمانُ مددتُ حبلاً مَتِيناً من حبال بنى هِشامِ
رَطِيبٌ عودُهم أبدا وَرِيقٌ إذا ما اغبرَّ عِيدانُ اللئامِ

لامته امرأته على بيته خارج المنزل فقال شعرا

وقال أبو عمرو فى خبره : كان عبد الرحمن بن سَيْحان يُنادِم الوليدَ بن عثمان على الشَّراب فيبيت عنده خوفاً من أن يظهر وهو سَكْرانُ فيُحَدَّ ، فقالت له امرأته : قد صرتَ لا تبيت فى منزلك وأظنك قد تزوجتَ ، وإلاّ فما مَبِيتُك عن أهلك ! فقال لها :

(١) فى حـ ، رس : « أختص » .
(٢) ظلموه : نسبوه إلى الظلم .
(٣) الحرام : المحرم بحج أو عمرة .
(٤) جنف : جار ومال .

لا تَعْدَمِينى نَديمًا ماجدًا أَنِفًا لا قائلا قاذِفًا خَلْقًا بِبُهْتانِ(١)
أغرَّ راووقُه(٢) مَلْآنُ(٣) صافيةً تَنْفِى القَذَى عن جَبِينٍ غيرِ خَزْيانِ
سَبِيئةٍ(٤) من قُرَى بَيْرُوتَ صافية عَذْراء أو سُبِئَتْ من أرض بَيْسَانِ(٥)
إنّا لَنَشْرَبُها حتى تَميلَ بنا كما تَمَايَلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ(٦)

رأى ابن عمه يشرب نبيذ الزبيب فحثه على شرب الخمر

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأَزْهَر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصِم بن الحَدَثانِ قال :

كان ابن سَيْحانَ صاحبَ شَراب ، فدخل على ابن عمّ له يقال له الحارث بن سَرِيع فوجده يشرب نبيذ زبيبٍ ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر ، وقال له : يابن سَرِيع ، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلالٌ فإنك أحمق ، وإن كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوى التوبة فاشربْ أَجْوَده فإن الوِزْرَ واحد ، ثم قال :

دَعِ ابنَ سَرِيع شُرْبَ ما مات مرةً وخُذْها سُلافًا حيّةً مُزّةَ الطَّعْمِ
تَدَعْكَ على مُلْكِ ابن ساسَان قادرًا إذا حرّمت قُرّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ

---

(١) فى حـ ، رس : * لاحالفا شائبا حلفا ببهتان * . وفى مع : « حقاً ببهتان » .
(٢) الراووق : ناجود الشراب الذى يروّق به فيصفّى . والشراب يتروّق منه من غير عصر .
(٣) فى حـ ، رس : * أغر راووقه صهباء صافية * .
(٤) سبيئة أى مسبوءة ؛ من قولهم : سبأ الخمر أى اشتراها ليشربها كما فى الصحاح ، أو اشتراها ليحملها إلى بلد آخر كما فى غيره .
(٥) بيسان : مدينة بالأردنّ وهى بين حوران وفلسطين ، قال ياقوت فى معجم البلدان : وإليها فيما أحسب ينسب الخمر ، وأورد أبياتاً لليلى الأخيلية فى تَوبةَ ، منها :
هو الذوب أو أرى الضحى لى شبتُه بدرياقة من خمر بيسان قرقف
(٦) الوسنان : النائم الذى ليس بمستغرق فى النوم .

فَشَتَّان بين الحىّ والمَيْتِ فاعتزمْ ... على مُزَّةٍ صَفْراء راووقُها يَهْمِى(١)
فإنّ سَرِيعاً كان أوصَى بحبّها ... بَنِيه وعمِّى جاوز اللهُ عن عَمِّى
ويا رُبَّ يوم قد شهدتُ بنى أبى ... عليها إلى أن غاب تاليةُ(٢) النَّجْمِ
حَسَوْها صلاةَ العصرِ والشمسُ حيّةٌ ... تُدار عليهم بالصغــير وبالضَّخْم
٨٧ / ٢ فماتوا وعاشــوا والمُــدامة بينهم ... مُشَعْشَعَةٌ(٣) كالنجم تُوصَف بالوَهْمِ

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثَان قال :

كان ابن سَيْحان حَليفَ حَرْب بن أمية يُنادِم الوليد(٤) بن عُقْبةَ بن أبى مُعَيط ، ويشرب معه الخمر ، وهو القائل :

اِصبَحْ(٥) نَديمكَ من صَهْباء صافيةٍ ... حتى يروح كريماً ناعمَ البـال
واشربْ ـ هُديتَ أبا وَهْب ـ مُجاهَرةً ... واْختَلْ فإنك من قوم أولى خَالِ(٦)
أنت الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمَدتْ ... أيدى الرجال بما تَحْويه من مال
لولا رجاؤكَ قد شَمَّرْتُ مُرتحِلاً ... عَنْساً(٧) تُعاقِبُ تَخْويداً(٨) بإرْقالِ(٩)

(١) فى ح ، رس : * وبادر إلى صهباء راووقها يهمى *
(٢) قال فى اللسان : وتوالى كل شىء : آخره ، وتاليات النجوم : أخراها .
(٣) مشعشعة : ممزوجة ، يقال : شعشع الشراب : مزجه بالماء .
(٤) كذا فى ح . وفى سائر النسخ : « ينادم بنى عقبة بن أبى معيط ويشرب معهم الخمر وهو القائل للوليد » ، وقد آثرنا ما ورد فى ح لأنه وإن كان للوليد بن عقبة أخوان وهما عمارة بن عقبة وخالد بن عقبة فهما لم يعرفا بشرب الخمر كما اشتهر هو .
(٥) أى اسقه صبوحاً ، قال طرفة : * متى تأتنى أصبحك كأساً روية *
(٦) الخال : الخيلاء والكبر .
(٧) العنس فى الأصل : الصخرة ، ويقال على الناقة القوية تشبيهاً لها بالصخرة لصلابتها .
(٨) التخويد : ضرب من السير ، يقال : خوّد البعير : أسرع وزجّ بقوائمه ، وقيل : هو أن يهتز كأنه يضطرب .
(٩) الإرقال : ضرب من السير فوق الخبب .

لما تَوَاصَوْا بقتلي قمتُ معتزِماً حتى حَمِيْتُ من الأعداء أَوْصالي
عمّ الوليدُ بمعروفٍ عشيرتَه والأبعدون حَظُوا منه بإفضالِ

شعره في الوليد وقد حماه من أخواله ودفع عنه الدية

قال : وكان ابن سَيْحان قد ضرب رجلا من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بَيِّنة ، فتآمر به القومُ ومنع منه ابن خال له منهم[1] ؛ وخاف الوَليد بن عُقْبة أن يرجع إلى المدينة هاربا منهم ، وخوفاً من جنايته عليهم ، فيفارقَه وينقطع عنه ، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم ديةَ صاحبهم ، فلم يزل عند الوليد حتى عُزِل وهو نَدِيمُه وصفيُّه . وهو القائل فى الوليد — وفيه غناء — :

صوت

بات الوَليدُ يُعاطِينى مُشَعْشَعَةً حتى هَوَيْتُ صَرِيعاً بين أصحابِي

فى الغناء : « بات الكريم يعاطينى » .

لا أستطيع نهوضاً إن هَمَمْتُ به وما أُنَهْنِهَه[2] من[3] حَسْوٍ وتَشْرابِ
حتى إذا الصبحُ لاحتْ لى جوانبُه ولَّيْتُ أسحَبُ نحوَ القومِ أثوابِي
كأننى من حُمَيَّا كأسِهِ جَمَلٌ صَحَّتْ قوائمُه من بعد أَوْصابِ

ويروى :

* كأننى من حُمَيَّا كأسِهِ ظَلِعٌ *

الغناء ليَحْيَى المَكِّيّ — ورُوى : ضَلِعٌ[4] — خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالبِنْصر عن الهشامىّ

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر النسخ : « ومنع منه ابن خالمنهم له » .
(٢) نهنهه عن الشيء : زجره وكفه .
(٣) كذا فى جميع النسخ ، والمعروف « أن نهنه » يتعدى بعن .
(٤) كذا فى جميع النسخ ، وحق هذه الجملة التقديم ، والضلع وصف من الضلع وهو كالظلع بالظاء : الميل فى المشى .

وبَذْل. قالت[1] بَذْل: وفيه لحنٌ آخرُ ليحيى؛ ولم تذكُر طريقته.

قصة تبرئه لسعيد ابن العاص من الشرب وما قاله فى ذلك

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى أبو فُهَيرة[2] قال:

دخل عبد الرحمن بن أَرْطاةَ على سَعيد بن العاص وهو أمير المدينة؛ فقال له: ألستَ القائل:

إنّا لنشربُها حتى تَميلَ بنا ... كما تَمايل وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبد الرحمن: مَعاذَ الله أن أشربَها وأنعتَها، ولكنّى الذى أقول:

سَموْتُ بحِلْفِى للطِّوالِ من الذُّرَى ... ولم تَلْقَنِى كالنَّسْرِ فى ملتقَى جَذْبِ
إذا ما حَليفُ القوم أَقْعَى مكانَه[3] ... ودبَّ كما يمشى الحَسير[4] من النَّقْبِ
وَهَصْتُ[5] الحصى لا أرهبُ الضيمَ قائماً[6] ... إذا أنا راخَى لى خِناقِى بنو حَرْبِ

وقام يجرّ مِطْرَفَه[7] بين الصَّفَّيْن حتى خرج. فأقبل عمرو بن سعيد على أبيه فقال: لو أمرتَ بهذا الكلب فضُرب مائتَىْ سَوْطٍ كان خيراً له؛ فقال: يا بنىّ، أضربُه وهو حليفُ حَرْب بن أُميّة ومعاويةُ خليفةٌ بالشأم! إذاً لا يرضى! فلما حجّ معاويةُ

(١) وردت هذه العبارة هكذا فى حـ، ووردت محرفة فى سائر النسخ.
(٢) فى ا، م: «أبو فهرة». ولم نعثر عليه فى كتب التراجم، غير أنه عرفت التسمية بفهيرة. (انظر شرح القاموس مادة فهر).
(٣) فى ص ٢٥٦: «أقعى شخصه».
(٤) انظر فيما تقدم ص ٢٥٦ من هذا الجزء، وقد ورد هنا فى ط: «كما يمشى الكسير على النقب». وفى سائر النسخ: «كما يمشى الكسير من النقب».
(٥) وهصه: دقه وكسره.
(٦) فى ا، م: «قاعدا».
(٧) المطرف: واحد المطارف وهى أردية من خزّ مربّعة لها أعلام. وقال الفراء: المطرف من الثياب: ماجعل فى طرفيه علمان، والأصل مطرف بالضم فكسروا الميم تخفيفاً، كما قالوا: مغزل وأصله مغزل من أغزل، أى أدير.

٨٨/٢ لقيه بمنًى ، فقال : إيهٍ يا سعيد ! أمرَكَ أحمقُك بأن تضرب حليفِي مائتيْ سوط ! أما والله لو جلدتَه سوطاً لجلدتُك سوطيْن ! فقال له سعيد : ولِمَ ذاك ؟ أو لم تجلِدْ أنت حليفَك عمر بن جَبَلة ! فقال له معاوية : هو لَحمِي آكلُه ولا أُوكِلُه . قال : وكان ابن سَيْحان قد قال :

لا يَعْدَمَنِّي نديمِي[1] ماجِداً أنِفاً ... لا قائلا خالطاً زوراً ببُهتانِ[2]

أُمْسِي أُعاطِيه كأساً لذَّ مَشْرَبُها ... كالمسك حُفَّتْ بنِسْرِينٍ ورَيْحانِ

سبيئَةً من قُرَى يَبْرُوتَ صافيةً ... أو التي سُبِئَتْ[3] من أرض بَيْسانِ

إنا لَنَشْرِبُها حتى تَميل بنا ... كما تَمايل وَسْنانٌ بوَسْنانِ

انقضت أخباره .

(١) كذا في ط . وقد ورد فيما تقدم في صفحة ٢٦١ من هذا الجزء : « لا تعدمينى نديماً » . وفى سائر النسخ هنا : « لا تعدمينى نديمى » .

(٢) رواية هذا الشطر ص ٢٦١ : « لا قائلا قاذفا خلقاً » .

(٣) فى ص ٢٦١ : « عذراء أو سبئت » .

أحد الأصوات المائة المختارة

صوت

من المائة المختارة من رواية علىّ بن يحيى

يا خليلىّ هَجِّرا كَىْ تَرُوحا ... هجّنا للرَّواح قَلْبا قَرِيحا
إنْ تُرِيغا(١) لتَعْلَمَا سِرَّ سُعْدَى ... تَجِدانى بسِرّ سُعْدى شَحِيحا
إنّ سُعْدى كَمُنْيَةِ المُتَمَنِّى ... جَمَعتْ عِفّة ووَجْها صَبيحا
كلّمتنى وذاكَ ما نِلتُ منها ... إنّ سُعْدى ترى الكلامَ رَبِيحا(٢)

الشعر لأبن مَيّادَةَ . والغناء لُحنَيْن ، ولَحْنه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مَجْرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن فيه لدَحْمَان لحنا من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وأظنه هذا ، وأنّ عمراً غَلِطَ فى نسبته إلى دَحْمانَ .

---

(١) تريغا : تبغيا وتريدا .
(٢) ربيحا : ذا ربح .

أخبار ابن ميادة ونسبه

نسبه

اسمُه الرَّمَّاحُ بنُ أَبْرَدَ بنِ ثَوْبانَ(١) بن سُراقةَ بن حَرْمَلةَ ، هكذا قال الزبير بن بكّار في نسبه . وقال ابن الكلبيّ : ثَوْبان(١) بن سُراقة بن سَلْمى بن ظالِم ويقال سُراقة بن قَيْس بن سَلْمى بن ظالِم بن جَذِيمة بن يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن ريث بن زيد بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر.

كان يزعم أن أمه فارسية ويفتخر بذلك

وأُمُّه مَيّادة أمّ ولدٍ بَرْبَرية ، ورُوِي أنها كانت صَقْلَبيّة(٢) . ويكنى أبا شُرَحْبِيل ، وقيل بل يُكْنى أبا شَراحِيلَ . وكان ابن ميّادة يزعمُ أن أمّه فارسيّة ؛ وذكر ذلك في شعره فقال :

أنا ابنُ أبي سَلْمى وَجَدِّيَ ظالِمُ وأُمِّي حَصَانٌ أخلصتْها(٣) الأعاجمُ
أليس غلامٌ بين كسرى وظالِمٍ بأكرمِ مَن نِيطتْ عليه التمائمُ !

كذبه موسى بن سيار في أن أمه فارسية

أخبرني بذلك الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني أبو مَسْلَمَة مرهوب(٤) بن سِيد(٥) وأخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني موسى بن زُهَير الفَزاريّ قال أخبرني موسى بن سَيّار بن نَجِيح المُزَنيّ(٦) قال : أنشدني ابن مَيّادة أبياته التي يقول فيها :

---

(١) في ط : « ثريان » .

(٢) صقلب : بلد في الأندلس من أعمال شنترين ، فلعل أم ابن ميادة تنسب إليه . وهذا يوافق ما سيأتي من أنها أشبانية نسبة إلى أشبان وهي الأندلس . ومن المحتمل القريب أن تكون منسوبة إلى الصقالبة وهم الجيل المعروف ، فإن أمة الإفرنج المتصلة بالأندلس كانوا يحاربون الصقالبة المتصلين بأرضهم فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بأرض الأندلس (انظر معجم ياقوت في اسم « صقلب » ونفح الطيب طبع أوروبا ج ١ ص ٩٢) .

(٣) في حـ ، مع ، رس : « حصنتها » .

(٤) كذا في ب ، س ، د ، ط . وفي ا ، م : « موهوب » بالواو ، وقد سمى العرب « مرهوباً » بالراء ، ولم يذكر القاموس ولا شارحه في المستدرك أنهم سموا « موهوبا » بالواو .

(٥) كذا في جميع الأصول وسيرد فيما يلي : « رشيد » (انظر الصحف ٢٧٩ و٢٨٧ و٢٩١ من هذا الجزء) .

(٦) في ا ، حـ ، م ، رس : « المرى » .

أليسَ غلامٌ بين كِسرى وظالمٍ ... بأكرمِ مَن نِيطَتْ عليه التمائمُ

٨٩/٢

قلت له : لقد أشحطْتَ بدار العجوز وأبعدتَ بها النُّجْعَة ، فهلاّ غرَّبتَ (يريد أنها صَقْلَبيَّةٌ ومحلها بناحية المغرب) فقال : إى بأبى أنتَ ، إنه مَن جاعَ انتجع ، فدَعْها تَسِرْ فى الناس ؛ فإنه «مَن يَسْمَعْ يَخَلْ[1]» . قال الزبير قال أبو مَسْلَمة[2] : ولمّا قال ابن مَيّادة هذه الأبيات قال الحَكَم الخُضْرِىّ يَرُدّ عليه :

رد عليه الحكم الخضرى فخره بأمه وهجاه

وما لكَ فيهم من أبٍ ذى دسيعةٍ[3] ... ولا وَلَدَتْكَ المُحْصَناتُ الكرائمُ
وما أنتَ إلاّ عبدُهم إن تُرِبْهُمُ ... مِنَ الدهرِ يوما تَسْتَرِبْكَ المقاسمُ
رَمَى نَهْبَلٌ فى فَرْجِ أمِّك رَمْيَةً ... بِحَوْقاءَ تَسْقِيها العُرُوقُ الثواجمُ[4]

قال أبو مَسْلَمة : ونَهبل عبدٌ لبنى مُرّة كانت مَيّادة تزوّجته بعد سيِّدها ، وكانت صَقْلَبيّة. وابنُ مَيّادة شاعرٌ فصيحٌ مُقَدَّمٌ مُخَضرمٌ من شعراء الدولتين، وجعله ابن سلاّم[5] فى الطبقة السابعة ، وقَرَنَ به عُمَر[6] بن لَجَأٍ والعُجَيف[7] العُقَيلىّ والعُجَير[8] السَّلُولىّ .

شاعر مخضرم وضعه ابن سلام فى الطبقة السابعة

(١) هذا مثل ، قال فى اللسان مادة خال نقلا عن أبى عبيدة : ومعناه من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع فى نفسه عليهم المكروه ، وقد فسره بذلك أيضاً الميدانى فى مجمع الأمثال .

(٢) فى بعض الأصول « ابن مسلمة » ولكن الذى تقدم فى سند هذا الخبر وهو من روى عنه الزبير باسم أبى مسلمة ، وسيذكر بعد قليل أيضاً باسم أبى مسلمة فى جميع الأصول .

(٣) الدسيعة : كرم الفعل ، وقيل : مائدة الرجل إذا كانت كريمة .

(٤) الثواجم : جمع ثاجم ، والثاجم : دائم الصب ، من قولهم : ثجمت السماء إذا دام مطرها . وفى مع ، رس : * لقوحاً تُسَقِّيها البروق السواجم *

(٥) اطلعنا على طبقات الشعراء لابن سلام فلم نجد فيها ذكراً لابن ميادة .

(٦) عمر بن لجأ التيمى من تيم الرباب عدّه ابن سلام فى الطبقة الرابعة وذكر له شيئاً من شعره . وورد ذكره فى الأغانى (ج ٧ ص ٤٤ و ٦٨ ، و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ج ١٦ ص ١١٥ وج ١٩ ص ٢٢ طبع بولاق) .

(٧) العجيف العقيلى لم يرد ذكره فى ابن سلام ، وورد فى الأغانى (ج ١٦ ص ١٢٤ و ١٢٥ طبع بولاق) . وفى رس ، مع : « والقحيف العقيلى» وقد ورد اسمه فى القاموس .

(٨) العجير بن عبد الله السلولى عدّه ابن سلام فى الطبقة الخامسة وله ترجمة فى الأغانى (ج ١١ ص ١٥٢ - ١٥٩ طبع بولاق) =

كان يتعرض للمهاجاة ويقول لأمه اصبرى على الهجو

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّرىّ قال حدّثنا محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابىّ قال : كان ابنُ مَيّادة عِرِّيضا للشرّ ، طالبا مُهاجاةَ الشعراء ومُسابَّةَ الناس . وكان يضرب بيده على جَنْب أمه ويقول :

* اِعْرَنْزِمِى(١) مَيّادَ للقوافى *

أى إنى سأهجو الناسَ فيَهْجُونك .

وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبى هَفّان بهذه الحكاية مثلَه ، وزاد فيها :

اِعْرَنْزِمِى مَيَّـــادَ للقوافِى واسْتَسْمِعِيهنّ(٢) ولا تَخـــافِى

* سَتَجِدِينَ ابنَكِ ذا قِذَافِ(٣) *

استنشد امرأة أمام أمه عما قيل فى هجوها فأنشدته

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا داود بن عُلْفَةَ الأسَدِىّ قال : جاورتِ امرأةٌ من الخُضْر (رَهْطِ الحَكَمِ الخُضْرِىِّ) أبياتَ ابن مَيّادة ، فجاءت ذاتَ يوم تَطْلُب رَحًى وثِفَالا(٤) لتَطْحَن ، فأعاروها إيّاهما ؛ فقال لها ابن مَيّادة : يا أختَ الخُضْر ، أتَرْوِينَ شيئا مما قاله الحَكَمُ الخُضْرِىّ لنا ، يريد بذلك أن تسمع أمُّه ، فجعلتْ تأبَى ، فلم يزل حتى أنشدتْه :

أمَيّادَ قـــد أفسدتِ سيفَ ابنِ ظالم بِبَظْرِكِ حتى عـــاد أثْلَمَ باليَا

قال : وميّادة جالسةٌ تسمع ، فضحِك الرمّاح ، وثارتْ ميّادة إليها بالعَمود تَضْرِبها

= ولهذا لا يستبعد أن يكون أبو الفرج قد أخطأ الرواية فى هذا النقل أو أنه روى ذلك مشافهة عن ابن سلام ، وابن سلام لم يذكره فى كتابه كما أخبره ، بأن يكون غير رأيه بعد حين تدوينه كتابه ، أو أن أبا الفرج اطلع على نسخة أخرى من الطبقات دخلها النقص فيما بعد حتى وصلت إلينا كما هى الآن .

(١) اعرنزمى : اشتدّى ، يقال : اعرنزم الشىء إذا اشتدّ وصلب .

(٢) استسمع : سمع .

(٣) ذا قذاف : ذا نضال ومراماة .

(٤) الثفال : جلد يبسط تحت الرحى ليسقط عليه الدقيق .

به وتقول : أىْ زانية ! هَيَا زانية ! أَإِيّاىَ تَعْنِين ! وقام آبن ميّادة يخلِّصها ، فبعد لَأْيٍ مّا(١) أنقذَها ، وقد آنتزعَتْ منها الرّحى والثِّفال .

كان معه شماطيط وورد عليه هجاء أمه فأسمعه إياه

أخبرنى الحَرَمِىّ بن العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى أبو حَرْمَلة مَنْظُور بن أبى عَدِىّ الفَزَارىّ قال حدّثنى شَماطِيط — وهو الذى يقول :

أنا شَماطيطُ الذى حُدِّثتَ بِهْ ... متى أُنبَّهْ للغَداء أَنْتَبِهْ(٢)

* حتى يُقالُ(٣) شَرِهٌ ولستُ بِهْ(٤) *

— قال: كنتُ جالسا مع آبن ميّادة فوردَتْ عليه أبياتٌ للحَكَم الخُضْرىّ يقول فيها :

أأنتَ آبن أشبانيّةٍ أَدْلَجَتْ به ... إلى اللؤم مِقْلاتٍ(٥) لئيمٍ جَنينُها

— أشبانية : صَقْلَبِيّة — قال : وأمه ميّادة تسمع فضرب جَنْبها وقال :

* اِعْرَنْزِمِى ميّادَ للقوافِى *

فقالت : هذه جنايتك يا بن مَن خَبُثَ وشَرَّ ، وأهوتْ إلى عَصاً تريد ضَرْبه بها ؛ ففرَّ منها وهو يقول :

---

(١) لأى : جهد وشدة .

(٢) يقال : أنبهه فانتبه ، ونبهه فتنبه . وكان حق الشاعر أن يقول : أتنبه ؛ لأنه قال : «أنبه» ومطاوع فعّل إنما هو تفعّل . لكن لما كان أنبه فى معنى أنبه جاز له أن يأتى بمطاوعه وهو أنتبه .

(٣) روى برفع «يقال» لأنه أريد منه الحال ، وإذا أريد من الفعل بعد حتّى الحال رفع . (انظر لسان العرب مادة شمط) .

(٤) ورد هذا الشعر فى لسان العرب فى مادة «شمط» وجاء فيه هذا الشطر عجزا لصدر لم يذكره المؤلف هنا . وأصل البيت :

ثم أنزَ حوله وأحتبه ... حتّى يقال سيد ولست به

والهاء فى قوله «وأحتبه» زائدة للوقف .

(٥) آمرأة مقلات : ليس لها إلا ولد واحد .

* ياصِدْقَها ولم تَكن صَدُوقا *

فصِحْتُ به : أيُّهما المعنيّ ؟ فقال : أَضْرَعُهما خَدَّين وأَلأَمُهُما جَدَّين ؛ فضربتُ جنبها الآخر وقلتُ : فهي إذاً مَيّادة ، وخرجتُ أَعدو في أَثَر الرَّمَّاح ، وتَبِعَتْنا تَرْمِينا بالحجارة وتَفْتَرِى علينا حتى فُتناها .

أصل أمه ميادة وقصة تزوجها أبرد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنى ٩٠/٢ أبو داود الفَزَارىّ : أنّ ميّادة كانت أَمَةً لرجلٍ من كَلْب زوجةً لعَبْدٍ له يقال له نَهْبَل ، فاشتراها بنو ثَوْبان[1] بن سُراقة فأقبلوا بها من الشأم ، فلما قَدِموا وصَبَّحوا[2] بها المُلَيْحة — وهى ماءة لبنى سَلْمَى ورَحْلِ بنِ[3] ظالم بن جَذِيمة — نَظَرَ رَجُلٌ من بنى سَلْمَى إليها وهى ناعسة تَمايَلُ على بعيرها ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : اشتراها بنو ثَوْبان[1] ؛ فقال : وأبيكم إنّها لَمَيّادةٌ تَميدُ وتميل على بعيرها ، فغَلَبَ عليها « ميّادةُ » . وكان أَبردُ ضِلَّةً من الضَلَلِ[4] ورِثَّةً[5] من الرِّثَثِ ، جِلْفا لا تَخلُص إحدَى يديه من الأُخْرَى ، يَرْعَى على[6] إخوته وأهله ، وكانت إخوته كلهم ظُرَفاء غيرَه . فأرسلوا ميّادةَ تَرْعَى الإبلَ معه فوَقَع عليها ، فلم يَشْعُروا بها إلاّ حُبْلَى قد أَقْعَسها[7] بطنُها ، فقالوا لها : لِمَنْ ما فى بطنك ؟ قالت : لأَبْرَد ، وسألوه فجعل يسكُت ولا يُجيبهم ، حتى رمتْ بالرِّمَّاح فرأَوْا غلاما فَدْغَما[8] نَجيبا ، فأقرّ به أَبْرَدُ .

(١) فى ط : «ثربان» .
(٢) صبحوا بها المليحة : أتوها صباحا .
(٣) فى ط : « ابنى » .
(٤) كذا فى ط . والضلة : الذى لا خير فيه . وفى سائر النسخ : «ضلة من الضلال» .
(٥) الرثة : خشارة الناس (سفلتهم) وضعفاؤهم ، شبهوا بالردىء من المتاع .
(٦) أى يرعى لهم ماشيتهم .
(٧) كذا فى أغلب النسخ . وفى د ، ط : «أقسم» . وفى ا ، م : «أقشم» ، وكلاهما تحريف . ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا أقعس متعديا ، ولعله يريد أن بطنها لنتوئه بالحمل جعلها كالقعساء ، وهى من يخرج صدرها ويدخل ظهرها ؛ ومنه قولهم للقوس ينتأ بطنها ويدخل ظهرها : قعساء .
(٨) الفدغم : الجسيم الطويل فى عظم .

وقالت بنو سَلْمى : وَيْلَكم يابنى ثَوْبان[1] ! أبتطِنوه[2] فلعله يُنْجِب ؛ فقالوا : والله ما له غيرُ ميّادةَ ، فبنَوْا لها بيتا وأقعدوها فيه ، فجاءت بعد الرّمّاح بثَوْبان[1] وخليل وبَشير بَنى أَبْرَدَ ، وكانت أوّلَ نسائه وآخِرَهنّ ، وكانت امرأةَ صِدْق ، مارُميت بشىء ولاسُبَّت إلا بنَهْبَل . قال عبد الرحمن بن جُهَيْم الأسَدِىّ فى هجائه ابنَ ميّادَة :

هجاء عبد الرحمن ابن جهيم الأسدى

لعَمْرِى لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبَلٍ   لبئس شبابُ المرء كان[3] شبابُها
ولم تدرِ حمراء العِجان[4] أنَهْبَلٌ   أبوه أمِ المُرِّىّ تَبٌّ تَبابُها

هجابنىمازن فرد عليه رجل منهم

قال أبو داود : وكان ابن مَيّادة هجا بنى مازن وفَزارة بن ذُبْيان ، وذلك أنهم ظلموا بنى الصارِد — والصارد من مُرّة — فأخذوا مالَهم وغلبوهم عليه حتى الساعة ؛ فقال ابن مَيّادة :

فَلأُورِدَنّ على جماعــــة مازِنٍ   خَيْـــلا مُقَلَّصةَ الُخصَى ورجالا
ظلّوا بذى أُرُكٍ[5] كأنّ رءوسهم   شَجرٌ تخطّاه الربيـــع فـالا

فقال رجل من بنى مازن يردّ عليه :

يا بن الخبيثة يا بن طَلّة[6] نَهْبَلٍ   هلاّ جَمعتَ كما زَعَمتَ رجـــالا

---

(١) فى ط : « ثريان » .

(٢) ابتطنوه : أى انتجوه واتخذوا منه ولدا ، تقول : ابتطنت الناقة عشرة أبطن أى نتجتها عشر مرات .

(٣) كان هنا زائدة وهى تزاد فى هذا الموضع كقوله :

ولبست سربال الشباب أزورها   ولنعم كان شبيبة المحتـــال

وفى رس : «خليلة» .

(٤) العجان : الدبر ، وقيل هو ما بين القبل والدبر . وهو سب كان يجرى على ألسنة العرب يقال للأعجمى : يابن حمراء العجان .

(٥) ذو أرك (بضمتين) : موضع بين تيماء والمدينة ، كما فى معجم ما استعجم للبكرى طبع أوروبا ص ٢٠٩ .

(٦) طلة الرجل : امرأته .

أَبِبَظْرِ(١) مَيْدَةَ أم بُخُصْيَىْ نَهْبَلٍ ... أم بالفُساةِ تُنازِل الأبطالا !
ولئن وردتَ على جماعة مازنٍ ... تبغِى القتال لَتَلْقَيَنّ قِتالا

قال : وبنو مُرّة يُسَمَّوْن الفُساةَ لكثرة امتيارهم التمر ، وكانت منازلهم بين فَدَك وخَيْبَرَ فلُقِّبوا بذلك لأكلهم التمر. وقال يحيى بن علىّ فى خبره — ولم يذكره عن أحد — : وقال ابن مَيّادةَ يفتخر بأمّه :

شعره فى الفخر بنسبه

أنا ابن مَيّادةَ تَهْوِى نُجُبِى ... صَلْتُ(٢) الجبينِ حَسَنٌ مُرَكَّبِى(٣)
ترفَعُنى أمّى وينميِنى(٤) أبى ... فوق السحاب ودُوَيْنَ الكوكبِ

قال يحيى بن علىّ فى خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبى داود الفَزارىّ : إن ابن مَيّادة قال يفخَر بنسب أبيه فى العرب ونسب أمّه فى العجم :

أليس غلامٌ بين كِسرَى وظالم ... بأكرمِ مَن نِيطت عليه التمائمُ(٥)
لَوَ انّ جميع الناس كانوا بتَلْعةٍ(٦) ... وجئتُ بجَدِّى ظالمٍ وابن ظالمِ
لظلّت رقابُ الناس خاضعةً لنا ... سُجودا على أقدامنا بالجماجمِ

٩١ / ٢

فأخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ(٧) عن أبى عبيدة قال :

سمع الفرزدق شيئا من شعره فانتحله

(١) فى د ، ا ، م : «أبطن» .
(٢) صلت الجبين : واضحه . وفى صفة النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان صلت الجبين .
(٣) مركبى : يريد جسمى ، ومن هذه المادة قوله تعالى : ﴿ فى أى صورة ما شاء ركّبك ﴾ .
(٤) ينميني : يرفعنى .
(٥) فى هذا الشعر إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى فى الإعراب .
(٦) التلعة : ما ارتفع من الأرض وأشرف أو انهبط منها وانحدر ، فهو من الأضداد . وقيل : التلعة مثل الرحبة .
(٧) راجع الحاشية رقم ٦ صحيفة ١٥٩ جزء أول من هذه الطبعة .

كان ابن ميّادة واقفاً فى المَوْسِمِ يُنْشِد :

* لو انّ جميع الناس كانوا بتَلْعَةٍ *

وذكر تمام البيت والذى بعده . قال : والفرزدق واقف عليه فى جماعة وهو مُتلثِّم ، فلما سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال : أنت يا بن أَبْرَدَ صاحب هذه الصفة ! كذَبتَ والله وكذَب مَن سَمِع ذلك منك فلم يُكذّبك ؛ فأقبل عليه فقال : فَمَهْ يا أبا فِراس ؛ فقال : أنا والله أَوْلَى بهما منك ، ثم أقبل على راويته فقال : اضممهما إليك :

لَوَ انّ جميع الناس كانوا بتَلْعَةٍ وجئتُ بجَدّى دارمٍ وابن دارمِ
لظلّت رِقابُ الناس خاضعةً لنا سُجودا على أقدامنا بالجماجمِ

قال : فأطرق ابن مَيّادة فما أجابه بحرف ، ومضَى الفرزدق فانتحلهما .

كان له عمّان شاعران وقد أتاهم الشعر من قبل جدهم زهير

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن أبى داود قال :

أمُّ بنى ثَوْبان(١) — وهم أَبْرَد أبو ابن مَيّادةَ والعَوْثبانُ(٢) وقريض(٣) وناعضة ، وكان العوثبان وقريض شاعرين — أمّهم جميعا سَلْمَى بنت كَعْب بن زُهَير بن أبى سُلْمى(٤) . ويقال : إن الشعر أتى ابنَ ميادة عن أعمامه من قِبَل جدِّهم زُهَير .

مهاجاته لعقبة ابن كعب بن زهير

قال إسحاق فى خبره هذا : وحدّثنى حُمَيد بن الحارث أن عُقْبة بن كَعْب بن زُهَير نزل المُلَيحة(٥) على بنى سَلْمَى بن ظالِم فأكلوا له بعيرا ، وبلغ ابنَ مَيّادة أن عقبة قال فى ذلك شعرا ، فقال ابنُ مَيّادة يردّ عليه :

---

(١) فى ط : « ثريان » .

(٢) فى لسان العرب : العوثبان اسم رجل . ونقل المرتضى هذا فى تاج العروس وقال : « قلت : وهو تصحيف صوابه عوبثان بتقديم الموحدة » وذكر فى مادة عبث اسمين ليس هذا أحدهما .

(٣) فى ط : « قريض وناعصة » . ولم نعثر على هذين الاسمين .

(٤) ذكر صاحب لسان العرب : أنه ليس فى العرب سُلْمى بوزن فُعْلى (بضم الفاء) غير أبى سلمى هذا .

(٥) مليحة : موضع فى بلاد بنى تميم ، وكان به يوم بين بنى يربوع وبسطام بن قيس الشيبانى . ومليحة أيضا : اسم جبل فى غربىّ سلمى أحد جبلى طيّئ وبه آبار كثيرة .

ولقد حلفتُ بربِّ مكةَ صادقًا لولا قرابةُ نِسْوَةٍ بالحاجرِ(١)
لكسوتُ عُقْبةَ كُسْوةً مشهورةً تَرِدُ المَناهِلُ من كلامٍ عائرِ(٢)

وهى قصيدة؛ فقال له عُقْبة:

ألَوْما(٣) أننى أصبحتُ خالاً وذكرُ الخال ينقُص أو يزيدُ
لقد قلَّدتُ من سَلْمَى رجالا عليهم مَسْحَةٌ وهُمُ العبيدُ

فقال ابن مَيّادة:

إن تَكُ خالنا فقُبِحْتَ(٤) خالاً فأنت الخال تنقُص لا تزيدُ
فيوماً فى مُزَينة أنت حُرٌّ ويوماً أنت تَحْتِدُكَ العبيدُ
أحقُّ الناس أن يَلْقَى هَوَاناً ويُؤكَلُ مالُه العبدُ الطَّريدُ

أوصاف ابن ميادة

قال إسحاق فحدّثنى عَجْرَمة(٥) قال: كان ابن مَيّادة أحمرَ سَبْطاً(٦) عظيم الخلق(٧) طويلَ اللِّحية، وكان لبَّاسًا عَطِراً، ما دنوتُ من رجلٍ كان أطيبَ عَرْفاً منه(٨).

(١) الحاجر: اسم مكان بطريق مكة وهو من منازل الحاج.
(٢) عائر: سائر، يقال: قصيدة عائرة أى سائرة.
(٣) كذا فى أغلب الأصول، وفى ط: «لوما»، وفى نا: «ولولا».
(٤) كذا فى ط. وفى سائر النسخ: «قبحت» بتشديد الباء. وقد رجحنا الرواية الأولى لأنه دعاء يجب اقترانه بالفاء.
(٥) فى حـ وعلى هامش «ا»، مع، رس: «عكرمة».
(٦) سبطا: طويلا حسن القدّ والاستواء؛ قال الشاعر:
فجاءت به سبط العظام كأنما عمامته بين الرجال لواء
(٧) كذا فى حـ. وفى سائر النسخ: «عظيم الخلق طويلا طويل اللحية» ووصفه بالسبوطة مغن عن وصفه بالطول.
(٨) فى رس، مع، نا: «أطيب عرضا»، ويبدو أنه تحريف.

مقارنة بينه وبين النابغة

قال إسحاق : وحدّثنى أبو داود قال : سمعت شيخاً عالمـا من غَطَفان يقول :

كان الرَّمَّاح أشعرَ غَطَفان فى الجاهلية والإسلام ، وكان خيراً لقومه من النابغة ، لم يمدح غير قريش وقَيْس ، وكان النابغة إنما يَهْذِى باليمن مضلّلا حتى مات .

هو كثير السقط فى شعره

قال إسحاق : وحدّثنى أبو داود أن بنى ذُبْيانَ تزعُم أن الرَّمَّاح بن مَيّادَة كان آخرَ الشعراء . قال إسحاق : وحدّثنى أبو صالح الفَزارىّ أن القاسم بن جُنْدَبٍ الفزارىّ ، وكان عالما ، قال لابن مَيّادة : والله لو أصلحتَ شعرَك لذُكِرتَ به ، فإنى لأراه كثيرَ السَّقَط[١] ؛ فقال له ابن ميادة : يا بنَ جُنْدَبٍ ، إنما الشعر كنَبْلٍ فى جَفِيرك[٢] ترمى به الغرضَ ، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ[٣] وقاصد .

٩٢
٢

كان فى أيام هشام وبقى إلى خلافة المنصور

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال : كان ابن مَيّادة حديثَ العهد لم يُدرِك زمان قُتَيبة بن مُسْلِم ، ولا دخل فيمن عَناه حين قال : «أشعرُ قيسٍ الملقَّبون من بنى عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غَطَفان » ، ولكنه شاعر مُجِيدٌ كان فى أيام هِشام بن عبد الملك وبقى إلى زمن المنصور .

مدح بنى أمية وبنى هاشم

أخبرنا يحيى بن علىّ قال : كان ابن مَيّادة فصيحاً يُحتَجُّ بشعره ، وقد مدح بنى أمية وبنى هاشم : مدح من بنى أمية الوليدَ بن يَزِيد وعبدَ الواحد بنَ سليمان ، ومدح من بنى هاشم المنصورَ وجعفرَ بن سليمان .

علم أنه شاعر حين وافق الحطيئة فى بيت قاله

وأخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعِىّ قال حدّثنا الرِّيَاشِىّ عن الأصمعىّ قال أخبرنى طَمَّاحُ ابن أخى الرَّمَّاح بن مَيّادة قال :

(١) فى ط : « والله لقد جددت بشعرك وذكرت به وإنى لأراه كثير السقط » . والمجدود : المحظوظ المبخوت .

(٢) الجفير : ما توضع فيه السهام ، وفى مع : « جعبتك » .

(٣) كذا فى أغلب النسخ ، والعاصد : الملتوى الذى لا يصيب الهدف . وفى ط : « وقاصد وقاصر » .

قال لى عمّى الرّمّاح : ما علمتُ أنّى شاعرٌ حتى واطأتُ[(١)] الحطيئة ، فإنه قال :

عفا مُسْحُلانُ من سُلَيْمى فحامِرُهْ تَمَشَّى به ظُلْمانُه وجآذِرُهْ

فوالله ما سمعتُه ولا رويتُه فواطأته بطبعى فقلتُ :

فذو العُشّ[(٢)] والممدورُ[(٣)] أصبحَ قاوِياً[(٤)] تَمَشَّى به ظُلْمانُهُ وجآذِرُهْ

فلما أنشدتُها قيل لى : قد قال الحطيئة :

* تَمَشَّى به ظلمانه وجآذره *

فعلمتُ أنى شاعرٌ حينئذ .

كان ينسب بأم جحدر وشعره فيها

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى موسى بن زُهَير بن مُضَرِّس قال : كان الرَّمّاح بن أبْرَد المعروف بابن مَيّادة يَنْسُبُ بأمّ جَحْدَر بنت حَسّان المُرِّيّة إحدى نساء بنى جَذِيمَة ، فحلف أبوها ليُخرجنّها إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوّجها بنجد ؛ فقَدِمَ عليه رجلٌ من الشأم فزوّجه إياها ؛ فلقِىَ عليها ابنُ مَيّادة شدّة ، فرأيتُه وما لَقِىَ عليها ، فأتاها نساؤها يَنْظُرْنَ إليها عند خروج الشامىّ بها .

قال : فوالله ماذَكَرْنَ منها جمالا بارعاً ولا حُسْنا مشهورا ، ولكنّها كانت أكسبَ الناس لِعَجَب . فلمّا خرج بها زَوْجُها إلى بلاده اندفع ابن ميّادة يقول :

---

(١) أى وافقته .

(٢) ذو العش ، ذكر ياقوت فى معجم البلدان : أنه من أودية العقيق بنواحى المدينة . وذكر البكرى فى معجم ما استعجم ص ٦٨٤ : أنه موضع ببلاد بنى مرة دون حرة النار بليلة ، وأنشد عليه قول ابن ميادة :

فلم تر عينى مربعا بعد مربع بذى العش لو كان النعيم يدوم

(٣) الممدور : موضع فى ديار غطفان .

(٤) قاويا : مقفرا خاليا .

أَلاَ ليتَ شِعْرِى هل إلى أُمّ جَحْدَرٍ … سبيلٌ فأما الصبرُ عنها فلا صَبْرا

إذا نزلتْ بُصْرَى تراخَى مَزارُها … وأغلقَ بَوّابانِ مِن دُونها قَصْرا

فهل تأتينِّى الريحُ تَدْرُجُ مَوْهِناً … بريّاكِ تَعْرَوْرِى[1] بها جَرَعاً عُفْرا

قال الزبير : وزادنى عمّى مُصْعَب فيها :

فلو كان نَذْرٌ مُدْنِياً أمّ جَحْدَرٍ … إلىّ لقد أَوْجَبْتُ فى عُنُقِى نَذْرا

ألا لا تَلُطِّى[2] السِّتْرَ يا أمّ جَحْدَرٍ … كَفَى بذُرَا الأعلام مِن دُوننا سِتْرا

لَعمرِى لئن أَمْسَيْتِ يا أمّ جَحْدَرٍ … نأيتِ لقد أبليتُ فى طلبٍ عُذْرا

فَبَهْرًا لقومى إذ يبيعون مُهْجَتِى … بغانيــــةٍ[3] بَهْرًا لهم بعدَها بَهْرا

قال الزبير : بَهْرًا هاهنا : يدعو عليهم أن ينزل بهم من الأمور ما يَبْهَرُهم، كما تقول: جَدْعاً وعَقْرا . وفى أوّل هذه القصيدة — على مارواه يحيى بن علىّ عن حمّاد بن إسحاق

٩٣/٢ عن أبيه عن حُمَيد بن الحارث — يقول :

ألا لا تَعُدْ لى لَوْعَةٌ مثلُ لَوْعَتِى … عليكِ بأَدْمَى والهوى يَرْجِعُ الذِّكْرا

عَشِيَّةَ أَلْوِى بالرِّداء على الحَشا … كأنّ رِدائِى مُشْعَلٌ دونَه جَمْرا

---

(١) كذا فى د ، ا . وتعرورى : تركب، يقال : اعرورى الفرس أو البعير أى ركبه عريا، واستعاره تأبط شرا للهلكة فقال :

يظل بموماة ويمسى بغيرها … جحيشا ويعرورى ظهور المهالك

ويقال : اعرورى منى أمرا قبيحا أى ركبه . ولم يجئ فى الكلام افعوعل متعديا إلا اعروريت واحلوليت المكان إذا استحليته . وفى باقى النسخ : «تعرونى» وهو تحريف . وجرع (بالتحريك) : جمع جرعة (بالتحريك أيضا) ، وهى الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، وقيل : الرملة السهلة المستوية .

(٢) كذا فى د ، ولا تلطى : لاترخى ، يقال : لطّ الستر إذا أرخاه وسدله . وفى باقى النسخ : «لاتلظى» بالظاء المعجمة ، وهو تحريف .

(٣) فى م ، ا : «بجارية» . وفى رواية اللسان (مادتى «بهر» و«فقد») : «تفاقد قومى ... بجارية ....» ، ومعنى تفاقد : فقد بعضهم بعضاً .

تزوّج أم جحدر وما قاله ابن ميادة فى ذلك

قال حُمَيد بن الحارث : وأمّ جَحْدَرٍ امرأة من بنى رَحْل بن ظالم بن جَذِيمة بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة .

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء عن الزبير عن موهوب(١) بن رشيد عن جبر(٢) بن رباط النَّعامىّ : أن أمّ جَحْدَرٍ كانت امرأة من بنى مُرّة ثم من بنى رَحْل ، وأنّ أباها بلغه مصيرُ ابنِ ميّادة إليها ، فخاف ليزوِّجنّها رجلا من غير ذلك البلد ، فزوّجها رجلا من أهل الشأم فاهتداها(٣) وخرج بها إلى الشأم ، فتبعها ابنُ ميّادة ، حتى أدركه أهلُ بيته فردّوه مُصْمِتاً(٤) لايتكلم من الوَجْد بها ؛ فقال قصيدة أوّلها :

خَليلىّ من أبْناء(٥) عُــذْرَةَ بَلِّغا رسائِــلَ منّا لا تَزِيدكما وِقْرا(٦)
أَلِمّـا على تَيْماءَ نَسْأَلْ يَهُودَها فإنّ لدى تيماءَ من رَكْبها خُبْرا(٧)
وبالغَمْرِ قــد جازتْ وجازَ مَطِيُّها عليه فسَلْ عن ذاكَ نَيَّانَ(٨) فالغَمْرا
ويا ليتَ شِعْرى هل يَحُلَّنّ أهلُها وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطْنِ اللِّوَى خُضْرا !

قصة عشقه لها

أخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنى أبو سَعيد — يعنى عبد الله بن شَبيب —

(١) كذا ورد هذا الاسم هنا فى جميع النسخ وقد تقدم قريبا باسم «مرهوب بن سيد» . انظر الحاشية رقم ٥ ص ٢٦٧ من هذا الجزء .
(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى د ، ط : «جزء» .
(٣) كذا فى ط . واهتدى الرجل امرأته إذا جمعها وضمها إليه ، من هداء العروس وهو زفها إلى زوجها. وفى سائر النسخ : «فأهداها» .
(٤) مصمتا : صامتا .
(٥) كذا فى ا ، م . وفى سائر النسخ : « أفناء » وهو تحريف .
(٦) الوقر (بالكسر) : الثقل يحمل على الظهر .
(٧) الخبر (بالضم والكسر) : العلم بالشىء .
(٨) نيان والغمر : موضعان ببادية الشأم قرب تيماء . وقد روى ياقوت فى معجمه بيت ابن ميادة هكذا :
وبالغمر قد جازت وجاز حمولها فسقّ الغوادى بطن نيان فالغمرا

قال حدّثني أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله ابن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرِّياحِيّ العُذْرِيّ قال حدّثني عمر بن وَهْب العَبْسِيّ قال حدّثني زياد بن عثمان الغَطَفانيّ من بني عبد الله بن غَطَفان قال : كنّا بباب بعضِ وُلاة المدينة فغَرِضْنا[1] من طُول الثَّواء ، فإذا أعرابيّ يقول :

يا مَعْشَرَ العرب ، أما منكم رجلٌ يأتيني أعلّه إذ غَرِضْنا من هذا المكان فأُخبره عن أمّ جَحْدَر وعنّي ؟ فجئتُ إليه فقلتُ : مَن أنت ؟ قال : أنا الرَّمّاحُ بنُ أَبْرَد ، قلت : فأخبرني ببَدْء أمركما ؛ قال : كانت أمّ جَحْدَر من عَشِيرتي فأعجبتني ، وكانت بيني وبينها خُلّة . ثم إني عَتَبْتُ عليها في شيء بلغني عنها ، فأتيتها فقلتُ : يا أمّ جَحْدَر إنّ الوَصْل عليكِ مَرْدود ؛ فقالت : ما قَضَى اللهُ فهو خَيْر . فلبثتُ على تلك الحال سنة ، وذهبتْ بهم نُجْعَةٌ فتباعدوا ، واشتقتُ إليها شوقاً شديداً ، فقلتُ لامرأة أخٍ لي : والله لئن دَنَتْ دارُنا من أمّ جَحْدَر لآتينَّها ولأطلبنّ إليها أن تردّ الوَصْلَ بيني وبينها ، ولئن رَدَّته لا نَقَضْتُه أبدا ، ولم يكن يومان حتى رَجَعُوا ، فلمّا أصبحتُ غَدَوْتُ عليهم فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سَندٍ[2] أبرقَ طويلٍ ، وإذا امرأتان جالستان في كِساء واحدٍ بين البيتين ، فجئتُ فسلّمتُ ، فردّتْ إحداهما ولم تردّ الأخرى ، فقالت : ما جاء بك يارمّاح إلينا ؟ ما كنّا حَسِبنا إلاّ أنه قد انقطع ما بيننا وبينك ؛ فقلتُ : إني جعلتُ عليّ نَذْرًا لئن دَنَتْ بأمّ جَحْدَر دارٌ لآتينّها ولأطلبنّ منها أن تَرُدّ الوصلَ بيني وبينها ، ولئن هي فَعَلَتْ لا نَقَضْتُه أبداً ، وإذا التي تكلّمني امرأةُ أخيها ، وإذا الساكتة أمّ جَحْدَر ؛ فقالت امرأة أخيها : فادخُلْ مقَدَّم البيت فدخلتُ ، وجاءتْ فدَخَلَتْ من مُؤخَّره

---

(١) غرضنا : ضجرنا ، يقال : غرض منه غرضا فهو غرض إذا ضجر منه وقلق .

(٢) السند : ما ارتفع من الأرض من قبل الجبل أو الوادي ، وقيل : السند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح . والأبرق من الجبال : ما كان له لونان من سواد وبياض . وقال ابن الأعرابي : الأبرق : الجبل مخلوطا برمل . وفي نا : « الستر » .

٩٤/٢ فَدَنَتْ قليلا ، ثم إذا هى قد بَرَزَتْ ، فساعةَ بَرَزَتْ جاء غرابٌ فنَعَبَ على رأس الأَبْرَق فنظرتْ إليه وشَهقَتْ وتغيّر وجهها ؛ فقلتُ : ما شأنكِ ؟ قالتْ : لا شىءَ ؛ قلتُ : بالله إلاّ أَخْبَرْتِنِى ؛ قالت : أرى هذا الغرابَ يخبرنى أنّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلّا ببلد غير هذا البلد ؛ فتَقَبَّضَتْ نفسى ، ثم قلتُ : جاريةٌ والله ما هى فى بيت عِيافة[1] ولا قِيافة[2]، فأقمتُ عندها ، ثم تروّحتُ[3] إلى أهلى فمكثت عندهم يومين ، ثم أصبحتُ غاديا إليها ، فقالت لى امرأة أخيها : وَيْحَكَ يا رمّاح ! أينَ تذهب ؟ قلتُ . إليكم ؛ فقالت : وما تريدُ ؟ قد والله زُوِّجَتْ[4] أمْ جَحْدر البارحة ، فقلت : بمَنْ وَيْحكِ ؟ قالت : برجل من أهل الشأم من أهل بيتها ، جاءهم من الشأم فخطبها فزُوِّجَها وقد حُمِلَتْ إليه ، فمضيتُ إليهم فإذا هو قد ضرَب سُرَادقاتٍ ، فجلستُ إليه فأنشدتُه وحدّثته وعدتُ إليه أياما ، ثم إنه احتملها فذهب بها فقلتُ :

أجارتَنا إنَّ الخطوبَ تَنُوبُ ... علينا وبعضَ الآمنين تُصِيبُ
أجارَتَنا لَسْتُ الغَداةَ ببارحٍ ... ولكنْ مُقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ[5]
فإن تسألِينِى هل صَبَرْتَ فإننى ... صَبُورٌ على رَيْب الزمانِ صَلِيبُ

قال علىّ بن الحسين : هذه الأبيات الثلاثة أغارَ عليها ابنُ مَيَّادة فأخذها بأعيانها ، أما البيتان الأوّلان فهما لامرئ القيس قالها لَمّا احْتُضِر بأنْقِرَةَ فى بيتٍ واحد وهو :

(١) العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها . والمعروف بالعيافة من العرب بنو أسد وبنو لهب وهم حىّ من الأزد (انظر اللسان مادة عاف وشرح الشواهد الكبرى للعينى بهامش خزانة الأدب للبغدادى ص ١٥٩ ج ١) .

(٢) القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها . والقائف هو الذى يتتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأبيه وأخيه . والمعروف بالقيافة من العرب بنو مدلج قبيلة من كنانة .

(٣) تروحت : سرت .

(٤) يفصل بين قد والفعل بالقسم كقوله :

أخالد قد والله أوطأت عشوة ... وما قائل المعروف فينا يعنف

(٥) عسيب : اسم جبل بعالية نجد ، يقال : لا أفعل كذا ما أقام عسيب ، أى لا أفعله أبدا .

أجارتنا إن الخطوبَ تَنُوبُ وإنّى مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ

والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية ، وتمثل به أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى رسالة كتب بها إلى أخيه عَقِيل بن أبى طالب ، فنقله ابن مَيّادة نقلا . ونرجع إلى باقى شعر ابن ميّادة :

جرَى بانْبِتاتِ الحَبْلِ من أمّ جَحْدَرٍ ظباءٌ وطَـيرٌ بالفِـراق نَعُوبُ
نظرتُ فـلم أعْتَفْ وعافتْ فبيَّنَتْ لها الطـيرُ قبـلى واللبيبُ لبيبُ
فقالت : حرامٌ أن نُرى بعد هذه جميعَيْنِ إلا أنْ يُلِمَّ غريبُ
أجارتَنا صـبراً فيارُبَّ هالكٍ تَقَطَّعُ من وَجْـدٍ عليـه قلوبُ

رحل إلى الشأم لرؤيتها فردّته

قال : ثم انحدرْتُ فى طلبها ، وطَمِعتُ فى كلمتها : « إلاّ أن نجتمع فى بلد غير هذا البلد » . قال : فجئت فدُرْتُ الشأمَ زماناً فتلقّانى زوجُها فقال : مالك لا تغسِل ثيابَك هذه ! أرسلْ بها إلى الدار تُغْسَل ، فأرسلتُ بها ؛ ثم إنّى وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب ، فقالت أمُّ جَحْدر لجاريتها : إذا جاء فأعْلِمِينى ؛ فلما جئتُ إذا أمُّ جَحْدَرٍ وراءَ الباب فقالت : وَيْحَكَ يا رَمّاح ! قد كنتُ أحسَب أن لك عقلا ! أَمَا ترى أمراً قد حِيل دونه وطابت أنفسُنا عنه ؟ انصرفْ إلى عشيرتك فإنى أستحيى لك من هذا المُقام ؛ فانصرفتُ وأنا أقول :

صـوت

عسى إن حَجَجْنا أن نرى أمَّ جَحْدَرٍ ويجمَعَنا من نَخْلَتَيْن(١) طَرِيقُ
وتَصْطَكَّ أعضـادُ المَطِىِّ وبيننا حديثٌ مُسَرٌّ دونَ كلّ رَفيقِ(٢)

(١) النخلتان : واديان عن يمين بستان ابن عامر وشماله ، ويقال لهما النخلة اليمانية والنخلة الشامية .

(٢) فى هذين البيتين إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ . وقد نسب ياقوت فى اسم «نخلتين» من معجمه هذين البيتين إلى الفأفاء بن برْمة من بنى عوف بن عمرو بن كلاب الكلابى .

شعره فيها

٩٥ / ٢

فى هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثانى ذكر الهشامىّ أنه للحَجَبِىّ(1) .

وقال حينَ خرج إلى الشأم — هذه رواية ابن شَبيب(2) — .

ألا حيِّيا رَسْماً بذى العُشِّ(3) مُقْفِرا ... وربعاً بذى المَمْدُورِ(3) مستعجِماً قَفْرا
فأعجبُ دارٍ دارُها غيرَ أننى ... إذا ما أتيتُ الدار تَرْجِعُنى صِفْرا(4)
عشيةَ أُثْنِى بالرِّداء على الحَشَى ... كأنّ الحَشَى من دُونِه أُسْعِرَتْ جَمْرا(5)
يَميلُ بنا شَحْطُ النَّوَى ثم نلتقى ... عِدادَ الثُّرَيَّا(6) صادفتْ ليلةً بَدْرا
وبالغَمْرِ قد جازتْ وجاز مطيُّها ... فأسْقَى الغَوَادِى بَطْنَ نَيَّانَ فالغَمْرا
خَلِيلَىَّ(7) من غَيْظِ بن مُرَّةَ أَمَّا ... رسائلَ منى لا تَزِيدكُما وِقْرا

---

(1) كذا فى د . وهو الموافق لما تقدم فى ج ١ ص ١٩٣ من الأغانى طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ولما سيأتى فى ج ١٤ ص ١٧٥ أغانى بولاق . وفى سائر النسخ : « للحجنى » بالنون .

(2) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «ابن حبيب» ولم يتقدم لابن حبيب ذكر فى هذا السند وإنما الذى تقدم ذكره فى سند هذا الخبر فى صفحة ٢٧٩ هو عبد الله بن شبيب .

(3) انظر الكلام عليهما فى الحاشيتين ٢ و ٣ بصفحة ٢٧٧ من هذا الجزء .

(4) الصفر (مثلث الصاد) : الشىء الخالى ، يقال : بيت صفر من المتاع أى خال ، ورجل صفر اليدين أى ليس فيهما شىء . وهو مأخوذ من الصفير وهو الصوت الخالى عن الحروف .

(5) تقدم هذا البيت فى ص ٢٧٨ برواية أخرى غير هذه الرواية .

(6) العرب تقول : ما يأتينا فلان إلا عداد القمر الثريا وإلا قران القمر الثريا ، أى ما يأتينا فى السنة إلا مرة واحدة ، أنشد أبو الهيثم لأسيد بن الحلاحل :

إذا ما قارن القمر الثريا ... لثالثة فقد ذهب الشتاء

قال أبو الهيثم : وإنما يقارن القمر الثريا ليلة ثالثة من الهلال؛ وذلك أول الربيع وآخر الشتاء . وقيل هى ليلة فى كل شهر تلتقى فيها الثريا والقمر . وفى الصحاح : وذلك أن القمر ينزل الثريا فى كل شهر مرة .. قال ابن برّى : صوابه أن يقول : لأن القمر يقارن الثريا فى كل سنة مرة وذلك فى خمسة أيام من آذار . قال ابن منظور : رأيت بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان : هذا الذى استدركه الشيخ على الجوهرى لا يرد عليه لأنه قال : إن القمر ينزل الثريا فى كل شهر مرة ، وهذا كلام صحيح لأن القمر يقطع الفلك فى كل شهر مرة ويكون كل ليلة فى منزلة ، والثريا من جملة المنازل ، فيكون القمر فيها فى الشهر مرة .

(7) تقدمت رواية هذا البيت فى ص ٢٧٩ : « خليلى من أبناء عذرة » .

ألا ليت شعرى هل إلى أمِّ جَحْدرٍ سَبِيلٌ(١) ، فأما الصبرُ عنها فلا صَبْرا
فإن يَكُ نَذْرٌ راجعاً أمَّ جَحْـدَرٍ علىّ لقد أوْذَمتُ(٢) فى عُنُقى نَذْرا
وإنى لأَستنشى(٣) الحديثَ من أجْلِها لأسمعَ منها(٤) وهى نازحةٌ ذِكْرا
وإنى لأستحيِى من الله أن أرَى إذا غـدَر الخُلاَّنُ أنوِى لها غَدْرا

أخبرنى محمد بن مَزيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال أنشدنى أبو داود لابن مَيَّادة وهو يضحك منذُ أنشدنى إلى أن سكت :

ألم تَرَ أنّ الصـارِدِيّةَ(٥) جاورتْ ليـالىَ بالمَمْدورغـيرَ كَثِيرِ
ثلاثاً فلمّا أن أصـابتْ فـؤادَه بسَهْمَيْن من كُحْلٍ دعتْ بهَجِـيرِ
بأَصْهَبَ(٦) يَرْمِى للزِّمام برأسِـه كأنّ على ذِفْراه(٧) نَضْـخَ(٨) عَبيرِ
جلتْ إذ جلت عن أهل نجدٍ حميدةً جَـلاءَ غَنِيٍّ لا جـلاءَ فقـيرِ
وقالت وما زادتْ على أن تبسّمتْ عَذِيرَكَ(٩) مِن ذى شَيْبةٍ وعَذِيرى

(١) كذا فى حـ ، ا ، م . وفى باقى النسخ : «رسيل» ، والرسيل : الرسالة كما روى عن ثعلب .
(٢) أوذمت : أوجبت ، يقال : أوذم على نفسه حجا أو سفرا أى أوجبه .
(٣) أستنشى الحديث : أتعرّفه وأبحث عنه ، ومنه المستنشية للكاهنة ، لأنها كانت تستنشى الأخبار أى تبحث عنها .
(٤) كذا فى جميع الأصول ولعله : «عنها» .
(٥) الصاردية : نسبة إلى بنى صارد وهم حىّ من بنى مرّة بن عوف بن غطفان ، ومنهم الشاعر حنش ابن قراد الصاردى .
(٦) الصهبة فى لون الإبل : أن يعلو الشعر حمرة وأصوله سود فإذا دهن خيل إليك أنه أسود . وقيل : هى أن يحمرّ الشعر كله .
(٧) الذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن .
(٨) يقال نضخت الثوب نضخاً (من بابى ضرب ونفع) إذا بلته ، كالنضح بالحاء . وقد اختلف فى أيهما أكثر ، والأكثر أن النضخ بالمعجمة أقل من النضح بالمهملة . وفرق الأصمعى بينهما فقال فى النضخ : إنه لايتصرف فلا يرد منه فعل ولا فاعل ؛ فلا يقال : أصابنى نضخ من كذا .
(٩) يقال : عذيرك من فلان بالنصب ، أى هات من يعذرك منه إذا جازيته بصنعه .

عَدِمتُ الهوى ما يَبرَحُ الدهرَ مُقْصِدًا[1] ... لقلبى بسَهْمٍ فى اليــــدين طَرِيرِ[2]
وقـد كان قلبى مات للوَجْد مَوْتةً ... فقـــد هَمَّ قلبى بعـــدَها بنُشُورِ

قلت لأبى داود : ما أضحكك ؟ فقال : كذب ابنُ مَيَّادة ، والله ما جَلَتْ إلاّ على حمار وهو يذكر بعيرا ويَصِفُه وأنها جَلَتْ جلاءَ غنىّ لا جلاءَ فقير ، فأنطقه الشيطان بهذا كلِّه كما سمعت .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال حدّثنى موسى بن زُهَير قال : مكثتْ أمُّ جَحْدر عند زوجها زمانا ثم مات زوجُها عنها ، ومات ولدُها منه ، فقدِمتْ نجدا على إخوتها وقد مات أبوها .

قصّ على سيار خبره معها آخر عهده بها حتى تزوّجت

أخبرنى سَيَّار بن نجيح[3] المُزَنىّ قال : لقيتُ ابن مَيَّادة وهو يبكى فقلت له: وَيْحَكَ! مالك ؟ قال : أخرجتْنى أمُّ جحدر وآلتْ يمينا ألاّ تكلِّمنى ، فانطلِقْ فاشفع لى عندها ؛ فخرجتُ حتى غَشِيتُ رِواقَ بيتها فوجدتُها وهى تَدْمُك[4] جريرا لها بين الصَّلاية[5] والمُدُقّ ؛ تريد أن تَخْطِم به بعيرا تحجُّ عليه ؛ فقالت : إن كنت جئت شفيعاً لابن مَيَّادة فبيتى حرامٌ عليك من الله أن تُلْقِىَ فيه قدمَك . قال فخرجْتُ ، ولا والله ما كلّمَتْه ولا رآها ولا رأته .

قال موسى قال سَيَّار : فقلت له : اذكُرْ لى يوماً رأيتَه منها ؛ فقال لى : أمَا والله لأخبرنَّك يا سَيَّار بذلك : بعثتُ إليها عجوزاً منهم فقلتُ : هل تَرَيْنَ من رجال ؟ فقالت : لا والله ، ما رأيتُ من رجل ؛ فألقيتُ رَحْلِى على ناقتى ثم أرسلتُها حتى أنختُها

(١) مقصداً : مصيباً قاتلا ، تقول : أقصدت الرجل إذا رميته أو طعنته بسهم فلم تخطئ مقاتله . وفى ط : « موفقاً » ، يقال : أوفق السهم وبالسهم إيفاقاً : وضع الفوق فى الوتر ليرمى كأنه مقلوب أفوق ، ولا يقال : أفوق على الأصل إلا نادراً . وفى ا ، م : « موشقاً » يقال: أوشق الشىء فى الشىء إذا نشب فيه .
(٢) السهم الطرير : المحدّد .
(٣) لم نعثر فيه على ضبط خاص . وقد سمى بنجيح كزبير وكأمير .
(٤) تدمك : ترقق وتلين . والجرير : حبل من أدم ملين يخطم به البعير .
(٥) الصلاية : كل حجر عريض يدق عليه عطر أو حنظل .

٩٦/٢ بين أطناب بيتهم ؛ ثم جعلتُ أقيّد الناقة ، فما كان إلا ذاكَ حتى دخلتُ وقد أُلقتْ لى فراشاً مرقوماً[١] مطموما[٢] ، وطرحتْ لى وسادتين على عَجُز الفراش وأخريين على مقدَّمه ؛ قال : ثم تحدثنا ساعة وكأنما تُلْعِقُنِي بحديثها الرُّبَّ[٣] من حلاوته ، ثم إذا هى تَصُبُّ فى عُسٍّ[٤] مخضوبٍ بالحِنّاء والزعفران من ألبان اللِّقاح ، فأخذتُ منها ذلك العُسَّ وكأنه قناةٌ فراوحتُه بين يدىّ ، ما ألقمتُه فِى ولا دَرَيْتُ أنه معى حتى قالت لى عجوز : ألا تصلِّى يا بن ميادة لاصلَّى الله عليك فقد أظلَّك صَدْرُ النهار[٥] ؟ ولا أحسَب إلا أننى فى أول البُكْرة ؛ قال : فكان ذلك اليومُ آخرَ يوم كلَّمتُها فيه حتى زوّجها أبوها ، وهو أظرف[٦] ما كان بينى وبينها .

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى حَـكَم[٧] بن طَلْحة الفَزارِىّ ، ثم المَنْظُورِىّ قال :

قال ابن مَيّادَة : إنى لأعلم أقصرَ يوم مرّ بى من الدهر ، قيل له : وأىُّ يوم هو يا أبا الشَّرَحْبِيل ؟ قال : يومٌ جئتُ فيه أمّ جَحْدرٍ با كراً فجلستُ بفِناء بيتها فدعتْ لى بعُسٍّ من لبن فأُتيتُ به وهى تحدّثنى ، فوضعتُه على يدى وكرهتُ أن أقطع حديثَها إن شربتُ ، فما زال القدح على راحتى وأنا أنظر إليها حتى فاتتْنى صلاةُ الظهر[٨] وما شربتُ .

---

(١) هذه الكلمة سقطت من ط .

(٢) كذا فى جميع الأصول ولعله محرف عن « منضودا » أو نحو ذلك .

(٣) الربّ بالضم : دبس الرطب إذا طبخ . وفى حـ ، مع ، نا ، رس : « وكأنما تلعقنى الزبد » .

(٤) العسّ : القدح الضخم يروى الثلاثة والأربعة والعدّة . وفى الحديث أنه « كان يغتسل فى عس حزر ثمانية أرطال أو تسعة » .

(٥) كذا فى س ، م ، ا . وفى سائر النسخ : « الرجال » وهو تحريف .

(٦) فى د ، ط ، رس ، مع ، نا : « أطرف » بالطاء المهملة .

(٧) فى حـ ، رس ، مع ، نا : « حكيم » ، ولم نعثر على ترجيح إحدى الروايتين .

(٨) فى د ، ط : « حتى فاتتنى الأولى وماشربت » . والأولى هى صلاة الظهر . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الهجير التى تدعونها الأولى حين تدحض الشمس ، وفسرها القسطلانى فى ج ١ ص ٦٢٠ بصلاة الظهر ، وقال : لأنها أول صلاة فى إمامة جبريل عليه السلام .

قال الزبير : وحدّثنى أبو مسلمة[1] موهوب بن رَشيد بمثل هذا ، وزاد فى خبره : وقال ابن مَيّادة فيها أيضاً :

ألم تر أن الصارِديّةَ جاورتْ ... ليالىَ بالمَنْدُور غيرَ كثيرِ
ثلاثاً فلما أن أصابتْ فؤادَه ... بسهمَيْن من كُحْلٍ[2] دعتْ بهَجِيرِ
بأحْمَرَ[3] ذَيَّالِ العَسِيبِ مفرَّجٍ[4] ... كأنّ على ذِفْراه نَضْخَ عَبِيرِ
حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... زَفِيفَ القَطَا يقطَعْنَ بطنَ هَبِيرِ[5]
لقد كاد حبُّ الصارِديّةِ بعد ما ... علا فى سَوَادِ الرأسِ نَبْذُ قَتِيرِ[6]
يكون سَفاهًا أو يكونُ ضمانة[7] ... على ما مضى من نعمةٍ وعُصُورِ
عدِمتُ الهوى لا يَبْرَحُ الدهرَ مُقْصِدًا ... لقلبى بسهمٍ فى الفؤاد طَرِيرِ
وقد كان قلبى مات للحبّ موتةً ... فقد هَمَّ قلبى بعدها بنُشُورِ
جَلَتْ إذ جلت عن أهلِ نَجْدٍ حميدةً ... جلاءَ غَنِىٍّ لا جلاءَ فقيرِ

ومما يغنَّى فيه من أشعار ابن مَيّادة فى النَّسِيب بأمّ جَحْدَرٍ قوله :

---

(١) كذا فى ط وهو الموافق لما تقدم باتفاق الأصول . وفى سائر النسخ : « أبو سلمة » .
(٢) كذا روى فيما تقدم ص٢٨٤ وفى أغلب الأصول « لغب » بالغين المعجمة ولم يظهر له معنى مناسب . وفى د ، نا ، مع : « من لعب » بالعين المهملة .
(٣) تقدم هذا البيت قريباً فى (ص ٢٨٤) برواية أخرى .
(٤) الذيال : طويل الذيل . والعسيب : عظم الذنب ، وقيل منبت الشعر منه . والمفرج : ما بان مرفقه عن إبطه : قال الشاعر :

متوسدين زمام كل نجيبة ... ومفرّج عرق المقذّ منوّق

(٥) الهبير : رمل زرود فى طريق مكة .
(٦) القتير : المشيب . وأصل القتير رءوس مسامير حلق الدروع تلوح فيها ، شبه بها الشيب إذا نقب فى سواد الشعر . ونبذ القتير : الشىء القليل منه ، يقال : فى اللحية نبذ من شيب ، أى قليل .
(٧) الضمانة : البلاء .

صــوت

أَلَا يا لَقَوْمِى لِلهوى والتذكُّرِ وعينٍ قَذَى إنسانِها أمُّ جَحْدَرِ(١)
فلم تَرعينِى مثلَ قلبِىَ لم يَطِرْ ولا كضلوعٍ فوقَه لم تَكَسَّرِ

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

جاء سيار فى حمالة فرأى جاريته وسمع شعره فيها

أخبرنا الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حدّثنا حَكِيم(٢) ابن طَلْحة الفَزارىّ عن رجل من كَلْبٍ قال :

جنَيْتُ جنايةً فغرِمْتُ فيها ، فنهضتُ إلى أخوالى بنى مُرّة فاستعنتُهم فأعانُونى ، فأتيتُ سَيَّار بن نجيح أحدَ بنى سَلْمَى بنِ ظالم فأعاننى ، ثم قال : انهضْ بنا إلى الرَّمَّاح ابن أَبْرَدَ — يعنى ابنَ مَيَّادةَ — حتى يُعِينَك ، فدَفَعْنا(٣) إلى بيتين له ، فسألنا عنه فقيل : ذهَب أمسِ ؛ فقال سَيَّار : ذهب الى أَمَة(٤) لبنى سُهَيْل ، فخرجْنا فى طلبه
٩٧/٢ فوقعْنا(٥) عليه فى قَرَارة(٦) بيضاء بين حَرَّتين ، وفى القَرارة غَنَمٌ من الضأنِ سُودٌ وبيضٌ ، وإذا حمارٌ مقيَّد مع الغنم وإذا به معها ، فجاسْنا فإذا شابَّةٌ حلوة صفراء فى دُرَّاعة مُوَرَّسَة(٧) ، فسلَّمنا وجلسنا ؛ فقال : أَنْشِدِيهم مما قلتُ فيكِ شيئا ؛ فأنشدتْنا :

يُمَنُّونَنِى منكِ اللقــاء وإننى لأعلَمُ لا ألقاكِ من دونِ قابِلِ

---

(١) لعل المراد أن أم جحدر سبب جريان دموعه كما أن القذى يقع فى العين فتسيل دموعها .
(٢) كذا فى أغلب الأصول « حكيم » بالياء . وفى ا ، م : « حكم » ولم نعثر على ترجيح إحدى الروايتين . وقد تقدم قريباً باسم حكم فى أغلب النسخ .
(٣) دفع إلى كذا : انتهى إليه .
(٤) كذا فى ا ، م ، د . وفى ط ، مع ، نا ، رس : « أمة بنى سهيل » بالإضافة . وفى باقى النسخ : « أمه » بالهاء وهو تحريف . وسياق الحكاية بعد يدل على ذلك .
(٥) فى ا ، م ، د : ط ، مع : « فوقفنا » بالفاء .
(٦) القرارة : المطمئن من الأرض . وقال أبو حنيفة : القرارة : كل مطمئن اندفع إليه الماء فاستقر فيه .
(٧) مورّسة : مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر يكون باليمن .

إلى ذاكَ ما حارتْ أمورُكِ وانجلتْ ... غَيَايةُ(١) حُبِّيكِ انجلاءَ المَخايِلِ(٢)
إذا حَلَّ أهلى بالجِناب(٣) وأهلُها ... بحيث التقَى الغُلَّانُ(٤) من ذى أرايِلِ(٥)
أقلْ خُلَّةٌ بانتْ وأدْبر وصلُها ... تقطَّع منها باقياتُ الحبائلِ(٦)
وحالتْ شهورُ الصيفِ بينى وبينها ... ورفْعُ الأعادِى كلَّ حقٍّ وباطلِ
أقولُ لعَذَّالَىَّ لما تقَابَلا ... علىَّ بلَوْمٍ مثلِ طعنِ المَعابِلِ(٧)
لا تُكْثِرنْ(٨) عنها السؤالَ فإنها ... مُصَلْصِلَةٌ(٩) من بعض تلك الصَّلاصِلِ(١٠)
من الصُّفْرِ لا وَرْهاءُ(١١) سَمْجٌ(١٢) دَلالُها ... وليستْ من السُّودِ القِصارِ الحَوائِلِ(١٣)
ولكنّها ريحانةٌ طاب نَشْرُها ... وردتُ عليها بالضُّحَى والأصائِلِ

(١) الغياية : كل ما أظلك من سحاب أو غبرة أو نحوهما . وفى الأصول : « غيابة » .

(٢) المخايل : جمع مخيلة وهى السحابة التى إذا رأيتها حسبتها ماطرة .

(٣) الجناب بكسر الجيم : أرض لغطفان كما نقل أبو حاتم عن الأصمعى ، وقيل أرض بين فزارة وكلب ، وقيل أرض لفزارة وعذرة . ويدل على أن لعذرة فيه شركة قول جميل لبثينة : ما رأيت عبد الله ابن عمر بن عثمان يمرّ على البلاط إلا غرت عليك وأنت بالجناب . وكان عبد الله هذا فائق الجمال .

(٤) الغلان بالضم : منابت الطلح ، وهى أودية غامضة فى الأرض ذات شجر واحدها غال وغليل .

(٥) كذا فى ب . وفى س ، حـ : « أرايل » بالياء من غير همز . وفى ا ، م ، ط : « أذابل » بالباء الموحدة ، ولم نجد فى معجم ياقوت ولا معجم ما استعجم للبكرى ولا فى كتب اللغة التى بين أيدينا موضعاً يسمى بشىء مما جاء فى هذه الأصول .

(٦) فى نا : « نأت » ، وفى رس ، نا : « باقيات الوسائل »

(٧) كذا فى ط ، والمعابل جمع معبلة ، والمعبلة : نصل طويل عريض ، وفى باقى الأصول : «المعاول» .

(٨) كذا فى د ، ط . وفى ا ، م : «فلا تكثرن» وفى سائر النسخ «ألا تكثرا » . وفى نا : «فلا تكثرا» .

(٩) مصلصلة : مصوتة .

(١٠) قال الليث : الصلصل : طائر تسميه العجم الفاختة ، ويقال : بل هو الذى يشبهها . وقال الأزهرى : الصلصلة والعكرمة والسعدانة : الحمامة .

(١١) ورهاء : خرقاء بالعمل ، من الورد وهو الحمق .

(١٢) السمج : الذى لا ملاحة فيه . وفى مع ، نا ، رس : « سمح دلالها » .

(١٣) الحوائل : جمع حائلة وهى المتغيرة اللون ، يقال : رجل حائل اللون إذا كان أسود متغيراً وحال لونه أى اسودّ .

ثم قال لها : قُومِى فاطْرَحِى [عنك](١) دُرّاعتك ، فقالت : لا حتى يقولَ لى سَيَّار بن نجيح ذلك ، فأبى سَيَّار ؛ فقال له ابن ميادة : لئن لم تفعل لا قضيتُ حاجتكما ، فقال لها فقامت فطرحتْها ، فما رأيتُ أحلى منها . فقال له سَيّار : فما لك يا أبا الشُّرَحْبِيل لا تشتريها ؟ فقال : إذاً يفسُد حبُّها .

ابن ميادة وصخر ابن الجعد الخضرى

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثتنى مُغِيرةُ بنتُ أبى عَدِىّ بن عبد الجَبّار ابن مَنْظُور بن زَبّان (٢) بن سَيّار الفَزَارِيّة قالت أخبرنى أبى قال :

جمعنى وابنَ مَيّادة وصَخْرَ بن الجَعْد الُخضْرِىّ مجلسٌ ، فأنشدنا ابن مَيّادة قولَه :

يُمَنُّونَنِى منكِ اللقاء وإننى لأَعلَمُ لا ألقاكِ من دون قابِلِ

فأقبل عليه صخر فقال له : المحبّ المُكِبُّ يرجو القائتَ ويَغُمُّ(٣) الطيرَ ، وأراك حسَنَ العَزاء يا أبا الشُّرَحْبِيل ؛ فأعرض عنه ابنُ مَيّادة . قال ابو عَدِىّ فقلت :

صادَف دَرْءُ(٤) السَّيْلِ سيلاً يَرْدَعُهْ بهَضْبةٍ تَرُدُّه وتدفَعُهْ

— ويروى : دَرْءُ(٥) السيل سيلٌ — فقال لى(٦) : يا أبا عدىّ ، والله لا أتلطّخ بالخُضْرِ مرّتين وقد قال أخو عُذرة :

---

(١) الزيادة عن ا ، م .

(٢) كذا فى شرح القاموس للسيد مرتضى مادة « نظر » وكتاب المعارف لابن قتيبة ص ٥٥ وفى ب ، ا ، ح : « زيان » وسيرد كذلك فى مواضع متعددة من كتاب الأغانى . وفى س : « ريان » . والظاهر أنهما تحريف .

(٣) فى جميع النسخ : « يعم » بالعين المهملة ، وهو تحريف (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٤٤ من الجزء الأول من الأغانى طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) .

(٤) كذا فى د ، يقال : درأ السيل درءاً إذا اندفع . وفى بقية الأصول : « دبر » والدبر : آخر الشىء . وقد جاء هذا البيت فى تاج العروس مادة « درأ » هكذا . :

صادف دره السيل سيل يدفعه بهضبة طورا وطورا يمنعه

(٥) كذا فى د . وفى ب : « ويروى درّ السيل فقال الخ » . وفى ا ، م : « ويروى درّ السيل سيل فقال الخ » .

(٦) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « له » .

هو العبدُ أقصى همِّه أن تسُبَّه وكان سِبابُ الحرِّ أقصى مدى العَبْدِ

قال الزبير : قوله يغم(١) الطير يقول : إذا رأى طيراً لم يزجُرْها مخافةَ أن يقع ما يكره . قال: فلم يُجِبْ إليه صَخْر بن الجَعْد جوابا . يعني بقوله : « لا أتلطخ بالخُضْر مرّتين » مُهاجاتَه الحَكَمَ الخُضْرِيّ ، وكانا تَهاجَيا زماناً ثم كفّ ابنُ مَيّادة وسأله الصلحَ فصالحه الحكَمُ .

ابن ميادة والحكم الخضرى وبدء تهاجيهما

اخبرني الحرمي(٢) بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدثني أبو مَسْلمةَ موهوبُ(٣) بن رَشِيد عن عبد الرحمن بن الأَحْول التغلَبيّ ثم الخَوْلانيّ قال :

كان أوّل ما بدأ الهجاء بين ابن مَيّادة وحكَمَ بن مَعْمر الخُضْريّ أن ابن مَيّادة مرّ بالحَكَم بن مَعْمر وهو يُنْشِد في مصلّى النبيّ صلى الله عليه وسلم في جماعة من الناس قولَه :

لمن الديارُ كأنّها لم تُعْمَرِ بين الكِناسِ(٤) وبين بُرْقِ(٥) مُحَجّرِ(٦) ٩٨/٢

حتى انتهى إلى قوله :

(١) انظر الحاشية ٣ بالصفحة السابقة .

(٢) كذا في ا ، م ، د ، وهو المعروف بالرواية عن الزبير بن بكار . وفي ب ، س ، حـ : « الحكم ابن أبي العلاء » وهو تحريف من النساخ .

(٣) كذا في أغلب النسخ . وفي حـ ، رس ، مع : « مرهوب » بالراء وقد تقدم هذا الاسم مراراً .

(٤) الكناس : موضع من بلاد غنيّ . قال جرير :

لمن الديار كأنها لم تحلل بين الكناس وبين طلح الأعزل

كذا في معجم ياقوت في اسم « الكناس » . وقال البكرى في معجم ما استعجم : هو موضع ينسب إليه رمل الكناس في بلاد عبدالله بن كلاب ، قاله ابن الأعرابيّ وأنشد للأعور بن براء من بني عبد الله بن كلاب :

رمتني وسرّ الله بيني وبينها عشية أحجار الكناس رميم

(٥) البُرَق بضم ففتح (وسكنت الراء هنا للضرورة) : جمع برقة وهي أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل . قال ابن شميل : الغالب على حجارتها البياض وفيها حجارة سود وحمر وترابها أبيض وأعفر وهو يبرق بلون حجارتها . ويحتمل أن يراد بالبرق واحده وهي البرقة ؛ فإن برقة قد يذكرها الشاعر بلفظ بُرْق . ولهذا الاستعمال شواهد كثيرة (انظرها في تاج العروس مادة برق) .

(٦) محجر (بكسر الجيم المشددة وروى بفتحها) : اسم لمواضع كثيرة ذكرها ياقوت في اسم المحجر .

يا صاحِبَىَّ ألم تَشِيما بارِقاً نُضِحَ الصُّرَادُ(١) بهِ فهَضْبُ المَنْحَرِ(٢)
قد بِتُّ أَرْقُبُه وبات مصعِّداً نَهْضَ المقيَّدِ فى الدَّهاسِ(٣) المُوقَرِ(٤)

فقال له ابن مَيّادة : ارفعْ إلىّ رأسَكَ أيها المنشِد ، فرفع حَكَم إليه رأسَه ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا حكم بن مَعْمَر الخُضْرِىّ ؛ قال : فوالله ما أنت فى بيتِ حسبٍ ، ولا فى أُرُومةِ شِعْرٍ ؛ فقال له حَكَم : وماذا عِبْتَ من شعرى ؟ قال : عِبْتُ أنك أَدْهستَ وأَوْقرتَ ؛ فقال له حكم : ومن أنت ؟ قال : أنا ابن مَيّادة ؛ قال : ويحك ! فلِمَ رَغِبتَ عن أبيك وانتسبتَ إلى أمك ؟ قبّح الله والدين خيرُهما مَيّادة ، أَمَا والله لو وجدتَ فى أبيك خيراً لما انتسبتَ إلى أمك راعيةِ الضأن . وأما إدْهاسِى وإيقارِى فإنى لم آتِ خَيْبَرَ إلّا مُمْتَاراً لا مُتَحامِلا(٥) ، وما عدوتَ أن حكيتَ حالَكَ وحالَ قومِك ، فلو كنتَ سكتَّ عن هذا لكان خيراً لك وأبقى عليك . فلم يفترقا إلا عن هِجاء .

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِىّ قال حدّثنى عُمَير بن ضَمْرة الخُضْرِىّ قال :

---

(١) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى فى اسم الصراد وقد ضبطه بضم أوله وتخفيف ثانيه وقال إنه موضع تلقاء يأجج ثم أنشد هذا البيت ، وقال بعد أن أنشده : هكذا نقلته من خط يعقوب : بضم الصاد ، ورواه القالى عن ابن عرفة بكسرها وأنشد للجعدى :

أسدية ترعى الصراد إذا صافت وتحضر جانبى شعر

فذكر أنها من منازل بنى أسد . وفى ب، س، حـ، ا، رس: «المزار» : وفى د، م، ط : « المزاد » .

(٢) هضب المنحر : هضاب حمر فى أرض بنى ثعلبة ذكرها البكرى فى معجم ما استعجم ص ٢٩٨ وأنشد عليها هذا البيت .

(٣) الدهاس : المكان السهل اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين لاينبت شجراً وتغيب فيه القوائم ويثقل فيه المشى . والموقر : المثقل وهو صفة للمقيد .

(٤) ورد هذا البيت فى معجم البكرى ص ٢٩٨ :

ركب السحاب وظل ينهض مصعدا نهض المعبد فى الدهاس الموقر

والمعبد : البعير المذلل .

(٥) يقال : تحامل أى تكلف الحمل بالأجرة ، ومنه الحديث : «كان إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فتحامل» ، أى تكلف الحمل بالأجرة ليكسب ما يتصدق به .

أوّلُ ما هاج الهجاء بين ابن مَيّادة وبين حَكَم بن مَعْمَر بن قَنْبَر بن جِحاش بن سَلَمة بن ثَعْلَبة بن مالِك بن طَرِيف بن مُحارِب — قال : والُخضْر ولد مالِك بن طَرِيف، سُمُّوا بذلك لأن مالكا كان شديد الأُدْمَة ، وكذلك خرج ولدُه فسُمُّوا الُخضْرَ — أن حَكَماً نزل بسُمَير[1] بن سَلَمة بن عَوْسَجَة بن أَنَس بن يَزِيدَ بنَ مُعاوية بن ساعِدَةَ بن عَمْرو وهو خُصَيلة بن مُرّة . فأقبل ابنُ مَيّادة إلى حَكَم ليَعْرِضَ عليه شعرَه وليسمعَ[2] من شعره ، وكان حَكَمَ أسنَّهما ، فأنشدا جميعاً جماعةَ القوم ، ثم قال ابن مَيّادة : والله لقد أعجبنى بيتان قلتَهما يا حَكَمُ ؛ قال : أو ما أعجبك من شعرى إلا بيتان ! فقال : والله لقد أعجبانى ، يردّد ذلك مراراً لا يزيده عليه ؛ فقال له حكم : فأىُّ بيتَيْن هما ؟ قال : حين تُساهِمُ بين ثوبيْها وتقول :

فو الله ما أدرى أَزِيدتْ مَلاحَةً وحُسنًا على النِّسوانِ أم ليس لى عقْلُ !
تَساهَم[3] ثوباها ففِى الدِّرعِ[4] غادَةٌ[5] وفى المِرْط لفّاوانِ[6] رِدْفُهما عَبْلُ

فقال له حَكَمَ : أوَ ما أعجبَك غير هذين البيتين؟ فقال له ابن مَيّادَة : قد أعجبانى، فقال : أو ما فى شعرى ما أعجبك غيرُهما ؟ فقال : لقد أعجبانى ؛ فقال له حَكَم : فإنى سوف أُعيب عليك قولك :

ولا برِح المَنْدور ريّان مُخْصِباً وجِيدَ[7] أعالِي شِعْبِه وأسافِلُهْ

(١) فى ا ، م : « شمير » بالشين المعجمة .
(٢) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « ليعرض عليه شعره أو يسمع الخ » .
(٣) تساهم ثوباها : تقارعا وتقاسما .
(٤) الدرع : الثوب الصغير تلبسه الجارية فى بيتها .
(٥) كذا فى أغلب النسخ ، والغادة : الفتاة الناعمة اللينة . وفى ط ، د ، حـ : « رأدة » والرأدة : الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء .
(٦) المرط : كساء يؤتزر به ، ولفاوان : تثنية لفّاء وهى الفخذ الضخمة .
(٧) جيد : سُقى مطراً جوداً أى غزيراً .

فاستسقيتَ لأعلاه وأسفلِه وتركتَ وسطَه وهو خير موضع فيه ؛ فقال : وأىَّ شىءٍ تريد ! تركتُه لا يزال ريّان مُخْصِباً . وتهاترا فغضِب حَكَم فارتحـل ناقته وهدَر[1] ثم قال :

* فإنّه يومُ قَرِيضٍ ورَجَزْ *

فقال رجل من بنى مُرّة لابن ميّادة : اهدِرْ كما هدَر يا رمّاح ، فقال : إنّما يَغِطّ[2] البـكْر . ثم قال الرَّمّاح :

فإنّه يومُ قَرِيضٍ ورَجـزْ مَن كان منكم ناكِزاً فقد نـكَزْ

* وبيّن الطِّرْفُ النّجيب فبَرَزْ *

قال الزُّبَيْر : يريد بقوله ناكزا : غائضا قد نزَف . قال الزُّبَيْر : وسمعتُ رجلا من

٩٩/٢ أهل البادية يَنْزِع على إبلٍ له كثيرة من قَليب ويرتجز :

قد نـكَزَتْ أنْ لم تـكن خَسِيفا[3] أو يكن البحرُ لهـا حَلِيفا

قال الزُّبَيْر قال الجُمَحىّ قال عُمَيْر بن ضَمْرَة[4] : فهذا أوّل ما هاج التهاجىَ بينهما . قال الزُّبَيْر قال الجُمَحِىّ : وحدّثنى عبدالرحمن بن ضَبْعان المُحارِبىّ ثم الخُضْرىّ قال : كان ابن ميّادة وحَكَم الخُضْرِىّ وعَمَلّس بن عَقِيل بن عُلَّفَة[5] مُتجاورِين مُتَحالِّين ، وكانوا جميعاً يتحدثون إلى أمّ جَحْدَر بنت حسّان المُرِّيّة ، وكانت أمّها

فضلت أم جحدر ابن ميادة على الحكم وعملس فهجواها

(١) هدر الفحل : صوّت فى غير شقشقة . وفى الصحاح : ردّد صوته فى حنجرته .
(٢) يغط : يهدر فى شقشقته . والبكر : الفتىّ من الإبل .
(٣) الخسيف : البئر التى تحفر فى الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة .
(٤) فى ح : «عميرة بن ضمرة» . وفى ا ، م ، د ، ط : «غيث بن ضمرة» .
(٥) كذا ورد فى القاموس (مادة علف) بضم العين وفتح اللام المشددة فى علفة هذا والد عقيل ، وعلفة والد المستورد الخارجى ، ولكن ابن الأثير فى تاريخه طبع ليدن ج ٣ ص ٣٥٣ قال فى ضبط علفة والد المستورد : إنه بضم العين المهملة وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء .

مَوْلاة ، فَفَضَّلت ابن ميَّادة على الحَكَم وعَمَلَّس فغَضِبا . وكان ابن مَيَّادة قال فى أم جَحْدَر :

أَلاَ ليت شِعْرِى هل إلى أمّ جَحْدَرٍ   سبيلٌ فأمّا الصَّبْرُ عنها فلا صَبرا
ويا ليت شِعْرى هل يَحُلَّنّ أهلُها   وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطن اللِّوَى خُضْرا

وقال فيها أيضاً :

إذا ركَدتْ شمسُ النهار ووضَّعَتْ[1]   طَنافِسَها ولَيَّنَها الأعْيُنَ الُخزْرا

الأبيات ؛ فقال عَمَلَّس بن عَقِيل وحَكَم الخُضْرِىّ يهجُوانها ـ وهى تُنسَب إلى حَكَم ـ :

لا عُوفِيتْ[2] فى قبرها أمّ جَحْدَرٍ   ولا لَقِيَتْ إلاَّ الكَلاليبَ[3] والجَمْرا
كما حادثتْ عبداً لئيماً وخِلْتهُ   مِن الزاد إلاّ حَشْوَ رَيْطاته صِفْرا
فياليتَ شِعْرِى هل رأتْ أمُّ جَحْدَرٍ   أ كُثَّكَ[4] أوذاقتمَغابنَك[5] القُشْرا[6]
وهل أبصرتْ أرْساغَ[7] أَبْرَدَ أو رأت   قفا أمّ رَمّاح إذا ما استقت[8] دَفْرا[9]

(١) وضعت طنافسها : نضدتها ونظمتها .

(٢) كذا فى ط وهذه الرواية وإن كان فيها خرم أظهر وأنسب بقوله : «ولا لقيت» بعده . وفى باقى الأصول «ألا عوقبت» .

(٣) الكلاليب : جمع كلوب وكلاب ، وهو هنا الحديدة المعطوفة كالخطاف .

(٤) لم نهتد إلى تحقيق هذه الكلمة ، وقد بحثنا عن هذا الشعر فى الأمالى والكامل والمفضليات وشرح الحماسة فلم نجده ، ولعلها «كثيثك» وهو الشعر الكثيف .

(٥) المغابن : الآباط والأرفاغ وهى بواطن الأفخاذ ، واحدها مغبن .

(٦) القشر : جمع أقشر وهو الشديد الحمرة أو الأبرص .

(٧) الأرساغ : جمع رسغ وهو مفصل ما بين الكف والذراع ، وقيل : مجتمع الساقين والقدمين ، وقيل : هو مفصل ما بين الساعد والكف والساق والقدم .

(٨) كذا فى جميع الأصول ولعلها محرفة عن : «اتقت» .

(٩) دفرا : دفعا ، يقال : دفرته فى قفاه دفرا أى دفعته .

وبالغَمْر قد صَرّت[١] لِقاحاً وحادثت[٢] عبيدا فَسَلْ عن ذاك نَيّانَ[٣] فالغَمْرا

وقال عَمَلَّس بن عَقِيل بن عُلَّفَة ويقال: بل قالها عُلَّفَة بن عَقِيل:

فلا تَضعا عنها الطنافسَ إنّما يُقَصِّر[٤] بالمِرْماة مَن لم يكن صَقْرا

وزاد يحيى بن علىّ مع هذا البيت عن حمّاد عن أبيه عن جرير[٥] بن رَبّاط وأبى داود قال: يُعرِّض بقوله: «مَن لم يكن صَقْرا» بابن مَيّادة أى إنه هَجِين ليس من أبوين متشابهَيْن كالصقر، وبعدَه بيت آخَرُ من رواية يحيى[٦] ولم يَرْوِه الزُّبَيْر معه:

مُنَعَّمةٌ لم تَلْقَ بؤساً وشِقْوةً بنجدٍ ولم يَكْشِف هجينٌ لها سِتْرا

قالوا جميعا: فقال ابن مَيّادة يهجو عُلَّفَة:

أعُلَّفَ إنّ الصقر ليس بمُدْلِجٍ ولكنّه بالليل مُتّخِذٌ وَكْرا

ومُفْتَرِشٌ بين الجَناحين سَلْحَه إذا الليل ألقَى فوق خُرْطومه كِسْرا[٧]

فإنْ يكُ صقرا بعد ليلة أمّه وليلة جَحّافٍ[٨] فأُفٍّ له صقرا

تَشُدّ بكفّيها على جِذْل أيْرِه إذا هى خافت من مَطِيّتها نَفْرا

(١) تقول: صررت الناقة أى شددت عليها الصرار وهو خيط يشد فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها.
(٢) فى ط: «وجاذبت» وهو تحريف.
(٣) كذا فى د. وفى ب، س، حـ: «زيان». وفى م: «تبيان» وانظر الحاشية رقم ٨ ص ٢٧٩ من هذا الجزء.
(٤) المرماة: سهم يتعلم به الرامى. وفى حـ: «بالموماة» وهى المفازة الواسعة.
(٥) فى د، ط: «جبر بن رباط» وقد تقدم هذا الاسم قريبا كذلك.
(٦) كذا فى أغلب النسخ. وفى س، ب، ط: «على بن يحيى» وقد تقدم فى أول السند «يحيى بن على» وفيما يأتى أيضا «يحيى بن على».
(٧) الكسر فى الأصل: الشقة السفلى من الخباء، ويراد هنا أن الليل غطاه وستره.
(٨) كذا فى ط وقد نص فى القاموس وشرحه على التسمية به. وفى سائر النسخ: «حجاف» بتقديم الحاء على الجيم ولم نعثر على أنه سمى به.

يريد أنّ أمّ عُلَّفَةَ من بنى أَنْمار ، وكان أبوه عَقِيلُ بن عُلَّفَةَ ضربها ، فأرسلت إلى رجل من بنى أنْمار يقال له جَحّاف ، فأتاها ليلا فاحتملها على جمل فذهب بها . وقال يحيى بن علىّ خاصّة فى خبره عن حَمّاد عن أبيه عن أبى داود : إن جَحّاف بن إياد كان رجلا من بنى قِتال بن يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرّة ، وكان يتحدث إلى امرأة عَقِيل بن عُلَّفة — وهى أمّ ابنه عُلَّفَة بن عَقِيل — ويُتَّهَمُ بها ، وهى امرأة من بنى أَنْمار بن[1] ١٠٠ / ٢ بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان يقال لها سُلافَةَ ، وكانت من أحسن الناس وجها ، وكان عَقِيل من أغْيَر الناس ، فربطها بين أربعة أوتاد ودهنها بإهالة[2] ، وجعلها فى قرية[3] نَمْل ، فمر بها جحّاف بن إياد ليلا فسمع أنينها ، فأتاها فاحتملها حتى طرحها بفَدَكَ ، فاستعدت واليها على عَقِيل . وقام عَقِيل من جوف الليل فأوقد عُشْوة[4] ونظرها فلم يجدها ووجد أثر جَحّاف فعرفه وتبعه حتى صَبّح القرية ، وخَنَسَ جَحّاف عنها ؛ فأتى الوالى فقال : إن هذه رأتنى قد كبرت [سِنِّى][5] وذهب بصرى فاجترأت علىّ ، وكان عَقِيل رجلا مَهِيبا فلم يعاقبه الوالى بما صنعه لمَوْضعه من صِهْر بنى مَرْوان . قال : فعيّر ابن مَيّادة عُلَّفَةَ بن عَقِيل بأمر جَحّاف هذا فى قوله :

فإنْ يكُ صقرا بعـــــد ليلة أمّه ... وليلة جَحّاف فأُفٌّ له صـــــقرا

قال : ولَجَّ[6] الهِجاء بينهما . وقال فيه ابن مَيّادة وفى حَكَم الخُضْرِىّ وقد عاون عُلَّفَةَ :

---

(١) فى ب ، س حـ : «بنى أنمار من بغيض» وهو تحريف ، لأن بغيضا ولد ذبيان وعبسا وأنمارا ، كما فى المعارف لابن قتيبة طبع أوروبا ص ٣٩ .

(٢) الإهالة : الشحم المذاب .

(٣) قرية النمل : ما يجمعه النمل من التراب .

(٤) العشوة (بالضم والكسر) : النار يستضاء بها ، قال أبو زيد : ابغونا عشوة أى نارا نستضىء بها .

(٥) الزيادة فى حـ . والذى فى سائر الأصول : « كبرت » .

(٦) لج : تمادى واستمر .

لقد ركِب الُخضْرِىُّ مِنّى وتِرْبُهُ على مَرْكَب من نابيات المَراكِبِ

وقال لعُلفَة :

يابنَ عَقِيل لا تكن كَذُوبا أأن شَرِبتَ الخزْرَ(١) والحَلِيبا

من شَوْل(٢) زيد وشَمَمْتَ الطِّيبا جَهْلاً تَجنّيتَ لِىَ الذنوبا

قال : ثم لم يُلْبِثْه ابنُ مَيّادة أن غلبه ، وهاج التهاجى بينه وبين حَكَم الُخضْرِىّ ، وانقطع عنه عُلَّفَة مفضوحا . قال : وماتت أمّ جَحْدَر التى كان يَنْسُب(٣) بها ابن مَيّادة على تَفِيئَةِ(٤) ما كان بينه وبين عُلَّفَة من المُهاجاة ، ونُعِيَتْ له فلم يُصدِّق حتّى أتاه رجل من بنى رَحْل يقال له عَمّار فنعاها له ؛ فقال :

ما كنتُ أحسَب أنّ القوم قد صدقوا حتّى نعاها لىَ الرَّحْلِىُّ عَمّارُ

وقال يرثيها :

خَلتْ شُعَبُ المَنْدُور لستَ بواجدٍ به غيرَ بالٍ من عِضاهٍ(٥) وحَرْمَلِ

تمنّيتَ أنْ تَلْقَى به أمّ جَحْدَرٍ وماذا تَمَنّى من صَدًى تحتَ جَنْدَلِ

فَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ ذَميمةٍ ولَلْبخلُ خيرٌ من عَناء مُطوّلِ

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم عن ساعِدة

(١) كذا فى د ، حـ . والخزر من اللبن : ما كان فوق الحامض . وفى ب ، س : «الجزر» بالجيم وهو تصحيف .

(٢) الشول : النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية من يوم نتاجها ، فلم يبق فى ضروعها إلا شول من اللبن أى بقية منه مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان نتاجها ، واحدتها شائلة وهو جمع على غير قياس .

(٣) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «يتشبب» .

(٤) على تفيئة : على حين ، يقال : أتيته على تفيئة ذلك أى على حينه وزمانه .

(٥) العضاه والحرمل : نوعان من الشجر .

ابن مرمى[١] ، وذكره إسحاق أيضاً عن أصحابه :

أن ابن مَيَّادة وحَـكَما الخُضْرِىّ تواعَدا المدينةَ ليتواقَفا[٢] بها ، فتواقفا بها وجاء نَفَرٌ من قريش — أمهاتُهم من مُرَّة — إلى ابن مَيَّادة فمنعوه من مُواقفة حَـكَم ، وقالوا : أتتعرض له ولست بكُفْئِه فيشتُمَ أمهاتِنا وأخوالَنا وخالاتنا وهو رجلٌ خبيثُ اللسان ! — قال : وكان حَـكَم يَسْجَع سَجْعا كثيرا — فقال : والله لئن واقفتُه لأسجَعَنّ به قبلَ المقَارضة سَجْعا أفضَحُه به فلم يَلْقَه . وذكر الزُّبَير له سَجْعا طويلا غَثًّا لا فائدةَ فيه ؛ لأنه ليس برَجَز منظوم ولا كلامٍ فصيح ولا مسجَّع سَجْعا مؤتلفا كائتلاف القوافى ، إلا أن من أَسْلَمِه قولَه : والله لئن ساجعْتَنى سِجَاعا ، لتجدنِّى شُجَاعا ، للجار منَّاعا ، ولأجدنّك هيَّاعا[٣] ، للحَسَب مِضْياعا ؛ ولئن باطشْتَك بِطاشا ، لأُدْهِشنَّك إدهاشا ، ولأُدَقِّنَّ منك مُشاشا[٤] ، حتى يجىء بولُك رَشاشا . وهذا من غَثِّ السَّجْع ورَذْلِه ، وإنما ذكرتُه ليُسْتَدَلَّ به على ما هو دونه مما ألغيتُ ذكره . قال : ورجز به فقال : ١٠١/٢

يا معدِنَ اللؤم وأنت جَبَلُهْ وآخِـــرَ اللؤم وأنت أوّلُهْ
جاريتَ سَبَّاقا بعيـدًا مَهَلُهْ كان إذا جارَى أباكَ يُفْشِلُهْ[٥]

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى م ، ا هكذا : «مرابن» ولم نهتد إليه ، ولم تذكر هذه الكلمة فى ط . وفى رس ، نا : « عن ساعدة بن مرى » .

(٢) التواقف كالمواقفة : أن يقف معك وتقف معه فى حرب أو خصومة .

(٣) هو صيغة مبالغة من هاع يهيع هيعا وهيوعا إذا جبن وفزع : وقد ورد فى كتب اللغة من هذه المادة هائع وهاع .

(٤) المشاش : رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين .

(٥) يفشله : يجعله فشلا أى ضعيفا ناكلا عن المجاراة ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا كاللسان والقاموس أفشل متعديا ، ولكن دخول همزة النقل على الفعل اللازم قياسى كما حققه ابن هشام فى مغنى اللبيب . (انظر حاشية الصبان على شرح الأشمونى فى باب تعدى الفعل ولزومه) أو لعله « يفسله » بمعنى يرذله أى يجعله مرذولا .

فكيف ترجوه وكيف تأمُلُهْ وأنت شرُّ رجلٍ وأنذَلُهْ
ألأَمُه فى مأزِقٍ وأجهلُهْ أدخله بيتَ المخازى مُدْخِلُهْ
فاللؤم سِرْبالٌ له يُسَرْبَلُهْ ثوباً إذا أَنْهَجه(١) يُبَدِّلُهْ

فأجابه حَكم(٢) :

يابنَ التى جيرانَها كانت تَصُرّ(٣) وتَتْبَعُ الشَّوْلَ وكانت تَمْتَصِرْ(٤)
* كيف إذا مارسْتَ حُرًّا تنتصِرْ *

ولهما أراجيزُ كثيرةٌ طويلةٌ جدًّا أسقطتُها لكثرتها وقلة فائدتها .

خرج الحكم إلى الرقم للقاء ابن ميادة ولما لم يلقه تهاجيا

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير عن عبد الله بن إبراهيم قال :

أخبرنى بعضُ من لقيتُ من الخُضْر: أن حكما الخضرىّ خرج يريد لِقاءَ ابن مَيَّادة بالرَّقم(٥) من غير مَوْعد فلم يَلْقَه؛ إمّا لأنه تغيَّب عنه؛ وإما لأنه لم يصادفه، فقال حكم :

فَرّ ابنُ مَيّادةَ الرَّقْطاء من حَكم بالصُّغر(٦) مثلَ فِرار الأَعْقَدِ(٧) الدَّهِمِ

(١) أنهجه : أبلاه وأخلقه .
(٢) فى ا ، د ، م ، ط : «وقال أيضا» والظاهر صحة الرواية المثبتة فى الأصل .
(٣) فى ط ، خد : «يابن التى حياتها كانت تصر» وصرّ الناقة : ربط أخلافها لئلا يرضعها ولدها .
(٤) كذا فى ا ، د ، م . والامتصار : حلب الناقة أو الشاة بأطراف الأصابع الثلاث أو بالإبهام والسبابة . وفى سائر النسخ : «تمتضر» بالضاد وهو تصحيف .
(٥) الرقم : جبال دون مكة بديار غطفان واسم ماء عندها أيضا ، كذا قال ياقوت فى معجمه فى اسم «رقم» . وقال البكرى فى معجم ما استعجم ص ٤٢ : الرقم : موضع بالحجاز قريب من وادى القرى كانت فيه وقعة لغطفان على عامر .
(٦) كذا فى ا ، د ، م . والصغر كالصغار : الذل والهوان . وفى سائر النسخ : «الصعر» بالعين المهملة وهو تصحيف .
(٧) الأعقد يقال على التيس الذى فى قرنه أو ذنبه التواء . ويقال على الكلب والذئب لانعقاد ذنبهما وكل ملتوى الذنب فهو أعقد ، ولم نجد فى مادة «دهم» وصفا على وزن فَعِل أو فَعَل ولعله محرف عن (الزهم) وهو ذو الرائحة المنتنة .

أصبحتَ فى أُقُرٍ[1] تَعْلُو أطاوِلَه ... تَفوتُنى وقد أصبحتُ بالرَّقَمِ

وقال إسحاق فى روايته عن أصحابه : قال ابن ميّادة يهجو حَكَماً وينسبُ بأم جَحْدرٍ :

يُمَنُّونَنِى منكِ اللقاءَ وإننى ... لأَعلمُ لا أَلقاكِ من دون قابِلِ

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدِّماً ، فذكرتُ هاهنا منها مالم يمضِ وهو قوله :

فياليت رَثَّ الوصل من أمِّ جَحْدَرٍ ... لنا بجديدٍ من أولاكَ البَدائلِ

ولم يَبْقَ ممّا كان بينى وبينها ... من الوُدِّ إلا مُخْفَيات الرسائلِ

وإنى إذا استَنبهتُ مِنْ حُلوِ رَقْدةٍ ... رُميتُ بحبِّيها كرَمْىِ المُناضِلِ

صوت

فما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها ... وأدمعُها يُذْرِينَ حَشْوَ المَكاحلِ :

تَمتَّعْ بذا اليومِ القصيرِ فإنه ... رَهِينٌ بأيام الدهور الأطاول

الغناء فى هذين البيتين لعلىِّ بن يحيى المنجِّم ، ولحنه من الثقيل الثانى .

وكنت امرأً أرمِى الزوائلَ[2] مرَّةً ... فأصبحتُ قد ودَّعتُ رَمْىَ الزوائلِ

وعطَّلتُ قوسَ اللهو من سَرَعانها[3] ... وعادتْ سِهامى بين رثٍّ وناصِلِ[4]

(١) أقر (بضمتين) : واد لبنى مرة .

(٢) الزوائل هنا : النساء على التشبيه بالوحش . ويقال : فلان يرمى الزوائل ، إذا كان طبا بإصباء النساء إليه .

(٣) كذا فى حـ واللسان مادة «سرع» والمخصص (ج ٦ ص ٤٦) مع اختلاف فى بعض كلمات الشطر الثانى وهو الذى يتفق مع تفسير المؤلف . وفى سائر النسخ : «من شرعاتها» بالشين المعجمة . وقد أورد صاحب اللسان هذه الرواية أيضا فى مادة «زول» وقال فى تفسيرها : والشرعات : الأوتار ، واحدها شرعة الخ .

(٤) الناصل : السهم الذى خرج منه النصل .

السِّرْعان : وتَرٌ يعمل من عَقَبِ المتن[1] ، وهو أطول العَقَبِ .

إذا حلَّ بيتى بين بَدْرٍ ومازنٍ   ومُرَّةَ نلتُ الشمسَ واشتدَّ كاهِلى

يعنى بَدْرَ بن عمرو بن جُؤيَّةَ بن لَوْذان بن ثعلبةَ بن عَدِىّ بن فَزارةَ بن ذُبْيانَ ، ومُرَّةَ بنَ عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان ، ومُرَّة بن فَزارة ، ومازِنَ بن فَزارة ، وهى طويلةٌ .

٢٠٢ / ٢

قال أبو الفرج الأصبهانىُّ : أخذ إسحاقُ الموصلىُّ معنى بيت ابن ميَّادة فى قوله : « نلتُ الشمسَ واشتدَّ كاهلى » فقال :

عطَسْتُ بأنْفٍ شامخ وتناولتْ   يَدایَ الثريّا قاعـداً غيرَ قائمِ

ولَعَمْرِى لئن كان استعار معناه لقد اضطَلع به وزاد فأحسن وأجاد .

وفى هذه القصيدة يقول :

فضَلْنا قريشاً غيرَ رَهْطِ محمدٍ   وغير بنى مروانَ أهلِ الفضائلِ

ضربه إبراهيم بن هشام لدعواه أنه فضل قريشا

قال يحيى بن علىّ وأخبرنى علىُّ بن سليمان بن أيُّوب عن مُصْعَب ، وأخبرنى به الحسَن بن علىّ عن أحمد بن زُهَير عن مصْعَب قال :

قال إبراهيم بن هِشام بن إسماعيل لابن ميَّادة : أنت فَضَلْتَ قريشاً ! وجرَّده فضربه أسواطًا .

أخبرنى الحَرَمىُّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال :

(١) العقب (بالتحريك) : العصب الذى تعمل منه الأوتار ، الواحدة عقبة . والعقب من كل شىء : عصب المتنين والساقين والوظيفين .

لما قال ابن ميّادة :

فضّلنا قُرَيشاً غيرَ رَهْط محمد   وغيرَ بنى مَرْوانَ أهلِ الفضائلِ

قال له الوليد بن يزيد : قدّمتَ آل محمد قبلنا[1] ؛ فقال : ما كنتُ يا أمير المؤمنين أظنّه يمكنُ غيرُ ذلك . قال : فلمّا أفضت الخلافةُ إلى بنى هاشم وفَد ابن ميّادة إلى المنصور ومدحه ؛ فقال له أبو جعفر لما دخل إليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره بما قال ، فجعل المنصور يتعجّب .

ابن ميادة والحكم الخضرى بعريجاء

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم الجُمَحىّ قال : حدّثنى العباس بن سَمُرَة بن عَبّاد بن شَمّاخ بن سَمُرَة عن رَيْحانَ بن سُوَيد الخُضْرِىّ ، وكان راويةَ حَكم بن مَعْمر الخُضْرىّ ، قال:

تواعد حَكَمٌ وابنُ ميّادة عُرَيجاء — وهى ماءة[2] — يتواقفان عليها ، فخرج كلُّ واحد منهما فى نَفَرٍ[3] مِنْ قومه ، وأقبل صَخْر بن الجَعْد الخُضْرِىّ يَؤُمُّ حَكَماً ، وهو يومئذ عدوٌّ لحكم لمَا كان فرَط بينهما من الهجاء فى أرْكُوبٍ[4] من بنى مازن بن مالك ابن طَرِيف بن خَلَف بن مُحارِب ، فلما لقيه قال له : يا حكم ، أهؤلاء[5] الذين عَرَّضْتَ للموت ! وهم وجوه قومك ! فوالله ما دماؤهم على بنى مُرّة إلا كدماء جَدَاية[6] ، فعرَف

---

(١) فى أغلب النسخ بعد هذه الجملة : «صلى الله على محمد وعلى آله» . وفى نسخة ط ، نا زيادة : «ولعنة الله على الوليد» ، وظاهر أن ذلك كله من زيادات النساخ .

(٢) فى معجم ما استعجم للبكرى ص ٦٥٣ : «عريجاء : ماءة معروفة بحمى ضرية وقد أقطعها ابن ميادة المرى من بنى ذبيان» .

(٣) فى مج ، نا . خد ، رس : «جماعة» .

(٤) الأركوب : كالركب والركبان .

(٥) كذا فى حـ ، ا ، م . وفى سائر النسخ : «أهؤلاء الذين عرّضت للموت من أجلهم وهم وجوه قومك الخ» وليس لكلمة «من أجلهم» موقع .

(٦) الجداية : الظبية . وفى ب ، س : «حدأة» .

حَكَمٌ أن قول صخر هو الحقّ فردَّ قومَه ، وقال لصخر : قد وعدنى ابنُ ميّادة أن يُواقفنى غداً بعُرَيجاء ، لأن أناشدَه ؛ فقال له صخر : أنا كثير الإبِل — وكان حَكَم مُقِلاً — فإذا وردتْ(١) إبلى فارتجز ، فإن القوم لا يشجُعُون(٢) عليك وأنت وحدَك ، فإن لقيتَ الرجل نحَر وأطعم فانحَرْ وأطْعِمْ وإن أتيْتَ على مالى كلِّه .

قال رَيْحان راوِيتُه : فورد يومئذ عُرَيجاءَ وأنا معه فظلّ على عُرَيْجاءَ ولم يَلْقَ رَمّاحاً ولم يوافِ لموعده ، وظلّ يُنْشِد يومئذٍ حتى أمسى ، ثم صرف وجوهَ إبل صخرٍ وردَّها ؛ وبلغ الخبرُ ابنَ ميّادة ومُوافاةُ حَكم لموعده ، فأصبح على الماء وهو يرتجزُ ويقول :

أنا ابنُ مَيَّادَة عَقّارُ الجُزُرْ كلَّ صَفِيٍّ(٣) ذات نابٍ مُنْفَطِرْ

توافيهما بحمى ضرية وصلحهما

وظَلّ على المـــاء فنحَر(٤) وأطْعَم . فلما بلغ حَكَماً ماصنَع ابنُ ميّادة من نَحْره وإطعامه شقّ عليه مَشَقَّةً شديدةً .

ثم إنهما بعدُ توافيا بحِمى ضَرِيَّةَ . قال رَيْحان بن سُوَيْد(٥) : وكان ذلك العامُ عامَ جَدْبٍ وسَنَة إلا بقيةَ كلأٍ بضريَّة . قال : فسبقْنا ابنَ ميادة يومئذ فنزلنا على مولاةٍ لعُكّاشة بن مُصْعَب بن الزُّبَيْر ذاتِ مالٍ ومنزلة من السلطان . قال : وكان حَكم كريماً على الوُلاةِ هناك يُتَّقى لسانُه .

١٠٣/٢

قال ريحان : فبَيْنا نحن عند المولاة وقد حَطَطْنا براذعَ دوابّنا إذا راكبان قد

(١) فى ط : «أوردت» .
(٢) كذا فى أغلب الأصول ، وفى ط : «لا يسجعون» .
(٣) يقال : ناقة صفىّ أى غزيرة اللبن ، والجمع صفايا .
(٤) فى جميع الأصول : «فانتحر» وهو تحريف ، فإن انتحر إنما يستعمل لازما ، يقال : انتحر الرجل أى نحر نفسه وانتحر القوم على كذا أى تشاحوا عليه .
(٥) فى جميع الأصول هنا : «سويد بن ريحان» وقد تقدم فى أول السند كما أثبتناه هنا «ريحان ابن سويد» ويؤيد هذا أنه إذا ذكره مجردا من الصفة قال : «ريحان» .

أقبلا ، وإذا نحن برَمّاح وأخيه ثَوْبانَ[١] — ولم يكن لثوبان[١] ضَريبٌ فى الشجاعة والجمال — فأقبلا يتسايران ، فلما رآهما حَكَمٌ عرفهما ، فقال :

يا رَيْحانُ هذان ابنا أَبْرَدَ ، فما رأيك ؟ أتكفِينى ثوبانَ[١] أم لا ؟ قال : فأقبلا نحوَنا ورَمّاح يتضاحَكُ حتى قبض على يد[٢] حكم وقال : مَرْحبا برجل سكتُّ عنه ، ولم يسكتْ عنِّى ، وأصبحتُ الغداةَ أطْلب سَلْمَه يسوقنى الذِّئبُ[٣] والسَّنَةُ . وأرجو أن أرْعَى الحِمَى بجاهِهِ وبرَكته ، ثم جلسَ إلى جَنْب حَكم وجاء ثَوْبانُ[١] ، فقعد إلى جنبى .

فقال له حَكم : أمَاوربِّ المرسلين يارَمّاح لولا أبياتٌ جعَلْتَ تعتصم بهنّ وترجعُ إليهنّ — يَعْنى أبياتَ ابنِ ظالم — لاستوسقت[٤] كما استوسق مَنْ كان قَبْلكَ .

قال ريحانُ : وأخذا فى حديثٍ أسمع بعضَه ويخفَى علىَّ بعضُه . فظَلِلْنا عند المرأة وذُبِح لنا وهما فى ذلك يتحادثان ؛ مُقْبِلٌ كلٌّ واحد منهما على صاحبه لا ينظران شَدَّنا ، حتى كان العِشاء فشدَدْنا للرَّوَاح نؤمٌّ أهلنا ، فقال رمَّاح لحكم : يا أبا مَنيع — وكانت كنيةَ حَكم — : قد قضيتَ حاجتَك وحاجةَ مَنْ طَلبتَ له مِنْ هذا العامل ، وإن لنا إليه حاجةً فى أن يُرْعِينَا .

فقال له حكم : قد والله قضيتُ حاجتى منه وإنى لأَكره الرجوعَ إليه ، وما مِنْ حاجَتك بُدٌّ . ثم رجع معه إلى العامل ، فقال له بعد الحديث معه : إن هذا الرجل مَنْ قد عرفتَ ما بينى وبينه ، وقد سأل الصلحَ وأناب إليه ، فأحببتُ أن يكون ذلك

(١) فى ط : «ثريان» .
(٢) فى ب ، س : «على حكم» .
(٣) فى أساس البلاغة مادة ذأب : وأكلتهم الضبع وأكلهم الذئب أى السنة ، وأصابتهم سنة ضبع وسنة ذئب على الوصف ، وأنشد النضر :

وقد ساق قبلى من معدٍّ وطيئٍ ... إلى الشأم جوحات السنين وذيبها

(٤) لاستوسقت : لأطعت وأنقدت .

على يدك وبحَضْرك . قال : فدعا به عاملُ ضَرِيّة وقال : هل لك حاجةٌ غيرُ ذلك؟ قال : لا والله ، ونسى حاجةَ رَمّاح ، فأذْكرتُه إياها ، فرجع فطلبهاواعتذر بالنسيان . فقال العامل لابن مَيّادة : ماحاجتك ؟فقال : تُرْعِينى عُرَيجاء لايعْرِضُ لى فيها أحدٌ ، فأرْعاه إياها . فأقبل رَمّاح على حَكم فقال : جزاك الله خيراً يا أبا مَنِيع ، فوالله لقد كان ورائى مِنْ قومى مَنْ يتمنّى أن يرعَى عُرَيجاء بنصف ماله . قال : فلما عزَما على الانصراف ودّع كلٌّ واحد منهما صاحبَه وانصرفا راضيَيْن . وانصرف ابنُ مَيّادة إلى قومه فوجد بعضَهم قد ركب إلى ابن هشام فاستغضبه على حكم فى قوله :

استعدى قوم ابن ميادة السلطان على الحكم فأمر بطرده فرحل إلى الشام ومات هناك

وما ولدتْ مُرِّيَّةٌ ذاتَ ليـــلةٍ ... من الدهـــرِ إلا زاد لؤماً جَنِينُها

فأَطرده[1] وأقسم : لئن ظفر به ليُسْرِجَنّه وليَحْمِلنّ عليه أحدَهم. فقال رَمّاح — وساءه ماصنعوا — : عَمَدتم إلى رجل قد صلَح ما بينى وبينه وأُرْعِيتُ بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطراده ! وبلغ الحــكمَ الخبرُ فطار إلى الشأم فلم يبرَحها حتى مات .

قال العباس بن سَمُرَة : مات بالشأم غرَقاً ، وكان لا يُحسن العَوْمَ فمات فى بعض أنهارها . قال : وهو وَجْهُه[2] الذى مدَح فيه أسود بن بِلاَل المُحاربىّ ثم السُّوائىّ فى قصيدته التى يقول فيها :

واستيقنتْ أن لابرَاحَ[3] من السُّرَى ... حتى تُناخَ بأَســودَ بنِ بِــلالِ
قَرْمٌ إذا نزَل الوُفـودُ بــبابه ... سَمَتِ العُــيُونُ إلى أشمَّ طُــوَالِ

مناقضات حكم وابن ميادة

ولحكم الخُضرىّ وابن مَيّـادةُ مناقضاتٌ كثيرة وأراجيزُ طِوالٌ طويتُ ذِكرَ أكثرها وألغيتُه ، وذكرتُ منها لُمعَاً من جيّد ما قالاه لئلاّ يخلوَ هذا الكتاب

١٠٤
٢

(١) أى أمر بإخراجه وطرده .
(٢) أى رحلته وسفره .
(٣) فى ا ، م ، د ، ط : « أن لا رواح » .

من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يَستوعبَ سائرَه فيطولَ . فما قاله حكمٌ فى ابن مَيّادة قولُه :

خَلِيلَىَّ عُوجا حَيِّيَا الدارَ بالجَفْرِ[1] وقُولاَ لها : سَقْيًا لعَصْرِكِ مِن عصْرِ
وماذا تُحَيِّى من رُسُومٍ تلاعبتْ بهاحَرْجَفٌ[2] تَذْرِى بأذيالها الكُدْرِ

ومن جيِّد قوله فيها يفتخر :

إذا يَبِسَتْ عِيدانُ قومٍ وجدتَنا وعِيدانُنا تُغشَى على الوَرَق الخُضْرِ
إذا الناسُ جاءوا[3] بالقُرُوم أتيتُهم بقَرْمٍ يُساوى[4] رأسُه غُرّةَ البدرِ
لنا الغَوْرُ والأنجاد والخيلُ والقَنَا عليكم وأيامُ المكارِم والفخرِ

ومن جيِّد هجائه قولُه :

فيا مُرّ قد أخزاكِ فى كلِّ مَوطن من اللؤم خَلاّتٌ يَزِدْنَ على العَشْرِ
فمنهنَّ أنَّ العبدَ حامِى ذمارِكم وبئس الحامى العبدُ عن حَوْزة الثَّغْرِ
ومنهنَّ أن لم تمسحوا وجهَ[5] سابقٍ جوادٍ[6] ولم تأتوا حَصَانًا على طُهْرِ
ومنهنَّ أن المَيْتَ يُدفَنُ منكمُ فيَفْسُو على دُفّانه وهو فى القبرِ
ومنهنَّ أن الجارَ يسكُن وَسْطَكم بريئًا فيُلقَى بالخيانة والغَدْرِ

---

(١) الجفر : موضع بناحية ضرية من نواحى المدينة .
(٢) الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب . وفى خد : «دثار» بدل «رسوم» .
(٣) كذا فى ا ، حـ ، م . وفى باقى النسخ : «ناموا» .
(٤) فى حـ ، نا : «يسامى» بالميم .
(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م : «خدّ» .
(٦) فى ا ، م ، خد : «كريم» .

ومنهنّ أن عُدتم بأرقطَ كَوْدَنٍ[1] وبئس المحامى أنت ياضَرْطَةَ[2] الجَفْرِ
ومنهنّ أن الشيخ يُوجَدُ منكمُ يَدِبُّ إلى الجارات مُحدوْدِبَ الظَّهرِ
تَبيت ضِبابُ[3] الضِّغْن تَخْشى احتراشَها[4] وإن هى أمستْ دونَها ساحلُ البحرِ

فأجابه ابن ميادة بقصيدة طويلة ، منها قولُه مجيباً له عن هذه الخصال التى سبَّهم بها :

لقد سَبقتْ بالمُخْزِيات مُحاربٌ وفازتْ بخَلَّاتٍ على قومها عَشْرِ
فمنهنّ أن لم تَعقِروا ذاتَ ذِرْوةٍ لحقٍّ إذا ما احْتِيجَ يوماً إلى العَقْرِ
ومنهنّ أن لم تمسحوا عربيّةً من الخيل يوماً تحت جُلٍّ على مُهْرِ
ومنهنّ أن لم تضربوا بسيوفكم جَماجِمَ إلاَّ فَيْشَلَ[5] القُرَّحِ الحُمْرِ
ومنهنّ أن كانت شيوخُ مُحاربٍ كما قد علمتم لا تَرِيشُ ولا تَبْرِى[6]
ومنهنّ أخزى[7] سوءةٍ لو ذكرتُها لكنتم عبيداً تخدُمون بنى وَبْرِ[8]
ومنهنّ أن الضأن كانت نساءَكم إذا اخضرّ أطرافُ الثُّمام من القَطْرِ

---

(١) الكودن : البرذون الهجين . يريد إنسانا كالبرذون .

(٢) كذا فى ا ، م . وفى باقى النسخ : «ضَرّط» بدون تاء . والجفر : ولد المعزى إذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى ، والمعزى ؛ يضرب بها فى ذلك المثل فيقال : «أضرط من عنز» .

(٣) الضباب : الأحقاد ، يقال : فى قلبه ضب ، أى غل داخل كالضب الممعن فى جحره .

(٤) احترش الضبّ : أتى قفا جحره فقعقع بعصاه عليه وأتلج طرفها فى جحره فإذا سمع الصوت حسبه دابة تريد أن تدخل عليه فجاء يزحل على رجليه وعجزه مقاتلا ويضرب بذنبه ، فناهزه الرجل (بادره) فأخذ بذنبه فضب عليه (شد القبض) فلم يقدر أن يفلت منه .

(٥) الفيشلة : طرف الذكر .

(٦) أى لا تضر ولا تنفع .

(٧) فى جميع الأصول : «ومنهن أخرى سوءة» بالراء .

(٨) كذا فى ب ، س ، حـ . وبنو وبر : بطن . وفى باقى النسخ : «وفر» بالفاء ولم نجد قبيلة تسمى بهذا الاسم .

ومنهنّ أن كانت عجوزُ مُحارِب   تُرِيغ[١] الصّبا تحت الصَّفيح من القَبْرِ
ومنهنّ أن لو كان فى البحر بعضُكم   لخَبَّثَ ضاحِى[٢] جِلْدِه حَوْمَةَ[٣] البحرِ

ومما قاله ابن ميادة فى حكم قولُه من قصيدة أوّلها :

أَلاَ حَيِّيَا الأَطْلالَ طالتْ سِنِينُها   بحيثُ التقتْ رُبْدُ[٤] الجِنابِ[٥] وعِينُها[٦]

ويقول فيهـا :

فلمّـا أتانى ما تقولُ مُحـارِبٌ   تَغَنَّتْ شـياطِينى وجُنَّ جُنونُها
أَلم تَرَ أنّ اللهَ غَشّى مُحَارِباً   إذا اجتمعَ الأقوامُ لَوْناً[٧] يَشِينُها ١٠٥/٢
تَرى بوجوه الخُضْر خُضْرِ مُحارِبٍ   طَوابعَ لُؤْمٍ ليسَ يَنْفَتُّ[٨] طِينُها
لقد ساهَمتْنا كُم[٩] سُلَيمٌ وعامرٌ   فَضِمناهُمُ إنّا كذاك نَدِينُها
فصارتْ لنا أَهْلُ الضَّئِينِ[١٠] مُحارِبٌ   وصارتْ لهم[١١] جَسْرٌ وذاك ثَمِينُها

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وتريغ : تطلب ، يقال : ماذا تريغ ، أى ما تريد وما تطلب . وفى ا ، م : « تريع » بالعين المهملة ، وهو تصحيف .

(٢) ضاحى جلده : ظاهره .

(٣) حومة البحر : أكثر موضع فى البحر ماء وأغزره .

(٤) ربد : جمع أربد أو ربداء ، وصف من الربد ، وهو فى النعام سواد مختلط ، وقيل هو أن يكون لونها كله أسود . وعن اللحيانى : ظليم أربد ونعامة ربداء ، أى لونها كلون الرماد . وفى ب ، حـ ، رس : « زبد » بالزاى ، وهو تصحيف .

(٥) الجناب : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادى القرى ، وقيل : هو من منازل بنى مازن . وقال نصر : الجناب من ديار بنى فزارة بين المدينة وفيد .

(٦) عين : جمع عيناء وهى واسعة العين . (٧) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «لؤما» .

(٨) الانفتات : الانكسار .

(٩) كذا فى جميع الأصول ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا أن ساهم يتعدى لمفعولين ، وهو بمعنى قارع ، من القرعة .

(١٠) كذا فى د . والضئين : الضأن وهو خلاف الماعز من الغنم واحده ضائن . وفى باقى النسخ : « الضنين » وهو تصحيف .

(١١) جسر : اسم حىّ .

إذا أَخذتْ مُخْضرِيَّةٌ قائِمَ الرَّحَى تحرِّكُ قُنباها(١) فطارَ طَحِينُها
وما حَمَلتْ مُخضرِيَّةٌ ذاتَ ليلةٍ مِن الدهر إلا ازدادَ لُؤماً جَنِينُها

فقال حكم يجيبه عن هذه بقصيدته(٢) :

لأنتَ ابنُ أشبانيّةٍ أدلجتْ به إلى اللُّؤم مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنِينُها
فجاءتْ برَوّاثٍ كأن جبينه إذا ما صَغَا فى خِرْقَتَيْها جَبِينُها
فما حملتْ مُرِّيَّةٌ قطُّ ليلةً مِن الدهر إلا ازدادَ لُؤما جنينها
وما حَملتْ إلاّ لألأمِ(٣) مَنْ مَشى ولا ذُكرتْ إلا بأمرٍ يَشِينُها
تزوّجُ عثوانُ(٤) الضَّئِينَ وتَبتغى بها(٥) الدَّرَّ لا دَرَّتْ بخيرٍ لَبُونُها(٦)
أظَنّت بنو عثوانَ أن لستُ شاتما بشتمى وبعضُ القوم حَمْقَى ظُنونُها
مَدانِيسُ أبرامٌ(٧) كأنّ لِحاهُمُ لِحَى مُسْتَهِبّاتٍ(٨) طِوالٍ قُرونُها

قال الزبير : فحدّثنى موهوب بن رشيد قال : فسمع هذه القصيدة أحدُ بنى قَتّال ابن مُرّة فقال : ماله أخزاه الله يهجو صِبْيَتَنا ! قال : وهم أجفَى قوم غضباً لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به .

---

(١) تثنية قنب وهو البظر ، والبظر : ما بين الاسكتين وهما جانبا الحياء .
(٢) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «بقصيدته التى أولها الخ» ولا موقع لها هنا .
(٣) فى م : « بألأم » .
(٤) يظهر من سياق الشعر أنها قبيلة ولم نعثر عليها .
(٥) كذا فى ا . وفى سائر النسخ : «به» .
(٦) اللبون : الكثيرة اللبن .
(٧) جمع برم وهو الثقيل الجافى .
(٨) هذا وصف للتيوس مأخوذ من الهباب وهو هياجها للسفاد ، يقال : هبّ التيس هبّا وهبابا ، أى هاج . وفى ح : «مستنبات» ، يقال : نبّ التيس ينبّ نبّا ونبيبا ونبابا إذا صاح عند السفاد ؛ ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا استنب أو ما يشتق منها كستنبات .

قال : وبلغ إبراهيمَ بن هشام قولُه فى نساء بنى مُرّة إذ يقول :

* وما حملتْ إلا لألأم مَنْ مَشَى *

فغضبَ ثم نذَر[١] دَمه ، فهرب من الحجاز إلى الشأم فمات بها .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن ضَبْعانَ الخُضْرِىّ قال :

لقىَ ابنُ ميّادة صخرَ بنَ الجعْد الخُضْرِىّ فقال له : ياصخر ، أَعنتَ علىّ ابنَ عمِّك الحكم بنَ معْمر ! فقال له صخر : لا والله يا أبا الشُّرَحْبِيل ما أعنتُه عليك ، ولكن خُيِّل إليك ما كان يُخيَّل إلىّ ، ولقد هاجيتُه فكنتُ أظن أنَّ شجرَ الوادِى يُعينه علىّ .

ومن جيِّد قولِ ابن ميّادة فى حكم قصيدتُه التى أوّلها :

صوت

لقد سَبقَتْكَ اليومَ عيناك سَبْقةً … وأبكاكَ من عهد الشباب ملاعبُهْ
فوالله ما أَدْرِى أيغلبُنى الهوَى … إذا جدّ جِدُّ البَيْنِ أم أنا غالبُهْ
فإن أستطعْ أغلِبْ وإن يَغلِب الهوَى … فمثلُ الذى لاقيتُ يُغلَبُ صاحِبُهْ

— فى هذه الأبيات غِناء يُنسَبُ — يقول فيها فى هجاء حَكم :

لقد طالَ حَبْسُ الوَفْدِ وَفْدِ مُحارِبٍ … عن الجد لم يَأذنْ لهم بَعْدُ حاجِبُهْ
وقال لهم : كُرّوا فلستُ بآذِنٍ … لكم أبداً أو يُحصِىَ التُّرْبَ حاسِبُهْ

(١) فى ا ، م ، ر س : «هدر».

وهى قصيدة طويلة .

فضّله الوليد بن يزيد على الشعراء وأجازه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنى جلال(١) بن عبد العزيز المُرِّىّ ثم الصارِدِىّ عن أبيه :

١٠٦ / ٢

— قال جلال : وقد رأيتُ ابن ميَّادة فى بيت أبى ، قال : قال لى ابن ميادة : وصلتُ أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة . وكان مَوْلًى من موالى خَرَشَةَ يقال له شُقْران يَعيب ابن ميَّادة ويحْسُدُه على مكانه من الوليد ، فلما اجتمعت الشعراء قال الوليد بن يزيد لشُقْران : يا شقْران ، ما عِلْمك فى ابن ميّادة ؟ قال علمى فيه يا أميرَ المؤمنين أنه :

لئيمٌ يُبارِى فيه أَبردُ نَهْبَلاً ... لئيمٌ أتاه اللُّؤمُ من كلّ جانبِ

فقال الوليد : يا بن ميّادة ، ما علمُك فى شُقْران ؟ قال : علمِى يا أميرَ المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خَرَشَة كاتَبَتْه على أربعين دِرهما ووعدها — أو قال : وعدَته — أن تُجيزه بعشرين درهما فقَبَّضَتْه(٢) إيّاها ، فأغنِه عنّى يا أميرالمؤمنين ، فليس له أصْلٌ(٣) فأحتفِرَه ، ولا فَرْعٌ فأهتَصِرَه . فقال له الوليد : اجْتَنِبْه يا شُقْران فقد أبلغَ إليك فى الشّتيمة ، فقَصَر شُقْرانُ صاغراً ، ثم أنشدتُه ، فأقيمت الشعراء جميعاً غيرى ، وأمر لى بمائة لِقْحة وفَحْلها وراعيها وجارية بِكْرٍ وفرَسٍ عتيق(٤) ، فاختْلتُ ذلك اليومَ وقلتُ :

---

(١) كذا فى أغلب النسخ ، وجاء هذا الاسم فى ط مضبوطا هكذا « جلاّل » بفتح فتشديد . وفى حـ ، رس ، مع : «حلال» بالحاء المهملة . وفى ا ، م ، خد : «خلال» بالخاء المعجمة ، ولم نعثر على ما يرجح إحدى هذه الروايات .

(٢) فى حـ ، نا ، رس : « فنقصته » .

(٣) كذا فى حـ . وفى باقى النسخ : « فليس بأصل أحتفره ولا فرع أهتصره » .

(٤) فى ط ، خد : « عربى » .

أعطيْتَنى مائةً صُفْراً مَدامِعُها(١) كالنخلِ زَيّنَ أعلَى نَبْتِه الشَّرَبُ(٢)

ويُرْوَى :

* كأنها النخلُ رَوَّى نَبْتَها الشَّرَبُ(٣) *

يَسُوقُها يافعٌ جَعْدٌ مفارِقُه مثلُ الغُراب غَذَاه الصَّرُّ والحَلَبُ

وذا سَبِيبٍ(٤) صُهَيْبِيًّا له عُرُفٌ وهامَةٌ ذاتُ فَرْقٍ نابُها(٥) صَخِبُ

لم يذكر الزُّبير فى خبره غيرَ هذه الأبيات الثلاثة ، وهى من قصيدة للرّمّاح طويلة يمدح فيها الوليدَ بن يزيد ، وقد أجاد فيها وأحسن ، وذكرتُ من مُختارها هاهنا طُرَفا ، وأوّلها :

هل تَعرِفُ الدارَ بالعَلْياء غَيَّرها سافِى الرِّياح ومُسْتَنٌّ(٦) له طُنُبُ

دارٌ لبيضاء مُسْوَدٍّ مسائحُها كأنّها ظَبْيَةٌ تَرْعَى وتَنْتَصِبُ

المسائح : ما بين الأُذُن إلى الحاجب من الشَّعَر . وتنتصب : تَقِفُ إذا ارتاعتْ منتصبة تتوجّس(٧).

(١) مدامعها : مآقيها وهى أطراف العين . ولعل مسايل الدمع من الناقة تصفرّ إذا رعت ما يخضرّ من الشجر . وقد نقل صاحب اللسان فى مادة «صفر» عن أبى حنيفة «أن الماشية تصفرّ إذا رعت مايخضرّ من الشجر تروى مغابنها ومشافرها وأوبارها صفرا» .

(٢) جمع شربة وهى ما يحفر حول النخلة والشجرة كالحويض ويملأ ماء فتروى منه .

(٣) تكلم صاحب اللسان فى مادة «شرب» عن الشرب ، ثم قال : وأنشد ابن الأعرابى :

* مثل النخيل يروّى فرعها الشرب *

(٤) السبيب هنا : شعر الذنب والناصية .

(٥) فى ا «مابها صخب» .

(٦) يقال : استن المطر ، أى انصبّ ، ومنه قول عمر بن أبى ربيعة :

قد جرّت الريح بها ذيلها واستنّ فى أطلالها الوابل

(٧) كذا فى ط . وتتوجس : تسمع وهى خائفة . وفى باقى الأصول : «تتوحش» .

تحنو لأكْحلَ ألْقته بمَضيعةٍ فقلْبُها شَفَقاً من حوْلِه يَجِبُ(١)

يقول فيها :

يا أطيبَ الناسِ ريقاً بعـــدَ هَجْعتها وأملحَ الناسِ عَيْناً حينَ تنتقِبُ
ليستْ تجودُ بنَيْلٍ حينَ أسألها ولستُ عندَ خَلاء اللّهو أغتصبُ
فى مِرْفَقَيها إذا ما عُونِقَتْ جَمَمٌ(٢) على الضَّجيعِ وفى أنْيابها شَنَبُ
وليـــلةٍ ذاتِ أهوالٍ كواكبهـا مثلُ القناديلِ فيها الزَّيتُ والعُطُبُ(٣)
قد جُبْتُها جوْبَ ذى المقراضِ(٤) مِمْطَرَةً(٥) إذا استوى مُغْفَلاتُ(٦) البيدِ والحَدَبُ(٧)
بعَنْتَرِيسٍ(٨) كأن الدَّبْرَ(٩) يَلْسَعها إذا ترنَّمَ حادٍ خلفها طَرِبُ
إلى الوليد أبى العبّاس(١٠) ما عَجِلتْ ودونه المُعُطُ(١١) من لُبْنانَ(١٢) والكُثُبُ

(١) يجب : يخفق ويضطرب .
(٢) الجمم : كثرة اللحم .
(٣) العطب بضمة وبضمتين : القطن واحده عطبة ، ويريد هنا ذبالة المصباح التى تتخذ من القطن .
(٤) المقراض : المقصّ .
(٥) الممطرة : ثوب من صوف يلبس فى المطر يتوقى به منه .
(٦) كذا فى جميع الأصول واللسان مادة «قرض» ، وكتب مصحح اللسان على هذه الكلمة ما نصه : « قوله مغفلات كذا فيما بأيدينا من النسخ ولعله معقلات جمع معقلة بفتح فسكون فضم وهى التى تمسك الماء» ولكننا لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا سوى أن معقلة خبراء الدهناء تمسك الماء وأنها سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن .
(٧) الحدب : الغليظ المرتفع من الأرض .
(٨) العنتريس : الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم .
(٩) الدبر : الزنابير ، وقيل : النحل .
(١٠) كنية الوليد بن يزيد وقد ورد فى شعر بشار :

تقسم كسرى رهطــه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائم

وقال أبو الفرج : إنه يعنى الوليد بن يزيد (انظر الأغانى طبع بولاق ج ٣ ص ٢٩) .
(١١) المعط : جمع معطاء وهى الأرض التى لا نبات فيها .
(١٢) لبنان : جبل بالشأم ، وفى معجم البلدان لياقوت فى اسم لبنان : هو جبل مطل على حمص يجىء من العرج الذى بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشأم فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل وما كان بالأردن فهو جبل الجليل =

وبعد هذا البيت قولُه :

* أعطيتنى مائةً صُفْراً مَدامعها * الخ .

لمّا أتيتُك من نَجْدٍ وساكنه نَفَحتَ لى نَفْحةً طارتْ بها العَرَبُ
إنى أمرُؤٌ أعتفِى[1] الحاجاتِ أطلبها كما اعتفَى سَنِقٌ يُلقَى له العُشُبُ

السَّنِقِ : الذى قد شَبِع حتى بَشِمَ . يقول : أطلب الحاجة بغير حِرْص ولا كَلَبٍ ، ١٠٧/٢
كما يَعتفى هذا البعير البَشِمُ من غير شَرَهٍ ولا شدّة طَلَب .

ولا أُلِحُّ على الخُلّان أسألُهم كما يُلِحُّ بعَظْمِ الغارب القَتَبُ
ولا أُخادع نَدْمانِى[2] لأخدَعه عن ماله حين يَسْترخِى به اللَّبَبُ[3]
وأنت وابناك لم يوجد لكم مَثَلٌ ثلاثة كلهم[4] بالتاج مُعتَصِبُ
الطيِّبون إذا طابتْ نفوسُهمُ شُوسُ[5] الحواجبِ والأبصارِ إن غَضِبوا
قِسْنِى إلى شُعراء الناسِ كلِّهم وادْعُ الرُّواةَ إذا ما غَبَّ[6] ما اجتلبوا[7]

=وبدمشق سنير وبحلب وحماة وحمص لبنان . وفى ط : «نيان» وقد تقدم الكلام عليه فى الحاشية رقم ٨ ص ٢٧٩ من هذا الجزء .

(١) أعتفى : أطلب .

(٢) الندمان : المنادم على الشراب وربما توسع فيه فاستعمل لكل رفيق ومصاحب .

(٣) اللبب : البال ، والمراد أنه صار فى رخاء وسعة ، يقال : استرخت به الحال إذا صار فى حال حسنة بعد ضيق وشدة ، ويقال : فلان فى بال رخىّ ولبب رخىّ أى فى سعة وخصب وأمن ، وأصل اللبب ما يشد على صدر الدابة أو الناقة يمنع الرحل أو السرج من الاستئخار .

(٤) فى ط : «كلكم» بالكاف .

(٥) شوس : جمع أشوس من الشوس ، وهو النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا .

(٦) كذا فى أغلب النسخ . وغب : فسد . وفى حـ ، رس : «غثّ» وهو بمعنى غبّ ، يقال : غثّ حديث القوم أى فسد ورَدُؤ .

(٧) كذا فى أغلب الأصول . واجتلاب الشعر : استمداده من آخر ، وقد فسر ابن الأعرابى قول الشاعر : * يا أيها الزاعم إنى أجتلب * فقال : معناه أجتلب شعرى من غيرى أى أسوقه وأستمدّه ، ومن هذا قول جرير : =

إنى وإن قال أقوام مَديحهمُ فأحسنوه وما حابوا(١) وما كذَبوا
أجرِى أمامهمُ جَرْىَ امرئٍ فَلَجٍ(٢) عِنانُه حين يَجرِى ليس يضطرِبُ

سبب الهجاء بينه وبين شقران

أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرنى أبو الحسن — أظنه المدائنىّ — قال أخبرنى أبوصالح الفَزارىّ قال :

أقبل شُقْران مولى بنى سَلامان بن سَعدبن هُذَيم أخى عُذْرة بن سَعدابن هُذَيم(٣) — قال : وهُذَيم عبدٌ حَبشىٌّ كان حَضَنَ سعداً فغلب عليه . وهو ابن زيد بن ليث بن سُود بن أسلمَ بن الحاف بن قُضاعة — من اليمامة ومعه تمرٌ قد امتاره ، فلقيه ابن ميّادة فقال له : ماهذا معك ؟ قال : تمرٌ امترته لأهلى يقال له : زُبٌّ رُبّاح(٤) ، فقال له ابن ميادة يُمازحه :

كأنك لم تَقْفُل لأهلك(٥) تَمْرةً إذا أنت لم تَقفُل بزُبِّ رُباحِ

فقال له شُقران :

فإنْ كان هذا زُبَّهُ فانطلق به إلى نسوةٍ سُودِ الوجوه قِباحِ

فغضب ابن ميادة وأمضَّه(٦) وأَنْحَى عليه بالسوط فضرَبه ضرَبات وانصرفَ مغضباً ، فكان ذلك سَببَ الهجاء بينهما .

= ألم تعلم مسرحى القوافى فلا عيا بهن ولا اجتلابا
وفى ب ، س ، ط : «احتلبوا» بالحاء المهملة .

(١) كذا فى ط . وفى ا ، م ، خد : «خانوا» . وفى سائر النسخ : «خابوا» .

(٢) الفلج : الظفر والفوز . والوصف منه فالج وفلج (بفتح الفاء وسكون اللام) وحرك هاهنا للضرورة .

(٣) سقطت هذه الكلمة من ط ، وحذفها وإثباتها سواء ، قال فى القاموس وشرحه : وسعدا بن هذيم كزبير بإثبات الألف بين سعد وهذيم : أبو قبيلة .

(٤) هكذا جاء مضبوطا فى القاموس واللسان والمخصص بضم الراء وتشديد الباء ، ولعل تخفيف بائه فى البيت الآتى لضرورة الوزن ، وهو نوع من تمور البصرة .

(٥) فى ح ، نا ، مع : «لأمك» .

(٦) أمضه : آلمه وأوجعه .

قال حمّاد عن أبيه وحدّثنى أبوعلىّ الكلبىُّ قال :

اجتمع ابن ميادة وشُقران مَولى بنى سلامان عند الوليد بن يزيد ، فقال ابن ميّادة : يا أمير المؤمنين ، أتجمع بينى وبين هذا العبد وليس بمثلى فى حَسَبى ولا نَسَبى ولا لسانى ولا مَنْصِبى ! فقال شُقران :

لَعَمْرِى لئن كنت ابن شَيْخَىْ عشيرتى ... هِرَقْلٍ وكسرى ما أرانى مقصِّرا
وما أتمنَّى أنْ أكون ابن نزوةٍ(١) ... نزاها ابنُ أرضٍ(٢) لم تجد مُتَمهِّرا(٣)
على(٤) حائلٍ تَلْوِى الصِّرارَ(٥) بكفِّها ... فجاءت بخَوّارٍ(٦) إذا عُضَّ جَرْجرا(٧)

أخبرنى الحَرَمىُّ قال حدثنا الزُّبير بن بكّار وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبى أيوب المَدِينىّ عن زُبير(٨) قال حدثنى جلال بن عبد العزيز ، وقال يحيى بن خَلّاد عن أبى أيوب ابن عبد العزيز قال :

استأذن ابنُ مَيّادة على الوَليد بن يزيد وعنده شُقْران مولى قُضاعة فأدخله فى صُندوق وأذِن لابن مَيّادة ؛ فلمّا دخل أجلسه على الصُّندوق واستنشده هِجاء شُقْران

(١) كذا فى حـ ، م . والنزوة : الوثبة عند السفاد ، يقال : نزا الذكر على الأنثى نزاء ونزوا ، إذا وثب عليها عند السفاد . وفى باقى الأصول : «ثروة» بالثاء المثلثة والراء وهو تحريف .
(٢) ابن الأرض : كناية عن الغريب والمسافر والضيف والفقير (انظر كتاب ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ أدب م تأليف المحبى) .
(٣) كذا فى جميع الأصول . ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا لتمهر معنى سوى تمهر بكذا أو فى كذا إذا صار به حاذقا ، وهو لا يناسب المقام . وظاهر جدا أن المراد هنا : لم تجد من يمهرها أو لم تجد مهرا .
(٤) كذا فى ا ، م ، د . وفى سائر النسخ : «خلا حائل» . والحائل : غير الحامل ، يقال : حالت المرأة والناقة والنخلة وغيرهن إذا لم تحمل .
(٥) الصرار : خيط يشد فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها .
(٦) خوّار : ضعيف .
(٧) جرجر : صوّت .
(٨) هو الزبير بن بكار الذى تكرر ذكره كثيرا فى رجال السند .

فجعل يُنشِده ، ثم أمر بفتح الصُّندوق فخرج عليه شُقْران وجعل يَهدِر كما يَهدِر الفَحْلُ ويقول :

سأكْعَمُ(١) عن قُضاعةَ كلْبَ قيسٍ ... على حَجَرٍ فيُنْصِتُ للكِعَامِ
أسيرُ أمامَ قيْسٍ كلَّ يوم ... وما قيسٌ بسائرةٍ أمامِى

وقال أيضاً وهو يسمع : ١٠٨ / ٢

إنِّى إذا الشعراءُ لاقَى بعضُهُمْ ... بعضًا ببَلْقَعةٍ يريد نِضالَها
وقَفوا لمُرْتجِزِ الهديرِ(٢) إذا دنتْ ... منه البِكارة(٣) قَطَّعَتْ أبوالَها
فتركْتُهم زُمَراً ترمَّزُ(٤) باللِّحَى ... منها عَنافِقُ(٥) قد حلقتُ سِبالَها(٦)

فقال له ابن مَيّادة : يا أميرَ المؤمنين اكْفُفْ عنّى هذا الذى ليس له أصلٌ فأحفِرَه ، ولا فرعٌ فأهصِرَه ؛ فقال الوليد : أشهد أنك قد جَرْجرت كما قال شُقْران :

* فجاءتْ بخوّار إذا عُضّ جرجرا *

قال يحيى فى خبره : واجتمع ابن مَيّادة وعِقَال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد ،

(١) الكعم : شدّ فم البعير لئلا يعضّ أو يأكل ، وشدّ فم الكلب لئلا ينبح ، يقال : كعمه (من باب فتح) إذا شدّ فاه بالكعام . والكعام (وزان كتاب) : ما يعكم به ؛ يريد أنه سيلقمه بحجر . وعكم مثل كعم معنى ووزنه كضرب .

(٢) الهدير : ترديد البعير صوته فى حنجرته . والمرتجز : ما تسمع له صوتا متتابعا ، يقال : ارتجز الرعد إذا سمع له صوت متتابع .

(٣) كذا فى م ، د . وفى سائر النسخ : «البكار وقطعت» . والبكارة كالبكار : جمع بكرة وهى الفتية من الإبل .

(٤) ترمز : تتحرك .

(٥) العنافق : جمع عنفقة وهى الشعرات التى بين الذقن وطرف الشفة السفلى .

(٦) سبالها : جمع سبلة بالتحريك وهى الدائرة فى وسط الشفة العليا ، وقيل : ما على الشارب من الشعر ، وقيل : مجتمع الشاربين .

تفاخره مع عقال بالشعر

وكان عِقَالٌ شديد الرأى فى اليمن ، فغمز(١) عِقالٌ ابنَ ميّادة واعتلاه ؛ فقال ابن ميّادة :

فجَرْنا ينابيع الكلام وبحْرَهُ ... فأصبحَ فيه ذو الرِّواية يَسْبَحُ
وما الشِّعرُ إلاّ شعرُ قيسٍ وخِنْدِفٍ ... وقولُ سِواهم كُلْفَةٌ وتملُّحُ(٢)

فقال عقالٌ يُجيبه :

ألاَ أبلغِ الرَّمّاح نقْضَ مقَالةٍ ... بها خَطِلَ الرَّمّاحُ أو كان(٣) يَمْزَحُ
لئن كان فى قيسٍ وخِنْدفَ ألْسُنٌ ... طِوالٌ وشِعر سائرٌ ليس يُقْدَحُ(٤)
لقد خرَق الحيُّ اليمانون قبلهم ... بحورَ الكلام تُسْتقَى وهى تَطْفَحُ(٥)
وهم علَّموا مَن بعدَهم فتعلَّموا ... وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا
فللسابقين الفضلُ لا يجحدونه ... وليس لمخلوقٍ عليهم تَبَجُّحُ(٦)

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه قال حدّثنى ابن ميّادة قال :

شعره فى حنينه إلى وطنه وحوار الوليد إياه

قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأُبَاين — وهو موضع كان الوليد يَنزِله فى الربيع — :

لعَمْرُكَ إنى نازلٌ بأُبَاينٍ ... لصَوْءَرَ(٧) مشتاقٌ وإنْ كنتُ مُكْرَما
أبيتُ كأنى أرمَدُ العين ساهرٌ ... إذا بات أصحابى من الليل نُوَّما

(١) كذا فى أغلب النسخ . وغمزه : عابه وصغّر من شأنه . وفى ط : «غمر» بالراء .
(٢) تملح : تكلف الملاحة ، يقال : فلان يتظرف ويتملح أى يتكلف الظرف والملاحة .
(٣) فى م ، ا ، د : «كاد» .
(٤) كذا فى أغلب النسخ ولعله بمعنى يعاب وإن كنا لم نعثر فى كتب اللغة على أن قدح بهذا المعنى يتعدى بنفسه وإنما يتعدى بفى . وفى ط ، مع : «يفرح» وهو تحريف .
(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ ، د ، ط ، ر س ، نا ، مع : «طُفَّح» .
(٦) تبجح : افتخار وتعظم .
(٧) صوءر : ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة مما يلى الشأم . ويوم صوءر من أيامهم المشهورة .

قال : فقال لى الوليد : يابن مَيّادة كأنك غَرِضْتَ[١] مِن قُربنا ؛ فقلتُ : ما مِثلُك يا أمير المؤمنين يُغْرَضُ من قربه ، ولكن :

ألا لَيتَ شِعْرِى هل أَبِيتَنّ ليلةً ... بَحرَّةِ[٢] لِيلَى حيث رَبَّتْنِى[٣] أهلى
وهل أَسمَعَنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ[٤] ... تَطَالَعُ من هَجْلٍ[٥] خَصِيبٍ إلى هَجْلِ
بِــلادٌ بها نِيطَتْ علىَّ تَمائِمِى ... وقُطِّعْنَ عنِّى حينَ أدركنِى عَقْلِى
فإنْ كنتَ عن تلك المواطن حابسِى ... فأَيْسِرْ علىَّ الرِّزْقَ وَاجْمَعْ إذاً شَمْلِى

فقال : كم الهَجْمَة ؟ قلت : مائة ناقة ؛ فقال : قد صَدَرْتَ بها كلّها عُشَراء[٦] . قال ابن مَيّادة : فذكرتُ وِلْدانًا لى بنَجْد إذا استطعموا الله عزّ وجلّ أطعمهم وأنا ، وإذا استسقَوْه سقاهم اللهُ وأنا ، وإذا استكسَوْه كساهم اللهُ وأنا ، فقال : يابن مَيّادة ، وكم وِلْدانُك ؟ فقلت : سبعةَ عشَرَ ، منهم عشرةُ نفَرٍ وسبعُ نِسوة ، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبى ؛ فقال : يابن مَيّادة ، قد أطعمهم اللهُ وأميرُ المؤمنين ، وسقاهم الله وأميرُ المؤمنين ، وكساهم الله وأميرُ المؤمنين ؛ أمّا النساء فأربعُ حُلَلٍ مختلفاتُ الألوان ، وأمّا الرجال فثلاثُ حُلَل مختلفاتُ الألوان ، وأمّا السَّقْى فلا أرَى مائة لِقْحة إلاّ ستَرْوِيهم ، فإن لم تَرْوِهم زِدتُهم عينَيْن من الحجاز . قلتُ : يا أمير المؤمنين ، لسنا بأصحابِ عيون يأكلُنا بها البَعوض ، وتأخذُنا بها الحُمَّيَاتُ ، قال : فقد أخلفها اللهُ عليك ؛ كلَّ عام لك فيه مثلُ ما أعطيتك العامَ : مائة لِقْحة وفَحلها وجارية بِكْر وفَرَس عَتِيق .

١٠٩ / ٢

---

(١) غرضت : ضجرت ومللت .

(٢) الحرة : أرض ذات حجارة سود . وفى ديار العرب حرّات كثيرة ، وأكثرها حوالى المدينة إلى الشام ، ومنها حرة ليلى هذه ، وهى فى ديار بنى مرة بن عوف من غطفان ، يطؤها الحاج فى طريقهم إلى المدينة ، وقال السكرى : حرة ليلى معروفة فى بلاد بنى كلاب ، وأورد قصة الوليد مع ابن ميادة وهذه الأبيات . (انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم «حرة ليلى») .

(٣) ربتنى : فعل رباعى ، يقال : ربت الصبى تربيتا أى ربّاه تربية .

(٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ؛ قيل : أولها الأربعون فما زادت ، وقيل : هى مابين الثلاثين إلى المائة .

(٥) الهجل : المطمئن من الأرض .

(٦) العشراء : الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر وجمعها عشار ، وليس فى الكلام فعلاء يجمع على فعال غير عشراء ونفساء .

عارض ابن القتال وانتحل بيتا من شعره

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني شدّاد ابن عُقْبة عن عبد السلام بن القَتَّال قال :

عارضني ابن مَيّادة فقال : أنشدني يا بن القَتّال ، فأنشدتُه :

ألاَ ليت شعري هل أبيتَنّ ليلةً … بصحراء ما بين التَّنُوفة[1] والرَّمْلِ
وهل أزجُرنّ العِيسَ شاكيةَ الوَجى[2] … كما عَسَلَ[3] السِّرحانُ بالبلد المَحْلِ
وهل أسْمعنَّ الدهرَ صوتَ حمامةٍ … تُغَنّي حَماماتٍ على فَنَنٍ[4] جَثْلِ
وهل أشرَبَنّ الدهرَ مُزْنَ[5] سحابةٍ … على ثَمَدٍ[6] الأفعاة[7] حاضرُه أهلي
بلادٌ بها نِيطَتْ عليّ تمائمي … وقُطِّعنَ عنّي حين أدركني عَقْلي

قال : فأتاني الرّواة بهذا البيت وقد اُصطرفه[8] اُبن مَيّادة وحدَه .

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلّبيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم

---

(١) التنوفة : المفازة ، وقيل : الفلاة التي لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة .

(٢) الوجى : الحفا ، وقيل : شدّته .

(٣) عسل : مضى مسرعا واَضطرب في عدوه وهز رأسه ، والسرحان : الذئب .

(٤) الفنن : الغصن ، والجثل : الضخم الكثير الورق .

(٥) كذا في أغلب النسخ ، والمزن : جمع مزنة وهي المطرة ، وتقال على السحابة البيضاء أو السحابة ذات الماء . وفي ح ، مع ، نا : «صوب» والصوب : المطر .

(٦) الثمد (بفتح الميم وإسكانها) : الماء القليل .

(٧) الموجود في أسماء الأماكن «أفعى» وقد ذكر في القاموس أنها هضبة لبني كلاب . وذكر البكرى في معجم ما اَستعجم ص ٧١٨ أنها ماءة في ناحية هضب الوراق لبني الطماح من بني أسد . وقد يرد هذا الاسم في الشعر بالتاء فيقال أفعاة قال بعض الكلابيين :

هل تعرف الدار بذى النبات … إلى البريقات إلى الأفعاة

قال الصاغاني : أدخل الهاء في الأفعاة لأنه رغب بها إلى الهضبة .

(٨) كذا في أغلب الأصول بالصاد والطاء ، ولم نجد لاصطرف في هذا الموضع معنى مناسبا . وفي س : «اَسطرفه» بالسين والطاء ولعل أصله «اَستطرفه» أي عده طريفا أو اختاره يقال : استطرفت الإبل المرتع أي اختارته .

جازه الوليد إبلا فأرادوا إبدالها فقال شعرا

قال حدّثنى رجلٌ من كَلْب وأخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى عن حَمّاد[١] عن أبيه عن أبى علىّ الـكلبىّ قال :

أمر الوليد بن يزيد لأبن مَيّادة بمائة من الإبل من صَدَقات بنى كلب ، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد ، وهى الغرائب ، وأن يُمسِكوا التِّلاد[٢] ؛ فقال ٱبن مَيّادة :

أَلم يَبْلُغْكَ أنّ الحىّ كلبًا أرادوا فى عَطِيَّتكَ ٱرتدادا
وقالوا[٣] إنها صُهْبٌ[٤] ووُرْقٌ[٥] وقد أَعطيتَها دُهْمًا[٦] جِعادا[٧]

فعلِموا أنّ الشعر سيبلغ الوليدَ فيُغْضِبُه ؛ فقالوا له : ٱنطلِقْ فخذها صُـفْرا جِعادا .

شعره فى رثاء الوليد

وقال يحيى بن علىّ فى روايته : لمـا قُتِل الوليد بن يزيد قال ٱبن مَيّادة يرثيه :

---

(١) كذا فى ا ، م ، حـ . وفى سائر النسخ : «عن حماد الراوية عن أبيه» وزيادة الراوية هنا من تشويه النساخ ؛ لأن الذى يروى كثيرا عن أبيه هو حماد بن إسحاق لا حماد الراوية ، وقد تقدم ذلك فى أسانيد كثيرة ولم يعرف أن حمادا الراوية يروى عن أبيه ، على أنه ليس فى السند بين أبى الفرج الأصفهانى وبين حماد هذا إلا راو واحد ، ومعروف أن حمادا الراوية عاش إلى خلافة المنصور ومات سنة ١٦٤ هجرية وصاحب الأغانى مات ٣٥٦ فالمدة بينهما طويلة ، ولا يعقل لذلك أن يتوسطهما راو واحد .

(٢) التلاد : مال قديم ولد عندك أو نتج .

(٣) يروى فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٤٨٥) : «أرادوا لى بها لونين شتّى ...» الخ .

(٤) صهب : جمع أصهب أو صهباء ، والصهبة فى الإبل : أن يكون فى ظاهر الشعر حمرة وفى أصواله اسوداد .

(٥) فى ا ، م ، د ، ط : «زرق» . وورق : جمع أورق أو ورقاء . والورقة : سواد فى غبرة وقيل سواد فى بياض . قال أبو نصر النعامى : هجر بحمراء ، وأسر بورقاء وصبح القوم على صهباء ، قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأن الحمراء أصبر على الهواجر ، والورقاء أصبر على طول السرى ، والصهباء أشهر وأحسن حين ينظر إليها .

(٦) الدهم : جمع أدهم أو دهماء ، والدهمة : السواد .

(٧) جعاد : جمع جعدة من الجعودة وهى فى الإبل التواء وبرها وتقبضه ونقبضها السبوطة وهى الانبساط والاسترسال .

ألاَ يا لَهْفَتَىَّ على وليـدٍ[١] غداةَ أصابه القَـدَرُ المُتـاحُ[٢]
ألاَ أبكِى الوليـد فتَى قُرَيْشٍ وأسمحَها إذا عُـــدّ السَّماحُ
وأجبرَها لذِى عَظْمٍ مَهِيضٍ[٣] إذا ضَنّت بدِرّتها اللِّقـاحُ
لقد فعَلتْ بنو مرْوانَ فِعْلاً وأمراً ما يسوغ به القَراحُ[٤]

قال يحيى : وغنّى فيه عُمَرُ الوادى ولم يَذْكُر طريقة غِنائه .

ابن ميادة وعثمان ابن عمرو بن عثمان ابن عفان

أخبرنا الحرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن زُهَيْر بن مُضَرِّس[٥] الفَزارىّ عن أبيه قال :

أخصب جَنابُ الحجاز الشامىّ فمالتْ لذلك الخِصْب بنو فَزَارة وبنو مُرَّة ، فتحالُّوا[٦] جميعاً به . قال : فبينا ذات يوم[٧] أنا وابن مَيّادة جالسان على قارعة الطريق عِشاءً إذا راكبان يُوجِفان[٨] راحلتين حتى وقفا علينا ، فإذا أحدهما بحر[٩] الريح وهو

---

(١) كذا فى أغلب النسخ : بغير أل . وفى ا ، م : «الوليد» وقد نظر من رجح «وليد» إلى ضرورة تنوينها فى صدر البيت ليتم به عروض «فعولن» ولا يبرر عدم تنوينها إلا وقوعها صدرا لمطلع قصيدة دالية من نوعها والحال هنا بخلاف ذلك .

(٢) المتاح : المقدّر ، يقال : أتاح الله له خيرا أو شرا أى قدره .

(٣) المهيض : المكسور ، يقال : هاض العظم يهيضه هيضا فانهاض ، أى كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينجبر فهو مهيض .

(٤) القراح : الماء الخالص الذى لم يخلطه شىء من سويق ولا غيره .

(٥) لم نستند فى ضبط هذا الاسم إلى نص صريح وإنما وجدنا العرب يسمون مضرسا كمحدّث ولم يذكر صاحب القاموس فيما سموا به غير هذه الصيغة .

(٦) كذا فى ح . وتحالوا فى كذا ؛ أى حلوا متجاورين ، ومنه قيل للزوجة : حليلة ؛ لأنها تحال زوجها فى دار واحدة . وفى باقى النسخ : «فتحالفوا» بفاء بعد اللام .

(٧) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : «فإنى ذات يوم الخ» .

(٨) يوجفان : يحثان .

(٩) كذا فى ب ، س ، د . وفى ح «بحر الزنج» ، وسيأتى هذا الاسم فى ترجمة أشعب وأخباره فى ج ١٧ ص ٨٩ من الأغانى طبع بولاق هكذا : «خراء الزنج» وهو عثمان بن عمرو بن عثمان .

١١٠/٢

عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفان معه مَوْلًى له ، فنَسَبنا(١) وانتسب لنا ، وقد كان ابن مَيّادة يُعَلِّلُنى(٢) بشعره ، فلمَّا انقضى كلامُنا مع القُرشىّ ومولاه استعدتُ ابنَ مَيّادة ما كنَّا فيه ، فأنشدنى فخراً له يقول فيه :

وعلى المُلَيْحَة(٣) من جَذِيمةَ فتيةٌ ... يتمارضُون(٤) تمارضَ الأُسْدِ
وترى الملوكَ الغُرّ تحت قِبابهم ... يمشون فى الحلقاتِ والقِدِّ(٥)

قال : فقال له القُرشىّ : كذبتَ ؛ قال ابن مَيّادة : أفى هذا وحدَه ! أنا والله فى غيره أكذَبُ ؛ فقال له القُرشىّ : إن كنتَ تريد فى مديحك قريشاً فقد كفرتَ بربك ودفعتَ قوله ، ثم قرأ عليه : ﴿ لإيلَافِ قُرَيْش ﴾ حتى أتى على آخرها ، ونهضَ هو ومولاه وركبا راحلتيهما ؛ فلما فاتا أبصارَنا قال ابن مَيادة :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مانعٌ منك نفسَه ... وغَثُّ قُرَيْشٍ حيث كان سمينُ

ابن ميادة وسنان ابن جابر وهجاؤه بنى حميس

أخبرنا يحيى بن علىّ عن حماد عن أبيه عن أبى الحارث المُرِّىّ قال :

كان ابن ميادة قد هاجى سِنانَ بن جابر أحد بنى حُمَيس بن عامر بن جُهَينة ابن زيد بن لَيث بن سُود بن أسلم ؛ فقال ابن ميّادة له فيما قال من هجائه :

لقد طالما عَلَّتَ حُجْراً وأهلَه ... بأعراض قيسٍ يا سنانُ بنَ جابرِ
أأهجو قُرَيشاً ثم تكره رِيبتى ... ويَسرِقُنى عِرضى حُمَيسُ بنُ عامرِ !

(١) فنسبنا : سألنا أن ننتسب . وفى ط : «فنسبنا فانتسب» .
(٢) يعللنى : يشغلنى ويلهينى ، يقال : علله بالحديث أو الطعام إذا شغله به .
(٣) الموجود فى معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى وشرح القاموس للسيد مرتضى : «مليحة» بدون أل ، وهى موضع فى بلاد بنى تميم ، وكان به يوم بين بنى يربوع و بسطام بن قيس الشيبانى . ومليحة : اسم جبل أيضا فى غربى سلمى أحد جبلى طيئ وبه آبار كثيرة وطلح .
(٤) التمارض : أن يرى من نفسه المرض وليس به .
(٥) القدّ (بالكسر) : سيور تقدّ من جلد فطير غير مدبوغ يشدّ به الأسير .

قال : وقال فيهم أيضاً :

قِصارُ الخُطَى فُرْقٌ[١] الخُصَى زُمُرُ اللّحى[٢] ... كأنّهمُ ظِرْبَى[٣] اهترشْنَ على لحمِ
ذكرتُ حِمامَ القَيْظِ لما رأيتُهم ... يُمَشُّون[٤] حولى فى ثيابهم الدُّسْمِ[٥]
وتُبدِى الحميسيّاتُ فى كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثار الصِّغار من البَهْمِ

قال : ثم إنّ ابن ميادة خرج يبغى إبلاً له حتى ورَد جُبَاراً[٦] — وهو ماءٌ لحميس بن عامر — فأتى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسنّت ،فنشَدها إبلَه فذكرتْها له وقالت : ممن أنت ؟ قال : رجلٌ من سُلَيم بن منصور ؛ فأَذِنَت له وقالت : ادخل حتى نَقرِيَك وقد عرَفته وهو لايَدرى ؛ فلما قرَتْه قال ابن ميادة : وجدتُ ريحَ الطِّيب قد نفَح علىّ من البيت ، فإذا[٧] بنتٌ لها قد هتكت السِّتر ، ثم استقبلتْنى وعليها إزارٌ أحمرُ وهى مؤتزِرةٌ به ، فأطلقتْه وقالت : انظر يابنَ ميادة الزانية ! أهـذا كما نعَتَّ ! فلم أرَ امرأةً أضخم قُبُلاً منها ؛ فقالت : أهـذا كما قلتَ ! :

وتُبدِى الحميسيّاتُ فى كلّ زينةٍ ... فُرُوجاً كآثار الصِّغار من البَهْمِ

قال : قلتُ : لا والله ياسيِّدَتى ، ما هكذا قلتُ ولكن قلتُ :

---

(١) جمع أفرق ، من الفرق وهو تباعد ما بين الخصيتين ، ويقال للشاة البعيدة مابين الخصيتين : فرقاء .
(٢) كذا فى جميع الأصول ، ولعله بمعنى « مجتمعو اللحى » .
(٣) الظربى : جمع ظربان وهى دويبّة كالهرّة منتنة الرائحة . ويقال : إن أبا الطيب المتنبى لقى أبا علىّ الفارسى فقال له أبو على : كم لنا من الجموع على فعلى (بالكسر) . فقال أبو الطيب بديهة : حجلى وظربى ولا ثالث لهما . فما زال أبو على يبحث هل يستدرك عليه ثالثا فلم يمكن إلا ذلك . واهترشن : تواثبن وتقاتلن .
(٤) يمشون لازم كيمشون .
(٥) الدسم : الوسخة .
(٦) جبار : ماء لبنى حميس بن عامر بن ثعلبة بين المدينة وفيد .
(٧) كذا بالفاء فى ا ، م . وفى سائر النسخ : « وإذا » بالواو .

وتُبدِى الحُبيسياتُ فى كلِّ زينةٍ فروجًا كآثار المُقَيْسِرَةِ[١] الدُّهْمِ

وانصرف يتشبَّبُ[٢] بها فذلك حين يقول :

نَظرنا فهاجتْنا على الشَّوق والهوَى لِزَينبَ نارٌ أُوقِدَتْ بجُبَارِ
كأن سناها لاح لى من خَصاصةٍ على غير قصدٍ والمطىُّ سَوارِى
حُمَيسيَّةٌ بالرملتين محلّها تَمُدُّ بجِلْفٍ بيننا وجِوارِ

قال أبوداود[٣] : وكانت بنوحُميس حُلفاءَ لبنى سهم بن مُرَّة ، ثم للحُصين ابن الحُمَام . وتمدّ وتمُتّ واحد .

رجع إلى الشعر ١١١ / ٢

تُجاوِر من سهم بن مُرَّةَ نِسْوةً بمجتَمع النقبين[٤] غيرَ عَوارِى
نواعمَ أبكاراً كأنَّ عيونَها عيونُ ظِباء أو عيونُ صُوارِ[٥]
كأنا نراها وهى منّا قريبةٌ على متن عَصْماءِ[٦] اليَدَيْنِ نَوارِ[٧]
تَتَبَّعُ من رِججْرٍ[٨] ذُرا مُتمنِّعٍ لها مَعْقِلٌ فى رأس كلِّ طَمارِ[٩]

(١) المقيسرة : الإبل المسانّ ، يقال : هذه مقيسرة بنى فلان ، أى إبلهم المسانّ .
(٢) فى ح : «يشبب» وفى ط : «ينسب» .
(٣) فى ط : «أبو دواد» .
(٤) كذا فى ا ، د ، م ، ط . وفى ب ، س : «التصفين» . وفى ح ، نا : «الصفين» . ولم نهتد لترجيح إحدى هذه الروايات .
(٥) الصوار هنا : القطيع من البقر ، ويقال أيضا على وعاء المسك وقد جمع الشاعر بينهما بقوله :
إذا لاح الصوار ذكرت ليلى وأذكرها إذا نفح الصوار
(٦) العصماء : ما يكون فى ذراعها بياض من الظباء والوعول .
(٧) نوار : نفور .
(٨) كذا فى أغلب الأصول ، وهو اسم لمواضع منها : جبل فى بلاد غطفان . وفى ح : «حجز» بالزاى المعجمة .
(٩) الطمار : اسم المكان المرتفع ، يقال : أنصب عليهم فلان من طمار أى من مكان عال .

يَدُور بهـا ذو أسْهم لا ينالهـا　　وذو كَلَبات كالقِسِىّ ضَوارِى[١]
كأنّ على المَتْنَيْن منها وَدِيَّةً[٢]　　سقَتْهـا السواقِى من وَدِىّ دَوارِ[٣]
يَظَلّ سحيقُ المِسك[٤] يقطُـر حولهـا　　إذا المـاشطاتُ آحتفنه[٥] بمَدارِى
وما رَوْضَةٌ خضراء يضربها الندَى　　بهـا قُنّةٌ مِن حَنْوَةٍ وعَرارِ[٦]
بأَطيبَ مِن رِيح القَرَنْفُل ساطعًا　　بمـا ألتفّ من دِرْع لهـا وخِمـارِ
وما ظبيةٌ ساقتْ لها الريحُ نَغْمةً[٧]　　على غفلةٍ فاستسمعتْ لُحوارِ[٨]
بأحسنَ منها يومَ قامتْ فأتلعتْ[٩]　　على شَرَكٍ[١٠] من رَوْعةٍ ونِفارِ
فليتَكِ يا حسناء يابنةَ مالكٍ　　يَبيع لنـا منكِ المودّةَ شارِى[١١]

(١) وصف الكلبات ، وهو جمع ضارية أى المتعوّدة الصيد ، يقال : ضرى الكلبُ بالصيد ضراوة أى تعوّد ، وأضراه صاحبه أى عوّده وأغراه به .

(٢) الودية : واحدة الودىّ وهو فسيل النخل وصغاره ، وهى هنا كناية عن الضفيرة من الشعر .

(٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى د : «درار» ولم نعثر على أنه اسم مكان خاص .

(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «سليخ البان» ، ولعل كلمة سليخ جمع لسليخة وهى دهن ثمر البان ، قال فى اللسان : وسليخة البان دهن ثمره قبل أن يربب بأفاويه الطيب .

(٥) كذا فى أغلب النسخ ولم نجد لها معنى مناسبا . وفى حـ : «آحتفته» وهو تحريف قطعا ولم نوفق إلى تقريبه من صوابه . ولعلها : احتقنه ، واحتاق الشىء : أتى عليه ، على معنى أن الأمشاط تأتى على فتات المسك الملتصق بالشعر .

(٦) القنة : الجبل الصغير . والحنوة : نبات سهلىّ طيب الريح . وفى ب ، س : «من جنوة» بالجيم المعجمة وهو تصحيف . والعرار : بهار ناعم أصفر طيب الريح .

(٧) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ ، ا : «بغمة» بالباء الموحدة من بغمت الظبية والبقرة والناقة أى صوّتت .

(٨) كذا فى ا ، ب نسخة الشيخ الشنقيطى بعد تصحيحه لها . والخوار : صوت البقر والغنم والظباء ، وكذلك فى مع وفى باقى النسخ : «حوار» بالحاء المهملة . وفى مع : «لخوار» .

(٩) أتلعت : مدت عنقها متطاولة .

(١٠) الشرك : حبالة الصائد .

(١١) شارى ، أى بائع ، يقال : شراه إذا باعه ، ومنه قول يزيد بن مفرغ :

شريت بردا ولولا ما تكنفنى　　من الحوادث ما فارقته أبدا

ابن ميادة وزينب بنت مالك

وأخبرنى بهذا الخبر الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبير قال حدّثنى أبو حَرْمَلَة مَنْظور ابن أبى عَدِىّ الفَزارِىّ ثم المَنْظورىّ عن أبيه قال حدّثنى رَمّاح بن أبرَد قال :

خَرَجتُ قافلا مِن السَّلْع(١) إلى نجد ، حتى إذا كنتُ ببعض أهْضام(٢) الحَرّة (هكذا(٣) فى نُسْختى ، وأظنه هِضاب(٤) الحرّة) رُفع لى بيتٌ كالطِّراف(٥) العظيم ، وإذا بفِنائه غَنَم لم تَسْرَحْ ، فقلت : بيت من بيوت بنى مُرَّة وبى من العَيْمة(٦) إلى اللبن ما ليس بأحد ، فقلت : آتيهم فأُسلِّم عليهم وأَشرَب من لبنهم ، فلما كنت غير بعيد سلّمت فردّتْ علىّ امرأةٌ بَرْزَة(٧) بفناء البيت ، وحيّت ورحّبت واستنزلتنى فنزَلتُ ، فدعَتْ بابن ولِبَأٍ ورِسْل(٨) من رِسْل تلك الغنم ، ثم قالت : هَيَا فلانةُ البسى شَفًّا(٩) واخرُجى ، فخرجتْ علىّ جارية(١٠) كأنها شَمْعةٌ ما رأيتُ فى الخَلْق لها نظيراً قبلُ ولا بعدُ ، فإذا شَفُّها ذاك ليس يُوارى منها شيئاً وقد نَبا عن

(١) عرف باسم «سلع» جبل بقرب المدينة . وقد أورده الجوهرى معرّفا فقال : السلع : جبل بالمدينة . وخطأه صاحب القاموس بحجة أنه علم والأعلام لاتدخلها الألف واللام . ونقل السيد مرتضى فى تاج العروس (مادة سلع) منازعة شيخه لصاحب القاموس فى هذه التخطئة . وسلع أيضا : جبل فى ديار هذيل بين نجد والحجاز ويقال فيه : ذو سلع .

(٢) الأهضام : جمع هضم (بالفتح والكسر) وهو المطمئن من الأرض .

(٣) هذه العبارة المحصورة بين قوسين واردة فى أغلب النسخ ما عدا نسخة حـ . والظاهر أنها ليست من كلام أبى الفرج وإنما هى حاشية وجدت على بعض نسخ الأغانى فأدخلها الناسخ فى أصل الكتاب لأن صاحب الأغانى روى هذا الخبر عن الحرمى ولم يذكر أنه نقلها من كتاب .

(٤) إنما رجح أن تكون فى الأصل هضاب لأن المتبادر من قوله : « رفع لى بيت » أنه أطل عليه من هضبة .

(٥) الطراف : بيت من أدم ليس له كفاء (سترة تكون فى مؤخرة البيت من أعلاه إلى أسفله) . وفى ا ، م ، حـ ، مع ، خد ، رس ، نا : «الظرب» والظرب ككتف : الرابية أو الجبل المنبسط .

(٦) العيمة : شهوة اللبن ، يقال : عام الرجل إلى اللبن يعام ويعيم عيما وعيمة إذا اشتهاه .

(٧) البرزة : المرأة المتجاهرة تبرز للناس ويجلس إليها القوم وهى مع ذلك عفيفة عاقلة .

(٨) اللبأ : أول اللبن عند النتاج . والرسل : اللبن .

(٩) كذا فى حـ ، والشف من الثياب : الرقيق ، يقال : شف الثوب عن المرأة يشف شفوفا وشفيفا فهو شف أى رق حتى يرى ما خلفه . وفى باقى النسخ : «شقا» بالقاف وهو تصحيف .

(١٠) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، س : «فخرجت على امرأة جارية» بزيادة لفظة امرأة .

رَكَبها[١] ما وقع عليه من الثوب[٢] فكأنه قَعْبٌ[٣] مُكْفَأ ، ثم قالت : يابن ميادة الخبيثة ، أأنت القائل :

وتُبدى الُحَمَيْسيَّاتُ فى كلّ زينةٍ فُروجاً كآثار الصِّغار مِن البَهْمِ ؟

فقلت : لا والله — جعلنى الله فِداك ياسيدتى — ما قلت هذا قطّ ، وإنما قلت :

وتُبدى الحميسيَّاتُ فى كلّ زينةٍ فُرُوجًا كآثار المُقَيْسِرة الدُّهْمِ

قال : وكان يقال للجارية الُحَمَيسيّة : زينب بنت مالك ، وفيها قال ابن ميّادةَ قصيدته :

* ألِمَّا فَزُورَا اليومَ خيرَ مَزارِ *

أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعرا

أخبرنى الحرَمىّ بنَ أبى العلاَء قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى مَوْهوب ابن رَشيد الكِلاَبىّ قال :

أعطى الوليد بنَ يزيد ابنَ ميّادة جاريةً طَبَرِيّةً[٤] أعجمية لا تُفصِح ، حسناءَ جميلةً كاملةً لولا العُجْمة ، فعَشِقها وقال فيها :

جزاكَ الله خَيراً من أمير فقدأعطيتَ مِبْراداً سَخُونا

١١٢/٢

بأهلى ما ألَذَّكِ عندَ نفسى لوَ أنكِ بالكلام تُعَرِّبينا

كأنكِ ظبيةٌ مَضَغَتْ أراكاً بوادىالجِزْعِ حين تُبَغِّمينا[٥]

(١) الركب : ظاهر الفرج ، وقيل : هو الفرج نفسه .
(٢) فى ب ، س ، ط بعد كلمة الثوب كلمة «شئ» وهى زيادة لم يظهر لها معنى .
(٣) القعب : القدح الضخم الغليظ الجافى ، وقيل قدح من خشب مقعر . والمكفأ : المقلوب يقال : أكفأ الشيء أى كبه وقلبه ككفأه .
(٤) نسبة إلى طبرستان من بلاد الفرس وهى بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم .
(٥) التبغيم : ترخيم الصوت .

حاته مع رجل من بنى جعفر

أخبرنى الحرمىّ قال حدثنا الزُّبير قال حدّثنى إسحاق بن شُعَيب بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال :

ورَدتُ على بنى فَزارة ساعياً(١) ، فأتانى ابنُ ميّادة مُسلِّماً علىّ ، وجاءتنى بنو فَزارة ومعها رجلٌ من بنى جعفر بن كِلاب كان لهم جاراً وكان مُخطَّطاً(٢) مَوْسوماً بجمال ، فلما رأيتُه أعجبنى ، فأقبلتُ على بنى فزارة وقلتُ لهم : أىّ أخوالى هذا ؟ . فوالله إنّه لَيسُرُّنى أنْ أرى فيكم مثله ، فقالوا : هـذا — أمتعَ الله بك — رجلٌ من بنى جعفر ابن كلاب وهو لنا جارٌ . قال : فأصغى إلىّ ابن ميّـادة ، وكان قريباً منى ، وقال : لا يغرنّك — بأبى أنت — ما ترى من جسمه فإنّه أجوفُ لا عقل له ؛ فسمعه الجعفرىُّ فقال : أفىّ تقع يابن ميادة وأنت لا تَقرِى ضيفَك ؟ فقال له ابن ميّادة :

إن لم أَقرِه قراه ابن عمِّى وأنت لا تَقرِى ولا ابنُ عمك : قال ابن عِمران(٣) : فضحكت مما شهد به(٤) ابن ميادة على نفسه .

ان بخيلا لا يكرم أضيافه

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل الجعفرىّ عن المُعَلّى ابن نوح(٥) الفَزارىّ قال حدّثنى خال لى كان شريفاً من سادات بنى فَزارة قال :

ضِفتُ ابن ميادة فأكرمنى وتحفَّى بى(٦) وفرّغ لى بَيتا فكنتُ فيه ليس معى أحد ، ثم جاءنى بِقَدَح ضخم من لبن إبله فشربته ثم وَلّى ؛ فلم يَنْشَب أن جاءنى بآخرَ فتناولتُ منه شَيئا يَسيراً ، فما لبثتُ حتى عاد بآخر ، فقلتُ : حسبك يا رَمّاح فلا حاجةَ لى بشىء فقال : اشرَبْ بأبى أنت ، فوالله لربما بات الضيفُ عندنا مدحوراً(٧) .

---

(١) ساعيا : جابيا صدقاتهم . (٢) مخططا : جميلا .

(٣) كذا فى جميع الأصول ولم يتقدم لهذا الاسم ذكر فى السند .

(٤) فى حـ : «بما باء ابن ميادة على نفسه» .

(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ ، رس : «برج» بدل «نوح» .

(٦) كذا فى ط ، وتحفى بى أى بالغ فى برّى والسؤال عن حالى . وفى باقى الأصول : «وأتحفنى» .

(٧) مدحورا : مطرودا .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمِّى مُصْعَب عن جدِّى عبد الله ابن مُصعب قال :

أتَينا ابنَ ميادة نتلقَّى منه الشِّعرَ ؛ فقال لنا : هل لكم فى فضل شَنَّةٍ[1] ؟ فظنناها تمراً ، فقلنا له : هاتِ ، لَنبسُطه[2] بذلك ، فإذا شَنَّةٌ فيها فضلةٌ من خَمْر قد شُرِب بعضُها وبقى بعضٌ ، فلما رأيناها قمنا وتركناه .

دعى فى وليمة فرجع لما رأى من ضرب الناس بالسياط

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى إبراهيم بن عبد الرحمن الكَثِيرىُّ قال حدّثنى نعمة[3] الغِفارىّ قال :

قدم ابن ميَّادة المدينة فدُعِىَ فى وليمة ، فجاء فوجد على باب الدار التى فيها الوليمة حَرَساً يضربون الزَّلّالين[4] بالسِّياط يمنعونهم من الدخول ، فرجع وهو يقول :

ولما رأيتُ الأَصبَحِيَّةَ[5] قنَّعتْ[6] مفارِقَ شُمْطٍ حيث تُلْوَى العمائمُ
تركتُ دِفاعَ الباب عمّا وراءَه وقلتُ : صحيحٌ من نجا وهو سالمُ

جوابه حين سأله الوليد : من تركت عند نسائك ؟

أخبرنى يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق قال :

قال الوليد بن يزيد لابن ميادة فى بعض وفاداته عليه : مَنْ تركتَ عند نسائك ؟

(١) الشنة : الخلق من كل آنية صنعت من جلد ، ويقال للسقاء شنّ ، وللقربة شنّ .
(٢) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «لننشطه» .
(٣) سموا « نعمة» بضم النون وبكسرها ، ولم نوفق إلى تعيين ضبط هذا الاسم هنا . وفى ط : «نعمة العفانى » .
(٤) الزلالون : الطفيليون؛ نقل ابن برى عن ابن خالويه أن من أسماء الطفيلى الزلال (انظر اللسان مادة طفل) .
(٥) الأصبحية : السياط ؛ نسبة إلى ذى أصبح ، ملك من ملوك حمير .
(٦) قنعت ، أى علت الرءوس ، يقال : قنع فلان رأس الجبل ، أى علاه ، وقنعت فلانا بالسيف والسوط أى علوته به .

قال: رَقِيبَيْن لا يُخالفانى طَرْفَةَ عَين: الُجوع والعُرْى. وهذا القول والجواب يُرْوَى[1] أنّ عمرَ بنَ عبد العزيز وعَقِيل بنَ عُلّفة تَراجَعاها، وقد ذُكِرا فى أخبار عَقِيل.

مدحه لأبى جعفر المنصور

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب وأخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزّبَيْر وأخبرنا يحيى ابن علىّ قال: حدثنا أبو أيّوب المَدِينىّ عن مُصعَب:

أن ابن ميادةَ مدحَ أبا جعفر المنصور بقصيدته التى يقول فيها:

* طلعتْ علينا العِيسُ بالرّمّاح *

١١٣/٢

ثم خرج من عند أهله يُريده، فمرّ على إبله فحُلبت له ناقةٌ من إبله، وراح عليه راعِيه بلبنها فشَرِبه ثم مَسَحَ على بطنه ثم قال: سبحان الله! إنّ هذا لهو الشَّرَه! يكفينى لبن بَكْرَة وأنا شيخ كبير، ثم أخرج[2] واغترب فى طلب المال! ثم رجَع فلم يخرُج. وهذه القصيدةُ من جيِّد شعر ابن ميّادة، أوّلها:

وكواعِبٍ[3] قد قلن يوم تَوَاعُدٍ[4] قَوْلَ المُجِدّ وهُنّ كالمُزّاحِ
ياليتنا فى[5] غير أمرٍ فادحٍ[6] طَلَعَتْ علينا العِيسُ بالرّمّاحِ
بَيْنا كذاكَ رأيننى مُتعصِّباً بالخزّ فوق جُلالةٍ سِرْداحِ[7]

(١) فى جميع الأصول: «يرويان» وهو تحريف.
(٢) كذا فى أغلب الأصول. وفى ب، س: «ثم قال أخرج» وهى هنا حشو لا فائدة فيها.
(٣) كذا ورد هذا الشطر فى جميع الأصول. وجاء فى الكامل للمبرد طبع أوروبا ص ٢٩ هكذا:

* ونواعم قد قلن يوم ترحل *

(٤) كذا فى حـ. وفى باقى الأصول: «يوم تواعدوا» ولا يصح أن تكون الواو ضميرا للنسوة.
(٥) فى الكامل للمبرد: «من غير».
(٦) كذا فى حـ والكامل للمبرد. وفى أغلب الأصول: «ثائر». وفى ب: «بائر».
(٧) الجلالة: الناقة العظيمة. والسرداح: الناقة الطويلة، وقيل: الكثيرة اللحم.

فيهنّ صفراءُ المَعاصم طَفْـلةٌ[١] … بيضاءُ مثلُ غَرِيضةِ[٢] التُّفَّاحِ
فنظَرنَ من خَلَل الحِجال[٣] بأعينٍ … مَرْضَى يُخالطُها السَّقامُ صِحاحِ
وارتشْنَ[٤] حين أردْنَ أنْ يرمينَنى … نَبْلًا بلا رِيشٍ ولا بِقداحِ

يقول فيها فى مدح المنصور وبنى هاشم :

فلئنْ بَقِيتُ لألحقنّ بأبحُرٍ … يَنمِينَ لاقُطْعٍ[٥] ولا أنزاحِ[٦]
ولآتينّ بنى[٧] علىّ إنهمْ … مَن يأتِهم يُتلقّ بالإفلاحِ
قومٌ إذا جُلب الثناء إليهمُ … بِيعَ الثناء هناك بالأرباحِ
ولأَجْلِسنّ إلى الخليفة إنّه … رَحْبُ الفِناء بواسع بَحْباحِ

وهى قصيدة طويلة .

أصاب الحاج بمكة مطر شديد وصواعق فقال شعرا

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدثنا الزُّبير قال حدّثنا إسحاق بن أيّوب بن سَلَمةَ قال :

أعتمرتُ فى رجب سنةَ خمس ومائة ، فصادفنى ابن مَيّادة بمكة وقَدِمَها مُعْتَمرا ، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق ، فجلس إلىّ ابن مَيّادة الغدَ من ذلك اليوم[٨] ، فجعل يأتينى قومٌ من قومى وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغَيْث

(١) الطفلة (بالفتح) : الجارية الرقيقة البشرة الناعمة .
(٢) الغريضة : الطرية .
(٣) فى رس : « الحجاب » .
(٤) ارتشن نبلا : اتخذن لها ريشا .
(٥) قطع : جمع أقطع وهو الذى انقطع ماؤه .
(٦) أنزاح : جمع نزح (بالتحريك) وهو ما نزح أكثر مائه ، وهو أيضا الماء الكدر .
(٧) كتب فى هامش ط على هذا البيت (يعنى على بن عبد الله بن العباس ا ه) وهو أصغر أولاد عبد الله ابن عباس ولكنه تقدمهم لشرفه ونبله وقد أنزله عبد الملك بن مروان الحميمة ببلاد الشام فلبث فيها حتى مات (انظر اليعقوبى ص ٣١٤و٣٢٧و٣٤٨و٣٨٥) .
(٨) فى ط : «والمطر» .

فيقولون : صَعِق فلان وانْهدم منزل فلان ، فقال ابن مَيّادة : هذا العَيْث[١] لا الغَيْث ، فقلت : فما الغيث عندك ؟ قال :

سحائبُ لا مِن صَيِّبٍ[٢] ذى صَواعِقٍ ... ولا مُخْرِقات ماؤهُنّ حَمِيمُ
إذا ماهَبطْنَ الأرضَ قدمات[٣] عُودُها ... بكَيْنَ بها حتى يَعيش هَشِيمُ

أنشد شعره فاعترض عليه عيسى بن عميلة

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْرُ قال حدثنى موسى بن زُهَيْر عن أبيه قال : جلست أنا وعيسى بن عُمَيْلَة وابن مَيّادة ذات يوم ، فأنشدنا ابنُ مَيّادة شعره مَلِيًّا ، ثم أنشدنا قوله :

ألَا ليتَ شِعْرِى هل أبيتَنّ ليلةً ... بحَرَّة ليلَى حيث ربّتَنِى أهلى
بلادٌ بها نِيطَتْ علىّ تمائمى ... وقُطِّعن عنّى حين أدركنى عقلى
وهل أسمعنّ الدهرَ أصوات هَجْمَةٍ ... تَطالَع من هَجْلٍ خَصِيبٍ إلى هَجْلِ
صُهَيْبِيَّةٍ صفراءَ تُلْقِى رِباعَها ... بمُنْعَرَجِ الصَّمّان[٤] والجَرَعِ[٥] السهلِ

تلقى رِباعها : تطرَح أولادها . وواحد الرِّباع رُبَع .

وهل أجمعنّ الدهرَ كفِّىَ جَمْعةً ... بمَهْضُومَةِ الكَشْحَيْنِ ذاتِ شَوًى[٦] عَبْلِ
مُحلَّلةٍ لى لا حَراما[٧] أتيتُها ... من الطيبات حين ترْكُض فى الحَجْلِ[٨]

١١٤ / ٢

(١) العيث بالعين المهملة : الفساد .
(٢) فى ح ، د ، ط : «صيف» ورواية الكامل للمبرد ص ٥٠ « ... صيف ... ... مخرفات ... » .
(٣) فى ط : «داء عودها» من داء الرجل (وزان شاء) : أصل الداء .
(٤) الصمان : أرض غليظة دون الجبل ، ويطلق على جبل ينقاد ثلاث ليال وليس له ارتفاع بين البصرة ومكة ، يخرج المسافر من البصرة إلى مكة فيسير إلى كاظمة ثلاثا ثم إلى الدوّ ثلاثا ثم إلى الصمان ثلاثا ثم إلى الدهناء ثلاثا . (انظر معجم ما استعجم للبكرى ص ٦٠٥ طبع أوربا) .
(٥) الجرع : الرملة السهلة المستوية .
(٦) الشوى : الأطراف : اليدان والرجلان والرأس . والعبل : الضخم .
(٧) كذا فى ح ، ا : «حراما» . وفى باقى النسخ : «حرام» .
(٨) الحجل (بفتح الحاء المهملة وكسرها) : الخلخال .

تميلُ إذا مالَ الضَّجيع بعطفِها كما مالَ دِعْصٌ[1] من ذُرَا عَقِد[2] الرملِ

فقال له عيسى بن عُمَيْلة : فأين قولك يا أبا الشُّرَحْبيل :

لقد حَرّمت أُمّى علىّ عَدِمتُها كَرائمَ قومى ثمّ قِلّةُ ماليا

فقلت له : فاعطِف إذاً إلى أمَة بنى سُهَيل فهى أعنَدُ وأنكَدُ ، وقد كنتُ أظنّ أن ميّادة قد ضربت جأشك[3] على اليأس من الحرائر ، وأنا أُداعبه وأُضاحكه فضَحِك وقال :

ألم تَر قوماً يَنْكِحون بمالهمْ ولو خَطَبَتْ أنسابُهم[4] لم تُزَوّجِ

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثنى عمّى مُصْعَب وغيرُه :

أن حُسَيْنَة اليساريّة كانت جميلة — وآلُ يَسَار من موالى عُثمان رضوانُ الله عليه يسكنون تَيْماء ، ولهم هناك عَدَد وجَلَد ، وقد انتسبوا فى كَلْب إلى يسار بن أبى هند فقَبِلهم[5] بنو كَلْب — قال : وكانت عند رجل من قومها يقال له : عيسى بن إبراهيم بن يسار ، وكان ابن ميّادة يزورها ، وفيها يقول :

ستأتينا حُسَيْنَةُ حيث شِئْنا وإن رَغِمَتْ أُنوفُ بنى يَسارِ

(١) الدعص (بالكسر) : قطعة من الرمل مستديرة ، أو الكثيب منه المجتمع ، جمعه دعص (كعنب) وأدعاص ودعصة (كعنبة) .

(٢) العقد : المتراكم من الرمل .

(٣) قال فى اللسان (مادة جأش) : «وقال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ يأيتها النفس المطمئنة ﴾ : هى التى أيقنت أن الله ربها وضربت بذلك جأشا . قال الأزهرى : معناه : قرت يقينا واطمأنت كما يضرب البعير بصدره الأرض» . والمعنى هنا : أنها جعلت قلبه على يأس من الاقتران بالحرائر لانحطاط نسبها .

(٤) كذا فى م ، ا . وفى ب ، حـ ، س ، ط ، مع ، نا : «أماتهم» . وفى د ، رس : «أمهاتهم» ولا يستقيم الوزن وهو تحريف .

(٥) كذا فى ا ، م ، د ، ط . وفى باقى النسخ : «فقبيلتهم» وهو تحريف .

قال : فدخل عليها زوجها يوماً فوجد ابن مَيّادة عندها ، فهمّ به هو وأهلُها ؛ فقاتلهم وعاونَتْه عليهم حُسَيْنَةُ حتى أفلت ابنُ مَيّادة ، فقال فى ذلك :

لقد ظلّتْ تُعاوِنُنى عليهمْ ... صَمُوتُ الحِجْلِ كاظمةُ السِّوارِ[1]
وقد غادرتُ عيسى وهو كَلْبٌ[2] ... يُقطِّع سَلْحَه خَلْفَ الجِدارِ

ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك ومدائحه فيه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى إبراهيم بن سعد[3] بن شاهين قال حدّثنى عبد الله بن خالد بن دُفَيْف التَّغْلَبىّ عن عثمان بن عبد الرحمن بن عُمَيْرة العَدَوىّ عن أبى العَلاء بن وَثّاب قال :

قَدِمَ ابنُ مَيّادة المدينةَ زائراً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يَسْمُر عنده فى الليل ، فقال عبد الواحد لأصحابه : إنى أَهُمّ أن أتزوّج ، فابغونى[4] أَيِّماً ، فقال له ابن مَيّادة : أنا أدُلّك ، أصلحك الله أيها الأمير ، قال : على مَن يا أبا الشُّرَحبيل ؟ قال : قدِمتُ عليك أيها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شىء به وبمن فيه الجنةُ وأهلُها ، فو الله لبَيْنا أنا أمشى فيه إذْ قادتنى رائحةُ عِطْرِ رجلٍ حتى وَقَفَتْ بى عليه ، فلمّا وقع بَصَرى عليه استلهانى[5] حُسْنُه فما أقلعتُ عنه حتى تكلّم فخلْتُه لما تكلّم يتلو زبوراً أو يدْرُس إنجيلا أو يقرأ قرآنا حتى سكَت ، فلولا معرفتى بالأمير لشككتُ أنه هو ، ثم خرَج من مُصَلاّه إلى داره ، فسألتُ : مَن هو ؟ فأُخبرتُ أنه لِلْحَيَّيْن وبين[6] الخليفتين ، وأنْ قد نالته ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها نور

(١) كاظمة : من كظم أى صمت ، والسوار من حلى اليدين معروف . والمعنى أن خلخالها وسوارها لا يسمع لهما صوت لامتلائهما بمعصمها وساقها .
(٢) فى ر س « كاب » .
(٣) فى ا ، م ، ط ، نا : «سعيد» .
(٤) بغى كما يتعدى لمفعول يتعدى لمفعولين ومنه قوله تعالى : ﴿ يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم ﴾ .
(٥) كذا فى جميع النسخ . وفى نسخة بهامش ط : «استهالنى» .
(٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م ، خد : « وابن الخليفتين » .

ساطع من غُرّته[١] وذؤابته ، فنعم المُنْكِحُ ونعم حَشْو الرَّحْل وابنُ العَشِيرة ، فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ، ساد العبادَ وجاب ذِكْرُه البلاد . فلمّا قضى ابن مَيّادة كلامه قال عبد الواحد ومَن حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وأمّه فاطمة بنت الحُسَيْن ، فقال ابنُ مَيّادة :

لهم نَبْوَةٌ[٢] لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم ... وكلُّ عطاء الله[٣] فهو مُقَسَّمُ

١١٥ / ٢

قال يحيى بن علىّ : وممّا مدَح به عبدَ الواحد لمّا قدِم عليه قولُه :

مَن كان أخطأه الربيعُ فإنما ... نُصِرَ[٤] الحجازُ بغَيْث عبدِ الواحدِ
إنّ المدينةَ أصبحتْ معمورةً ... بمُتَوَّجٍ حُلْوِ الشمائلِ ماجدِ
ولقد بَلَغْتَ بغير أمرِ تَكلُّفٍ ... أعلى الحظوظِ برَغْم أنفِ الحاسدِ
وملكتَ مابين العراق ويَثْربٍ ... مُلْكًا أجارَ لمسلم ومُعاهدِ
مالَيْهما ودَمَيْهما من بعد ما ... غَشّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ المارِدِ

التقاؤه فى طريق مكة بجماعة يرتجزون بشعره

أخبرنى الحرمىّ قال حدثنا الزبير قال حدثنى سَعيد بن زَيْد السُّلَمىّ قال : إنّا لَنزُولٌ أنا وأصحابٌ لى قَبْل الفطْر بثلاث ليالٍ على ماء لنا ، فإذا راكبٌ يسير على جَمَلٍ مُلْتَفٌّ بثوب والسماءُ تَغْسِلُه حتى أناخَ إلى أَجمٍ عَرَفْتُه ، فلما رأيناه لَثِقًا[٥] قُمنا إليه فوضعنا رَحْلَه وقيّدنا جَمَلَه ، فلما أقلعت السماءُ عنّا وهو معنا قاعدٌ

(١) فى خد ، مع ، نا ، رس : «فى ذؤابته» .
(٢) النبوة : ما ارتفع من الأرض ، وهى هنا كناية عن العلو والارتفاع . وفى رس «بزة» .
(٣) فى خد ، رس : «قضاء الله» ، وفى حـ : «فضل» .
(٤) نصر : سقى ؛ يقال : نصر الغيث الأرض نصرا ، أى غاثها وسقاها وأعانها على الخصب والنبات ، وقد أورد صاحب اللسان هذا المعنى واستشهد عليه بهذا البيت .
(٥) كذا فى د . واللثق : المبتل ، يقال : لثق الطائر من باب تعب فهو لثق إذا ابتل ريشه . وفى باقى الأصول : «لثغا» بالغين المعجمة وهو تصحيف .

قام غِلْمةٌ منّا يرتجزون[١] والرَّجلُ لم يَنْتَسب لنا ولا عرَفناه ، فارتجزَ أحدُهم فقال :

أنا ابنُ مَيَّادةَ لَبَّاسُ الحُلَلْ أَمَرُّ من مُرٍّ وأحلَى مِن عَسَلْ

حتى قال له الرجل : يابن أخى ، أتدْرى من قال هذا الشعر ؟ قال : نعم ، ابنُ ميَّادة الرَّمَّاح بن أَبْرَدَ ، وبات يعلِّلنا من شعره ، ويقطعُ عنَّا الليلَ بنشيده ، وسَرَيْنا راحلين فصبَّحنا مكةَ فقضينا نُسُكنا ولَقِيَه رَجُلان من قومه من بنى مُرّة فعرَفهما وعرَفاه وأفطرنا بمكة ، فلما انصرفنا من المسجد يوم الفِطر إذا نحن بفارِسَيْن مُسوَّدين وراجِلَيْنِ مع المرِّيَّين يقولون : أين ابنُ مَيّادة ؟ فقلنا : هاهو ، وقد بَرَزْنا من خَيْمة كنَّا فيها ، فقلنا لابن مَيّادة : ابرُزْ ، فلما نَظَر إلى المرِّيين قال :

طلب عبد الصمد له ودخوله عليه مع واحد ممن كانوا معه ومحاورة عبد الصمد لها

* إحدَى عَشِيَّاتِك ياشميرجْ *

— قال : وهذا رَجَزٌ لبعض بنى سُلَيم يقوله لفرسه :

أقولُ والرَّكبة فوقَ المِنْسَجِ[٢] إحدَى عَشِيَّاتِك ياشميرجْ

ويروى : مشمرج — فقالوا لابن مَيّادة : أجب الأميرَ عبدَ الصمد بن علىّ ، وخذ معك من أصحابك مَن أحببتَ ، فخرج وخرج معه منَّا أربعةُ نفَرٍ أنا أحدُهم حتى وقفنا على باب دار النَّدْوَة[٣] ، فدخل أحد المسوِّدين ، ثم خرج فقال : ادخل ياأبا شَجَرَة ، فدَخلتُ على عبد الصمد بن علىّ فوجدتُه جالسا مُتوَشِّحًا بمِلْحَفَةٍ

---

(١) كذا فى ا ، م . وفى د « يختبزون » ، بالخاء المعجمة .

(٢) منسج الدابة : ما بين العرف وموضع اللبد ، وقيل : المنسج للفرس بمنزلة الكاهل من الإنسان والحارك من البعير .

(٣) دار الندوة : دار أحدثها قصىّ بن كلاب بن مرّة لما تملك مكة ، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار ابن قصى ، ثم صارت إلى حكيم بن حزام ، فاشتراها منه معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم ، وقيل لم تزل فى أيدى بنى عبد الدار حتى اشتراها معاوية بن عكرمة بن عامر من بنى عبد الدار وجعلها دار الإمارة ، وسميت دار الندوة لأنهم كانوا يندون فيها أى يجتمعون للمشاورة (انظر معجم ياقوت فى اسم دار الندوة وشرح القاموس فى مادة ندى) .

مُورَّدة(١) ، فقال لى : مَنْ أنت ؟ قلتُ : رجلٌ من بنى سُلَيم ، فقال : مالكَ تُصاحبُ المُرِّىّ وقد قتلوا معاويةَ بنَ عمرو ! وقالت الخنساءُ :

أَلَا ما لِعينى أَلَا مالها ... لقد أَخْضَلَ الدمعُ سِربالَها

فآلَيتُ آسَى(٢) على هالكٍ ... وأسألُ نائحةً مالَها

أبعدَ ابنِ عمرٍو مِنَ آلِ الشَّرِيـ ... ـد حَلَّتْ(٣) به الأرضُ أثقالَها

فإن تَكُ مُرَّةُ أَوْدَتْ به ... فقد كان يُكثِرُ تَقتالَها

أتَرْوِيها ؟ قلتُ : نعم أصلحَ اللهُ الأمير ، وما زال من المعركة حتى قتَل به خُفَافُ ابن عمرو(٤) المعروف بابن نُدْبة كَبْشَ القومِ مالكَ بنَ حِمَارٍ(٥) الفَزَارىّ ثم الشَّمْخِىّ(٦) ، أما سمِع الأميرُ قولَ خُفَاف بن نُدْبَةَ فى ذلك :

---

(١) موردة : لونها ورد ، يقال : ورَّدت الثوب أى جعلته وردا . والورد فى الألوان : حمرة تضرب إلى صفرة حسنة .

(٢) يريد : لا آسى ولا أسأل ،وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت شاهدا على حذف لا فى جواب القسم (انظر مادة «لا») .

(٣) حلت به الأرض أثقالها : زينت موتاها ، وهو من التحلية . والأثقال : الموتى ، وقد فسر بذلك قوله تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) . أو حلت من حللت الشىء فانحل ، ومعناه أن أخاها معاوية ابن عمرو كان ثقيلا على الأرض؛لأنه كان هو وأصحابه ومن معه يركضون على الأرض ويقاتلون عليها فلما مات انحل ذلك الثقل الذى كان عليها (انظر أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء طبع بيروت ص ٢٠١ ، ولسان العرب مادة ثقل) .

(٤) كذا فى جميع الأصول ، وعمرو من جدود خفاف ، وأما أبوه فاسمه عمير إذ هو خفاف بن عمير ابن الحارث بن عمرو بن الشريد السلمىّ وهو صحابىّ . وندبة أم خفاف كانت سوداء حبشية ، فقولهم : خفاف بن ندبة نسبة الى أمه ، وكتب على هامش نسخة الأستاذ الشنقيطى عمير تصحيحا لقوله عمرو ، وهو الموافق لما ذكر فى ج ١٣ ص ١٣٩ و ١٤٠ أغانى طبع بولاق . (انظر تاج العروس مادتى خفف وندب).

(٥) كذا فى أغلب النسخ والكامل للمبرد ص ٥٦٩ طبع أوروبا . وفى م : «حماد» بالدال ،وهو الموافق لما ذكر فى ج ١٣ ص ١٤١ أغانى طبع بولاق .

(٦) كذا فى أغلب النسخ نسبة إلى شمخ بن فزارة : بطن ، قال صاحب القاموس فى مادة شمج : «وأما بنو شمخ بن فزارة فبالخاء المعجمة وسكون الميم ، وغلط الجوهرى » ،وقال فى مادة شمخ : «شمخ ابن فزارة : بطن وصحف الجوهرى فى ذكره بالجيم » قال السيد مرتضى فى شرحه : «وذكر الخلاف الزبير ابن بكار وغيره ،ولكن الراجح ما ذكره المصنف» . وفى ا ، م: «الشمجى» بالجيم على نحو ما فى الصحاح ، وقد عرفت أنه خلاف الراجح .

فإن تكُ خيلى قد أُصيب صَمِيمُها فَعَمْداً على عينٍ[1] تَيَمَّمْتُ مالِكَا
تَيَمَّمْتُ كَبْشَ[2] القوم حين رأيتُه وجانَبْتُ شُبّانَ الرِّجال الصَّعالِكَا
أقولُ له والرمحُ يأْطِرُ[3] مَتْنَه: تأَمَّلْ خُفَافاً إننى أنا ذَلِكَا[4]

وقد توَسَّط معاويةُ بن عمرو خيلَهم فأكثر فيهم القتلَ ، وقَتل كبشَ القوم الذى أُصيب بأيديهم ؛ فقال : لله دَرُّكَ ! إذا ولَدَتِ النساءُ فَلْيَلِدْن مثلَك! وأمر لى بألف درهم ، فدُفِعَتْ إلىّ وخَلَع علىّ . وأُدخِل ابنُ ميّادة فسلّم عليه بالإمْرة ؛ فقال له : لا سلّمَ اللهُ عليك يا ماصّ كذا[5] من أُمّه ؛ فقال ابن ميّادة : ما أكثرَ الماصِّين! فضحِك عبدُ الصّمد ، ودعا بدفتر فيه قصيدةُ ابن ميّادة التى يقول فيها :

لنا المُلْكُ إلّا أنّ شيئاً تَعُدُّه قريشٌ ولو شئنا لداختْ[6] رِقابُها

ثم قال لابن ميّادة : أُعْتِق ما أَمْلِك إن غادرتَ منها شيئا إن لم أُبلُغ غيظَك ، فقال ابن ميّادة : أُعتِق ما أملِك إن أنكرتُ منها بيتاً قلتُه أو أقررتُ ببيت لم أَقُلْه ؛ فقرأها عبدُ الصّمد ثم قال له : أأنتَ قلتَ هذا ؟ قال نعم ؛ قال : أفكُنتَ أَمِنْتَ يابن ميّادة أن يَنْقَضّ عليك بازٍ[7] من قريش فيَضرِبَ رأسك ! فقال : ما أكثر

(١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «على عينى» بإضافته إلى الياء ، يريد أنه تيممه بجدّ ويقين ، يقال : فعلت كذا عمدا على عين وفعلته عمد عين ، أى بجدّ ويقين .

(٢) كبش القوم : رئيسهم وسيدهم .

(٣) يأطر : يثنى ويعطف .

(٤) أورد البغدادى فى خزانة الأدب ج ٢ ص ٤٧٠ هذه الأبيات مضافة إلى بقية القصيدة البالغة ثمانية أبيات مع شرح كلماتها .

(٥) تقول العرب فى السب : يا ماص بظر أمّه ، ولم يصرح به هنا لقبحه .

(٦) داخت : ذلت وخضعت ، وفى رواية أخرى فى ص ٣٤٤ سطر ٢ من هذا الجزء : «لذلت» . ونرجح أن «داخت» تحريف عن «دانت» .

(٧) كذا فى ط . وفى سائر النسخ «باز» . قال فى المصباح : البازى وزان القاضى ، فيعرب إعراب المنقوص ، والباز وزان الباب لغة فتعرب الزاى بالحركات الثلاثة ، ويجمع على أبواز مثل باب وأبواب، وبيزان مثل نار ونيران ، وعلى هذه اللغة فأصله بوز .

البازين ! أفكان ذلك البازى آمِناً أن يلقاه بازٍ[١] من قيس[٢] وهو يسير فيرميَه فتَشُولَ[٣] رِجْلاه ! فضَحِك عبد الصمد ثم دعا بكُسْوة فكساهم .

تمثل بعض ولد الحسن بشعر ابن ميادة

أخبرنى حبيب[٤] بن نصر المهلَّبىّ قال حدّثنا عبد الصمد[٥] بن شَبِيب قال قال أبو حُذَافة السَّهْمىّ :

سَبّ رجلٌ من قُرَيش فى أيام بنى أميّة بعضَ ولد الحسن[٦] بن علىّ عليهما السلام، فأغاظ له وهو ساكتٌ ، والناسُ يَعْجَبون من صَبْره عليه ، فلما أطال أقبل الحَسَنِىّ[٧] عليه متمثِّلا بقول ابن ميادة :

أظنَّتْ سَفَاهًا من سَفَاهة رأيها ... أَنْ أَهْجُوَها لمّا هَجَتْنِى مُحارِبُ
فلا وأَبِيها إنّنى بعَشِيرَتِى ... ونَفْسِىَ عن ذاك المَقَامِ لراغِبُ

فقام القُرَشِىّ خَجِلا وما ردَّ عليه جوابا .

مدحه لجعفر بن سليمان وهو أمير على المدينة

أخبرنى أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلاّم قال :

مدح ابنُ مَيّادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة ، فأخبرنى مِسْمَع بن عبد الملك أنه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها إليه . قال فقال له[٨] : جزاكَ اللهُ خيراً ! ممّن أنتَ رحمك الله ؟ قلتُ : أحدُ بنى مِسْمع ؛ قال : ممّن ؟ قلتُ : من قَيْس بن ثعلبة ؛ قال :

---

(١) انظر الحاشية (٧) من الصفحة السابقة .
(٢) كذا فى ا ، م . وفى سائر النسخ : «قريش» وهو ظاهر التحريف .
(٣) تشول : ترتفع . وهو كناية عن الموت .
(٤) كذا فى حـ ، ا ، م وهو الموافق لما اتفقت عليه النسخ فى مواضع تقدمت (انظر ص ٦٨ ج ١ أغانى طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر، وص ١٤ من هذا الجزء) وفى ب ، س ، د : «نصر بن حبيب» .
(٥) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى ا ، د ، م ، ط ، خد ، رس ، نا ، مع : عبد الله بن شبيب » .
(٦) فى حـ ، نا ، مع : «الحسين» .
(٧) فى حـ ، نا ، مع : «الحسينى» .
(٨) فى نا ، مع ، رس : «لى» .

ممّن ؟ عافاكَ اللهُ ! قلتُ : من بكر بن وائل ؛ قال : واللهِ لو كنتُ سمعتُ ببكر بن وائل قطّ[1] أو عرفتُهم[2] لمدحتُك ، ولكنّى ما سمعتُ ببكر قطّ ولا عرَفتهم ، ثم مدح جعفرا فقال :

لَعَمْرُكَ ما سيوفُ بنى علىٍّ ... بنابِيَةِ الظُّباةِ[3] ولا كِلالِ[4]

هُمُ القومُ الأُلَى وَرِثُوا أباهُمْ ... تُرَاثَ محمّدٍ غيرَ انتحالِ

وهم تَرَكوا المقالَ لهم رفيعا ... وما تَرَكوا عليهم من مَقالِ

حَذَوتُمْ قومَكم ما قد حَذَوْتُم[5] ... كما يُحْذَى المِثالُ على المِثالِ

فَرُدُّوا فى جِراحِكُمُ أَساكم[6] ... فقد أَبْلَغتُمُ مُرَّ النَّكالِ

يُشير عليه بالعَفْو عن بنى أُميّة ويُذَكّره بأرحامهم .

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علىّ عن سليمان المَدِينىّ عن محمد بن سلّام ، قال يحيى قال أبو الحارث المُرّىّ فيما ذكره إسحاق من أخباره :

١١٧/٢ قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أتحبُّ أن أعطيك مثلَ ما أعطاكَ ابنُ عمِّك

---

(١) كذا فى جميع الأصول ، والمعروف أن قطّ تختص بالنفى ، وقد جاءت بعد المثبت فى مواضع من الجامع الصحيح للإمام البخارى ، منها : «الكسوف أطول صلاة صليتها قطّ» وفى سنن أبى داود : «توضأ ثلاثا قط» وأثبته ابن مالك فى الشواهد لغة وحقق بحثه فى التوضيح على مشكلات الجامع الصحيح ، قال : وهى مما خفى على كثير من النحاة (انظر القاموس وشرحه تاج العروس فى مادة «قطط»).

(٢) كذا فى حـ ، ا . وباقى النسخ : «وعرفتهم» .

(٣) الظباة : جمع ظبة وهى حدّ السيف والسنان والنصل .

(٤) قال ابن سيده : يجوز أن يكون جمع كالٍ كجائع وجياع ونائم ونيام ، أو جمع كليل كشديد وشداد وحديد وحداد .

(٥) فى حـ ، ا ، م ، ط ، مع ، رس ، خد : «ما قد حذوكم» .

(٦) الأسى : المداواة والعلاج .

رِيَاح[1] بن عثمان ؟ فقال : لا ، أيُّها الأمير ، ولكن أعطى كما أعطانى ابنُ عَمِّك الوليد ابن يزيد .

قال يحيى وأخبرنا حمّاد عن أبيه عن أبى الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أأنت الذى تقول :

بَنِى أَسَدٍ إن تَغْضَبوا ثمّ تَغْضَبُوا ... وتَغْضَبْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْسًا غِضابُها

قال : لا والله ! ما هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتَ ؟ قال : قلتُ :

بَنِى أَسَدٍ إن تَغْضَبُوا ثمّ تَغْضَبُوا ... وتَعْدِلْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْسًا غِضابُها

هجا بنى أسد وبنى تميم

قال : صدَقتَ هكذا قلتَ . وهذه القصيدةُ يَهجو بها ابنُ ميّادة بنى أسد وبنى تميم ، وفيها يقول بعد هذا البيت الذى ذكره له جعفر بن سليمان :

وأحقرُ محقورٍ تميمٌ أخوكُمُ ... وإن غَضبَتْ يَرْبُوعُها[2] ورِبابُها[3]
ألَا ما أُبالِى أن تُخَنْدِفَ[4] خِندِفٌ ... ولستُ أُبالِى أن يَطِنّ[5] ذُبابُها
ولو أنّ قَيسًا قيسَ عَيْلانَ أقسمتْ ... على الشمس لم يَطْلُعْ عليكم حِجابُها

(١) كذا فى ا «رياح» بالياء المثناة وهو الموافق لما كتبه الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته طبع بولاق تصحيحا لها . وفى أغلب النسخ : «رماح» بالميم .

(٢) يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم أبو حىّ من تميم منهم متمم بن نويرة اليربوعى الصحابى. ويربوع بن غيظ بن مرة أبو بطن من مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، منهم الحارث بن ظالم المرى اليربوعى ، نقله الجوهرى .

(٣) الرباب : قبائل ، قال أبو عبيد : سموا بذلك لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه وهم تيم وعدىّ وعكل ، وقريب منه قول الأصمعى . وقال ثعلب : سموا ربابا لأنهم تربّبوا أى تجمعوا ربة ربة وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة وهم : ضبة وثور وعكل وتيم وعدىّ . وقد قيل أيضا عكس ذلك وهو أنهم سموا بذلك لتفرقهم لأن الربة الفرقة ؛ ولذلك إذا نسبت إلى الرباب قلت : ربّى بالضم ترده إلى واحده . (انظر لسان العرب مادة ربب) .

(٤) تخندف : تهرول ، يقال : خندف الرجل إذا هرول ومشى بسرعة .

(٥) يطنّ : يصوّت .

ولو حاربتْنا الجنُّ لم نرفع القَنَا عن الجنّ حتى لا تَهِرّ كِلابُها
لنـا المُلكُ إلا أنَّ شيئاً تَعُدُّه قُرَيشٌ ولو شئنا لَذلَّتْ رقابُها
وإن غَضِبتْ من ذا قُرَيشٌ فَقُلْ لها معاذَ الإلٰهِ أن أكونَ أهابُها
وإنى لقـوّالٌ الجوابِ وإننى لمفتجرٌ[1] أشياءَ يُعيِى[2] جوابُها
إذا غَضِبتْ قيسٌ عليك تقاصرتْ يداكَ وفات الرِّجلَ منك ركابُها

ابن ميادة وسماعة ابن أشول

قال إسحاق فى خبره فحدّثنى جبر[3] بن رباط بن عامر بن نصر قال: فقال سَمَاعة ابن أشْوَل[4] النعمانىّ يعارض ابنَ ميَّادة:

لعلّ ابنَ أشبانيَّةٍ عارضتْ[5] به رِعاءَ الشُّوِىّ[6] من مُرِيحٍ وعازِبِ
يُسامِى فروعاً من خُزَيمةَ أحرزتْ عليـه ثنـايا المجد من كل جانبِ

فقال ابن ميَّادة: مَن هذا؟ لقد أغلقَ علىَّ، أغلقَ اللهُ عليه! قالوا: سَمَاعة ابن أشْوَل، فقال: سماعةُ يُسَمِّع[7] بى، وأَشْوَلُ يَشُول[8] بى، والله لا أهاجيه أبدا، وسكت عنه.

---

(١) كذا فى نسخة م، يقال: افتجر الكلام إذا اخترقه من غير أن يسمعه فيتعلمه. وفى باقى النسخ: «لمفتخر» وهى تتعدى بالباء. ولذلك رجحنا ما جاء بنسخة م.
(٢) كذا فى ب، حـ. وفى ط، د: «يعيا». وفى ا: «يعمى». وفى م: «يعصى».
(٣) كذا فى ب، حـ، س. وفى م، ا، ط: «جبر بن رياض النعامى أبو نصر» وفى د: «جبر بن رباط النعامى أبو نصر» ولم نهتد لتصحيح هذا الاسم.
(٤) كذا فى جميع الأصول. وفى شرح القاموس (مادة شول فى المستدرك): «الأشول» بالتعريف.
(٥) كذا فى أغلب النسخ من المعارضة وهى المباراة والمفاخرة. وفى ب، س: «قارضت» ولم يظهر لها معنى.
(٦) الشوى: اسم جمع للشاة وقيل: هو جمع لها.
(٧) أى يشهرنى ويفضحنى.
(٨) يشول بى: يرفع من ذكرى ويشهرنى.

هجاء عبد الرحمن ابن جهيم الأسدى

وقال عبدالرحمن بن جُهَيم الأسدىّ أحدُ بنى الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان ابن أسد يردّ على ابن ميّادة ، وهى قصيدة طويلة ذكرتُ منها أبياتا :

لقد كَذَب العبدُ ابنُ ميّادة الذى ... رَبَا وهى وَسْطَ الشَّوْل تدمَى كِعابُها
شَرَنْبَثةُ[1] الأطرافِ لم يَقْنَ[2] كفَّها ... خِضابٌ ولم تَشْرَقْ بعطرٍ ثيابُها
أرمّاحُ إن تَغْضَبْ صناديدُ خِنْدِفٍ ... يَهِجْ لك حَرْباً قَصْبُها[3] واعتيابُها

ويروى « اغتيابها » من الغيبة . و « اعتيابها » من العَيْب .

ولو أَغْضَبَتْ قَيْسٌ قُرَيشا لجدَّعَتْ ... مَسامعَ قَيْسٍ وهى خُضْعٌ رِقابُها
لقد جرَّ رَماحُ ابن واهصة[4] الخُصَى ... على قومه حَرْباً عظيما عَذابُها
وقد عَلِمَ الملوحُ بالشؤم رأسُه ... قُتَيبةُ أن لم تحمِ قَيْساً غِضابُها
ولم تَحْمِها أيامَ قَتْلِ ابنِ حازمٍ[5] ... وأيامَ قَتْلَى كان خِزْياً مُصابُها
ولا يَوْمَ لاقينا نُمَيراً فقَتَّلَتْ ... نُمَيرٌ وفرَّتْ كَعْبُها وكِلابُها
وإن تَدْعُ قَيْساً لا تُجِبْكَ وحَوْلها ... خُيولُ تميم سَعْدُها ورِبابُها
ولو أنَّ قيساً قيسَ عَيْلانَ أَصحرت[6] ... لأنواء غَيْمٍ غرَّقتها شِعابُها
ولو أنَّ قَرْنَ الشمسِ كان لمعشرٍ ... لكان لنا إشراقُها واحتجابُها

١١٨
٢

(١) أى غليظتها .
(٢) كذا فى أغلب النسخ ، وهو من قنا الشىء لغة فى قنأ ، أى صبغه ، وقوله بعد : «لم تشرق» الخ . أى لم تمتلىء ، يقال : شرق الجسد بالطيب ، أى امتلأ . وفى رس : «لم يدركها» .
(٣) قصبها : عيبها ، يقال : قصبه يقصبه قصبا ، أى عابه ووقع فيه .
(٤) من الوهص وهو الغمز أو شد خصيى الكبش ، ويعير الرجل فيقال له : يابن واهصة الخصى إذا كانت أمه راعية .
(٥) فى ا ، م ، ح ، ر س : «خازم» بالخاء المعجمة .
(٦) أصحرت : برزت إلى الصحراء لا يواريها شىء .

ولكنّها لله يَملك أمرَها ... بقُدْرته إصعادها وآنصبابُها
لَعَمْرِى لَئِنْ شابتْ حَليلةُ نَهْبَلٍ ... لبئسَ شبابُ المرءِ كان شبابُها
ولم تدرِ حَمْراءُ العِجانِ(١) : أَنَهْبَلٌ ... أبوهُ أم المُرِّىّ تَبٌّ تبابُها
فإن يك رَمّاحُ بنُ ميّادةَ التى ... يَصِنّ(٢) إذا باتتْ بأرضٍ ترابُها
جَرَى جَرْىَ موهونِ القُوَى قَصّرتْ به ... لئيمةُ أعراقٍ إليه انتسابُها
فلن تَسْبِق المضمارَ(٣) فى كلّ مَوْطِنٍ ... من الخيل عِندَ الجدِّ إلا عِرابُها
وواللهِ لولا أنّ قَيْساً أذِلّةٌ ... لئامٌ فلا يُرْضَى لحُرٍّ سِبابُها
لألحقتُها بالزَّنج(٤) ثم رَمَيْتُها ... بشَنعاءَ يُعْيِى القائلين جَوابُها

ابن ميادة وأبان ابن سعيد

أخبرنى يحيى بن علىّ عن حمّاد عن أبيه قال :

وجدتُ فى كتاب أبى عمرو الشّيْبانى فعرضتُه على أبى داود فعرَفه أو عامّتَه ، قال : إنّا لجلوسٌ على الهَجَم(٥) فى ظلّ القَصْر عَشيّةً ، إذ أقبلَ إلينا ثلاثةُ نفرٍ يَقُودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عُيَينة بن حِصْن وهو فى جماعة من بنى عُيَينة ، قال : فرأيتُ أجِلّةً ثلاثةً ما رأيتهم قطُّ ، فقلنا : مَن القوم ؟ فقال أحدهم : أنا ابن ميّادة وهذان من عشيرتى ؛ فقال أبان لأحد بَنيه : آذهبْ بهذه الناقة فأطلقْ عنها عند بيت أمّك ؛ فقال له ابنُ ميّادة : هذه يا أبا جعفر السِّعْلاة ، أفلا أُنشدُك ماقلتُ فيها؟ قال : بَلى فهات ؛ فقال :

(١) حمراء العجان : هو سبّ كان يجرى على ألسنة العرب يسبّ به الأعجمى فيقال له : «يابن حمراء العجان» .
(٢) يصنّ : ينتن .
(٣) كذا فى نسخة الأستاذ الشنقيطى طبع بولاق تصحيحا منه ، وفى بقية الأصول : «الصمات» ولم نجد له فى كتب اللغة التى بين أيدينا معنى مناسبا .
(٤) فى ط : «بالريح» .
(٥) الهجم : ماء لبنى فزارة ، ويقال : إنه من حفر عاد .

قَعَدْتُ على السِّعْلاة تنفُضُ مِسْحَها(١) … وتُجذَبُ مِثلَ الأَيْمِ فى بُرَةِ الصُّفْرِ
تُيَمِّمُ خيرَ الناس ماءً وحاضراً(٢) … وتَحْمِلُ حاجاتٍ تضمَّنها صدرى
فإنى على رَغم الأعادى لقائلٌ … وجَدْتُ خِيارَ الناسِ حىَّ بنى بدْرِ
لهم حاضرٌ بالهجْم لم أرَ مثلهم(٣) … من الناس حيًّا أهل بَدْوٍ ولا حَضْرِ
وخيرُ مَعَدٍّ مجلساً مجلسٌ لهم … يَفِىءُ عليه الظلُّ من جانب القَصْرِ
أُخصُّ بها رَوْقَىْ عُيَينةَ إنه … كذاك ضِحاحُ(٤) الماء يأوى إلى الغَمْرِ(٥)
فأنتم أحقُّ الناس أن تتخيَّروا الـ … ـمياه وأن تَرْعَوْا ذُرَى البلد القَفْرِ

قال: فكان أوّل قائم من القوم رَكضةُ بن علىّ بن عُيينة، وهو ابن عمّ أبان وعَبْدة بنت أبان، وكانت إبله فى العَطَن(٦) وهى أكرمُ نَعَمِ بنى عُيينة وأكثرُه، فقال: ما سمعتُ كاليوم مَديحَ قَوْمٍ قطّ، حُكْمُكَ ماضٍ فى هذه الإبل؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك، وقام آخر وآخر؛ فقال ابن ميَّادة: يابنى عُيينة، إنى لم آتكم

١١٩/٢ لتتبارَى لى شياطينكم فى أموالكم؛ إنما كان علىّ دَيْنٌ فأردتُ أن تُعطونى أَبْكُراً أبيعها فى دَيْنى. فأقامَ عند أبان بن سعيدٍ خمسةَ عشرَ يوما، ثم راح بتسع عشرةَ ناقة، فيها ناقةٌ لابن أبان عُشَراءُ أو رَبَاعيةٌ.

قال يحيى فى خبره: وقال يعقوب بن جعفر بن أَبان بن سعيد بن عُيينة:

(١) المسح: كساء من الشعر. والأيم: الحية. والبرة: الحلقة من صفر أو غيره تجعل فى لحم أنف البعير.

(٢) الحاضر: الحىّ العظيم أو القوم، كما يطلق الحاجّ والسامر والجامل على جماعة الحجّاج والسمّار وجماعة الابل. وقال الأزهرى: العرب تقول: حى حاضر بغير هاء إذا كانوا نازلين على ماء عد.

(٣) فى رس، مع: «مثله» على أن الجملة صفة لحاضر.

(٤) لم توجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا وإنما الموجود «ضحضح» و «ضحضاح». ولعله «ضحال الماء تأوى» جمع ضحل وهو الماء القليل.

(٥) الغمر: الماء الكثير كالغمرة.

(٦) العطن للإبل: كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض.

إنّى على الهَجْم يوماً إذ أقبلَ رجلٌ فجعل يُصرِّف[1] راحلتَه فى الحِياض فيردّه الرجل بعد الرجل، فدعَوتُه فقلت: اشرَعْ[2] فى هذا الحوض؛ فلما شرَع فسقى[3] قال: مَن هذا الفتى؟ فقيل: هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيَينة؛ فقال:

بَنُو الصالحين الصالحون ومَن يكن ... لآباء سَوْء يَلْقَهم حيثُ سَيَّرا[4]

فما العود إلا نابتٌ فى أرُومــــه[5] ... أبى شَــــجَرُ العِيدان أن يتغــيّرا

قال إسحاق: سألت أبا داود عن قوله:

* كذاكَ ضَــحاحُ[6] المـاء يَجْرِى إلى الغَمْر *

فقال: أراد أنّ الأمر كله والسؤدد يصير إليه، كما يصير الماء إلى الغَمْرة حيث كانت.

ابن ميادة وأيوب ابن سلمة

أخبرنا يحيى بن علىّ، قال حدّثنا أبو أيوب المدينىّ قال أخبرنى مُصْعَب بن الزبير قال:

ضافَ ابنُ ميّادة أيوبَ بن سلمة فلم يَقْرِه، وابنُ ميّادة من أخوال أيوب ابن سلمة، فقال فيه:

ظَــلِلنا وُقُوفاً عــــند باب ابن أختنا ... وظل عن المعروف والمجدِ فى شُـــغُلِ

(١) يصرف راحلته: يردّها ويصرفها من حوض إلى آخر.

(٢) شرعت الدواب فى الماء (وزان منع): دخلت فيه، وشرع فلان فى الماء: تناوله بكفيه أو دخل فيه، وشرع إبله: أوردها شريعة الماء.

(٣) فى ط: «فلما أشرع يسق». وأشرع كشرع.

(٤) سير: ذكر سير الأوائل، ويحتمل أن يكون بمعنى «سار» وشدّد الفعل للمبالغة وإن لم توجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا.

(٥) الأروم: الأصل، كالأرومة.

(٦) انظر حاشية رقم ٤ من الصفحة السابقة.

صَـــفاً صَلَدٌ[1] عند النَّدَى ونَعامةٌ إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذها العُصْلِ[2]

قال أبو أيوب : وأخبرنى مُصْعَب قال :

ابن ميادة ورياح ابن عثمان

قدم ابنُ ميّادة على رِياح[3] بن عُثْمان ، وقد وَلِىَ المدينةَ وهو جادٌّ فى طلب محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيـه ، فقال له : اتَّخِذْ حَرَساً وجُنْداً من غَطَفان واترُكْ هؤلاء العبيد الذين تُعطِيهم دراهمك ، وحَذارِ من قريش ؛ فاستخفّ بقوله ولم يقبل رأيه ؛ فلما قُتِلَ رِيَاحُ قال ابن ميَّادة :

أمرتكَ يا رِيَاحُ بأمر حَـــزْمٍ فقلتَ هَشِيمةٌ[4] من أهل نجدِ
وقلتُ له : تحـــفَّظْ من قُريشٍ ورَقِّعْ كلّ حاشـــيةٍ وبُردِ[5]
فوجداً ما وَجَـــدْتُ على رِياحٍ وما أغنيتُ شــيئاً غيرَ وَجْدِى

تشبيبه بالنساء

أخبرنى عمِّى قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال حدّثنى أَكثم بن صيفىّ[6] المُرّىّ ثم الصاردىّ عن أبيه قال :

كان ابنُ ميّادة رأى امرأة من بنى جُشَم بن معاوية ثم من بنى حَرام[7] يقال لها : أمّ الوليد ، وكانوا سارُوا عليه[8] فأعجبَ بها وقال فيها :

---

(١) الصلد : الصلب الأملس والأصل فيه سكون اللام وحرك هنا للضرورة .

(٢) جمع أعصل أى بين العصل ، والعصل فى الناب اعوجاجه . قال أوس : *رأيت لها نابا من الشر أعصل*

(٣) كذا فى ء ، ا ، م . وهو الموافق لما فى اللسان فى مادة «هشم» ولما فى الكامل للمبرد طبع أوروبا ج ١ ص ٢٨ . وفى باقى النسخ : «رباح» بالباء الموحدة وهو تحريف .

(٤) هشيمة : ضعفة ، وأصل الهشيم النبت إذا ولى وجفّ وتكسر فذرّته الرياح يمينا وشمالا . والنجد : أعالى الأرض ، عن الكامل للمبرد .

(٥) روى فى الكامل للمبرد :

نهيتك عن رجال من قريش على محبوكة الأصـــلاب جرد

وقال فى شرحه : فالمحبوك الذى فيه طرائق ، واحدها حباك ، والجماعة حبك .

(٦) فى ط : «أكثم بن الغيض المرى» . (٧) فى رس ، مع ، نا : «حزام» .

(٨) فى ط : «عليهم» والمراد : الحىّ .

ألا حبَّذا أمُّ الوليدِ ومَرْبَعٌ(١) لنا ولها نَشْتُو(٢) به ونَصِيفُ

ويُرْوَى :

. . . . ومَرْبَعٌ(٣) لنا ولها بالمشتوى(٤) ومصيفُ

حَرامِيَّةٌ أمَّا مَلاثُ إزارِها فوَعْثٌ(٥) وأمَّا خَصْرُها فلطيفُ

كأنَّ القُرُونَ السُّودَ فوق مَقَذِّها(٦) إذا زالَ عنها بُرْقُعٌ ونَصيفُ(٧)

بها زَرَجُوناتٌ(٨) بقَفْرٍ تَنَسَّمت لها الريحُ حتى بينهنّ رَفيفُ(٩)

قال : فلما سمع زَوْجُها هذه الأبيات أتاها فحلفَ بطلاقها : لَئِنْ وَجدَ ابنَ ميّادة عندها لَيَدُقَّنّ فَخِذَها ، ثم أعرض عنها واغترّها(١٠) ، حتى وجده يوماً عند بيتها فدقّ فخذها ، واحتمل فرَحل ورحل بها معه ؛ فقال ابن ميّادة : ١٢٠/٢

أتانا عامَ سارَ بنو كلابٍ حَراميّون ليسَ لهم حَرامُ

كأنّ بيوتهم شجرٌ صِغارٌ بقِيعانٍ تَقِيلُ بها النَّعامُ

---

(١) المربع هنا : المنزل .

(٢) فى ط : «نثوى به» .

(٣) المربع هنا : المكان يقام فيه وقت الربيع .

(٤) كذا فى جميع الأصول ولم نجده اسما لمكان خاص ، ولعله محرف عن المستوى بالسين المهملة وكسر الواو وهو اسم موضع (انظر معجم ياقوت فى اسم المستوى) .

(٥) ملاث الإزار : موضع لوثه وعصبه ، وهو ما دون الخصر من الجسم . والوعث : السمين . ومن هذا المعنى قول الشاعر :

ثم قامت حولها أترابها وعثة الأرداف غرثى الملتزم

(٦) المقذّ — بالفتح — : مابين الأذنين من خلف ومنتهى قصّ الشعر من مؤخر الرأس .

(٧) النصيف : الخمار .

(٨) الزرجونة : شجرة العنب ، وكل شجرة زرجونة ، وهى فارسية معربة .

(٩) يقال : رفّ النبات رفيفا إذا اهتز نضارة وحسنا . وفى ط : «نبتهن رفيف» ورفيف متندّ : ناعم ، يقال : شجر رفيف إذا تندّى .

(١٠) كذا فى ط ، ومعناه راقبها وطلب غرّتها . وفى سائر النسخ : «واعتزلها» .

حَرَاميون لا يَقْرُون ضَيْفاً   ولا يَدْرون ما خُلُقُ الكرامِ (١)

قال : ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب ، فأُعجِبَ بامرأة منهم يقال لها أمّ البَخْتَرِيّ ، وكان يتحدّث إليها مدّةَ مُقامهم ، ثم ارتحلوا فقال فيها :

أرقتُ لبَرْقٍ لا يُفتِّرُ لامعُهْ   بشُهْبِ الرُّبَى والليلُ قد نام هاجعُهْ
أرقتُ له من بعد ما نام صُحبتي   وأعجبني إيماضُه وتتابُعُهْ
يُضيء صَبيراً(٢) من سَحاب كأنه   هِجَانٌ أرنَّتْ للحنين نوازعُهْ
هَنيئاً لأمّ البَخْتَرِيِّ الرِّوَى(٣) به   وإن أنهج الحبلُ الذي النَّأْيُ قاطعُهْ
لقد جعَلَ المُستَبضِعُ الغشّ بيننا   ليَصْرِمَ حَبْلَيْنا تجوز بضائعُهْ
فما سَرْحَةٌ تَجْرِي الجداولُ تحتها   بمطَّرَدٍ(٤) القِيعانِ عذْبٍ ينابِعُهْ
بأحسنَ منها يومَ قالتْ بذي الغَضا   أترعى جَديدَ الحبلِ أم أنتَ قاطعُهْ

خطب امرأة من بنى سلمى بن مالك فلم يزوّجوه فقال شعرا

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أحمد بن إبراهيم قال : وذكر أبو الأشعث أنّ ابن ميّادة خطب امرأة من بني سَلْمَى بن مالك بن جعفر ثم من بني البُهْثَة — وهم بطن يُقال لهم البهثاء — فأبَوْا أن يزوّجوه وقالوا : أنت هَجينٌ ونحنُ أشرفُ منك ؛ فقال :

فلو طاوَعَتْني آلُ سَلْمَى بن مالكٍ   لأعطيتُ مهراً من مَسَرَّةَ غاليا(٥)

(١) في هذا البيت إقواء . وهو اختلاف حركة الرويّ بالكسر والضم مع ما قبله . وفي ئا ، رس : «حلو الكلام» .

(٢) الصبير من السحاب : البيضاء أو الكثيفة التي فوق السحاب أو الذي يصير بعضه فوق بعض . والهجان من الإبل : البيض .

(٣) الروى (بالكسر) : الارتواء والماء الكثير المروى . وأنهج الحبل: أخلق وبلى . وفي خد : «الحبل الذي أنا قاطعه» .

(٤) المطرد : الماء المتتابع السيلان .

(٥) كذا في ط ، مع ، رس ، خد : «غاليا» بالغين المعجمة . وفي سائر النسخ : «عاليا» بالعين المهملة.

وسِرْبٍ كسِرْب العين من آل جعفرٍ ... يُغادِينَ بالكُحْل العيُونَ السَّواجيا
إذا ماهبطنَ النِّيلَ[١] أو كنّ دونه ... بسَرْوِ[٢] الحِمَى ألْقَيْنَ ثَمّ المَراسيا

مات فى صدر خلافة المنصور

قال أحمد بن إبراهيم : مات ابنُ ميّادة فى صَدْرٍ من خلافة المنصور ، وقد كان مدحه ثم لم يَفِدْ[٣] إليه ولا مدحه ؛ لِمَا بلَغه من قلّة رغبته فى مدائح الشعراء ، وقلّة ثوابه لهم[٤] .

(١) كذا فى ب ، س ، حـ وهو بليدة فى سواد الكوفة قرب حلة بنى مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر . (انظر معجم ياقوت) . وفى د ، ا ، م ، ط ، نا ، ر س : «النير» بالراء وهو اسم موضع .
(٢) كذا فى أغلب النسخ وأشير إليه فى هامش ط ، خد . وفى صلب ط : «بسوف الحمى» . والسرو : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل . والسوف (بالضم) : جمع سوفة (بالضم أيضا) وهى الأرض بين الرمل والجلد . والحمى : موضع .
(٣) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «يعد» بالعين .
(٤) فى ر س ، مع : و«نزارة ثوابه» .

أخبار حُنَين الحِيرى ونسبه

نسبه وكان شاعرا ومغنيا

حُنين بن بَلْوَعَ[١] الحِيرِىّ مختلَف فى نسبه ، فقيل : إنه من العِبَادِيِّين من تميم ، وقيل : إنه من بنى الحارث بن كعب وقيل : إنه من قوم بَقُوا من جَدِيس وطَسْم فنزلوا فى بنى الحارث بن كعب ، فعُدُّوا فيهم ، ويُكْنَى أبا كعب ، وكان شاعراً مُغَنِّيًا فحلا من فحول المغنِّين ، وله صنعة فاضلة متقدّمة ، وكان يسكن الحِيرَة ويكرى الجِمالَ إلى الشأم وغيرها ، وكان نصرانيا . وهو القائل يصفُ الحِيرَة ومنزلَه بها :

صوت

أنا حُنَينٌ ومنزلى النَّجَفُ[٢] وما نَدِيمِى إلا الفتى القَصِفُ[٣]

أُقْرَعُ بالكأسِ ثَغرَ باطيةٍ[٤] مُترَعَةٍ ، تارةً وأغترفُ

من قَهوةٍ باكرَ التِّجَارُ بها بيتَ يَهودٍ قرارُها الخزَفُ

والعيشُ غَضٌّ ومنزلى خَصِبٌ لم تَغْذُنى شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

الغناء والشعر لحُنَين ، ولحنُهُ خفيفُ رَمَل بالبنصر ، وفيه لابن المكىّ خفيفُ ثقيل قديم . ولعريبَ فيه خفيفُ ثقيل آخر عن الهِشامىّ .

غنى هشام بن عبد الملك فى الحج

أخبرنا وكيع قال قال حمّاد حدّثنى أبى عن أبى الخطّاب قال وحدّثنى ابن كُنَاسة عن سليمان بن داود — مولًى ليحيى — وأخبرنى بهذا الخبر الحسن بن علىّ عن[٥] ابن مَهْرُويَهْ عن قَعْنَب بن المحرز الباهلىّ عن المدائنىّ قالوا جميعاً :

(١) هكذا ورد مضبوطا فى ط . ولم نجد فى مصدر آخر ما يؤيد هذا الضبط أو ينفيه .

(٢) النجف : موضع بظهر الكوفة ، والكوفة قريبة من الحيرة .

(٣) القصف : حليف اللهو واللعب . ولم ترد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا .

(٤) الباطية : إناء الخمر .

(٥) كذا فى ا ، م ، د وهو الصواب ، لأن الحسن بن على يروى عن ابن مهرويه وهو محمد بن القاسم كما تقدم فى الجزء الأول من الأغانى طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر ص ٨ ، وفى باقى النسخ : «الحسن بن على ابن مهرويه» وهو تحريف .

حجّ هشامُ بن عبد الملك وعَدِيلُه[١] الأبرشُ الـكلبىّ ، فوقَف له حُنين بظهر الـكوفة ومعه عُودُه وزامرٌ له ، وعليه قُلَنْسِية[٢] طويلة ، فلما مرّ به هشام عرَض له ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقيل : حُنين ؛ فأمر به فحُمل فى محمـل على جمل وعَدِيلُه زامرُه ، وسِيرَ به أمامه وهو يتغنّى :

صـوت

أَمِن سَلْمَى بَظَهْـر الـكُو فـةِ الآياتُ والطَّلَـلُ
يلوحُ كما تـلوحُ على جفون الصَّيقلِ[٣] الخِلَلُ[٤]

— الصنعة فى هذا الصـوتُ لحُنَين ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه خفيفُ ثقيل يُنسب إلى حنين أيضا وإلى غيره — قال : فأمر له هشـام بمائتى دينار ، وللزامر بمائة ، وذكر إسحاق فى خبره عن أبى الخَطّاب أنه غنّى هشاما :

صـوت

صاحِ هل أبصَرتَ بالخَبْـ ـتَيْن مِن أَسمـاءَ نارا
مَوْهِنًا شُبَّتْ لعينيـ ـكَ ولم تُوقَدْ نهارا
كتَلالى البَرْقِ فى المُزْ نِ إذا البَرْقُ استطارا
أذكرتنى الوصلَ مِن سُعْـ ـدَى وأياماً قِصارا

(١) العديل : الذى يعادلك فى المحمل .
(٢) القلنسية : القلنسوة (بفتح القاف) فإن ضمت القاف كسرت السين وقلبت الواو ياء .
(٣) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .
(٤) الخلل : جمع خلة وهى بطانة يغشى بها جفن السيف ينقش بالذهب وغيره ، ويشبه بها الطلل قال الشاعر :

لمية موحشـا طلـل يلوح كأنه خلـل

وقال عبيد بن الأبرص الأزدى :

دار حي مضى بهم سالف الدهـ ـر فأضحت ديارهم كالخلال

— الشعر للأَحْوَص ، والغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالسّبّابة فى مجرَى الوُسطى عن إسحاق . ونسبه ابن المكىّ إلى الغريض . وقال يونس : فيه لحنان لمالك ولم يجنّسهما . وقال الهشامىّ : فيه لمالك خفيفُ رمل — قال : فلم يزل هشام يستعيده حتى نزَل من النجف ، فأمر له بمائتى دينار . وقال إسحاق : قيل لحنين : أنت تُغنِّى منذ نحو خمسين سنة ما تركتَ لكريم مالاً ولا داراً ولا عَقاراً إلا أتيتَ عليه ! فقال : بأَبِى أنتم ، إنما هى أنفاسى أَقسِمها بين الناس ، أَفتَلُومُونَنِي أن أُغْلِيَ بها الثمن ! .

كان يغلى بغنائه الثمن

غنى فى الموسم فى ظل بيت أبى موسى الأشعرى

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ومُصْعَب بن الزُّبير عن بعض المكّيّين ، وأخبرنى به الحَرَمىّ بن أبى العَلاء وحَبيب ابن نصر قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عمِّى مُصْعَب قال حدّثنى شيخ من المكّيّين يقال له شَرِيس[1] قال :

إنّا لبالأبطَح أيامَ الموسم نَشْتَرِى ونَبيع إذ أقبل شَيْخٌ أبيضُ الرأس واللِّحية على بَغْلة شَهباء ماندرى أهو أشدّ بياضاً أم بغلته أم ثيابه ؛ فقال : أين بيتُ أبى موسى ؟ فأشرنا له إلى الحائط ، فمضى حتى انتهى إلى الظّل من بيت أبى موسى ، ثم استقبلنا ببغلته ووجهه ثم اندفع يُغنِّى :

صــوت

١٢٢
٢

أَسْعِدِينِى بدمعةٍ أَسْرابِ[2] من دموعٍ كثيرة التَّسْكابِ
إنّ أهل الحِصَاب[3] قد تركونى مُغْرَماً مُولَعاً بأهل الحِصابِ

(١) لم نقف على ضبط هذا الاسم إلا فى ط فقد ضبط بكسر الراء . ولعله منقول من « الشريس » اسم للأسد .
(٢) أسراب : جمع سرب ، والسرب : الماء السائل . وفى رس : « أسعدا لى بدمعة أسرابى » .
(٣) الحصاب (بكسر الحاء) : موضع رمى الجمار بمنى .

فارقونى وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذاق مِيتَةً من إيابِ
سكنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيْتِ أبى مو ... سى إلى النخل من صُفِىّ السِّبابِ[1]
كم بذاكَ الحَجُون من حَىّ صِدْقٍ ... وكهولٍ أعِــــفّةٍ وشبابِ
أهلُ بيتٍ تتابعُوا[2] للمنايا ... ما على الموت بعدهم من عِتابِ
فلىَ الوَيلُ بعــــدهم وعليهم ... صِرْتُ فرداً ومَلَّنِى أصحابِى

— الشعر لِكَثير بن كَثِير[3] بن المطَّلِب بن أبى وَدَاعة السَّهْمىّ ، والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّــابة فى مَجْرى الوُسْطى . وفيه لأُبن أبى دُبَاكِل[4] الخُزَاعىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن ابن خُرْدَاذْبَه[5]. — قال : ثم صَرَفَ الرجل بغلَته وذهب ،

---

(١) صفى السباب : موضع بمكة ، وقال الزبير : إنه ماء بين دار سعيد الحرشى التى تناوح بيوت أبى القاسم بن عبد الواحد التى فى أصلها المسجد الذى صلى عنده على أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور . والمراد بأبى موسى أبو موسى الأشعرى (انظر معجم البلدان لياقوت) .

(٢) كذا فى س . وفى سائر النسخ : «تتابعوا» بالباء ، قال فى لسان العرب : التتايع : الوقوع فى الشرّ من غير فكرة ولا رويّة والمتابعة عليه ولا يكون فى الخير ، وقيل : التتايع فى الشرّ كالتتابع فى الخير .

(٣) فى ب ، حـ : «كثير بن أبى كثير» وهو تحريف والصواب ما أثبتناه تبعا لأغلب النسخ ، وقد ورد ذكره فى الجزء الأول من الأغانى طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر ص ٢٥٤ (انظر الحاشية رقم ٧ فى هذه الصفحة من هذا الجزء) .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٣٢ من الجزء الأول طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر .

(٥) ورد هذا الاسم بالباء الموحدة فى قاموس الأعلام التركى لشمس الدين سامى ج ١ ص ٢٦٠ وفى خطبة كتابه المسالك والممالك ، والصفحة الأولى من كتاب تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل ومعجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧ ، وج ٤ ص ٩٥ و٦٠٢ .

وكتب الشيخ نصر الهورينى على هامش صفحة ١٦٢ ج ١ من كتاب الخطط للمقريزى طبع بولاق ما يأتى : « خرداذبه بالخاء المعجمة والذال الثانية معجمة والهاء ، هكذا فى تقويم البلدان للمؤيد أبى الفدا إسماعيل فى كتابه ، وكذا فى النسخة المطبوعة بفرنسا . ثم قال : « وضبطه عاصم بضم الخاء المعجمة وكسر الذال المعجمة بعدها تحتية ساكنة ، وضبطه بالباء الموحدة فانظره» . وورد فى القاموس (مادة روم) بالياء المثناة وضبطه شارحه السيد مرتضى بقوله : « بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال المعجمة وسكون الياء التحتية وآخره هاء » .

فتبعناه حتى أدركناه ، فسألناه مَن هو ؟ فقال : أنا حُنين بن بَلْوَع وأنا رجلٌ جَمّال أُكرِى الإبل ، ثم مضى .

خاف أن يفوته ابن محرز بالعراق فردّه عنه

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأتُ على أبى عن المدائنىّ ، قال :

كان حُنَين غُلاماً يحمل الفاكهة بالحِيرة ، وكان لطيفاً فى عمل التحيّات[1] ، فكان إذا حَمَلَ الرياحين إلى بيوت الفِتْيان ومياسير أهل الكوفة وأصحابِ القِيان والمتطرّبين إلى الحيرة ورأوا رشاقتَه وحُسْنَ قَدِّه وحلاوتَه وخِفّة رُوحه استحْلَوْه ، وأقام عندهم وخَفّ لهم ، فكان يسمع الغناء ويَشْتهيه ويُصغى إليه ويَستمعه ويُطيل الإصغاء إليه ، فلا يكاد يُنْتَفَعُ به فى شىء إذا سَمِعَه ، حتى شدَا منه أصواتاً فأسمعها الناسَ — وكان مطبوعاً حَسَنَ الصوت — واشتهَوْا غناءه والاستماعَ منه وعِشْرتَه . وشُهِرَ بالغناء ومَهَرَ فيه ، وبَلغ منه مَبْلغاً كبيراً . ثمّ رَحَل إلى عُمر بن داود الوادىّ وإلى حَكم الوادىّ ، وأخَذ منهما ، وغَنّى لنفسه فى أشعار الناس ، فأجاد الصَّنعة وأحكمها ، ولم يكن بالعراق غيرُه فاستولَى[2] عليه فى عَصْره . وقَدِمَ ابنُ مُحْرِز حينئذٍ إلى الكوفة فبلغ خبرُه حُنيناً ، وقد كان يَعرفه ، فخشِىَ أن يعرفه الناس فَيَسْتَحلُوه[3] ويَستَولىَ على البلد فيَسْقُطَ هو ، فقال له : كم منّتْك نفسُك من العراق ؟ قال : ألف دينار ؛ قال : فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخُذْها وانصرفْ واحلفْ لى أنك لا تعود إلى العراق ؛ فأخذها وانصرف .

(١) التحيات : جمع تحية وهى ما يحيّا به من نحو السلام ، ومن المحتمل أن يراد منه ما يقدّم عند التحية من باقات الرياحين ، وقد كان العرب فى الجاهلية يفعلون ذلك فى عيد لهم يقال له يوم السباسب ، قال النابغة : * يحيون بالريحان يوم السباسب * ويظهر أن هذه العادة ظلت إلى العهد الإسلامى ، وسيأتى فى هذه الترجمة فى ص ٣٦٤ أن حنينا حيا ضيوفه بالرياحين .

(٢) فى ح : « فاستوى » وكلاهما بمعنى واحد .

(٣) كذا فى ح . وفى سائر النسخ : « فيستحلونه » بإثبات النون وهو خطأ .

أخبرنى عمّى وعيسى بن الحُسَين قالا حدّثنا أبو أيوب المدائنىّ[١] عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال :

كان ابنُ مُحْرِز قَدِمَ الكوفة وبها بِشْرُ بن مَرْوان ، وقد بلغه أنه يَشْرَب الشراب ويَسْمَعُ الغِناء ، فصادفه وقد[٢] خَرَجَ إلى البَصْرة ، وبلغ خبرُه حُنينَ ابنَ بَلْوَع فتلطَّفَ له حتى دعاه ، فغنَّاه ابنُ مُحْرِز لحنَه — قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثانى من جيِّد الأغانى — :

صـوت

وحُرُّ الزَّبَرْجَدِ فى نَظْمِهِ ... على واضح اللِّيتِ[٣] زانَ العُقُودا
يُفَصِّلُ ياقوتَه دُرُّه ... وكالجمرِ أبصَرْتَ فيه الفَرِيدا[٤]

١٢٣ / ٢

قال : فسمع شيئًا هاله وحيّره ، فقال له حنين : كم منّتْك نفسُك من العراق ؟ قال : ألفَ دينار ، فقال : هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك فى عَوْدتك وبَدْأتك ودَع العراق لى وامض مُصَاحَبًا حيث شئت — قال : وكان ابن مُحْرز صغيرَ الهمّة لا يحبّ عِشرةَ الملوك ولا يُؤثِرُ على الخَلْوَة شيئًا — فأخذها وانصرف .

خرج إلى حمص وغنى بها فلم يستطعم أهلها غناءه

وقال حمّاد فى خبره قال أبى حدّثنى بعض أهل العلم بالغناء عن حنين قال :

خرجت إلى حِمْص ألتمس الكَسْبَ بها وأرتاد مَنْ أستفيدُ منه شيئًا ، فسألت

(١) فى حـ ، ا : « المدنى » ، وفى م ، د ، ط : « المدينى » ، وقد تقدم الكلام عليه (انظر الحاشية رقم ١ ص ٨ من هذا الجزء) .
(٢) فى ب ، حـ ، د : « قد خرج » بدون واو وكلاهما مستقيم .
(٣) الليت — بكسر اللام — : صفحة العنق .
(٤) الفريد : الدرّ إذا نظم وفصل بغيره .

عن الفتيان[1] [بها[2]] وأين يجتمعون ، فقيل لى : عليك بالحمّامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا . فجئتُ إلى أحدها فدخلتُه ، فإذا فيه جماعة منهم ، فأنِستُ وانبسطت ، وأخبرتُهم أنى غَرِيب ، ثم خرجوا وخرجتُ معهم ، فذهبوا بى إلى منزل أحدهم ، فلما قعدنا أُتينا بالطّعام فأكلنا ، وأُتينا بالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم فى مُغَنٍّ يُغنّيكم ؟ قالوا : ومَنْ لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، هاتوا عوداً فأُتيتُ به ، فابتدأتُ فى هُنيَّات[3] أبى عَبَّاد مَعْبد ، فكأنما غنَّيتُ للحيطان لا فكِهوا لغنائى ولا سُرُّوا به ، فقلت : ثَقُلَ عليهم غناء مَعْبد لكثرة عَمَله وشدَّته وصعوبة مذهبه ، فأخذتُ فى غناء الغَرِيض فإذا هو عندَهم كلاشىء ، وغنَّيتُ خَفائف ابن سُرَيج ، وأهزاجَ حَكَم ، والأغانىَ التى لى ، واجتهدتُ فى أن يفهموا فلم يتحرَّك من القوم أحدٌ ، وجعلوا يقولون : ليت أبا مُنَبِّه قد جاءنا ؟ فقلت فى نفسى : أرى أنِّى سأفتضح اليوم بأبى مُنَبِّه فضيحةً لم يَفتضِح أحدٌ قطُّ مثلَها . فبَينا نحن كذلك إذ جاء أبو مُنَبِّه ، وإذا هو شيخ عليه خُفَّان أحمران كأنه جَمَّال ، فوثبوا جميعًا إليه وسلَّموا عليه وقالوا : يا أبا مُنَبِّه ، أبطأتَ علينا ، وقدَّموا له الطعام وسَقَوْه أقداحا ، وخَنَستُ[4] أنا حتى صرتُ كلا شىء خوفاً منه ، فأخذ العُودَ ثم اندفع يُغنِّى :

---

(١) الفتيان : طائفة يدينون بالفتوة وخصال الرجولة وهم أشد الناس احتفالا بالغرباء من الناس وأسرع إلى إطعام الطعام وقضاء الحوائج ، فيخدمون بالنهار ويشترون بما يتجمع معهم الفواكه والطعام فإن ورد فى ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه وكان ذلك ضيافته لديهم وإن لم يرد وارد اجتمعوا هم على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا إلى صناعاتهم بالغدو . وقد كان الخليفة الناصر العباسى المتوفى سنة ٦٢٢ قد جعل نفسه رئيسا لهذه الطائفة وكتب سنة ٦٠٧ إلى ملوك الأطراف الذين يعترفون بخلافته أن يشربوا كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها وأن ينتسبوا إليه برمى البندق (انظر رحلة ابن بطوطة طبع باريس ج ٢ ص ٢٦٠ ورحلة ابن جبير طبع ليدن ص ٢٨٢ ، وتاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان ج ٥ ص ١٦٩).

(٢) الزيادة عن ا ، م .

(٣) الهنيات : الأراجيز .

(٤) خنس الرجل من القوم خنوسا : تأخر واختفى .

طَرِبَ[1] البحرفاعبُرِى ياسفينَهْ لا تَشُقِّى على رجالِ المدينَـــهْ

فأقبل[2] القومُ يصفِّقون ويَطْربون ويشربون، ثم أخذ فى نحو هذا من الغناء؛ فقلت فى نفسى: أنتم هاهنا! لئن أصبحتُ سالماً لا أمسيتُ فى هذه البلدة. فلمَّا أصبحتُ شَدَدتُ رَحْلى على ناقتى واحتقبْتُ[3] رَكْوَةً من شراب ورَحلت متوجِّهاً إلى الحِيرة، وقلت:

ليتَ شعرى متى تَخُبُّ بِىَ النا قةُ بين السَّدِير والصِّنِّين[4]
مُحقَبِاً رَكْوَةً[5] وخُبزَ رُقاقٍ وبقُولاً وقطعةً من نُونِ[6]
لستُ أبغى زاداً سواها من الشا م وحسبى عُلالةٌ[7] تكفينى
فإذا أُبتُ سالماً قلت: سُحْقاً وبِعــاداً لمعشرٍ فارقونى

غنى خالداً القسرى بعد ما حرم الغناء

أخبرنى محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه، وأخبرنا به وكيع فى عقب أخبارٍ رواها عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه فقال: وقال لى إسحاق، فلا أدرى[8] أأدْرَجَ الإسنادَ وهو سماعه أم ذكره مُرسَلاً، قال إسحاق وذكر ابن كُناسة:

---

(١) فى م، د، ط، خد، مع: «طرف البحر فاضربى ياسفينة». وفى ا، ء: «ظرف البحر الخ».
(٢) فى ا، م: «فأخذ».
(٣) احتقب ركوة: احتملها خلفه. والركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. وفى ط، رس: «زكرة». والزكرة (بالضم): زقّ صغير للشراب.
(٤) راجع الحاشية رقم ٥ من صفحة ١١٣ من هذا الجزء. وفى هذا الشعر سناد وهو، كما فسره ابن سيده: المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروى (انظر الجزء الأول من هذه الطبعة ص ١٤٩ حاشية رقم ٤).
(٥) فى ط: «زكرة». وانظر الكلام عليها فى الحاشية (٣) من هذه الصفحة.
(٦) النون: الحوت.
(٧) العلالة (بالضم): ما يتعلل به.
(٨) يريد أنه لا يدرى هل جعل وكيع هذا الخبر من جملة ما رواه بسند حماد عن أبيه أم ذكره عن إسحاق مرسلا أى منقطعا.

أن خالدَ بنَ عبد الله القَسْرىَّ حرَّم الغناء بالعِراق فى أيّامه، ثم أذِنَ للناس يوماً فى الدُّخول عليه عامّة ، فدخل إليه حُنَين ومعه عودٌ تحت ثيابه ، فقال : أصلح الله الأمير ، كانت لى صناعةٌ أعود بها على عِيالى فحرّمها الأميرُ فأضرَّ ذلك بى وبهم ؛ فقال : وما صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا ، فقال له خالد :
١٢٤/٢ غَنِّ ، فحرّك أوتاره وغنّى :

صوت

أيها الشامتُ المعيِّر بالدهـ ... ـر أأنت المُبرَّأُ الموفورُ !
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيّـ ... ـام بل أنت جاهلٌ مغرورُ !
مَن رأيتَ المنونَ خَلَّدن أم مَن ... ذا عليه من أن يُضامَ خفيرُ !

قال : فبكى خالد وقال : قد أذِنتُ لك وحدَك خاصّةً فلا تجالسنّ سفيهاً ولا مُعَرْبِداً . فكان إذا دُعِيَ قال : أفيكم سفيهٌ أو مُعرْبِد ؟ فإذا قيل له : لا ، دَخل .

شعر هذا الصوت المذكور لعدىّ بن زيد ، والغناء لحُنَين رَمل بالوسطى عن عمرو . وقوله : المبرَّأ ، يعنى المبرّأ من المصائب . والموفور : الذى لم يذهب من ماله ولا من حاله شىء ، يقال : وُفِرَ الرجل يُوفَر . ولديك بمعنى عندك هاهنا .

غنى بشر بن مروان بحضور الشعبى

أخبرنى أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصَّحّاف الكوفىّ قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز الباهلىّ قال أخبرنا الهَيْثَم بن عدىّ عن عبد الله بن عيّاش وعن مُجالد عن الشَّعْبىّ جميعاً ، وأخبرنى محمد بن مَزْيد وحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيْثم ابن عدىّ عن عبد الله بن عيّاش عن الشّعبىّ قال :

لمّا وَلِىَ بِشْرُ بن مَرْوان الكوفةَ كنتُ على مَظالمه ، فأتيتُه عَشِيّةً وحاجبه

أَعْيَنُ (صاحب حمّام أعْيَنَ) جالس ، فقلت له : استأذنْ لى على الأمير ! فقال لى : يا أبا عمرو ، هو على حالٍ ما أظنّك تصل إليه معها ، فقلت : أَعْلِمْه — وخَلاكَ ذَمٌّ — فقد حدَث أمر لا بدّ لى من إنهائه إليه — وكان لا يجلس بالعَشِيّ — فقال : لا ، ولكن آكتب حاجتك فى رُقْعة حتى أوصِّلَها إليه ؛ فكتبتُ رقعة ، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبىّ ممن يُحتَشمُ منه فأْذَنْ له ، فأذن لى فقال : آدخل ، فدخلت فإذا بشرُ بن مروان عليه غِلالةٌ(١) رقيقة صفراء ومُلاءةٌ تقوم قياماً من شدّة الصِّقال، وعلى رأسه إكليل من رَيْحان ، وعلى يمينه عِكْرمةُ بن رِبْعِىٍّ ، وعلى يساره خالد(٢) ابن عَتّاب بن وَرْقاء ؛ وإذا بين يديه حُنين بن بَلوَع معه عودُه ، فسلمت فردّ(٣) علىّ السلام ورحّب وقرّب ، ثم قال : يا أبا عمرو ، لو كان غيرُك لم آذَنْ له على هذه الحال ، فقلت : أصلح الله الأمير ، عندى لك السترُ لكل ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يَجْمُل ، والشكرُ على ما تُولِينى ، فقال : كذاك الظنُّ بك ، ثم التفتَ إلى حُنَين وعودُه فى حِجْره وعليه قباء خُشْك(٤) شَوِى — وقال إسحاق : خشكون(٥) — ومُسْتُقَة(٦) حمراء وخُفّان مُكَعَّبان(٧) ، فسلَّم علىّ ، فقلت له : كيف أنت

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

(٢) فى ا ، م ، د ، ط ، خد : « خالد بن زياد بن ورقاء » ، والصواب ما أثبتناه (راجع تاريخ ابن جرير الطبرى طبع أوربا قسم ٢ ص ٩٦١و٩٦٤ — ٩٦٨و١٠٠٢) .

(٣) فى ط : «فردّوا» .

(٤) كذا بالأصل . ونطقها بالفارسية : «خشك شوْ» ومعناها : «القميص الخشن» .

(٥) كذا بالأصل وفى الفارسية مركبة من كلمتين : «خوش» بمعنى «زاهى» و «كو» بمعنى « اللون » أى قباء زاهى اللون ، ولعله المعنى المراد لأنه أنسب بالمقام .

(٦) كذا فى حـ . وفى د ، ا ، م ، ط ، خد : «منشفة» وفى باقى النسخ : «منشة» وهما محرفان. والتصويب عن كتاب المعرب للجواليقى قال : « وأصلها بالفارسية مشته فعرب » . والمستقة : فرو طويل الكم ، وقيل : هى الجبة الواسعة . وعن أنس أن ملك الروم أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها رسول الله فكأنى أنظر إلى يديها يذبذبان فبعث بها إلى جعفر فقال : ابعث بها إلى أخيك النجاشى» ، وأنشد :

إذا لبست مساتقها غنىّ فياويح المساتق ما لقينا

(٧) مكعبان : موشيان .

أبا كعبٍ ، فقال : بخير أبا عمرو ، فقلت : أَحْزِق[1] الزِّيرَ[2] وأَرْخِ البَمَّ[3] ، فعل ، وضرب فأجاد ؛ فقال بشرٌ لأصحابه : تلوموننى على أن آذَنَ له فى كل حال ! ثم أقبل علىّ فقال : أباعمرو ، من أين وقع لك حَزْقُ الزِّير[4] ؟ فقلت : ظننت أن الأمر هناك ، فقال : فإن الأمر كما ظننتَ هناك كلّه . ثم قال : فمن أين تعرف حُنَينا ؟ فقلت : هذا بطَّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفه ! فضحك ، وغَنَّى حُنين فأجاد ، فطربَ وأمر له بجائزة ، ثم ودَّعته وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ماجئتُ فيه ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ، فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه وانصرفتُ . وقد وجدت هذا الخبرَ بخط أبى سَعيد السُّكَّرىّ يأثِرُه[5] عن ١٢٥/٢ محمد بن عثمان المخزومىّ عن أبيه عن جَدِّه : أنه كان عند بِشْر بن مَرْوان يوم دخل عليه الشَّعبىّ هذا المَدْخَل وأن حُنَين بن بَلْوَع غنّاه :

هُمُ كتمونى سَيْرَهمْ حين أزمَعُوا[6] وقالوا : اتّعدنا للرَّواح وبكَّرُوا

وهذا القول خطأ قبيح ؛ لأن هذا الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعَلُّوَيهْ رمل بالوسطى ، وغُنِّىَ للمأمون فيه فقال : سَخِرُوا من أبى الفضل أعزّه الله .

شىء من أوصاف الحيرة

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبى ، وقال أبو عُبَيْد الله الكاتب حدّثنى سليمان بن بِشْر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال:

وكان بعضُ وُلاة الكوفة يذمُّ الحِيرَةَ فى أيام بنى أميَّةَ ، فقال له رجل من

(١) احزق : اشدد .
(٢) الزير : أرفع أوتار العود ، وكانت أربعة فى ذلك العهد .
(٣) البمّ : أغلظ أوتار العود .
(٤) فى ا ، م : «الوتر» .
(٥) يأثره : يرويه .
(٦) فى ا ، م ، د ، ط ، خا : «ثم فارقوا» .

أهلها — وكان عاقلا ظريفاً — : أتعيبُ بلدةً بها يُضْرَب المَثَلُ فى الجاهليّة والإسلام! قال: وبماذا تُمْدَح ؟ قال : بصحّة هوائها ، وطيبِ مائها ، ونُزْهةِ ظاهرِها ، تَصْلُح للخُفِّ والظِّلف ، سَهْلٌ وجَبَلٌ ، وباديةٌ وبُستان ، وبَرٌّ وبَحْر ، مَحلُّ الملوك ومَزارُهم[1] ، ومَسْكَنُهم ومَثْواهم ، وقد قَدِمْتَها — أصلحك الله — مُخفًّا فرَجعْتَ[2] مُثْقِلاً ووَرَدْتَها[3] مُقِلاً فأصارتْك مُكْثِراً ، قال : فكيف نعرفُ ما وصَفْتَها به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إلىّ[4] ، ثم ادعُ ما شئتَ من لذّاتِ العَيْش ، فوالله لا أجوزُ بك الحِيرَةَ فيه ، قال : فاصنَعْ لنا صَنيعاً وأخرِجْ من قولك ، قال : أفعلُ ، فصنع لهم طَعاماً وأطعمهم من خُبْزها وسَمكها وما صِيدَ من وَحْشها : من ظِباء ونَعام وأرانبَ وحُبارَى[5] ، وسقاهم ماءها فى قِلالها ، وخَمْرها فى آنيتها ، وأجلَسَهم على رَقْمها[6] — وكان يُتَّخذ بها من الفُرُش أشياء ظريفة — ولم يستَخْدِم لهم حُرًّا ولا عَبْدًا إلا من مُوَلَّديها ومُولَّداتها من خَدَمٍ ووصائفَ ووُصَفاء[7] كأنهم اللؤلؤ ، لُغَتُهم لُغَةُ أهلها ، ثم غنّاهم حُنين وأصحابُه فى شِعْر عَدِىّ بنِ زَيْد شاعِرِهم وأعشَى هَمْدان لم يتجاوزْهما ، وحيَّاهم برَياحينها ، ونَقَّلَهم[8] على خَمْرها ، وقد شَرِبُوا بفواكِهها ؛ ثم قال له :

(١) فى ط ، خد : «ومرادهم» .
(٢) فى نا ، مع ، رس : «فأصبحت» .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى س ، حـ : «وزرتها» . وفى ب : «ودرنها» وهو تحريف .
(٤) فى ط ، خد : «إليها» .
(٥) الحبارى : طائر ، قال فى كتاب الحيوان : إنه طويل العنق رمادى اللون ، فى منقاره بعض طول وهو يقع على الذكر والأنثى واحده وجمعه سواء ، وإن شئت قلت فى الجمع حباريات ، وهو ممنوع من الصرف معرفا ومنكرا .
(٦) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخزّ .
(٧) فى ط ، خد : الوصائف ، جمع وصيفة وهى الجارية البالغة حدّ الخدمة ، والوصفاء : جمع وصيف وهو الغلام البالغ حدّ الخدمة أيضا . وقد يقال الوصيف للخادم غلاما كان أو جارية .
(٨) نقَّلهم : أطعمهم النقل ، والنقل : ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوها .

هل رأيتَنى آستعنتُ على شىء مما رأيتَ وأكلتَ وشربتَ وآفترشتَ وشممْتَ وسمعتَ بغير مافى الحِيرَة ؟ قال : لا والله ، ولقد أحسنتَ صفةَ بلدك ونصرتَه فأحسنتَ نُصرتَه والخروج ممّا تضمّنتَه ، فبارك الله لكم فى بلدكم .

المغنون المشهورون بالحيرة غير حنين ونوع غنائهم

قال إسحاق: ولم يكن بالحيرة مذكورٌ فى الغناء سوى حُنَين إلاّ نفرًا من السِّدْرِيِّين يقال لهم : عَبادِيس ، وزَيْد بن الطُّلَيس ، وزيْد بن كعب ، ومالك بن حُمَمَة ، وكانوا يغنُّون غناء الحيرة بين الهزَج والنَّصْب[1] وهو إلى النصب أقرب ، ولم يُدوَّن[2] منه شىء لسقوطه وأنه ليس من أغانى الفحول . وما سَمِعنا نحن لأحد من هؤلاء خبراً إلا لمالك بن حُمَمَة ، أخبرنى به عمِّى عن عبد الله بن أبى سَعد .

عمره ونسبه

وقال وَكيع فى خبره عن إسحاق حدّثنى أبو بِشر الفَزَارىّ قال : حدّثنى بِشْر بن الحسين بن سليمان بن سَمُرَة بن جُنْدَب قال :

عاش حُنَين بن بَلْوَع مائةَ سنة وسبع سنين ، وكان يقال إنه من جَديس ، قال : وقيل أيضاً : إنه من لَخْم ، وكان هو يزعم أنه عِبادىّ وأخواله من بنى الحارث بن كعب .

غنى حفيده لأبى إسحاق إبراهيم بن المهدى وقص عليه خبر جده مع ابن سريج

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانىّ قال حدّثنا يوسفُ بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المَهدىّ قال :

كنتُ مع الرشيد فى السنة التى نَزَل فيها على عَوْنٍ العبادىّ ، فأتانى عَوْن بابن
١٢٦ ابن حُنَين بن بَلْوَع ، وهو شيخ ، فغنّانى عدّة أصوات لجدِّه ، فما آستحسنتُها ؛ لأنّ
٢ الشيخ كان مشوَّه[3] الخَلْق ، طَنّ[4] الغناء ، قليلَ الحلاوة ، إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يَفْرُغ منه ، فغنّانى صوتَ ابن سُرَيج :

---

(١) النصب : غناء يشبه الحداء إلا أنه أرقّ .

(٢) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «يذروا منه شيئا » وهو تحريف .

(٣) فى ا ، م ، د ، ط : «مشنّى الخلق» . وفى ح : « مشنوّ الخلق » . ومشنوّ الخلق : مكروهه . وقد ورد فى هذا الوصف : مشنوء (بالهمز) ومشنوّ ومشنىّ .

(٤) طنّ الغناء : يدل السياق على أنه وصف من الطنين وهو صوت الشىء الصلب كالنحاس وغيره . =

فترَكتُه جزَرَ[1] السِّباع يَنُشْنَه[2] ما بين قُلَّةِ رأسِه والمِعْصَمِ

فما أذكر أنى سَمعتُه من أحد قطُّ أحسنَ مما سمعتُه منه ، فقلتُ له : لقد أحسنتَ فى هذا الصوت ، وما هو من أغانى جدّك ولا من أغانى بلدك ، وإنى لأعجبُ من ذلك ! فقال لى الشيخ : والصَّليبِ والقُرْبانِ ما صُنعَ هذا الصوتُ إلا فى منزلنا وفى سِرْدابِ جدّى ، ولقد كاد أن يأتىَ على نفس عمّى ، فسألته عن الخبر فى ذلك فقال :

ضافه ابن سريج متنكرا فأكرمه ثم بالغ فى إكرامه لما عرفه

حدثنى أبى أن عُبَيد بن[3] سُرَيج قدم الحِيرةَ ومعه ثلاثمائة دينار . فأتى بها منزلنا فى ولاية بِشْر بن مَرْوان الكوفةَ ، وقال : أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكة ، بلغنى طِيبُ الحِيرَة وجوْدةُ خَمْرها وحُسنُ غِنائك فى هذا الشعر :

حنَتْنى حانياتُ الدهر حتى كأنّى خاتلٌ يَدْنو[4] لِصَيْدِ
قريبُ الخطْو يَحسَبُ مَنْ رآنى ولستُ مُقَيَّداً أنّى بقَيْدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأنفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تَنفَدَ وأنصرف إلى منزلى . فسأله جَدِّى عن اسمه ونسبه فغيَّرهما وانتمى إلى بنى مخزوم ، فأخذ جدِّى المال منه وقال : مُوَفَّرٌ مالُك عليك ولك عندنا كلّ مايحتاج إليه مثلُك ما نَشِطْتَ للمُقام عندنا ، فإذا دَعَتْك نفسُك إلى بلدك جهّزناك إليه ورَدَدْنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقتَه عليك إلى أن جئتنا ، وأسكنه داراً كان يَنفرد فيها ، فمكث عندنا

=ولم نجد هذه الصيغة من هذه المادة فى كتب اللغة التى بأيدينا ولعله طانّ الغناء اسم فاعل من طنّ . وفى د ، ا ، م ، ط ، خد ، مع ، نا ، رس : « كزّ الغناء » .

(١) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، يقال : تركوهم جزرا بالتحريك ، إذا قتلوهم وقطعوهم إربا إربا وجعلوهم معرضين للسباع والطير .

(٢) ينشنه : يتناوله .

(٣) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « عبيدالله » . انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٥٧ من الجزء الأول طبعة الهيئة العامة للتأليف والنشر .

(٤) فى ط : « أدنو » .

شهرين لا يعلم جَدِّى ولا أحدٌ من أهلنا أنه يُغَنِّى ، حتى انصرف جَدِّى من دار بِشْر ابن مَرْوان فى يومٍ صائفٍ مع قيام الظَّهِيرة ، فصار إلى باب الدار التى كان أنزَل ابنَ سُرَيج فيها فوجده مُغْلَقًا فارتاب بذلك ، ودقَّ الباب فلم يُفتَح له ولم يُجِبْه أحدٌ ، فصار إلى منازل الحُرَم فلم يجد فيها ابنَته ولا جَوارِيَه[1] ، ورأى مابين الدار التى فيها الحُرَم ودار ابن سُرَيج مفتوحًا ، فانتضَى سيفَه ودخل الدار ليقتُل ابنته ، فلما دخلها رأى ابنَته وجَوارِيَه[1] وقوفا على باب السِّرْداب وهُنَّ يُومِئْنَ إليه بالسكوت وتخفيف الوطء ، فلم يَلتفت إلى إشارتهنّ لِما تداخلَه ، إلى أن سَمِعَ تَرنُّمَ ابنِ سُرَيج بهذا الصوت ، فألقى السيفَ من يده وصاح به — وقد عَرَفه من غير أن يكون رآه ، ولكن بالنعت والحِذْق — : أبا يحيى، جُعِلتُ فداءك ، أتيتنا بثلاثمائة دينار لتُنْفِقَها عندنا فى حِيرَتنا ! فوحقِّ المسيح لاخرجتَ منها إلا ومعك ثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار سوى ماجئتَ به معك ، ثم دخلَ إليه فعانقه ورحَّب به ولَقِيَه بخلاف ما كان يلقاه به ، وسأله عن هذا الصوت ، فأخبره أنه صاغه فى ذلك الوقت . فصار معه إلى بِشْر بن مَرْوان فوصَله بعشرة آلاف درهم أوّلَ مرّةٍ ، ثم وصَله بعد ذلك بمثلها ، فلما أراد الخروجَ ردّ عليه جَدِّى مالَه وجهَّزه ووصَله بمقدار نفقته التى أنفقها من مكة إلى الحِيرة ، ورجعَ ابنُ سُرَيج إلى أهله وقد أخَذ جميعُ مَنْ كان فى دارنا منه هذا الصوتَ .

١٢٧ / ٢ أخبرنى عمِّى قال حدثنى عبدُ الله بن أبى سعد قال حدثنى حسَّان بن محمد الحارثىّ قال حدثنا عبد الله قال حدثنا عُبَيد بن حُنَين[2] الحِيرىّ قال :

استقدمه ابن سريج والغريض ومعبد إلى الحجاز فقدم وغنى فازدحم الناس فسقط عليه السطح فمات

كان المغنُّون فى عصر جدِّى أربعة نفَرٍ : ثلاثة بالحجاز وهو وحدَه بالعراق ، والذين بالحجاز : ابنُ سُرَيج والغَرِيض ومَعْبَد ، فكان يَبْلُغُهم أن جدِّى حُنَينًا قد غَنَّى فى هذا الشعر :

(١) كذا فى حـ ، نا . وفى سائر النسخ : « جواريها » .

(٢) كذا فى جميع الأصول ، ولعل الراوى نسب عبيدا إلى جده حنين لشهرته .

هَلّا بَكَيْتَ على الشباب الذاهبِ وكَفَفْتَ عن ذَمِّ المَشِيبِ الآئبِ
هذا ورُبَّ مُسَوِّفِينَ[(١)] سَقَيْتُهُمْ من خمر بابلَ لذّةً للشاربِ
بَكَرُوا عَلَيَّ بسُحْرةٍ فَصَبَحْتُهم من ذات كُوبٍ[(٢)] مثل قَعْبِ الحالبِ
بزجاجة مِلْءِ اليدَيْن كأنها قِنْديلُ فِصْحٍ[(٣)] فى كَنيسة راهبِ

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدّى وقالوا : ما فى الدنيا أهلُ صناعة شرٌّ منّا ، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز ، لا نَزُوره ولا نَسْتَزِيرُه . فكتبوا إليه ووجّهوا إليه نفقةً وكتبوا يقولون : نحنُ ثلاثةٌ وأنت وَحْدَك فأنت أَوْلَى بزيارتنا ، فشخَص إليهم . فلمّا كان على مَرْحلة من المدينة بَلَغهم خبرُه فخرَجوا يَتَلَقَّوْنَه ، فلم يُرَ يَوْمٌ كان أكثر حَشْرًا[(٤)] ولا جَمْعًا من يومئذ ، ودخلوا ، فلمّا صاروا فى بعض الطريق قال لهم مَعْبَدٌ : صِيرُوا إلىَّ ؛ فقال له ابنُ سُرَيج : إن كان لك من الشرف مثل ما لمولاتى صرنا إليك ، قال الغريض : إن كان لكما من الشرف والمُرُوءة مثلُ ما لِمَوْلاتى سكينة بنت الحسين عطَفْنا إليك ؛ فقال : مالى من ذلك شىء ، وعَدَلوا إلى منزل سُكَينة . فلمّا دخلوا إليها أَذِنَتْ للناس إذْنًا عامًّا فغَصَّت الدارُ بهم وصَعِدُوا فوق السطح ، وأمرتْ لهم بالأطعمة فأكلوا منها ، ثم إنهم سألوا جدّى حُنَيْنًا أن يغنّيَهم صوتَه الذى أوّله :

* هلّا بكيتَ على الشباب الذاهبِ *

فغنّاهم إيّاه بعد أن قال لهم : ابدءوا أنتم ؛ فقالوا : ما كنّا لنتقدّمك ولا نُغنّىَ قبلك

---

(١) قال فى اللسان : التسوف : الصبر ، والمسوّف : الصبور ، وأنشد للمفضّل هذا البيت شاهدا بذلك .

(٢) كذا فى د وهامش ط . وفى باقى النسخ : « من ذات كرنيب كقعب» . والكرنيب : لبن حليب ينقع فيه تمر برنىّ . ولم يظهر لهذه النسخة معنى يلتئم به السياق .

(٣) كذا فى ط ، خد . والفصح : من أعياد النصارى (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٧ من هذا الجزء) . وفى باقى الأصول : « صبح » .

(٤) فى ا ، م ، د ، ط ، مع : « حشدا » .

حتى نسمع هذا الصوتَ؛ فغنّاهم إياه، وكان من أحسن الناس صوتاً، فازدحمَ الناسُ على السطح وكَثُروا ليسمعوه، فسقط الرِّواق على مَنْ تحتَه فسلِمُوا جميعًا وأُخرجوا أَصِحَّاء، ومات حُنَيْنٌ تحتَ الهَدْم؛ فقالت سُكَيْنةُ عليها السلامُ: لقد كدّر علينا حُنَيْنٌ سرورَنا، انتظرناه مُدّة طويلةً، كأنّا والله كُنّا نَسُوقه إلى مَنِيّتهِ.

الغناء في الأصوات المتقدمة

نسبة ما فى الخبر الأول من الغناء

صــوت

وتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ ... ما بينَ قُـلَّةِ رأسِهِ والمِعْصَمِ
إن تُغْدِفِى دُونِى القِناعَ فإنّنِى ... طَبٌّ بأخذ الفـارسِ المُسْتَلْئِمِ[1]

الشعر لعَنْتَرَةَ بن شَدّاد العَبْسِيّ، والغناء فيه لحُنَين ثانى ثقيلٍ[2].

ومنهــا:

صــوت

حَنَتْنِى حانياتُ الدهرِ حتّى ... كأنِّى خاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدِ
قَرِيبُ الخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رآنى ... ولستُ مُقَيَّدًا أنِّى بقَيْـدِ

الغناء لحُنَين الحِيرىّ ثقيلٌ أوّلُ، وفيه لإبراهيم المَوْصلىّ ماخُورِىٌّ جميعا عن ابن المَـكّىِّ، ووافقه عمرو بن بانَةَ فى لحن إبراهيم الموصلىّ. ونسبة الشعر الذى غنّاه حُنَيْنٌ فى منزل سُكَينة — عليها السلام — يقال: إنه لعَدِىّ بن زَيْد، وقيل: إنّ بعضه له وقد أضافه المغنُّون إليه. ولحنُهُ خَفِيفُ ثَقِيلٍ مُطْلَق فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق. ١٢٨ / ٢

---

(١) أغدفت المرأة قناعها: أرسلته على وجهها. والطب: الحاذق من الرجال الماهر بعلمه. والمستلئم: لابس اللأمة، وهى الدرع.

(٢) فى ط، حد: «والغناء لابن سريج ثقيل أول».

صوت من المائة المختارة

راعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الأحبابِ … يومَ الرحيل فهاجَ لى أطْرابى[١]
فظَلِلتُ مكتئباً أُكَفْكِفُ عَبْرةً … سحًّا تَفيضُ كواشلِ[٢] الأسرابِ
لمّا تَنادَوْا للرحيل وقرَّبوا … بُزْلَ الجمالِ لِطِيَّةٍ[٣] وذَهابِ
كاد الأسَى يَقْضِى عليك صبابةً … والوجهُ منك لِبَيْنِ إلفك كابى

عروضه من الكامل . والشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء للغَريض ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنصر عن إسحاق . وقال حَبَشٌ : وفيه لأبى كامل ثانى ثقيل بالوسطى . وذكر حَبَشٌ : أنّ للغريض أيضاً فيه خفيفَ ثقيل بالوُسْطى . ولمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وهذه الأبياتُ قالها عمر بن أبى ربيعة فى بنتٍ لعبد الملك بن مَرْوان كانت حَجَّتْ فى خلافته .

قصة ابن أبى ربيعة مع بنت عبدالملك ابن مروان

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم قال أخبرنى أبو هَفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزُّبَيْرِىّ والمدائنىّ ومحمد بن سَلّام والمُسَيَّبىّ :

أنّ بنتاً لعبد الملك بن مَرْوان حَجّت ، فكتب الحجاج إلى عمر بن أبى ربيعة يتوعّده إن ذكرها فى شعره بكلّ مكروه ، وكانت تحبُّ أن يقول فيها شيئاً وتتعرّض لذلك ، فلم يَفعل خوفاً من الحجّاج . فلمّا قضتْ حَجَّها خرجت فمرَّ بها رجلٌ فقالت له : مِنْ [أين][٤] أنت ؟ قال : من أهل مكة ؛ قالت : عليك وعلى أهل بلدك لعنةُ الله !

(١) راع الفؤاد : أفزعه . والأطراب : جمع طرب ، والطرب يطلق على الفرح والحزن والشوق ، والمراد هنا أحد المعنيين الأخيرين .
(٢) واشل : سائل ، من وشل الماء يشل (كوعد) إذا سال وقطر ، والأسراب : جمع سرب (بالتحريك) وهو الماء السائل من المزادة .
(٣) يقال : مضى فلان لطيته أى لوجهه ونيته التى انتواها .
(٤) الزيادة عن ا ، م ، خد .

قال :ولِمَ ذاك ؟ قالت حَجَجتُ فدخلتُ مكةَ ومعى من الجوارى من لم تَرَ الأعينُ مثلهن فلم يستطع الفاسقُ ٱبن أبى ربيعة أن يُزوِّدنا من شعره أبياتاً نَلْهُو بها فى الطريق فى سفَرِنا ! قال : فإنى لا أراه إلاّ قد فعل ؛ قالت : فأْتنا بشىء إن كان قاله ولك بكل بيتٍ عشرةُ دنانيرَ ؛ فمضى إليه فأخبره ؛ فقال : لقد فعلتُ ولكن أحبُّ أن تَكْتُمَ علىّ ؛ قال : أفعل ؛ فأنشده :

راعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الأحبابِ ... يومَ الرحيلِ فهاجَ لى أطْرابى

وهى طويلة جداً . وأنشده :

هاجَ قلبى تَذَكُّرُ الأحبابِ ... وأعترتْنى نوائبُ الأطرابِ(١)

وهى طويلة أيضاً ، يقول فيها :

أقْتُلِينى قَتْلاً سريعاً مُريحاً ... لا تكونى علىّ سَوْطَ عَذابِ
شَفَّ عنها مُحَقَّق(٢) جَنَدِىٌّ ... فهى كالشمس(٣) من خلال سَحابِ

— ذكر حَبَشٌ : أنّ فى هذه الثلاثة الأبيات للهُذَلىّ ثانىَ ثقيل بالبِنصر — قال : فعادَ إليها الرجل فأنشدَها هاتين القصيدتين فدفعتْ إليه ما وعدتْه به .

(١) الأطراب هنا : الأحزان .
(٢) كذا فى ا ، م ، د وهو الموافق لما تقدم فى ص ٢٤٨ من الجزء الأول من هذه الطبعة . وفى باقى النسخ : «مرقق حندى» بالحاء المهملة . وقد تقدّم تفسير هذا البيت فى الصفحة المذكورة .
(٣) فى مع : «فهى كالبدر من خلال السحاب» .

ذكر الغريض وأخباره

اسمه وكنيته، وسبب لقبه

١٢٩/٢ الغَرِيض لَقَبٌ لُقِّبَ به ؛ لأنه كان طَرِىَّ الوجه نَضِرًا غضَّ الشباب حَسنَ المنظر ، فلُقِّبَ بذلك . والغريض : الطرىّ من كل شىء . وقال ابن الكلبىّ : شُبِّه بالإغريض وهو الجُمَّار فسُمِّىَ به ، وثَقُلَ ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه ، فقيل له : الغريض . واسمه : عبد الملك ، وكنيته : أبو يزيد .

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعِىّ عن عمر بن شَبَّة عن أبى غسَّان عن جماعة من المكِّيِّين :

أنه كان يكنَّى أبا مَرْوان . وهو مَوْلى العَبَلات ، وكان مُوَلَّدًا من مُوَلَّدِى البَرْبَر . ووَلاؤه وولاء يحيى قَيْل[١] ، وسُمَيَّة[٢] للثُّرَيَّا — صاحبة عُمَر بن أبى ربيعة — وأخواتها : الرُّضَيَّا وقُرَيبة وأمّ عثمان بنات علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أميَّة الأصغر ، وقد مضت أخبارهنّ فى صدر الكتاب[٣] .

أخذ الغناء عن ابن سريج فلما رأى ابن سريج مخايل التفوق فيه حسده وطرده

أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرىّ قال حدثنى محمد بن نصر الضَّبَعِىّ[٤] قال حدثنى عبد الكريم بن أبى معاوية العلابىّ[٥] عن هشام بن الكلبىّ عن أبيه وعن

---

(١) فى ط ، د : «فيل» بالفاء ، (وانظر ترجمته بالجزء الثالث ص ١١ من الأغانى طبع بولاق) .

(٢) فى د ، ا ، م ، ط ، مع : «سهية» وقد سمى العرب بهما ، ولم ندر أيهما أصح لوجوده مجردا .

(٣) انظر الجزء الأول من هذه الطبعة ص ٢١٨–٢٢٢ .

(٤) لم يرد هذا الاسم فى فهارس الكتب التى تحت أيدينا . والضبعى بضم الضاد المعجمة وفتح الباء الموحدة كما فى شرح القاموس والمشتبه للذهبى والاشتقاق لابن دريد ولسان العرب : نسبة إلى ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة الذين نزلوا البصرة ، وقيل إلى المحلة التى سكنها هؤلاء بالبصرة . وقد ضبطه السمعانى بالعبارة فقال إنه : «بفتح الضاد المعجمة وفتح الباء المنقوطة بواحدة وفى آخرها العين المهملة . هذه النسبة إلى ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة ... الخ » . وهو كما ترى مخالف لكل المصادر المتقدمة .

(٥) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى د ، ط : «العبْلانى» . وفى ا ، م : «الغيلانى» ، ولم يرد فى كتب الأنساب «العلابى» بالعين المهملة ، والذى ورد هو الغلابى بالغين المعجمة . ولم نهتد إلى هذا الاسم لنتحقق من صحة هذه النسبة .

أبي مِسْكين[١] وأخبرني أحمد بن العزيز الجوهريّ قال حدثني عمر بن شَبّة قال حدثني أبو غَسّان محمد بن يحيي ، وأخبرني الحسين بن يحيي ومحمد بن أبي الأزهر حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن الزُّبيري والمَدائني ومحمد بن سلّام ، وقد جمعت رواياتهم في قصه الغريض ، قالوا :

كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدفّ ويُوقِع بالقضيب ، وكان جميلا وَضِيئاً ، وكان يُصنِّع[٢] نفسه ويُبرِّقها[٣] . وكان قبل أن يُغَنِّي خيَّاطا . وأخذ الغناءَ في أول أمره عن ابن سُرَيج ، لأنه كان يَخْدِمُه . فلما رأى ابنُ سُرَيج طَبْعَه وظَرْفَه وحلاوةَ مَنْطِقِه خَشِيَ أن يأخذ غناءه فيغلِبَه عليه عند الناس ويفوقَه بحسن وجهه وجسده ، فاعتلّ عليه ، وشكاه إلى مَوْليَاته ، وهنّ كنّ دَفَعْنه إليه ليعلّمه الغناء ، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده ، فشكا ذلك إلى موليَاته وعرّفهنّ غرضَ ابن سُرَيج في تنحيته إيّاه عن نفسه ، وأنه حسده على تَقَدُّمه ، فقلن له : هل لك في أن تسمع نَوْحَنا على قَتْلانا فتأخُذَه وتُغنّي عليه ؟ قال : نعم فافعلنَ ، فأسْمَعنه المراثى فاحتذاها وخرّج غناءً عليها كالمراثى ، وكان يَنُوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضرَب دونه الحُجُب ثم يَنُوح فيفتن كلّ من سمعه . ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشَّجا[٤] . فكان ابن سريج لا يغنّى صوتاً إلا عارضه[٥] الغريض فيه فغنى فيه لحناً آخر . فلما رأى

تعلم النوح وكان ينوح للنساء في المآتم

---

(١) كذا في د . وفي ا ، م ، حـ : «عن أبيه عن أبي مسكين» . وفي ب ، س : «عن أبيه مسكين» وهو خطأ . وقد أثبتنا رواية د لأنها تقدمت في ص ٢٥٧ من الجزء الأول من هذه الطبعة وكتب الأنساب ترجحها.

(٢) يصنع نفسه : يقوم على تحسينها وتزيينها .

(٣) كذا في ط ، ويبرقها : يزينها ويحسنها . يقال : برّق منزله أي زينه وزوقه . وفي باقي الأصول : «ويترفها» ومعناه يوسع عليها ويدللها ويعطيها شهواتها .

(٤) الشجا : الحزن .

(٥) أي ناقضه وباراه فيه بلحن آخر يغنيه . ولم نجد عارض يتعدى لمفعولين إلا فيما ورد من الحديث من «أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة وأنه عارضه العام مرتين» أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن ، من المعارضة وهي المقابلة .

ابن سُرَيج موقع الغَريض اشتدّ عليه وحسده، فغنّى الأَرْمالَ والأَهْزَاجَ فاشتهاها الناس؛ فقال له الغريض: يا أبا يحيى، قصّرتَ الغناءَ وحذفتَه؛ قال: نعم يامخنّث حين جعلتَ تَنُوح على أمّك وأبيك.

قال إسحاق وحدّثنى أبو عُبيدة قال: لما غَضِب ابنُ سُرَيج على الغَريض فأقصاه وهجره لِحَقَ بحَوْراء وبَغُوم — جاريتين نائحتين كانتا فى شِعْب ابن عامر بمكة، ولم يكن قبلَهما ولا بعدَهما مثلُهما — فرأتاه يوماً يعصر عينيه ويبكى؛ فقالتا له: مالك تبكى؟ فذكر لهما ماصنع به ابنُ سُرَيج؛ فقالتا له: لا أَرْقأَ الله دمعك! أُرْزُزْ رأسَك[1] بين ما أخذتَه عنه وبين ما تأخذه منّا، فإن ضِعْتَ بعدَها فأبعدك الله.

عدّه جرير ضمن الأربعة المشهورين فى الغناء

١٣٠
―
٢

قال إسحاق وحدّثنى أبو عبد الله الزُّبَيرىّ قال: رأيت جَرِيراً فى مجلسٍ من مجالس قريش فسمعتُه يقول: كان المغنُّون بمكة أربعة، فسيد مبرِّز وتابع مسدِّد؛ فسألناه عن ذاك، فقال: كان السيّد أبو يحيى بن سُرَيْج والتابعَ أبو يزيد الغريض[2]. وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقال: كان الغريضُ أَحْذَقَ أهل زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سُرَيج، وما زال أصحابنا لايُفرِّقون بينهما لمقاربتهما فى الغناء. قال الزُّبيرىّ

كان الناس لا يفرقون بينه وبين ابن سريج

وقال بعض أهلى: لو حُكِّمتُ بين أبى يحيى وأبى يزيد لما فرّقتُ بينهما، وإنما تَفضيلى أبا يحيى بالسَّبْق، فأمّا غيرُ ذلك فلا؛ لأنّ أبا يزيد عنه أخذ، ومن بحره اُغترفَ وفى ميدانه جرى، فكان كأنه هو؛ ولذلك قالت سُكينة لما غنّى الغريض وابن سريج:

* عُوجِى علينا رَبَّةَ الهودَجِ *

(١) أى اجعل رأسك بينهما: تريدان بذلك أن يجمع بين ما أخذه عن ابن سريج وما سيأخذه عنهما.
(٢) يلاحظ أنه لم يذكرهنا إلا اثنين.

والله ما أُفرِّق بينكما، وما مَثَلُكما عندى إلا كمَثَل اللؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى الحِسان لايُدْرَى أىّ ذلك أحسن .

قيل كان الغريض أشجى غناء من ابن سريج

قال إسحاق : وسمعتُ جماعةً من البُصَراء[1] عند أبى يتذاكرونهما، فأجمعوا على أنّ الغَرِيض أشْجَى غناء، وأنّ ابن سريج أحْكَمُ صنعةً .

غنى الناس بجمع فحسبوه من الجنّ

قال إسحاق وحدّثنى أبو عبد الله الزُّبيرىّ قال حدّثنى بعض أهلى قال : حَجَجنا فلمّا كنّا بِجَمْع[2] سمعنا صوتاً لم نسمع أحسنَ منه ولا أشْجَى، فأصغَى الناسُ كلهم إليه تعجُّباً من حسنه، فسألتُ : مَنْ هذا الرجلُ ؟ فقيل لى : الغَرِيض، فتتابع جماعةٌ من أهل مكةَ فقالوا : مانعرف اليومَ أحداً أحسَن غناء من الغَرِيض، ويدلُّكَ على ذلك أنه يعترض بصوته الحاجّ وهم فى حَجِّهم فيُصغُون إليه، فسألوا الغريض عن ذلك، فقال : نعم، فسألوه أن يُغنِّيهم فأجابهم، وخَرَج فوقف حيث لا يُرَى ويُسْمَع صوتُه فترنّم ورجّع صوتَه وغنّى فى شعر عمرَ بن أبى ربيعة :

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ٱبتكارا   قد قضَى من تِهامةَ الأوْطارا

فما سمع السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك الصوتِ، وتكلّمَ الناسُ فقالوا : طائفةٌ من الجنّ حُجّاجٌ .

نسبة هذا الصوت

صوت

أيُّها الرائحُ المُجِدّ ٱبتكارا   قدقضَى من تِهامةَ الأوْطارا[3]
مَنْ يكنْ قلبُه الغَداةَ خَليًّا   ففؤادى بالخَيْف أمسَى مُعارا[4]

(١) فى مع : «الشعراء» .
(٢) جمع : المزدلفة وهو مبيت الحاج ومجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات، وهو المشعر الحرام .
(٣) تقدمت هذه الأبيات مع شرحها فى الجزء الأول من الأغانى طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ص ١٧٤ .
(٤) فى ب، س، حـ : «مطارا» .

لَيتَ ذا الحجَّ كان حَتْماً علينا كلَّ شَهرَيْنِ حِجَّةً(١) وٱعتمارا

عَرُوضه من الخَفيف . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن مُحْرِز ، ولحنهُ من القَدْرِ الأَوْسط من الثقيل الثانى بالخنصر فى مَجرى الوُسطَى . وفيه لحن للغَرِيض من رواية حمّاد عن أبيه .

غنى هو ومعبد وابن سريج على أبى قبيس فعفا الوالى عنهم بعد الأمر بنفيهم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وإسماعيل بن يُونس قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال :

بلغنى أن مَعْبدا وابن سُرَيج والغريض اجتمعوا بمكةَ ذاتَ ليلة فقالوا : هَلُمَّ نُبْكِ أهلَ مكة ، ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد مَرْوِيًّا عن يونُسَ الكاتِبِ : أنّ أميراً من أُمراء مكةَ أمر بإخراج المُغنِّينَ من الحَرَم ، فلمّا كان فى الليلة التى عزَم بهم على النَّفْى فى غَدِها ٱجتمعوا على أبى قُبَيْس ـ وكان مَعْبَد قد زارهم ـ فبدأ معبد فغنَّى ـ كذا رُوِىَ عن يونس ولم يذكره الباقون — :

١٣١ / ٢

صوت

أَتَرْبَىَّ مِن أَعْلَى(٢) مَعَدٍّ هُدِيتُما أَجِدّا البُكا إنّ التفرُّقَ باكِرُ

فما مُكثُنا دام الجَمِيلُ عليكما بِثَهْلانَ(٣) إلا أنْ تُزَمَّ الأَباعِرُ

— عَرُوضه من الطويل . هكذا ذكره ولم ينسُبه ولا جنَّسه — قال : فتأوّه أهل مكةَ وأَنُّوا وتَمَخَّطُوا(٤) . وٱندفع الغَرِيض يُغنِّى :

أيّها الرائحُ المُجِدّ ٱبتكارًا قد قضَى مِن تِهامَةَ الأوطارا

(١) الحجة (بالكسر) : المرة من الحج وهو شاذ لأن قياس المرة على فعلة بفتح الفاء .
(٢) فى ح ، مع : «عليا» .
(٣) ثهلان : جبل بنجد .
(٤) تمخطوا : ٱضطربوا .

فارتفع البكاء والنحيب ، وآندفع ابن سريج يغنّى :

جَدِّدِى الوصلَ يا قُريبُ وجُودِى لِمُحِبٍّ فِراقُه قد ألَمَّا

ليس بين الحياة والموت إلّا أن يَرُدُّوا جِمالَهُمْ فتُزَمَّا

فارتفع الصُّراخُ من الدُّور بالوَيْل والحَرَب[1] . قال يونس فى خبره : وأجتمع الناسُ إلى الأمير فاستعفَوْه من نفيهم فأعفاهم . وذكر الباقون أنّ الغَريض أبتدأ بلَحْنه :

* أيُّها الراكب المُجِدّ أبتكارا *

وتلاه آبن سريج فى « جَدِّدِى الوصل » . قال : وأرتفع الصراخ فلم يُسْمَع من مَعْبَد شىء ولم يقدِر على أن يُغنِّىَ .

غنت شطباء المغنية على بن جعفر فطرب

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال أخبرنى عبد الرحمن ابن محمد السَّعْدىّ قال :

حضَرتُ شَطْباءَ المُغنِّيةَ جارية علىّ بن جعفر ذاتَ يوم تُغنِّى :

ليس بين الرَّحيل والبَيْنِ[2] إلّا أنْ يَرُدُّوا جِمالَهم فتُزَمَّا

فطرب علىّ بن جعفر وصاح[3] : سبحان اللهِ العظيم ! ألَا يُوكُون[4] قِرْبة ! ألا يَشُدُّون مَحْمِلا ! ألا يُعلِّقون سُفْرَة[5] ! ألا يُسَلِّمون على جارٍ ! هذه واللهِ العجلةُ .

---

(١) كذا فى د ، ا ، م ، أى قيل : واويلاه وواحرباه . والحَرَب (بالتحريك) : أن يسلب الرجل ماله ، ثم توسع فيه فعبر به عما يصيب المرء من مكروه . وفى باقى النسخ : «بالويل والحزن» .

(٢) فى حـ ، ر س ، مع : «والموت» .

(٣) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «وقال» .

(٤) أوكى القربة : شدها بالوكاء وهو رباطها ، وفى الحديث : «أوكوا الأسقية» . أى شدوا رءوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شىء .

(٥) السفرة فى الأصل : طعام يتخذه المسافر ، ومنه حديث عائشة : «صنعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر سفرة فى جراب » ،أى طعاما ، ثم أطلق مجازا على جلد مستدير يحمل فيه هذا الطعام . وتطلق السفرة أيضا على ما يبسط ليؤكل عليه .

لما ماتت الثريا ناح عليها الغريض

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونُس قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى قال زعم عُبَيد بن يَعْلى قال :

قال لى كَثِير بن كَثِير السَّهْمىّ : لمّا ماتت الثُّرَيّا أتانى الغَرِيض فقال لى : قل لى شعراً أَبْكِ به عليها ؛ فقلت :

صوت

أَلَا يا عينُ مالكِ تَدْمَعِينا أَمِنْ رَمَدٍ بكيتِ فتَكْتَحِلينا[(١)]

أمَ انتِ مريضةٌ[(٢)] تبكين شَجْوًا فشَجْوُكِ مثلُه أبكَى العيونا

فناح به عليها . قال : وأخبرنى مَن رآه بين عمودَىْ سَرِيرها يَنُوح به . الغناء للغَرِيض فى هذين البيتين خفيفُ ثقيل بالوُسْطى عن ابن المكّىّ . وفيه ثقيلٌ أوّل مجهول .

تحاكم هو وابن سريج إلى سكينة بنت الحسين فساوت بينهما

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى محمد بن سلّام وأخبرنا وَكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلّام عن جَرِير ، ورواه حمّاد عن أبيه عن ابن سلام عن جَرير أيضاً :

أنّ سُكينة بنت الحُسَين عليه السلام حَجّت فدخل إليها ابن سُرَيج والغَرِيض ، وقد استعار ابنُ سُرَيج حُلّةً لامرأة من قُرَيش فلبِسَها ؛ فقال لها ابنُ سُريج : يا سيِّدتى ، إنى كنتُ صنعتُ صوتاً وحَسَّنْتُه وتَنَوّقتُ[(٣)] فيه ، وخَبَأْته لكِ فى حَريرةٍ فى دُرْج مملوء مِسْكاً فنازَعَنِيه هذا الفاسق — يعنى الغَرِيض — فأردنا أن نتحاكم إليكِ فيه فأيُّنا قَدّمْتِه فيه تقدّم ؛ قالت : هاتِه ؛ فغنّاها :

عُوجِى علينا رَبّةَ الهوْدَجِ إنّكِ إلّا تَفْعَلِى تَحْرَجِى[(٤)]

(١) كان القياس حذف النون ، ولكنها ثبتت للضرورة .
(٢) فى الجزء الأول من هذه الطبعة ص ٢٥٤ : « حزينة» .
(٣) تنوّق : تجوّد فى الشىء وبالغ فيه .
(٤) تحرجى : تأثمى .

فقالت : هاته أنتَ ياغَرِيض ، فغنّاها إياه ؛ فقالت لابن سُرَيج : أعِدْه ، فأعاده ، وقالت : ياغَرِيضُ ، أعِدْه ، فأعاده ؛ فقالت : ما أشبّهُكما إلا بالجَدْيَيْن[1] : الحارّ والبارد لايُدْرَى أيُّهما أطيب . وقال إسحاق فى خبره : ما أشبّهكما إلا باللؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى الحِسان لا يُدْرَى أيّهما أحسن .

نسبة هذا الصوت

صوت

عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ إنّكِ إلّا تَفعلِى تَحْرَجِى
إنّى أُتيحَتْ لى يَمانيّةٌ[2] إحدى بنى الحارثِ مِنْ مَذْحِجِ
نَلْبَثُ حَوْلاً كامِلًا كُلّه لا نلتقى إلا على مَنْهَجِ
فى الحجّ إن حَجّتْ وماذا مِنًى وأهلُه إن هى لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نالَ مُحِبٌّ لدى بَيْنِ حبيبٍ قولُه : عَرِّجِ

عَروضُه من السريع . والشعرُ للعَرْجىّ . والغِناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالوُسْطى عن عمرو . وفيه للغَرِيض ثقيل أوّل بالوُسْطَى عن حَبَشٍ . ولإسحاق فى الأوّل والثالث

---

(١) كذا فى د . وورد فى المسعودى ج ٢ ص ٥٦ فى وصف معاوية : «ثم يؤتى بالغداء الأصغر وهو فضلة عشائه من جدى بارد» . وفى ا ، م : «إلا بالجد بين الحارّ والبارد» . وفى حـ : «إلا بالجدّ بين الحارّ والبارد» وهما محرّفان عن الأول . وفى ب ، س : « بالجوزابين » ولعله محرف عن الجوذابين : وهو مثنى جوذاب (بالضم) ويقال فيه ذوباج أيضا ، وهو كما قال صاحب اللسان : طعام يصنع بسكر وأرز ولحم . وفى كتاب الأطعمة (الموجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية) : بيان لأنواع الجواذيب وكيفية صنع كل منها .

(٢) يمانية (بتشديد الياء) نسبة إلى اليمن ، والمشهور فى النسبة الى اليمن : يمنى ويمان بالتخفيف والألف عوض عن ياء النسب ، قال سيبويه : وبعضهم يقول يمانى بالتشديد . ومما جاء بالتشديد قول أمية بن خلف :

يمانيا يظل يشدّ كيرا وينفخ دائما لهب الشواظ

ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن عمرو . وللأَبْجَر فيه ثانى ثقيل بالخِنْصَر فى مَجْرَى البِنْصر عن ابن المكّىّ . ولِعَلُّوَيْهْ خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشامىّ . ولحكَم خفيفُ رَملٍ عنه أيضاً .

غنى عطاء بشعر العرجى فرده عليه

أخبرنى محمد بن خَلَف وكيع قال : حدّثنا عبد الله بن عمرو[1] بن بِشْر قال حدّثنى إبراهيم بن المُنذِر قال : حدّثنى حمزة بن عُتْبة اللّهَبىّ عن عبد الوهاب بن مُجاهِد أو غيره قال :

كنت مع عَطاء بن أبى رَباح فجاءه رجل فأنشده قَوْلَ العَرْجِىّ .

* إنّى أُتيحَتْ لى يمانيّةٌ *

وذكر الأبيات وختمها بقوله :

فى الحجّ إن حجّتْ وماذا مِنًى وأهلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ

قال فقال عطاء : بِمِنًى والله وأهلِه خَيْرٌ كثيرٌ إذ غيَّبها الله وإيّاه عن مَشاعره .

قصة الأوقص المخزومى مع سكران يغنى

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنى إسحاق قال :

وَلِىَ قضاءَ مكّة الأَوْقَصُ المخزومىُّ فما رأى الناس مثلَه فى عفافه ونُبْلِه ، فإنه لنائم ليلة فى جَناح[2] له إذ مر به سكرانُ يتغنّى :

* عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ *

فأشرف عليه فقال : يا هذا شَرِبتَ حراما ! وأيقظتَ نِياما ! وغَنّيت خطأً ! خُذْه عنّى ! فأصلَحَه له وانصرف .

عطاء بن رباح والأبجر المغنى

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى إسحاق عن حمزة ابن عُتْبَة اللهبىّ قال :

---

(١) فى ا ، م ، د ، ط : «عمر» ، ولم نعثر على ما يرجح إحدى الروايتين ، وفى مع : «المهلبى» .
(٢) أى فى ناحية خاصة به من البيت .

مرّ الأبجر بعَطاء وهو سكرانُ فَعذَله وقال : شهرتَ نفسَك بالغِناء واُطّرَحتَها وأنت ذو مُرُوءة ، فقال : امرأته طالقٌ ثلاثا إنْ بَرِحْتَ أو أُغنِّيَك صوتا ، فإن قلتَ لى : هو قبيحٌ تركتُه ؛ فقال له عَطاء : هاتِ ويحكَ ! فقد أضررتَ بى ، فغنّاه :

فى الحجّ إنْ حجّتْ وماذا مِنىً وأهلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ

فقال له عَطاء : الخيرُ واللهِ كُلُّه هناكَ حجّتْ أو لم تَحُجّ ، فاذهب الآن راشدا فقد برّتْ يمينُكَ .

ابن أبى عتيق والغريض

١٣٣ / ٢

أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى المُغيرة ابن محمد قال حدّثنى هارون بنُ موسى الفَرْوِىّ[1] قال حدّثنى بعضُ المَدَنيّين قال :

خرج ابن أبى عتيق على نَجيبٍ له من المدينة قد أَوْقَرَه[2] من طُرَف المدينة المَشارِبَ[3] وغير ذلك ، فلقِىَ فتًى من بنى مَخْزُوم مُقْبلاً من بعض ضِياعه ، فقال : يابن أخى ، أتَصْحَبُنِى ؟ قال : نعم ؛ قال المَخْزُومِىّ : فمَضَيْنا حتى إذا قَرُبْنا من مكّةَ جَنَبْنا عنها حتّى جُزْناها فصِرْنا إلى قصر ، فاستأذن ابن أبى عتيق فأُذن له ، فدخلنا فإذا رجل جالسٌ كأنّه عَجُوزٌ بَرْبَريّة مُخْتَضِبة ، لا أشك فى ذلك ، وإذا هو الغَريض وقد كَبِر ، فقال له ابن أبى عتيق : تَشوّقْنا إليك ، وأهدَى له ما كان معه ، ثم قال له : تُحِبّ أنْ نسمعَ ؛ قال . اُدْعُ فُلانة — جاريةً له — فجاءت فغنّت ، فقال : ما صنعتِ شيئاً ، ثم حلّ خِضابَه وغنّى :

* عُوجِى علينا ربّةَ الهَوْدَجِ *

فما سمعتُ أحسنَ منه قَطُّ ، فأقمنا عنده أياماً كثيرة وخَبّازُه قائمٌ وطعامُه كثير .

(١) فى أغلب النسخ : «الصورى» . وفى د ، ط : «الصروى» . وفى حـ : «القروى» بالقاف ، وكل ذلك محرف عن الفروى بالفاء ، وقد ورد كذلك فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى ص ٤٠٥ طبع أوروبا .

(٢) أوقره : حمّله .

(٣) المشارب : جمع مشربة (بالكسر) وهى إناء يشرب به .

ثم قال له ابن أبى عتيق : إنى أريد الشُّخُوصَ ، فلم يَبْقَ بمكّةَ تُحفَةُ عَدَنِىّ ولا يَمانٍ ولا عُودٌ إلا أُوقَرَ به راحلتَه . فلما ارتحلنا وبرَزْنا صاح به الغَرِيض : هيًا هيًا ، فرجعنا إليه ؛ فقال . ألم تروُوا عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « يُحشَر من بَقِيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلةَ البدر » ! فقال له ابن أبى عتيق : بلى ؛ فقال : هذه سِنٌّ لى انْتزَعَتْ(١) فأُحِبّ أن تَدْفِنَها بالبقيع ، فخرجْنا والله أخْسَر اثنين لم نعتمِر ولم ندخُل مكّة ، حاملَيْن سِنَّ الغَرِيض حتّى دفنّاها بالبقيع .

غنى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائه

أخبرنى الحُسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال : خرج الغَرِيض مع قوم فغنّاهم هذا الصوتَ :

جرَى ناصحٌ بالوُدِّ بينى وبينها فقرّبنى يومَ الحِصاب(٢) إلى قَتْلِى

فاشتد سرورُ القوم ، وكان معهم غلام أعجبه ، فطلب إليهم أن يُكلِّموا الغلامَ فى الخَلْوَة معه ساعةً ففعلوا ، فانطلق مع الغلام حتّى توارَى بصَخْرة ، فلما قضى حاجتَه أقبل الغلامُ إلى القوم ، وأقبل الغَرِيض يتناول حَجَراً حَجَراً يَقْرَع به الصخرةَ ، ففعل ذلك مراراً ، فقالوا له : ما هذا ياغريض؟ قال : كأنّى بها قد جاءت(٣) يومَ القيامة رافعةً ذَيْلَها تَشْهد علينا بما كان منّا إلى جانبها ، فأردتُ أن أُجَرِّح شهادتَها علىّ ذلك اليومَ .

نسبة هذا الصوت

صوت

جَرَى ناصِحٌ بالوُدِّ بَيْنى وبينها فقرّبنى يومَ الحِصاب إلى قَتْلِى
فقالتْ وأرْخَتْ جانبَ السِّتر : إنما معى فتحدَّثْ غيرَ ذى رِقْبَةٍ أهلِى

(١) فى مع : «فانتُزِعت» ، بالبناء للمجهول .
(٢) الحصاب : موضع رمى الجمار بمنى كما ذكر ياقوت ، واستشهد بهذا البيت .
(٣) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «كأنى بها قد جاءت به يوم القيامة الخ» .

فقلتُ لها : مابِي لهم من تَرَقُّبٍ ولكنّ سِرِّى ليس يَحْمِلُه مِثْلِي

عَرُوضه من الطويل . الشعر لعُمَر بن أبى ربيعة . والغناء لابن مُرَيج رَمَلٌ بإطلاق الوَتَر فى مجرى البِنْصَرعن إسحاق فى الثلاثة الأبيات . وذكر يونس أن فيه لَحْنًا لمالك، وفيه للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَشٍ والهشامىّ وعلىّ بن يحيى وحمّاد ابن إسحاق، ولمَعْبَد فيه ثقيـــل أوّل بالبِنْصَر عن حبش ، ولابن مُحْرِز ثانى ثقيل بالوُسْطى عنه .

كان عمر وجميل يتعارضان فى قول الشعر

حدّثنى علىّ بن صالح بن[1] الهَيْثم قال حدّثنى أبوهَفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن المُسَيَّبِىّ والمدائنىّ وابن سلّام :

أن عمر بن أبى ربيعة كان يُعارض جَمِيلا ، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلَها، فيقال : إن عمر فى الرائيّة والعينيّة أشعرُ من جَمِيل ، وإن جَمِيلا أشعرُ منه فى اللاميّة . وقال الزُّبير فيما أخبرنى به الحَرَمِىّ بن أبى العلاء عنه : من الناس من يُفَضِّل قصيدة جَمِيل اللاميّة على قصيدة عمر ، وأنا لا أقول هذا ، لأنّ قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة ، فيها طوالعُ النَّجْد وخوالدُ المَهْد ، وقصيدة عمر بن أبى ربيعة مَلْسَاء المتون ، مُستوية الأبيات ، آخذٌ بعضُها بأذناب[2] بعض ، ولو أن جميلا خاطب فى قصيدته مخاطبة عمر لأُرْتِـجَ[3] عليه وعَثَر كلامُه به .

١٣٤/٢

أخبرنى الحَرَمِىّ[4] قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال

---

(١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «عن» وهو تحريف ، إذ هو على بن صالح بن الهيثم الملقب كيلجة ، وقد ورد ذكره فى الجزء الأول ص ١٢٤ من هذه الطبعة وكتبنا عنه كلمة فى الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة المذكورة .

(٢) فى د : «بأذيال بعض» . وفى خد : «بآذان بعض» .

(٣) فى د ، ط : «لأرتج عليه وعثر بكلامه وعثر كلامه به» . وفى خد : « لأربى وغبر كلامه به » .

(٤) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «جدّى» ولم نعهد فيما تقدّم لنا فى رجال السند أن لأبى الفرج جدّا يروى عن الزبير بن بكار ، وإنما الذى تكرر كثيرا أن الحرمى بن أبى العلاء هو الذى يروى عنه .

حدّثنى شيخ من أهلى عن أبى الحارث بن نابتة مَوْلى هشام بن الوليد المخزومىّ وهو الذى يقول له عمر بن أبى ربيعة :

يا أبا الحارثِ قَلْبِي طائرٌ فاستمِعْ قَوْلَ[1] رشيدٍ مُؤْتَمَنْ

قال : شَهِدتُ عمر بن أبى ربيعة وجميلا بالأَبْطَح ، فأنشد جَمِيلٌ قصيدته التى يقول فيها :

لقد فَرِحَ الواشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي بُثَيْنَةُ أو أَبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ

ثم قال : يا أبا الخطّاب ، هل قلتَ فى هذا الوزن شيئا ؟ قال : نعم ؛ فأنشده قولَه :

* جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وبَيْنَها *

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطّاب ، والله لا أقول مثلَ هذا سَجِيسَ[2] الليالى ؛ والله ما خاطبَ النساءَ مخاطبتَك أحدٌ ! وقام مُشَمِّراً .

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال :

رأيتُ علماءنا جميعاً[3] لا يشكّون فى أنّ أحسن ما يُرْوَى فى تعظيم[4] السرّ قولُ عمر :

* ولكنّ سِرِّى ليس يَحْمِله مِثْلِي *

قال الزبير : وحدّثنى محمد بن إسماعيل قال حدّثنى ابن أبى الزِّناد قال : إنما اجتمع عمر بن أبى ربيعة وجميل بالجَنَاب[5] .

---

(١) فى ط بعد ذكر البيت قوله : «الرواية فأتمر أمر رشيد» وهو الموافق لما فى ديوانه ولما تقدم فى الجزء الأول من هذه الطبعة ص ١١٩ و ٢١١ .

(٢) يقال : لا أفعل ذلك سجيس الليالى ، أى لا أفعله أبدا .

(٣) فى مء : «كلهم» .

(٤) فى ح وهامش ط ، مء ، ر س : «فى حفظ السر» . وفى د : «فى تعظيم حفظ السر» .

(٥) الجناب : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادى القرى ، وقيل : هو من منازل بنى مازن . وقال نصر : الجناب : من ديار بنى فزارة بين المدينة وفيد (انظر معجم ياقوت) .

سمع الفرزدق شعر ابن أبي ربيعة فمدحه

أخبرني محمد بن أحمد الطَّلَّاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَزَّاز عن المدائنيّ : أن الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة يُنشد هذه القصيدة ، فلمّا بلغ إلى قوله :

فقُمْنَ وقد أفْهَمْنَ ذا اللبِّ أنما فَعَلْنَ الذى يفْعَلْنَ مِن ذاكَ مِن أجْلِي

صاحَ الفرزدق وقال : هذا واللهِ الشعرُ الذى أرادتْه الشعراء فأخطأتْه وبَكَتِ الديارَ .

نسبة ما فى قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغانى

سِوَى قصيدة جميل فإنّ لها أخباراً تُذكَر مع أخباره

فمن ذلك قصيدة عمر التى أوّلها :

* جرَى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْنِى وبينها *

صوت

قِفِى البغلةَ الشهباء باللهِ سَلِّمِي عُزَيزَة[1] ذاتَ الدَّلِّ والخُلُقِ الجزْلِ
فلمّا تَواقَفْنا عَرَفْتُ الذى بها كمِثْلِ الذى بى حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ
فقُلْن لها : هذا عِشاءٌ وأهلُنا قريبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِى مَرْكَبَ البَغْلِ !

عَرُوضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبد فى الأوّل والثانى ثقيل أوّل بالوُسْطى عن عمرو بن بانَة وعليّ بن يحيى ، وقيل إنه لمالك . ولأبن مُحْرز فى الثانى والثالث خفيف ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن الهِشامِيّ . ولأبن سُرَيج فى الأوّل والثانى خفيف آخر بالوُسْطى[2] وهو الذى فيه استهلال . ولمالك فى الثانى

(١) فى حـ ، د ، ط ، رس : «غريرة» .
(٢) كذا فى ب ، س ، . وفى حـ ، رس : « فى الأول والثانى خفيف ثقيل آخر بالوسطى » . وفى د ، ا ، م : « فى الأول والثانى خفيف آخر بالوسطى » .

والثالث ثانى ثقيل بالبِنْصَر . ولإبراهيم فيهما(1) خفيف ثقيل بالسَّبَّابة فى مَجْرَى الوُسْطى عن ابن المكّىّ .

ومنها :

١٣٥ / ٢

صوت

يا أبا الحارثِ قَلْبى طائرٌ فاستمِعْ(2) قولَ رشيدٍ مؤتَمَنْ
ليس حُبٌّ فوق ما أحببتُكم غيرَ أن أقتُلَ نفسى أو أُجَنْ
حَسَنُ الوجهِ نقىٌّ لونُه طيِّبُ النَّشْرِ لذيذُ المحتضَنْ

عروضه من الرَّمَل(3) . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالوُسْطى عن عمرو ، وقيل : إنه لابن عائشة ، وذكر ابن المكّىّ أنه للغَرِيض فى الثانى والثالث ، وفيهما رَمَلٌ يقال إنه لأهل مكة ، ويقال : إنه لعبد الله بن يُونس صاحب أَيْلَةَ(4) . وفيه ثقيلٌ أوّلُ ذكر حَبَشٌ أنه لابن سُرَيج ، وذكر غيره (5) أنه لمحمد ابن السِّنْدىّ المكّىّ ، وأنه غَنّاه بحضرة إسحاق فأخذه عنه .

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال حدّثنا أبوغَسّان محمد ابن يحيى قال :

---

(1) فى ط : « فيها » .
(2) انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٨٤ من هذا الجزء .
(3) كذا فى ا ، م وهو الصواب . وفى سائر النسخ : «المديد» وهو خطأ .
(4) أيلة بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام ، وقيل : هى فى أول الحجاز وآخر الشام . وقال أبو المنذر ، سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام ، وقد ورد هذا الاسم هكذا فى جميع النسخ هنا ، ولهذا نصححها وردفى الجزء الأول طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ص ١٦٥ فقد ورد هناك «الأبلى» نقلا عن النسخة التيمورية التى انفردت بذكر هذا العلم على نحو ما أثبت هناك .
(5) كذا فى أغلب النسخ . وفى ط : « عمرو » .

كان آبن عائشة يُغَنِّى الْمَزَج والخفيف ؛ فقيل له : إنك لا تستطيع أن تُغَنِّىَ غناء شجياً ثقيلا ؛ فغنّى :

* يا أبا الحارث قَلْبِى طائرٌ *

رجع الحديث إلى أخبار الغريض

قيل إنه كان يتلقى غناءه عن الجن

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَبَايةَ عن مَوْلًى لآل الغَرِيض قال :

حدّثنى بعض مَوْلَياتى وقد ذَكَرْنَ الغريض فترَحَّمْنَ عليه وقُلْن : جاءنا يوماً يحدّثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عرَفنا بعد ذلك حقيقتَه ، وكان من أحسن الناس وجهاً صغيراً وكبيراً ، وكنّا نَلْقَى من الناس عَنَتاً بسببه ، وكان ابن سُرَيج فى جِوارنا فدفعناه إليه فلَقِنَ الغناء ، وكان من أحسن الناس صوتا ؛ ففَتَن أهلَ مكةَ بحُسْن وجهه مع حُسْن صوته ، فلمّا رأى ذلك ابنُ سُرَيج نَحّاه عنه ، وكانت بعضُ مَوْلَياته تُعلِّمه النِّياحة فبَرَّز فيها ، فجاءنى يوما فقال : نَهَتْنِى الجنُّ أن أَنُوحَ وأسمعتْنى صَوْتا عجيبا فقد ابتنيتُ عليه لحناً فاسمعيه منّى ، واندفع فغنّى بصوت عجيب فى شعر المَرّار الأسدىّ[1] :

---

(١) هو المرّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن فضلة بن الأشتر بن جَحْوان (بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة) بن فقعس بن طريف بن عمرو بن معين بن الحارث بن تغلب بن دودان بن أسد بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن نضر بن نزار . والمرّار (بفتح الميم وتشديد الراء المهملة) ينسب تارة إلى فقعس وهو أحد آبائه الأقربين وتارة إلى أسد بن خزيمة بن مدركة وهو جده الأعلى ، وله ترجمة فى الجزء التاسع من الأغانى طبع بولاق ص ١٥٨ وفى خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ١٩٦ ؛ والمرارون (كما فى القاموس وشرحه مادة مرر) ستة : المرار الكلبى ، والمرار بن سعيد الفقعسى (وهو هذا) والمرار بن منقذ التميمى ، والمرار بن سلامة العجلى ، والمرار بن بشير الشيبانى ، والمرار بن معاذ الحرشى ، وكلهم شعراء . ثم ذكر أسماء أخرى لمرارين آخرين كلهم شعراء .

حَلَفتُ لها باللهِ ما بَيْنَ ذى الغَضَا وهَضْبِ القَنَانِ[1] من عَوَانٍ ولا بِكْرِ[2]
أحَبُّ إلينا منكِ دَلاًّ وما تَرَى به عندَ لَيْلَى من ثَوابٍ ولا أجْرِ

فكذَّبناه وقلنا : شىء فكَّر فيه وأخرجه على هذا اللحن[3] ، فكان فى كل يوم يأتينا فيقول : سمعتُ البارحةَ صوتاً من الجنّ بترجيع وتقطيع قد بَنَيْتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يَزَل على ذلك ونحن نُنْكِر عليه ، فإنَّا لكذلك ليلةً وقد اجتمع جماعةٌ من نساء أهل مكة فى مَجْمَع لنا سَهِرْنا[4] فيه ليلتَنا والغَرِيضُ يُغَنِّينا بشعر عمر بن أبى ربيعة :

أمِنْ آلِ زينبَ جدَّ البُكُورُ نَعَمْ فلأىٍّ هواها تَصيرُ !

إذ سَمِعْنا فى بعض الليل عَزِيفا عجيبا وأصواتاً مختلفةً ذَعَرَتْنا وأفْزَعَتْنا ، فقال لنا الغريض: إن فى هذه الأصوات صوتاً إذا نِمْتُ سَمِعْتُه ، وأصبح فأَبْنِى عليه غنائى ، فأصغينا إليه فإذا نَغَمَتُه نَغَمَةُ الغَرِيض بعينها نصدَّقْناه تلك الليلةَ .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صوت ١٣٦/٢

حلفت لها ... ... البيتان[5]

عَرُوضه من الطويل . غنَّاه الغريض ولَحْنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن حَبَش . قال : ولعَلُّويَهْ فيه ثقيل أوّل آخر بالبِنْصَر .

---

(١) كذا فى حـ ، د . والقنان : جبل لبنى أسد فيه ماء يدعى العسيلة . وفى باقى النسخ : «القيان» بالياء . ولم نجد هذا الاسم فى أسماء المواضع .

(٢) كذا فى حـ هاهنا ، وهكذا أيضا وردت فى ا ، م فيما سيأتى عند إعادتها لبيان نسبة ما فيها من الغناء . وفى باقى الأصول : «ومن بكر» .

(٣) فى حـ ، مع ، رس : «الحسن» . وفى ا ، م : «الجنس» .

(٤) فى هامش ط وفى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٨٦) : «سمرنا» .

(٥) كذا فى ب : س ، د ، ط . وفى بقية الأصول : ذكر البيتين كاملين .

ومنها :

صــوت

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدَّ البُـكُورُ نَعَمْ فلأَىٍّ هواها تَصِيرُ !
أبالغَوْر أم أَنْجدَتْ دارُها وكانت حَديثا[1] بعهدى تَغُورُ
نَظَرْتُ بخَيْفِ مِنًى نظرةً إليها فـكاد فؤادى يَطِيرُ
هى الشمسُ تَسْرِى بها بَغْلَةٌ[2] وما خِلْتُ شمساً بليـلٍ تسيرُ
أَلم تَرَ أنـك مستشرفٌ وأنَّ عدوَّك حَوْلى حُضورُ[3]

عَرُوضه من المتقارب . الشعر للنُّمَـيْرىّ ، وقيـل : إنه ليزيد بن معاوية . والغناء لسِيَاط خفيفُ ثقيـلٍ أوّل بالوُسْطى عن عمرو . ولابن سُرَيج فيـه خفيفُ ثقيـلٍ بالوسطى، أوّله :

* هى الشمسُ تَسْرِى بها بَغْلَةٌ *

وفيه للغَريض ثانى ثقيل بالبِنْصر عن الهشامىّ وحمّاد ، وذكر غيرهما أنه لابن جامع . وذكر حَبَشٌ أن فيها[4] لابن مُحرز ثقيلا أوّل بالبنصر .

أرسله ابن أبى ربيعة إلى سكينة فغناها ونسوة معها بشعره

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مُصْعَب الزُّبيرىّ : اجتمع نِسْوَةٌ فذكَرْنَ عمرَ بن أبى ربيعةَ وظَرْفَه وحُسْنَ مجلسه وحديثه وتشوَّقْنَ إليه وتمنَّـينه ، فقالت سُـكينة : أنا لَـكُنَّ به ، فبعَثتْ إليـه رسولا ووعدته الصَّوْرَيْن[5] لليلةٍ سَمَّتها ، فوافاها على رواحله ومعه الغَرِيض ، فحدّثهنّ حتى وافى الفجرُ

(١) فى ديوانه طبع ليبسج ص ١٩ : «أبالغور ... ... قديما » .
(٢) فى ديوانه : « على بغلة » .
(٣) فى ديوانه : « مستشهد ... ... كثير » .
(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «فيهما» أى البيتين اللذين أولهما « هى الشمس ... » .
(٥) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع .

وحان انصرافهُنّ ، فقال لهنّ : إنى واللهِ لمشتاقٌ إلى زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم والصلاةِ فى مسجده ، ولكن لا أُخْلِطُ بزيارتكنّ شيئا[1] ، ثم انصرف إلى مكة وقال :

أَلِمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدَا[2] قلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كان الرحيلُ غدَا

قال : وانصرفَ عمر بالغَرِيض معه ، فلما كان بمكة قال عمر : ياغَرِيض ، إنى أريد أن أخبرك بشىء يتعجّل لك نفعُه ويبقى لك ذِكرُه ، فهل لك فيه ؟ قال : افعلْ من ذلك ماشئتَ وما أنت أهلُه ، قال : إنى قد قلتُ فى هذه الليلة التى كنّا فيها شعرا فامضِ به إلى النِّسْوَة فأنْشِدْهُنَّ ذلك وأخبِرْهُنّ أنى وَجَّهْتُ بك فيه قاصدا[3] ، قال : نعم . فحَمَل الغريضُ الشعرَ ورجَعَ إلى المدينة ، فقصد سُكَينة وقال لها : جُعِلتُ فداكِ ياسيِّدتى ومولاتى ، إن أبا الخطّاب — أبقاه الله — وجّهنى إليك قاصداً ، قالت : أوَلَيْسَ فى خيرٍ وسرور تركتَه ؟ قال : نعم ، قالت : وفيمَ وجّهك أبو الخطّاب حفظه الله ؟ قال : جُعلت فداكِ ، إن ابن أبى ربيعة حمّلنى شعرا وأمرنى أن أُنْشِدَكِ إياه ، قالت : فهاتِه ، قال فأنشدها :

أَلِمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لئن كان الرحيلُ غَدَا

الشعرَ كلَّه ، قالت : فياوَيْحَه ! فما كان عليه ألّا يَرْحَل فى غده ! فوجَّهتْ إلى النِّسوة فجمعتْهُنّ وأنشدَتْهُنَّ الشعرَ ، وقالت للغريض : هل عَمِلتَ فيه شيئا ؟ قال : قد غنّيتُه ابنَ أبى ربيعة ، قالت : فهاتِه ، فغنّاه الغريض ، فقالت سُكينة : أحسنتَ والله وأحسن ابنُ أبى ربيعةَ ، لولا أنّكَ سَبَقْتَ فغنّيتَه عُمرَ قبلنا لأحْسَنّا جائزتَكَ ، يابُنَانةُ ، أعطيه بكلّ بيت ألفَ درهم ، فأخرجتْ إليه بُنانةُ أربعةَ آلاف درهم فدفعتْها إليه ، وقالت سُكينة : لو زادَنا عُمَرُ لَزِدْناك . ١٣٧/٢

---

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط ، حد : «بزيارتكن بشىء» .

(٢) أفد كفرح : دنا وحضر .

(٣) فى ط ، مع ، رس : « عامدا » .

نسبة هذا الغناء

صــوت

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدَا ... قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كان الرَّحيلُ غَدَا
قد حَلَفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْنِ جاهدةً ... وما على الحُرِّ[1] إلا الصَّبْرُ مُجْتَهِدا
لأختِها ولأخرى من مَناصِفِها[2] ... لقد وَجَدْتُ به فوقَ الذى وَجَدا
لَعَمْرُها ما أرانى إن نَوًى[3] نَزَحَتْ ... وهكذا الحبُّ إلا مَيِّتًا كَمَدا

عَروضه من البسيط . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن سُرَيْج ، وله فيه لحنان : أحدهما رمَلٌ بالسبّابة فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق ، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن عمرو . وفيه لحنٌ للغَريض خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصَر عن الهِشامىّ وحمّاد ، وذكر عمرو : أنه لمالك ، أوّله الرابع ثم الأوّل ، ومن الناس مَنْ يَنْسِب هذا إلى مَعْبَد ، وأوّله :

* يا أمَّ طَلْحَة إن البَيْنَ قد أَفِدَا *

وذلك خطأ ، اللحنُ الذى عَمِله مَعْبَد غير هذا وهو :

صــوت

يا أُمَّ طلحةَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدَا ... قَلَّ الثَّوَاءُ لئن كان الرحيلُ غَدَا
أَمْسَى العِرَاقِىّ لايدرِى إذا بَرَزَتْ ... مَنْ ذا تَطَوَّفَ بالأركان أو سَجَدَا

---

(١) فى الجزء الأول من هذه الطبعة ص ١٠٩ : «وما على المرء إلا الحلف ...» .
(٢) المناصف : جمع منصف (كمنبر ومقعد) وهو الخادم ، والأنثى بالهاء .
(٣) النوى هنا : الدار وهى مؤنثة ، ونزحت : بعدت . وفى خد : «برحت» مكان «نزحت» .

عَرُوضه من البسيط . الشعر للأحْوَص ، ويقال : إنه لعمر أيضا . والغِناء لمَعْبَد ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو والهِشامىّ .

غنى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته

أخبرنى الحسين بن يحي عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاَّم قال :

حجّت عائشة بنت طَلْحَة بن عُبَيْد الله فجاءتها الثُّرَيّا وأخواتُها ونساءُ أهل مكّة القُرَشيّات وغيرُهنّ ، وكان الغَريضُ فيمن جاء ، فدخل النِّسوةُ عليها فأَمَرت لهنّ بكُسْوة وألطاف[1] كانت قد أعدّتها لِمَنْ يَجيئُها فجعلتْ تخرج كل واحدة ومعها جاريتُها ومعها ما أمَرتْ لها به عائشة والغريضُ بالباب ، حتى خرج مَوْلَياتُه مع جَواريهنّ الخِلَعُ والألطافُ ، فقال الغريض : فأين نصيبى من عائشة ؟ فقلن له : أغفلناك وذهبتَ عن قلوبنا ؛ فقال : ما أنا ببارح من بابها أو آخُذَ بحظّى منها فإنها كريمةُ بنت كِرام ، واندفع يغنّى بشعر جَمِيل :

تذكّرتُ ليلَى فالفؤاد عَمِيدُ وشَطَّتْ نواها فالمَزارُ بعيدُ

فقالت : ويلَكم ! هذا مَوْلَى العَبَلات بالباب يُذكّر بنفسه هاتوه ، فدخل ، فلما رأته ضحكت وقالت : لم أعلم بمكانك ، ثم دَعَتْ له بأشياء أمَرت له بها ، ثم قالت له : إن أنت غنّيتَنى صوتا فى نفسى فلك كذا وكذا (شىء[2] سَمّتْه له ذهب عن ابن سلاّم) قال : فغنّاها فى شعر كُثَيّر :

وما زِلتُ من ليلى لَدُنْ طَرّ[3] شاربى إلى اليوم أُخْفِى حبَّها وأُداجِنُ
وأَحمِل فى ليلى لقومٍ ضَغِينةً وتُحمَل فى لَيلَى علىّ الضغائنُ

١٣٨ / ٢

فقالت له : ما عَدَوْتَ مافى نفسى ، ووصَلَتْه فأجزلت . قال إسحاق : فقلتُ لأبى عبدالله :

---

(١) الألطاف : جمع لطف (بالتحريك) وهو من طرف التحف ما ألطفت به أخاك ليعرف به برّك .
(٢) فى ا ، م ، د ، ط ، خد : « لشىء » .
(٣) طرّ شارب الغلام ، من باب نصر فهو طارّ : طلع ونبت .

الشعبي عند مصعب ابن الزبير وزوجه عائشة

وهل علِمتَ حديثَ هذين البيتين ؟ ولمَ سأَلت الغريضَ ذلك ؟ قال : نعم . حدَّثنى أبى قال قال الشَّعْبيّ : دخلتُ المسجد فإذا أنا بمُصْعَب بن الزُّبَيْر على سَرير جالسٌ والناسُ عنده ، فسلَّمتُ ثم ذهبتُ لأنصرف ، فقال لى : ادْنُ ، فدنوتُ حتى وضعت يدى على مَرافقه(١) ، ثم قال : إذا قمتُ فاتّبعنى ، فجلس قليلا ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى بن طَلْحة فتبعتُه ، فلما طَعَن فى الدار التفتَ إلىّ فقال : ادخلْ ، فدخلتُ معه ومضى نحو حُجْرته وتَبِعتُه ، فالتفتَ إلىّ فقال : ادخلْ ، فدخلتُ معه ، فاذا حَجَلة(٢) ، وإنها لأوّل حَجَلة رأيتُها لأمير(٣) ، فقمتُ ودخَل الحجلة فسمعتُ حركة ، فكرهت الجلوسَ ولم يأمرنى بالانصراف ، فإذا جارية قد خرجتْ فقالت : ياشَعْبىّ ، إنّ الأمير يأمرك أن تجلس ، فجلستُ على وِسادة ورُفِع سَجْف الحَجَلة ، فإذا أنا بمُصعَب بن الزُّبَيْر ، ورُفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة ، قال : فلم أر زوجا قطُّ كان أجملَ منهما : مصعب وعائشة ، فقال مصعب : ياشَعبىّ ، هل تعرف هذه ؟ فقلت : نعم أصلح الله الأمير ، قال : ومَنْ هى ؟ قلت : سيدةُ نساء المسلمين عائشة بنت طلحة ، قال : لا ، ولكن هذه ليلى التى يقول فيها الشاعر :

* وما زلتُ من ليلى لَدُنْ طَرّ شاربى *

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ فَقُمْ ، فقمتُ . فلمّا كان العَشيُّ رُحْتُ وإذا هوجالس على سريره فى المسجد فسلّمتُ ، فلما رآنى قال لى : ادْنُ ، فدنوتُ حتى وضعتُ يدى على مَرافقه ، فأصغى(٤) إلىّ فقال : هل رأيت مثلَ ذلك لإنسان(٥) قطُّ ؟

(١) جمع مرفق أو مرفقة وهى المخدة .
(٢) الحجلة (بالتحريك) : مثل القبة ، وحجلة العروس : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .
(٣) ولاه أخوه عبد الله العراقين فتولاهما حتى سار إليه عبد الملك بن مروان ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدمته فلقيه مصعب فقاتله حتى قتل .
(٤) أصغى : أمال رأسه .
(٥) فى ط ، خد : « ذلك الإنسان » .

قلتُ : لا والله ، قال : أفتدرى لِمَ أدخلناك ؟ قلتُ : لا ؛ قال : لِتُحَدِّثَ بما رأيتَ . ثم التفت إلى عبد الله بن أبى فَرْوة فقال : أعْطِه عشرةَ آلاف درهم وثلاثين ثوباً ، فما انصرف يومئذ أحدٌ بمثل ما انصرفتُ به ، بعشرة آلاف درهم ، وبمثل كارة[١] القَصّار ثياباً ، وبنظرة من عائشة بنت طلحة .

عائشة بنت طلحة وأزواجها

قال : وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر وكان أبا عُذْرتها[٢] ثم هَلَك ، فتزوّجها مصعب فقُتل عنها ، ثم تزوّجها عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر فبنى بها بالحِيرة ، ومُهِّدتْ له يوم عُرْسِه فُرُش لم يُرَ مثلُها : سَبْعُ أذرع فى عَرْض أربع ، فانصرف تلك الليلة عن سبع مرّات ؛ فلَقِيَتْه مَوْلاة لها حين أصبح فقالت : يا أبا حَفْص ، كَمُلتَ فى كل شىء حتى فى هذا ! . فلما مات ناحت عليه وهى قائمةٌ ، ولم تَنُح على أحد منهم قائمةً — وكانت العربُ إذا ناحت المرأة قائمةً على زوجها عُلم أنها لا تريد أن تتزوّج بعده — فقيل لها : يا عائشةُ ، ما صنعتِ هذا بأحَد من أزواجك ! قالت : إنه كان فيه خِلال[٣] ثلاث لم تكن فى أحد منهم : كان سيِّد بنى تَيْم وكان أقربَ القوم بى قَرابة ، وأردتُ ألّا أتزوّج بعده !! .

وأخبرنى بخبر مُصْعَب والشّعبىّ وعائشة أحمدُ بن عُبَيْدالله بن عمّار قال حدّثنا سليمان ابن أبى شَيْخ قال أخبرنا محمد بن الحَكم عن عَوَانَة قال :

خرج مصعب بن الزُّبير من دار الإمارة يريد دارَ موسى بن طَلْحة ، فمرّ بالمسجد فأخذ بيد الشَّعْبىّ . ثم ذكر باقِىَ الحديث مثلَه ، ولم يذكر شيئاً من حديث المُغَنّين . قال ابن عمّار : وأخبرنى به داود بن جَمِيل بن[٤] محمد بن جَمِيل الكاتب عن ابن الأعرابىّ :

١٣٩/٢

قال ابن عمّار وأخبرنى به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنىّ أن الشّعبىّ قال :

(١) الكارة من الثياب : ما يجمع ويشدّ ، وكارة القصار سميت بذلك لأنه يكوّر ثيابه فى ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

(٢) العذرة (بالضم) : البكارة ، يريد أنه أول من تزوجها . (٣) فى حـ : « خصال » .

(٤) كذا فى جميع الأصول . ويترجح لدينا أن كلمة «ابن» هاهنا محرفة عن كلمة «عن» وقد ورد —

دخلتُ المسجد وفيه مُصْعَب بن الزُّبير فاستدْنانى فدَنَوْتُ حتى وضعت يدى على مرافقه[1] ، فأصغى إلىَّ وقال : إذا قمتُ فاتّبعنى ، ثم ذكر باقِىَ الحديث أيضاً مثلَ الذى تقدَّمه .

نسبة هذا الصوت

صــوت

ومازِلتُ مِن[2] ليلَى لَدُنْ طَرَّ شاربى ... إلى اليـــــوم أُخْفِى حُبَّها وأُداجِنُ

وأحمِلُ فى ليلَى ضغائنَ مَعْشَرٍ[3] ... وتُحْمَلُ فى ليـلَى علىَّ الضَّغائنُ

عروضه من الطويل . الشعر لـكُثَيِّر بن عبدالرحمن . والغِناء لَمعْبَد ثقيل أوّل بالبِنْصر عن حَبَشٍ . وفيه لحَن للغَريض .

كان الغريض إذا غنى بشعر لكثير قال أنا سريجى

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان الغَريض إذا غَنىَّ بيتين لـكُثيِّر قال : أنا السُّرَيجِىّ حقّاً ، ولم يكن يقول ذلك فى شىء من غِنائه ، وكان من جيّد غنائه . وقَدِمَ يزيدُ بن عبد الملك مكّةَ فبعث إلى الغريض سِرًّا فأتاه فغنّاه بهذا اللحن [وهو فيهما][4] :

قدم يزيد بن عبد الملك مكة فغناه الغريض

وإنِّى لأرعَى قومَها من جَلالها ... وإن أظهروا غِشًّا نصَحتُ لهم جَهْدِى

= الاسمان فى كتب الأنساب والتاريخ متفرقين من غير هذه الإضافة ؛ مما جعلنا نرجح أن كليهما من رجال الرواية ، وقد ورد «داود بن جميل» فى تهذيب التهذيب وضبطه فى الهامش بفتح الجيم وكسر الميم نقلا عن المغنى المطبوع بهامش تقريب التهذيب وبهذا الضبط أيضا ورد فى ط فى الموضعين هنا . وورد ذكر «محمد بن جميل الكاتب» فى الطبرى قسم ثالث ص ٤٣٣ وضبطه بالقلم بضم الجيم وفتح الميم .

(١) كذا فى ا ، م وهو الموافق لما تقدم . وفى ط ، د : «على مرفقه» وفى باقى النسخ : «مرفقيه» .

(٢) فى ح ، مع ، ر س ، خد : «وما زلت فى ليلى» .

(٣) فى ط ، مع ، خد : « وأحمل فى ليلى لقوم ضغينة » .

(٤) الزيادة عن ا ، م ، د ، ط ، خد .

ولو حاربوا قومِى لَكنتُ لقومها صديقاً ولم أحمِلْ على قومها حِقْدِى

فأشير إلى الغريض أن اسكُتْ ؛ وفطِن يزيد فقال : دعوا أبا يزيد حتى يُغَنِّينى بما يُريد ، فأعاد عليه الصوتَ مراراً ؛ ثمَّ قال : زِدْنى ممّا عندك فغنّاه بشعر عمرو[1] بن شَأْس الأَسَدِىِّ :

فوَانَدمِى على الشباب ووانَدَمْ ندمتُ وبان اليومَ منّى بغير ذَمْ
أرادتْ عرارا[2] بالهوان ومن يُرِدْ عراراً لعَمْرى بالهوان فقد ظَلَمْ

قال : فطَرِب يزيد وأمر له بجائزة سنيّة . قال إسحاق : فحدّثت أبا عبد الله هذا الحديثَ ، وقد أخذنا فى أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً ، فقال أبو عبد الله : كان قدوم يزيد مكة وبِعثَتُه إلى الغريض سِرًّا قبل أن يُسْتَخْلف ، فقلت له : فلمَ أشير إلى الغريض أن يسكتَ حين غنّاه بشعر كثيِّر :

* وإنى لأرْعَى قومَها من جَلالها *

وما السّببُ فى ذلك ؟ فقال أبو عبدالله : أنا أحدِّثكه :

غضب عاتكة على زوجها عبد الملك ابن مروان واحتيال عمر بن بلال على الصلح بينهما

حدّثنى أبى قال : كان عبد الملك بن مروان من أشدّ الناس حُبًّا لعاتكة امرأته ، وهى ابنة يزيد بن معاوية وأمّها أمُّ كُلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وهى أمّ يزيد بن عبد الملك ، فغَضِبتْ مرّة على عبد الملك ، وكان بينهما باب فحَجَبته وأغلقتْ ذلك الباب، فشقّ غضبُها على عبد الملك، وشكا إلى رجل من خاصّته يقال له: عمر

(١) ستأتى ترجمته فى هذا الكتاب فى ج ١٠ ص ٦٣ طبع بولاق ، وله ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٥٤ .

(٢) هو عرار بن عمرو بن شأس وضبط بالقلم فى اللسان مادة «عرر» بفتح العين . وضبط فى ديوان الحماسة شرح التبريزى طبع أوروبا ص ١٣٩ و ١٤٠ والشعر والشعراء ص ٢٥٤ بالقلم أيضا بكسر العين . ولم نعثر على نص خاص فى ضبط هذا الاسم .

ابن بلال الأسدىّ ، فقال له : مالى عندك إن رَضِيتَ ؟ قال : حُكْمُك . فأتى عمر بابها وجعل يَتَباكى ، وأرسل إليها بالسلام ، فخرجتْ إليه حاضنتها ومواليها وجَواريها فَقُلْنَ : مالكّ ؟ قال : فَزِعتُ إلى عاتكة ورجوتُها ، فقد علمتْ مكانى من أميرالمؤمنين معاويةَ ومن أبيها بعدَه ، قلن : ومالك ؟ قال : ابناى لم يكن لى غيرُهما فقَتل أحدُهما صاحبَه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلٌ الآخر به ، فقلتُ : أنا الولىُّ وقد عفوتُ ، قال : لا أُعوِّد الناسَ هذه العادةَ ، فرجوتُ أن يُنْجِى[1] الله ابنى هذا على يدها ، فدخَلْنَ عليها فذكَرْنَ ذلك لها ؛ فقالت : وكيف أصنع مع[2] غضبى عليه وما أظهرتُ له ؟ قُلْن : إذاً والله يُقتَل ، فلم يزَلْنَ حتى دعتْ بثيابها فأجْمَرتْها[3] ثم خرجت نحو الباب ، فأقبل حُدَيج[4] الخصِىّ قال: ياأمير المؤمنين : هذه عاتكة أقبلَتْ ، قال: ويلك! ماتقول ؟ قال : قد والله طلعتْ ! فأقبلتْ وسلّمتْ فلم يَرُدّ [عليها][5] ، فقالت : أما والله لولا عمرُ ماجئتُ ؛ إنّ أحد ابنَيْه تعدّى على الآخر فقتَله فأردتَ قتْلَ الآخر وهو الولىّ وقد عفا ؛ قال : إنى أكره أن أُعَوِّد الناسَ هذه العادةَ ؛ قالت : أَنْشُدُك اللهَ يا أمير المؤمنين ، فقد عَرَفتَ مكانه من أمير المؤمنين[6] معاوية ومن أمير المؤمنين يَزيد وهو ببابى ، فلم تزل به حتى أخذتْ برِجله فقبّلتها ؛ فقال : هو لكِ ، ولم يَبرحَا حتى اصطلحا . ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف رأيتَ ؟ قال : رأينا أثرَك ، فهات حاجَتَك ؛ قال : مَزْرَعة بعُدّتها وما فيها ، وألف دينار وفرائض لولدى وأهل بيتى وعيالى ، قال : ذلك لك ، ثم اندفع عبد الملك يتمثّل بشعر كثيِّر :

---

(١) فى حـ ، رس ، مع : «أن ليحيى» .
(٢) كذا فى ا ، م ، حـ . وفى باقى النسخ : «من» .
(٣) أجمرتها : بخرتها . وفى خد : «وأخمرتها» .
(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م ، خد : «خديج» بالخاء والياء والجيم .
(٥) الزيادة عن ا ، م ، خد .
(٦) فى ط ، خد : «فقد عرفت مكانه كان من أمير المؤمنين» وكتب فوق «كان» كلمة «صح» .

* وإنى لأرعى قومها من جَلالها *

البيتين ؛ فعلتْ عاتكة ما أراد . فلما غُنِّىَ يزيد بهذا الشعر كَرِهتْه مواليه ؛ إذ كان عبد الملك تمثَّل به فى أُمِّه ، ولم يكرَهْه يزيدُ وقال : لو قيل هذا الشعر فيها ثم غُنِّىَ به لما كان عَيْبا ، فكيف وإنما هو مَثَلٌ تمثل به أميرُ المؤمنين فى أجمل العالَمين ! .

حمل عرار بن عمرو بن شأس رأس ابن الأشعث إلى عبد الملك وإعجاب عبد الملك ببيانه

قال أبو عبد الله : وأمّا خبره لما غَنّى بشعر عمرو بن شأس فإن ابن الأشْعَث لما قُتِل بَعَثَ الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرَار بن عمرو بن شأس ، فلما ورد به وأوصَل كتابَ الحجّاج جعل عبد الملك يقرؤه ، فكلما شكَّ فى شىء سأل عراراً عنه فأخبره ، فعَجب عبدُ الملك من بيانه وفصاحته مع سَواده ، فقال متمثّلا :

وإنّ عرَارا إن يكن غيرَ واضح ... فإنِّى أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنكِب العَمَمْ[1]

فضحِك عرَار من قوله ضَحِكاً غاظ عبد الملك ؛ فقال له : مِمَّ ضَحِكت ويلَك[2] ! قال : أتعرف عرارا يا أمير المؤمنين الذى قيل فيه هذا الشعر ؟ قال : لا ؛ قال : فأنا والله هو ؛ فضحِك عبدُ الملك وقال : حظٌّ وافق كلمة ، ثم أحسنَ جائزته وسَرَّحه .

قال أبو عبد الله : وإنما أراد الغرِيض أن يغنِّى يزيدَ بمُتَمثَّلات عبد الملك فى الأمور العِظام ، فلما تبين كَراهةَ مواليه غناءه فيما تمثّل به فى عاتكة أراد أن يُعقِبَه ما تمثّل به فى فتح عظيم كان لعبد الملك ، فغنّاه بشعر عمرو بن شأس فى عرار .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صوت

وإنى لأرعَى قومها من جَلالها ... وإن أظهروا غشًّا نصحت لهم جُهدِى

(١) يقال : رجل عمم ، أى خيِّر يعم بخيره وعقله . وقال فى اللسان مادة «عمم» : «ومنكب عمم : طويل » ، ثم ساق بيت عمرو بن شأس وهو : « فإن عرارا ... الخ » .

(٢) فى ط : « ويحك » .

ولو حاربوا قومى لكنتُ لِقومها صديقا ولم أَحمِل على قومها حِقْدِى

عروضُه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر . والغناء للغريض ثانى ثقيل بالسبابة فى مَجْرَى البِنصر عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أن فيه لقفا[1] النَّجار ثانى ثقيل بالوسطى ، وفيه لَعَلُّويَهْ ثقيل أوّل .

خرج إليه معبد بمكة وسمع غناءه

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدثنى إبراهيم عن يونُس الكاتب قال حدّثنى مَعْبَد قال :

خرجت إلى مكة فى طلب لقاء الغريض وقد بلغنى حسنُ غنائه فى لحنه :

١٤١ / ٢

وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ شادِناً بمكّة مَكحُولا أَسِيلاً مَدامعهُ

وقد كان بلغنى أنه أوّل لحن صَنعَه وأن الجنّ نهته أن يُغنّيه لأنه فَتَن طائفةً منهم ، فانتقلوا عن مكة من أجل حُسْنه ، فلما قدمتُ مكة سألت عنه فدُلِلتُ على منزله ، فأتيتُه فقرعتُ البابَ فما كلَّمنى أحد ، فسألتُ بعضَ الجيران فقلت : هل فى الدار أَحَدٌ ؟ قالوا[2] لى : نعم ، فيها الغريض ، فقلت : إنِّى قد أكثرتُ دَقَّ الباب ، فما أجابنى أَحَدٌ ! قالوا : إن الغريض هناك ، فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجبنى أحد ، فقلت : إن نفعنى غِنائى يوما نفعنى اليومَ ، فاندفعتُ فغنّيت لحنى فى شعر جَمِيل :

عَلِقتُ الهوَى منها وَليدًا فلم يزل إلى اليوم يَنْمِى حبُّها ويزيدُ

فوالله ما سمعتُ حركةَ الباب ، فقلت : بطَل[3] سِحْرِى وضاع سَفَرى[4] وجئتُ

---

(١) انظر حاشية رقم ٤ من صفحة ١١٢ من الجزء الأول من هذه الطبعة .

(٢) كذا فى ا ، م . وفى سائر النسخ : « فقال » .

(٣) بطل سحرى : ضاعت حيلتى وخاب مكرى .

(٤) فى خد : « ضاع شعرى » .

أطلبُ ما هو عسيرٌ علىّ ، واْحتقرتُ نفسى وقلت: لم يتوهّمنى[١] لضَعْف غنائى عنده ، فما شعَرتُ إلا بصائح يصيح : يا مَعْبد المغنىّ ، افْهَمْ وتَلَقَّ عنى شعرَ جميل الذى تُغُنِّى فيه يا شَقِىّ البخت ، وغنَّى :

صــوت

للغريض ولم تُذْكَر طريقته

وما أَنْسَ م الأشياءِ لا أَنْسَ قولَهَا   وقد قَرّبتْ نِضْوِى[٢]: أَمِصرَ تريد ؟
ولا قولَهَا لولا العيونُ التى تَرى   أَتيتُك فاعذِرنى فدَتْك جُدودُ
خَليلىّ ما أُخفى من الوجد باطن[٣]   ودمعى بما قلتُ الغداةَ شَهيدُ
يقولون : جاهِدْ يا جميلُ بغزوة   وأىّ جهــادٍ غيرهن أُريدُ !
لـكلّ حديثٍ عندهنّ[٤] بشاشةٌ   وكل قتيلٍ بينهنّ شهيدُ

عروضه من الطويل . قال : فلقد سمعتُ شيئا لم أسمع أحسنَ منه ، وقَصَّر[٥] إلىّ نفسى ، وعلمتُ فضيلته علىّ بما أحسّ من نفسه ، وقلت : إنه لحَرِىّ بالاستتار من الناس تنزّيهاً لنفسه وتعظيماً لقَدْره ، وإن مثلَه لايستحقّ الابتذال ، ولا أن تتداوله الرجال ، فأردتُ الانصراف إلى المدينة راجعا ، فلما كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يَصيح بى : يا معبد ، انتظر[٦] أ كلّمك ، فرجَعتُ ، فقال لى : إن الغريض يدعوك ، فأسرعتُ فَرِحًا فدنوتُ من الباب ؛ فقال لى : أَتُحبّ الدخول ؟ فقلتُ : وهل إلى ذلك من

(١) أى لم يتبينى ولم يعرفنى .
(٢) النضو : المهزول من الإبل وغيرها .
(٣) رواية الأمالى (ج ٢ ص ٢٩٩ طبعة دار الكتب) : « ظاهر » .
(٤) فى ا ، م ، د ، مع ، خد ، رس : « بينهن » .
(٥) أى صغّرها فى عينى .
(٦) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «انظر» وهي بمعناها .

سبيل ؟ فقرع الباب ففُتِــحَ ، فقال لى : ادخل ولا تُطِل الجلوس ؛ فدخلتُ فإذا شمس طالعةٌ فى بيت ، فسلَّمتُ فرَدّ السلامَ ، ثم قال : اجلس فجلست ، فإذا أنبلُ الناس وأحسنُهم وجها وخَلْقًا وخُلُقًا ، فقال: يامَعْبد ، كيف طرأتَ[1] إلى مكة ؟ فقلت : جُعِلتُ فداءك ! وكيف عرفتَنى ؟ فقال : بصوتك ؛ فقلتُ : وكيف وأنت لم تسمعه قطّ ! قال لمّا غنّيتَ عرفتُك به وقلت : إن كان معبدٌ فى الدنيا فهذا ، فقلت : جُعلتُ فداءك ، فكيف أجبتَنى بقولك :

وما أنس ِم الأشياء لا أنسَ قولَها وقد قرَّبتْ نِضوِى : أمصرَ تريدُ ؟

فقال : قد علمتُ أنك تريد أن أُسمعك صوتى :

وما أنسَ ِم الأشياء لا أنس شادِنًا بمكّةَ مكحولاً أسِيلاً مدامعُهْ

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنه صوتٌ قد نُهِيتُ أن أُغنّيَه فغنّيتُك هذا الصوتَ جوابا ١٤٢/٢ لمِـا سألتَ وغنَّيتَ ؛ فقلت : والله ما عدَوْتَ ما أردتُ ، فهل لك حاجةٌ ؟ فقال لى : يا أبا عبّاد ، لولا مَلالةُ الحديثِ وثِقلُ إطالة الجلوس لاستكثرتُ منك ، فاعْذرْ ؛ فخرجتُ من عنده ، وإنّه لأجلّ الناس عندى ، ورجعتُ إلى المدينة فتحدثتُ بحديثه وعجِبتُ من فِطْنته وقِيافَته ، فما رأيت إنسانًا إلّا وهو أجلّ منه فى عينى[2] . وذكرتُ جميلاً وبُثَيْنة فقلتُ : ليتنى عرفت إنسانا يُحدِّثنى بقصّة جميل وخبر الشعر فأكونَ قد أخذتُ بفضيلة الأمر كلّه فى الغناء والشعر . فسألتُ عن ذلك فإذا الحديثُ مشهورٌ ، وقيل لى : إن أردتَ أن تُخَـبَّـرَ بمشاهدته فأتِ بنى حَنْظَلة ، فإن فيهم شيخًا منهم يقال له فلان يُخَـبِّـرُك الخبرَ ، فأتيت الشيخَ فسألته فقال : نعم ، بينَا أنا فى إبلى فى الربيع إذا أنا برجل مُنْطوٍ على رَحْله كأنه جانٌّ ، فسلّم علىَّ ثم قال : ممن أنت يا عبدَ الله ؟ فقلت : أحدُ بنى حَنظلة ،

خبر جميل وبثينة وتوسيطه رجلا من بنى حنظلة فى لقائها

(١) أى كيف أقبلت فجأة إلى مكة .

(٢) فى ط : « فى نفسى » .

قال : فانتسبْ[(١)] ؛ فانتسبتُ حتى بلغت إلى فَخِذى الذى أنا منه ، ثم سألنى عن بنى عُذْرة أين نزلوا ، فقلت له : هل ترى ذلك السَّفْح ؟ فإنهم نزلوا من ورائه ، قال : يا أخا بنى حَنْظَلة ، هل لك فى خير[(٢)] تصطنعه إلىّ ؟ فوالله لو أعطيتَنى ما أصبحتَ تَسُوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر منّى لك عليه ، فقلت : نعم ، ومن أنت أوّلا ؟ قال : لا تسألنى من أنا ولا أُخبرك غيرَ أنى رجلٌ بينى وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بنى العم ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنك تجد القومَ فى مجلسهم فتَنْشُدُهم[(٣)] بَكْرةً أدْماء تجرّ خُفَّيْها غُفْلاً[(٤)] من السِّمة ، فإن ذكروا لك شيئا فذاك ، وإلا أستأذنتَهم فى البيوت وقلتَ : إن المرأة والصبىَّ قد يَرَيان ما لا يَرَى الرجالُ ، فتَنْشُدهم ، ولا تَدَعْ أحدًا تُصِيبه عينُك ولا بيتًا من بيوتهم إلا أنشدتَها فيه . فأتيتُ القومَ فإذا هم على جَزُور يقتسمونها ، فسلّمت وانتسبت لهم ونَشدتُهم ضالّتى ، فلم يذكروا لى شيئا ، فاستأذنتهم فى البيوت وقلت : إنّ الصبىَّ والمرأة يريان ما لا ترى الرجالُ ، فأَذِنوا ؛ فأتيتُ أقصاها بيتاً ثم استقريتُها بيتاً بيتاً أنشُدُهم فلا يذكرون شيئاً ، حتى إذا انتصف النهار وآذانى حرّ الشمس وعَطِشتُ وفَرَغتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف حانتْ منى التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم ، ثم قلت لنفسى : سوءةً ! وَثِقَ بى رجلٌ وزعم أن حاجتَه تَعْدِل مالى ثم آتيه فأقول : عَجَزت عن ثلاثة أبيات ! فانصرفتُ عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أُرْخِىَ مُؤخّرُه ومقدّمُه فسلّمت فرُدّ علىّ السلامُ ، وذكرتُ ضالّتى ، فقالت جارية منهم : يا عبد الله ، قد أصبتَ ضالّتك وما أظنّك إلا قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيتَ الشراب ، قلت : أجَلْ ؛ قالت : ادخل ، فدخلتُ فأتتْنى بصَحْفة فيها تمرٌ من تمر هَجَر ، وقَدَح فيه لبن ، والصَّحْفة

(١) فى ط : « فنسبنى فانتسبت » ، ونسبنى : سألنى أن أنتسب .

(٢) فى حـ ، ا ، م ، ر س ، مع : « معروف » .

(٣) تنشدهم بكرة : تناديهم وتسألهم عنها ، والبكرة : الفتية من الإبل ، والأدماء : وصف من الأدمة ، والأدمة فى الناس : السمرة ، وفى الإبل والظباء : البياض . قال الأصمعى : الآدم من الإبل : الأبيض فإن خالطته حمرة فهو أصهب فإن خالطت الحمرة صفاء فهو المدمى .

(٤) فى ب : «عفلاء» وهو تحريف .

مِصرِيّة مُفَضَّضَةٌ والقدحُ مفضَّض لم أرَ إناءً قطُّ أحسنَ منه ، فقالت : دونَك ؛ فتَجَمّعتُ[(١)] وشربتُ من اللبن حتى رَوِيتُ ، ثم قلتُ : يا أَمَةَ الله ، والله ما أتيتُ اليومَ أكرمَ منكِ ولا أحقَّ بالفضل ، فهل ذكرتِ من ضالَّتى شيئا ؟ فقالت : هل ترَى هذه الشجرةَ فوق الشَّرَف[(٢)] ؟ قلت: نعم؛ قالت: فإن الشمس غَرَبتْ أمسِ وهى تُطيف حولها ، ثم حال الليل بينى وبينها ؛ فقمتُ وجزيتُها الخير وقلت : والله لقد تغدَّيتُ ورَويتُ ! فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرةَ فأطفتُ بها ، فوالله ما رأيتُ من أثرٍ ، فأتيتُ صاحبى فإذا هو مُتَّشِحٌ فى الإبل بكسائه ورافعٌ عَقِيرتَه[(٣)] يُغَنِّى ، قلتُ : السلام عليك ، قال : وعليك السلام ما وراءك ؟ قلتُ : ما ورائى من شىء ، قال : لا عليك ! فأخبِرْنى بما فعلتَ ، فاقتصصتُ عليه القِصة حتى انتهيتُ إلى ذكر المرأة وأخبرتُه بالذى صنعتْ ؛ فقال : قد أصبتَ طَلِبتَك فعجبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئاً ، ثم سألنى عن صفة الإناءيْن : الصَّحْفة والقدح ، فوصفتُهما له ، فتنفَّس الصُّعَداء وقال : قد أصبتَ طَلِبتَك وَيْحَك ! ثم ذكرتُ له الشجرة وأنها [رأتها][(٤)] تُطيف بها ؛ فقال : حسبُك ! فمكثتُ حتى إذا أوتْ إبلى إلى مَباركها دعوتُه إلى العَشاء فلم يدنُ منه ، وجلس منى بمَزْجَر الكلب ، فلما ظنّ أنى قد نمتُ رمَقتُه فقام إلى عَيْبة[(٥)] له فاستخرج منها بُرْدَين فأتَّزَر[(٦)] بأحدهما وتردَّى بالآخر ، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة . واستبطنتُ الوادىَ فجعلتُ أُخفِى نفسى حتى إذا خِفْتُ

١٤٣ / ٢

(١) كذا فى ا ، م ، د . وفى باقى النسخ : « فهجعت » ويظهر أنه تحريف .

(٢) الشرف : المكان العالى .

(٣) عقيرة الرجل : صوته إذا غنى أو قرأ أو بكى . وقيل أصله أن رجلا عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها بأعلى صوته فقيل : رفع عقيرته ، ثم كثر ذلك حتى صير الصوت بالغناء عقيرة . (انظر اللسان مادة عقر) .

(٤) زيادة فى ط ، خد .

(٥) العيبة : وعاء من أدم يكون فيه المتاع .

(٦) ضبط هذا الفعل فى ط هكذا « فاتّزر » بشدة على التاء ، وهو صحيح عند من يرى إدغام الهمزة فى التاء . وحمل عليه ما جاء فى بعض الروايات : «كان النبى صلى الله عليه وسلم يباشر بعض نسائه وهى متّزرة» . وبعض اللغويين يمنع هذا الإدغام ويخطئ المحدثين فى هذه الرواية .

أن يرانى انبطحتُ ، فلم أزل كذلك حتّى سبقتُه إلى شجرات قريبٍ من تلك الشجرة بحيث أسمع كلامَهما فاستترتُ بهنّ ، وإذا صاحبتُه عند الشجرة ، فأقبل حتّى كان منها غيرَ بعيد ، فقالت : اجلس ، فوالله لكأنه لَصِق بالأرض ، فسلّم عليها وسألها عن حالها أكرمَ سؤال سمعتُ به قطّ وأبعدَه من كل ريبة ، وسألتْه مثل مسألته ثم أمرتْ جاريةً معها فقرّبتْ إليه طعامًا ، فلمّا أكل وفرَغ ، قالت : أنشدنى ما قلتَ ؛ فأنشدها :

عَلِقتُ الهوَى منها وليداً فلم يَزَل إلى اليوم يَنمِى حبُّهـا ويَزيدُ

فلم يزالا يتحدّثان ، ما يقولان فُحْشاً ولا هُجْرا ، حتّى التفتت[١] التفاتة فنظرتْ إلى الصبح ، فودّع كلّ واحد منهما صاحبَه أحسنَ وداع ماسمعتُ به قطّ[٢] ثم انصرفا ، فقمتُ فمضيتُ إلى إبلى فاضطجعت ، وكل واحد منهما يمشى خَطْوة ثمّ يلتفت إلى صاحبه ، فجاء بعد ما أصبحنا فرفع بُرْديه ثم قال : يا أخا بنى تَميم ، حتّى متى تَنام ! فقمتُ وتوضّأتُ وصلّيت وحلبت إبلى وأعاننى عليها وهو أظهر الناس سروراً ، ثمّ دعوتُه إلى الغَداء فتغدّى ، ثم قام إلى عَيْبَته فافتتحها فإذا فيها سلاحٌ وبُرْدان مما كسته الملوك ، فأعطانى أحدَهما وقال : أما والله لو كان معى شىء ما ذخرْتُه عنك ، وحدّثنى حديثَه وانتسب لى فإذا هو[٣] جميل بن مَعْمَر والمرأة بُثينة ، وقال لى : إنى قد قلتُ أبياتاً فى مُنْصَرَفى[٤] من عندها ، فهل لك إنْ رأيتَها أن تُنْشدَها[٥] ؟ قلت : نعم ! فأنشدنى :

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها وقد قَرّبْت نِضْوِى : أمصرَ تُريدُ ؟

---

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « التفت » .

(٢) كذا فى ب ، س ، ا ، م . وفى باقى الأصول : «أحسن وداع سمعت به قط » ، من غير ما النافية ، وهو مستقيم وإن كان مجىء «قط» فى الإثبات قليلا حتّى منعه بعضهم . وقد اتفقت النسخ على الحذف فى : « أكرم سؤال سمعت به قط» قبل هذه الجملة بأسطر .

(٣) كذا فى ا ، م ، حـ . وفى باقى النسخ : « وإذا هو ... الخ » بالواو .

(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى د ، هامش ط : « أبياتا فى إتيانها بعدمنصرفى» وكتب بجانبها كلمة «صح».

(٥) فى ا ، م ، حـ ، ط ، مج ، ر س : « فهل لك أن تأتيها فتنشدها » .

الأبيات ، ثم ودّعني وانصرف ، فمكثتُ حتى أخذت الإبلُ مراتِعَها[١] ، ثم عَمَدتُ إلى دُهْنٍ كان معى فدهنتُ به رأسى . ثم ارتديت بالبُرْد وأتيت المرأةَ فقلتُ : السلامُ عليكم ، إنى جئتُ أمسِ طالبا واليومَ زائرا ، أفتأذنون ؟ قالت : نعم ، فسمعتُ جُوَيْرِيَةً تقول لها : يا بُثَيْنة ، عليه واللهِ بُرْدُ جميلٍ ؛ فجعلت أُثنى على ضَيْفِى وأذكر فضله وقلت : إنّه ذكركِ فأحسنَ[٢] الذكر ، فهل أنتِ بارزةٌ لى حتّى أنظرَ إليكِ ؟ قالت : نعم ، فلبِسَتْ ثيابها ثم بَرَزَتْ ودعت لى بطُرَفٍ[٣] ، ثم قالت : يا أخا بنى تميم ، واللهِ ما ثَوْباكَ هذان بمُشْتَبِهين ، ودعَتْ بعَيْبَتِها فأخرجتْ لى مِلْحَفةً مَرْوِيَّة[٤] مُشْبَعة من العُصفر ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومَنَّ إلى كِسْرِ البيت ولَتَخْلَعَنَّ مِدْرَعَتك[٥] ثم لَتَأْتَزِرَنَّ[٦] بهذه المِلْحَفة فهى[٧] أشبهُ ببُرْدِك ؛ ففعلتُ ذلك وأخذتُ مِدْرعتى بيدى فجعلتها إلى جانبى ، وأنشدتُها[٨] الأبيات فدَمعت عيناها ، وتحدّثنا طويلاً ١٤٤/٢
مِن النهار ، ثم انصرفتُ إلى إبلى بمِلْحَفة بُثَيْنة وبُرْدِ جميلٍ ونَظْرةٍ من بُثَيْنَة . قال مَعْبد : فجَزَيتُ الشيخَ خيرا وانصرفتُ من عنده وأنا واللهِ أحسنُ الناس حالاً بنَظْرةٍ من الغَرِيض واستماعٍ لِغنائه ، وعِلْمٍ بحديثِ جميل وبُثَيْنَة فيما غَنّيتُ أنا به وفيما غَنّى به الغَرِيض على حقّ ذلك وصِدْقه ، فما رأيتُ ولا سَمِعْتُ بزوجين قطّ أحسنَ من جميل وبُثَيْنَة ، ومن الغَرِيض ومنّى .

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م : « مراعيها » .

(٢) فى ا ، م ، حـ : «بأحسن الذكر» .

(٣) كذا فى ا ، م ، حـ ، ط . وفى باقى الأصول : « بمطرف » .

(٤) الملحفة (بالكسر) : اللباس الذى فوق اللباس من دثار البرد ونحوه ، ومروية : نسبة إلى «مرو» : بلدة بفارس . والنسبة إليها « مروى » (بالفتح وبالتحريك) و« مروزى » بزيادة الزاى. وفى ط ، خد : «ملحفة هروية» . وهذه نسبة إلى هراة : مدينة من أعظم مدن خراسان حضارة وكثرة سكان .

(٥) المدرعة : ضرب من الثياب ، ولا تكون إلا من الصوف .

(٦) فى ط : « لتتّزرن » انظر الحاشية رقم ٦ ص ٤٠٣ من هذا الجزء .

(٧) كذا فى ا ، م ، حـ . وفى بقية الأصول : «وهى» .

(٨) فى ا ، م ، ، خد ، مع ، نا : «ثم أنشدتها» .

نسبة هذه الأصوات التى ذكرت فى هذا الخبر

وهى كلها من قصيدة واحدة .

منها :

صوت

عَلِقتُ الهوَى منها وليداً فلم يَزَلْ إلى اليوم يَنْمِى حُبُّها ويَزِيدُ
وأفنيتُ عُمْرِى فى انتظارى نوالَها وأفنتْ بذاكَ الدَّهْرَ وهو جَدِيدُ
فلا أنا مردودٌ بما جِئتُ طالباً ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ
وما أنسَ مِ الأشياء لا أنْسَ قولَها وقد قَرَّبت نِضْوِى : أمصرَ تُرِيدُ ؟
ولا قولَها : لولا العيونُ التى تَرَى لَزُرتُك فاعذِرْنى فدتْكَ جُدُودُ
إذا قلتُ : ما بِى يا بُثَيْنَةُ قاتِلِى من الحبّ ، قالتْ : ثابتٌ ويَزِيدُ
وإن قلتُ : رُدِّى بعضَ عقلى أعِشْ به تَوَلَّت[(١)] وقالت : ذاكَ منكَ بَعِيدُ

عَرُوضه من الطويل . الشعر لجميل بن مَعْمَر . والغناء لَمعْبَد فى الأوّل والثانى والثالث والسادس والسابع . ولَحْنُه ثقيل أوّل بالسبابة فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق وعمرو ابن بانَةَ . وذكر عمرو والهِشَامِىّ أنّ فيه ثقيلا أوّل آخَرَ للهُذَلِىّ ، وأن فيه خفيف ثقيل يُنْسَبُ إلى مَعْبَد وإلى الغَرِيض وإلى إبراهيم ، أوّله : « وما أنسَ م الأشـياء » . وفى الأربعة الأبيات الأُوَل ثانى ثقيل بالبِنْصَرِ لأبن أبى قباحة[(٢)] . ولإسحاق فى الثالث والسادس ثانى ثقيل آخر بالوُسْطى عن الهِشامِىّ ، وأوّلُ هذه القصيدةِ فيه غناء أيضاً ، وهو موصول بأبيات أُخَرَ :

---

(١) فى ا ، م وهامش ط ، مع ، خد : «مع الناس قالت الخ » .

(٢) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول . ولم نقف عليه ولا على ضبطه بعد البحث عنه فى المعاجم التى بأيدينا .

صـــوت

ألا ليتَ رَيْعانَ(١) الشبابِ جديدُ ودهراً تَوَلَّى يا بُثَيْنُ يعـودُ
فنَغْنَى كما كنّا نكونُ وأنتمُ قريبٌ وما قد تبذُلين زَهِيدُ
ألا لَيت شِعْرِى هل أَبيتَنَّ ليلةً بوادى القُرَى(٢) إنّى إذا لسعيدُ
وهل أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدهر ليلةً وما رثَّ من حبل الصفاء جديدُ
فقد تَلْتَقِى الأهواءُ بعد تَفاوُتٍ وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهى بَعيدُ

فى البيتين الأوّلين خفيفُ ثقيلٍ مطاق فى مَجْرَى البِنْصر ، ذكر حَبَش أنه لإسحاق، وليس يُشْبه أنْ يكونَ له . وفى الثالث وما بعده لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالبِنْصر عن حَبَش أيضا .

قال ابن أبى ربيعة فى شعر له الغريض فغيره الغريض باسمه لما غناه

١٤٥
―
٢

أخبرنى إسماعيل بن يونُس إجازَةً قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى أبو غسّان قال حدّثنى الوليد بن هِشام عن محمد بن مَعْن عن خالد بن سَلَمَة(٣) المَخْزُومِىّ قال :

خرجتُ مع أعمامى وأنا على نَجِيب ومعنا شيخ ، فلمّا أسْحَرْنا (٤) قال لى أعمامى : انزلْ عن نَجِيبك(٥) واحمل عليه هذا الشيخ واركَبْ جَمَلَه ، ففعلتُ فإذا الشيخ قد أخرج عُوداً له من غِلاَف(٦) ، ثمّ ضرَب به وغنّى :

(١) ريعان الشباب : أوله .
(٢) وادى القرى : واد بين المدينة والشام وهو بين تيماء وخيبر ، فيه قرى كثيرة . قال ياقوت فى معجم البلدان فى اسم « القرى » : «قال أبو المنذر : سمى وادى القرى لأن الوادى من أوله إلى آخره قرى منظومة وكانت من أعمال البلاد ، وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة ، إلا أنها فى وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تتدفق لا ينتفع بها أحد » .
(٣) كذا فى ط ، مع ، ر س ، خد . وفى أغلب الأصول : «سلمى» . ورجحنا ما فى هذه النسخ ، لأن المعروف فى كتب التراجم خالد بن العاص المخزومى المتوفى سنة ١٣٢ هـ وهذا يصح أن يروى عنه محمد بن معن المتوفى سنة ١٩٨ هـ (انظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٩٥) .
(٤) أسحرنا : دخلنا فى السحر . وفى ر س ، خد ، مع : « أصحرنا » .
(٥) النجيب من الإبل : القوى الخفيف السريع .
(٦) الغلاف : ما يوضع فيه الشىء .

هاجَ الغَرِيضَ الذِّكَرُ لمّا غَدَوْا فانشَمَرُوا [(١)]

فقلتُ لبعض أصحابنا : مَنْ هذا ؟ قال : الغَرِيض .

نسبة هذا الصوت

صوت

هاجَ الغَرِيضَ الذِّكَرُ لمّا غَدَوْا فانشَمَرُوا
على بِغالٍ شُحَّجٍ [(٢)] قد ضَمَّهُنّ السَّفَرُ
فيهنّ هِنْدٌ ليتَنى ماعُمِّرتْ أُعَمَّرُ [(٣)]
حتى إذا ما جاءها حَتْفٌ أتانِى القَدَرُ

عَرُوضه من الرجز . الذى قال عمر :

* هاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ *

بالقاف ، فجَعَله الغَرِيضُ لما غنّى فيه : « الغَرِيضَ » يعنى نفسَه . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . . والغناء لابن سُرَيج . ذكر يونُس أنّ له فيه لحنَيْن . وذكر إسحاق أنّ أحدهما رَمَلٌ مطلق فى مَجْرَى البِنْصرولم يذكر الآخَرَ ، وذكر الهِشامِىّ أن الآخَرَ خفيفُ رَمَلٍ . وفيه للغريض ثقيلٌ أوّل بالبنصر ، وقيل : إنه لحن ابن سريج ، وإن خفيف الرمَل للغريض . وأوّل هذا الصوت فى كتاب يونُس :

(١) فانشمروا : مرّوا جادّين مسرعين .
(٢) شحج : جمع شاحج ، والشحاج : صوت البغل (انظر ص ١٩٥ ج ١ من هذا الكتاب) .
(٣) هذا البيت وما بعده وردا فى قصيدة من ديوانه مطلعها :

قد هاج قلبى محضر أقوى وربع مقفر

هاج فؤادى مَحْضَرُ[1] بذى عُكاظٍ مُقْفِرُ
حتّى إذا ما وازنُوا الـ مَرْوَةَ حين أتْتَمرُوا[2]
قيل : آنزلُوا فعرِّسُوا من ليلكم وانشمِرُوا
وقولُها لأختِها : أمُطْمِئِنٌّ عُمَرُ؟

قام الوليد بن عبد الملك مكة فصحبه ابن أبى ربيعة وحادثه وغناه الغريض

أخبرنى الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السَّعْدىّ[3] :

أن الوليد بن عبد الملك قَدِمَ مكّة ، فأراد أن يأتىَ الطائفَ ، فقال : هل من رجل عالم يُخْبِرنى عنها ؟ فقالوا : عُمَرُ بن أبى ربيعة ؛ قال : لا حاجة لى به ، ثم عاد فسأل ، فذكَرُوه فأباه ، ثمّ عاد فذكَرُوه ، فقال : هاتوه ؛ وركب معه فجعل يُحَدِّثُه ، ثم حوّل عمرُ رداءه لِيُصْلِحَه على نفسه ، فرأى الوليد على ظهره أثرا ، فقال : ما هذا الأثرُ ؟ قال : كنت عند جاريةٍ لى إذ جاءتنى جاريةٌ برسالة من عند جاريةٍ أُخْرى وجعلتْ تُسَارُّنى بها ، فغارت التى كنتُ عندها فعضَّت مَنْكِبِى ، فما وجدتُ ألَمَ عَضِّتها من لذّة ما كانتْ تلك تنفُثُ فى أُذُنى حتى بَلَغَتْ ما ترى ، والوليد يَضْحَك . فلما رجع عمرُ قيل له : ما الذى كنتَ تُضْحِكُ به أميرَ المؤمنين ؟ قال : ما زِلْنا فى حديث الزِّنا حتى رَجَع . وكان قد حَمَل الغَرِيضَ معه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عندى

---

(١) المحضر عند العرب : المنهل الذى يجتمعون ويحضرون عليه ، وسواء كان حاضرو المياه ممن يقرّون عليها للأبد ، أم يحضرونها شهور القيظ ويفارقونها حين يقع ربيع فى أرض فينتجعونه ، وخلاف المحضر : المنتجع والمبدى .

(٢) كذا فى ب ، س ، حـ ، والمراد من موازنتهم المروة محاذاتهم لها ومقابلتهم إياها ، والمروة : جبل بمكة وهو أحد شعائر الحج . واتتمروا : تشاوروا . وفى سائر النسخ وديوان ابن أبى ربيعة :

حتى إذا ما وازنوا بالمرختين ائتمروا

(ويلاحظ فى هذه الرواية تعدى وازن بالباء وهو لايتعدى بها) . والمرختان : مثنى المرخة ، وهما المرخة القصوى اليمانية والمرخة الشامية (انظر معجم ياقوت فى الكلام على المرختين) .

(٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «السعيدى» وقد تقدم هذا الاسم وهذه القصة فى الجزء الأول ص ١١٧ من هذه الطبعة ونبهنا على اختلاف النسخ فيه هنالك .

أجملَ الناسِ وجهاً وأحسنَهم حديثاً ، فهل لك أن تسمَعه ؟ قال : هاتِه ، فدعا به فقال : أَسْمِعْ أميرَ المؤمنين أحسنَ شىء قلتَه ؛ فاندفع يغنّى بشعر عمر — ومن النـاس مَنْ يرويه لجميل — :

صـــوت

إنى لأَحفَظُ سِرَّكم ويَسُرُّنِى لو تعلمين بصالحٍ أنْ تُذْكَرِى

١٤٦/٢ ويكون يومٌ لا أَرَى لك مُرْسَلًا أو نلتقِى(١) فيــه علىَّ كأَشْهُرِ

ياليتنى أَلْقَى المنيّةَ بَغْتَـــةً إنْ كان يومُ لقائـكم لم يُقْدَرِ

ما كنتِ والوعدَ الذى تَعِـدِينَنِى إلّا كبَرْقِ سَحابةٍ لم تَمْطُرِ

تُقْضَى الدُّيونُ وليس يُنْجِزُ عاجلًا هذا الغريمُ لنـا وليس بمُعْسِرِ

— عروضه من الـكامل . وذكر حَبَش أنّ الغِناءَ للغَرِيض ، ولحنه ثقيل أوّل بالبِنْصَر — قال : فاشتدّ سرورُ الوليد بذلك وقال له : ياعمر ، هذه رُقَيْتُك . ووصله وكساه وقضى حوائجَه .

وصف نصيب لنفسه والشعراء الثلاثة جميل وكثير وابن أبى ربيعة

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفَّاف قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنىّ عن عوَانَةَ قال حدّثنى رجل من أهل الـكوفة قال :

قَدِم نُصَيْبٌ الـكوفة ، فأرسلنى أبى إليه ، وكان له صديقا ، فقال : أَقْرِئْه منّى السلامَ وقل له : إنْ رأيتَ أن تُهْدِىَ لنا شيئا مما قلتَ ! فأتيتُه فى يوم جُمُعة وهو يصلّى ، فلما فَرَغ أقرأتُه السلامَ وقلتُ له ، فقال : قد عَلِم أبوك أنّى لا أُنْشِد فى يوم الجمعة ولـكنْ تَلْقَانى فى غيره فأبلُغ ما تحبّ ، فلما خرجتُ وانتهيتُ إلى الباب رُدِدْتُ إليه ؛ فقال : أتَرْوِى شيئا من الشعر ؟ قلتُ : نعم ؛ قال : فأنشدنى ؛ فأنشدتُه قولَ جميل :

(١) فى ط : « أن نلتقى » .

إنى لأَحفظُ غَيْبَكم ويَسُرُّنى ... لو تعلمين بصالحٍ أن تُذْكَرِى

الأبيات المتقدّمة ، فقال نُصَيْبٌ : أَمْسِكْ ! أَمْسِكْ ! لله دَرُّه ! ما قال أحدٌ إلا دون ما قال ، ولقد نحت[1] للناس مثالًا يحتذون عليه . ثم قال : أمّا أصدقُنا فى شعره فجَمِيل ، وأمّا أوصفُنا لربّات الحِجال فكُثَيِّر ، وأمّا أكذبُنا فعُمَرُ بن أبى ربيعة ، وأما أنا فأقول ما أَعْرِف .

سمع أصوات رهبان فى دير فصنع لحنا على مثالها

وقال هارون بن محمد الزيّات : حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه :

أن الغَرِيض سَمِعَ أصواتَ رُهْبان بالليل فى دَيْر لهم فاستحسنها ، فقال له بعض مَنْ معه : يا أبا يزيد ، صُغ على مِثْل هذا الصوت لحنا ؛ فصاغ مِثله فى لحنه :

يا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِى ... لا تَصْرِمِينى إنّنى غادى

فما سُمِعَ بأحسنَ منه .

نسبة هذا الصوت

صــوت

يا أمّ بكرٍ حُبُّكِ البادِى ... لا تَصْرِمينى إنّنى غادى
جَدّ الرحيلُ وحثّنى صَحْبى ... وأُريد إمتاعا من الزّادِ

عروضه من مُزَاحَف الكامل[2] . الشعر لسعيد[3] بن عبد الرحمن بن حسّان ابن ثابت الأنصارىّ . والغناء للغريض خفيفُ ثقيل أوّل بالوُسْطى . وفيه لأبن المكىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن حَبَش . وفيه لإبراهيم بن أبى الهَيْثَم هَزَج .

---

(١) فى ط : «ولقد لحب» . ولحب : أوضح وبين .

(٢) كذا فى ط وهو الصواب إذ البيتان من الكامل الذى دخل عروضه وضربه الحذّ وهو حذف الوتد المجموع من متفاعلن ، والإضمار وهو إسكان ثانيه . وفى باقى الأصول : «مزاحف الرجز» وهو تحريف .

(٣) انظر ترجمته فى الجزء السابع ص ١٦٤ من الأغانى طبع بولاق .

غناء إبراهيم بن أبى الهيثم والرجل الناسك

وأخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن أيّوب بن عَبَاية عن عمرو بن عُقْبة — وكان يُعْرف بابن الماشطة — قال :

خرجتُ أنا وأصحابٌ لى فيهم إبراهيمُ بن أبى الهيثم إلى العقيق ، ومعنا رجلٌ ناسك كنا نحتَشِم منه ، وكان محموما نائما ، وأحببنا أن نَسمَع مَنْ معنا من المغنّين ونحن نَهابُه ونحتشمه ، فقلت له : إنّ فينا رجلا يُنْشِد الشعرَ فيُحْسِن ، ونحن نُحِبُّ أن نَسْمَعه ، ولكنّا نهابُك ؛ قال : فما علىّ منكم ! أنا محموم نائم ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فاندفع إبراهيم بن [أبى][1] الهيثم فغَنَّى :

١٤٧
٢

يا أمّ بكرٍ حبّكِ البادِى لا تَصْرِمِينى إنّنى غادى
جَدَّ الرحيلُ وحَثَّنى صَحْبِى وأُريد إمتاعًا من الزادِ

فأجاده وأحسنه . قال : فوثب الناسكُ فجعل يرْقُص ويَصيح : أريد إمتاعا من الزاد ، والله أُريد إمتاعا من الزاد ، ثم كشف عن أيْره وقال : أنا أنيك أمّ الحُمَّى ! قال : يقول لى ابنُ الماشطة : أعتقتُ ما أملِك إن كان ناكَ أمّ الحُمَّى أحدٌ قبله .

أخبرنى به الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب فذكر[2] الخبرَ ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سَوْءته وما قاله بعد ذلك .

هروبه إلى اليمن خوفا من نافع بن علقمة وموته بها

وكانت وفاة الغَرِيض فى أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها. والأَشْبه أنّه مات فى خلافة سليمان ، لأن الوليد كان وَلَّى نافع بن عَلْقمة مكة فهرَب منه الغرِيض وأقام باليَمَن واستوطنها مدّةً ثم مات بها . وأخبرنى بخبره الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبِىّ قال : أخبرنى بعض المخزوميين أيضا بخبره .

(١) الزيادة عن ح ، مع . وقد اتفقت الأصول على إيراده بهذه الزيادة فى سند هذا الخبر .
(٢) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « يذكر » .

وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنى أبو غسّان :

أن نافعَ بن عَلْقَمة لمـا وُلِّىَ مكّة خافه الغريضُ — وكان كثيرا ما يطلبه فلم يجئه[1] — فهرَب منه واستخفى فى بعض منازل إخوانه . قال : فحدّثنى رجلٌ من أهل مكّة كان يَخْدُمه : أنّه دفع إليه يوما رَبْعَةً[2] له وقال له : صِرْ بها إلى فلان العطّار يملؤها لى طِيباً . قال : فصِرتُ بها إليه ، فلقينى نافعُ بن عَلْقَمة فقال : هذه رَبْعَةُ الغَرِيض والله ! فلم أَقدِر أن أكتُمَه ، فقلت : نعم ، قال : ما قِصَّته ؟ فأخبرتُه الخبر ، فضحك وقال : سِرْ معى إلى المنزل ففعلت ، فملأها طِيباً وأعطانى دنانير ، وقال : أعطِه وقل له يَظهرُ فلا بأسَ عليه ؛ فسِرتُ إليه مسرورا فأخبرتُه بذلك فجَزِع وقال : الآن ينبغى أن أهرُب ، إنما هذه حيلةٌ احتالها علىّ لأقع فى يده ؛ ثم خرج من وقته إلى اليمَن ، فكان آخرَ العهد به .

قال إسحاق : فحدّثنى هذا المخزومىّ : أن الغَرِيضَ لمّا صار إلى اليمن وأقام به[3] اجتَزْنا به فى بعض أسفارنا ، قال : فلما رآنى بكَى ، فقلت له : ما يُبْكيك ؟ قال : بأبى أنتَ وأمِّى ! وكيف يَطيبُ لى أن أعيشَ بين قوم يرَوْننى أَحملُ عُودى فيقولون لى : يا هَنَاهُ[4] ، أتبيع آخرةَ[5] الرَّحْل ! فقلت له . فارجِعْ إلى مكّة ففيها أهلك ؛ فقال : يا بن أخى ، إنّمـا كنتُ أستلذّ مكّة وأعيش بها مع أبيك ونحوه ، وقد أوطَنتُ[6] هذا المكانَ ولستُ تاركَه ما عشتُ ، قلنا له : فغَنِّنا بشىء من غِنائك فتأبّى ، ثم أقسمْنا عليه

---

(١) فى ط : « فلا يجيئه » .

(٢) الربعة : جونة العطر .

(٣) فى ا ، م ، د ، خد ، مع : « وأقام بها » .

(٤) الهن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان . وقد تزاد فى النداء الألف والهاء فيقال : ياهناه أو ياهنباه أقبل (بالضم والكسر) ؛ فالضم على أنها آخر الاسم ، والكسر لالتقاء الساكنين . (انظر اللسان مادة «هنا») .

(٥) كذا فى أغلب الأصول ، وفى ط : «مؤخرة». وآخرة الرحل ومؤخرته : ما يستند إليه الراكب ، وهى خلاف قادمته .

(٦) أى اتخذته وطنا .

فأجاب ، وعَمَدْنا إلى شاةٍ فذبحناها وخَرَطْنا من مُصرانها أوتارًا ، فشدّها على عُوده واندفع فغنّى فى شعر زُهَير :

جَرَى دَمْعى فهيَّج لى شُجُونَا قلبى يُسْتَجَنُّ[1] به جُنونَا[2]

فما سمعنا شيئا أحسنَ منه ؛ فقلنا له[3] : ارْجِعْ إلى مكةَ ، فكلُّ مَن بها يشتاقُك . ولم نَزَل نُرغِّبه فى ذلك حتى أجاب إليه . ومَضَينا لحاجتنا ثم عُدْنا فوجدناه عليلاً ، فقلنا : ماقصّتك ؟ قال : جاءنى منذ ليالٍ قومٌ ، وقد كنت أغنّى فى الليل ، فقالوا : غَنِّنا ، فأنكرتُهم وخِفتُهم ، فجعلت أُغَنِّيهم ، فقال لى بعضُهم غَنِّنى :

لقد حَثُّوا الجمــالَ ليَهْــ ـرُبُوا منّا فلم يَئِلُوا[4] ١٤٨ / ٢

ففعلت ؛ فقام إلىّ [هَنٌ[5]] منهم أزَبُّ[6] فقال لى : أحسنتَ واللهِ! ودَقّ رأسى ، حتى سقطتُ لا أدرى أين أنا ! فأفقتُ بعد ثالثةٍ وأنا عليل كما ترى ، ولا أُرانى إلا سأموت . قال : فأقمنا عنده بقيّةَ يومنا ومات من غَدٍ فدفنّاه وانصرفنا .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة عن أبى غسّان قال :

زعم المكِّيُّون أنّ الغَرِيضَ خرج إلى بلاد عَكٍّ[7] فغنّى ليلا :

هُمُ رَكْبٌ لَقُوا رَكبًا كما قد تجمَعُ السُّبُلُ

(١) كذا فى أغلب الأصول وهامش ط . واستجنّ به (بالبناء للمفعول) : صار به مجنونا . وفى ط : « يستحسَن به » بالحاء المهملة .

(٢) كذا فى ب ، س ، حـ ، وهامش ا . وفى د ، حـ ، ا ، م : « حنينا » .

(٣) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : « فقلت » .

(٤) لم يئلوا : لم يجدوا موئلا وملجأ يعتصمون به .

(٥) زيادة فى ط . والهن : اسم يكنى به عن الشخص وجمعه « هنون» وفى حديث الجن : « فإذا هو بهنين كأنهم الزط» .

(٦) الأزبّ : الكثير الشعر .

(٧) عكّ : قبيلة ، والبلاد التى تضاف إليها : مخلاف باليمن .

فصاح به صائحٌ : اكفُفْ يا أبا مَرْوان ، فقد سَفَّهتَ حُلَماءنا ، وأصبيت(١) سفهاءنا ، قال : فأصبح ميِّتًا .

رواية أخرى في وفاته

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الخطّاب قال حدّثنا رجل من آل أبي قبيل — يقال له مُحْرز — عن أبي قبيل قال : رأيتُ الغَريض ، وقال إسحاق في خبره المذكور : حدّثني محمد بن سلّام عن أبي قبيل — وهو مَوْلًى لآل الغَرِيض — قال :

شهدتُ مَجْمعًا لآل الغريض(٢) إما عُرْسًا أو خِتَانًا ، فقيل له : تَغَنَّ ؛ فقال : هو ابنُ زانية إن فعل ، فقال له بعض مَوَاليه : فأنت والله كذلك ! قال : أوَ كذلك أنا ؟ قال : نعم ؛ قال : أنت أعلم بي والله ! ثم أخذ الدُّفَّ فرَمَى به وتَمَشَّى مِشْيَةً لم أرَ أحسنَ منها ، ثم تَغَنَّى :

تَشَرَّبَ لونَ الرَّازِقيِّ(٣) بياضُه ... أو الزعفرانِ خالط المِسْكَ رادعُهْ

فجعل يُغَنِّيه مُقْبلا ومُدْبِراً حتى التوتْ عُنُقُه وخَرَّ صَرِيعاً ، وما رفعناه إلّا ميِّتا ، وظَنَنَّا أنّ فالِجًا عاجَلَه . قال إسحاق وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبي مِسْكين قال : إنما نهتْه الجنّ أن يتغنى بهذا الصوت ، فلمّا أغضبه مَوَاليه تَغَنَّاه فقتلتْه الجنّ في ذلك .

(١) كذا في ط . وأصبيت : دعوت إلى الصبا . وفي باقي النسخ : «أصبت» .
(٢) كذا في جميع الأصول ، ولا بد من تكرار إما ، وقد يستغنى عن إما الثانية بذكر ما يغني عنها ، نحو : إما أن تتكلم بخير وإلا فاسكت ، ونحو قراءة أبيّ في قوله تعالى : ﴿وإنا أو إياكم لإما على هدى أو في ضلال مبين﴾ .
(٣) الرازقيّ : يقال على ثياب الكتان البيض ، وقيل : الرازقيّ : الكتان نفسه ، ويقال على ضرب من عنب الطائف أبيض اللون .

نسبة هذه الأصوات

صــوت

منهـا :

جَرَى دَمْعى فهيّج لى شُجُونَا ... فقلبى يُسْتَجَنُّ(١) به جُنونا
أأبكى للفِرَاق وكلُّ حىٍّ ... سيبكى حين يَفْتَقِدُ القَرِينا
فإن تُصْبِحْ طُلَيْحَةُ(٢) فارقتنى ... بِبَيْنٍ فالرزيّةُ أن تَبِينـا
فقد بانتْ بكُرْهِى يوم بانتْ ... مُفَارِقةً وكنت بها ضَنِينـا

الشعر لزُهَير . والغِناء للغَرِيض عن حَبَش ، وقيل : إنه لدَحْمان . وفيه لأبى الوَرْد خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطى عن حبش والهشامىّ .

انقضت أخبار الغريض .

(١) فى ط : «يستحنّ به حنينا » . وانظر الحاشية ٢ ، ص ٤١٤ من هذا الجزء .
(٢) فى ط ، مع ، رش : ظليمة » .

صــوت

من المـائة المختارة فى رواية جَحْظَة

لقــد حَثُّوا الجِمــالَ ليهـ ـرُبُوا منّــا فــلم يَئِلُوا
عــلى آثارهنّ مُقَـ ـلّــصُ[١] السِّرْبال مُعْتَمِلُ
وفيهم قلبُــك المتبُو لُ بالحسناء مُخْتَــبَلُ[٢]
مُخَفّفــة بمَحْـمَل حمــا ئل الدِّيبــاج والحُلَلِ[٣]
١٤٩/٢ أسائل عاصِما فى السِّـــرِّ[٤]: أيْنَ تُراهُمُ نَزَلُوا ؟
فقال : هُمُ قَرِيبٌ منـ ـكَ لو نفعوك[٥] إذ رَحَلُوا

الشعرُ للحَكَم بن عَبْدَل الأَسدىّ . والغناء فى اللحن المختار للغَرِيض ، ولحنُه خفيفُ ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مَجْرَى الوُسْطَى فى الأوّل والثانى من الأبيات . وذكر الهشامىّ أن فيهما لحنا لمَعْبَد من الثقيل الأوّل . وفى الثالث وما بعده من الأبيات لابن سُرَيْج رَمَل بالسَّبّابة فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق . وفيها لإبراهيم ثقيلٌ أوّل بالوُسْطَى عن حَبَش . وذكر أحمد بن عُبَيد أن الذى صحّ فيه أربعةُ ألحان : منها لحنان فى خفيف الثقيل للغَرِيض ومالك ، ولحنان فى الرمل لابن سُرَيج ومُخارِق . وذكر ابنُ[٦] الكَلْبىّ أن فيها لغَرِيبَ رَمَلاً ثالثا ، وذكر حَبَشٌ أن فيها لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل بالبِنْصَر ، ولابن مِسْجَح رَمَلًا بالبِنْصر ، ولابن سُرَيج ثانىَ ثقيل بالبنصر . هذه الألحان كلها فى « لقد حثُّوا » والذى بعده .

(١) مقلص السربال : مشمره ، يقال : قلص قميصه أى شمره ورفعه . والمعتمل : الذى يعمل بنفسه .
(٢) المختبل : الذى اختبل عقله أى جن ، وقد خبله الحزن واختبله .
(٣) فى هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركه الروىّ .
(٤) فى ط ، خد : «فى البين» .
(٥) فى مع ، رس : «إذ نزلوا» ، وفى خد : «لو تبعوك أو رحلوا» .
(٦) فى ا ، م ، د ، ط ، مع ، خد ، نا : «ابن المعتز» .

أخبار الحكم بن عبدل ونسبه

نسبه ونشأته

هو الحَكَم بن عَبْدَل بن جَبَلة بن عمرو بن ثَعْلبة بن عِقَال بن بِلَال بن سَعْد بن حِبَال[1] بن نَصْر بن غاضرة بن مالك بن ثَعْلَبة بن دُودان[2] بن أسد بن خُزَيمة، شاعرٌ مُجيدٌ مُقَدَّم فى طبقته، هَجَّاء خبيثُ اللسان، من شعراء الدولة الأُمَوِيَّة؛ وكان أعرجَ أحدبَ. ومنزلُه ومنشؤه الكوفة.

كان أعرج ويكتب بحاجته على عصاه فلاترد

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله[3] بن عَمَّار قال حدثنى يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا محمد بن إدريس القَيْسىّ بواسِط قال حدثنا العُتْبِىّ قال:

كان الحَكَم بن عَبْدَل الأسَدِىّ أعرجَ لاتُفارقه العصا، فترك الوقوفَ بأبواب الملوك، وكان يكتُب على عصاه حاجتَه ويبعث بها مع رُسُله[4]، فلا يُحبَسُ له رسولٌ ولا تُؤَخَّر له حاجةٌ؛ فقال فى ذلك يحيى بن نَوْفَل:

عَصَا حَكَمٍ فى الدار أوّلُ داخلٍ ... ونحنُ على الأبواب نُقْصَى ونُحجَبُ
وكانتْ عَصَا موسى لِفِرْعَوْنَ آيةً ... وهذى لَعَمْرُ الله أدهَى وأعجبُ
تُطاعُ فلا تُعْصَى ويُحْذَرُ سُخْطُها ... ويُرغَبُ فى المرضاة منها وتُرْهَبُ

قال: فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضَحِك الناس منها؛ فكان ابنُ عَبْدَل بعد

---

(١) كذا ورد مضبوطا فى ط. وفى القاموس وشرحه: أنه سمى بحبال ككتاب وحبال كشداد، وأورد لكل منهما أسماء ليس هذا أحدها، ولم نجد نصا خاصا فى ضبط هذا الاسم غير ضبطه بالقلم فى نسخة ط.

(٢) فى ب، ا، م: «ذودان» بالذال وهو تحريف.

(٣) كذا فى ا، م. وقد مر كثيرا فى الجزء الأول والثانى من هذه الطبعة كذلك باتفاق الأصول. وفى ب، س: «أحمد بن أحمد بن عبيد الله». وفى د: «أحمد بن عبد الله»، وفى حـ: «أحمد بن أبى أحمد بن عبيد الله».

(٤) فى حـ، د، ط، مع، ر س، خد: «مع رسوله».

ذلك يقول ليحيى : يابن الزانية ! ماأردتَ من عصاى حتى صيَّرتها ضُحْكةً[1] ؟ واجتَنَبَ أن يكْتُب عليها كما كان يفعل ، وكاتَبَ الناسَ بحوائجه فى الرِّقاع .

حبس هو وأبو علية صاحبه فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ ، وأخبرنى ابن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيْم قال حدثنا أبو جعفر القُرَشىّ قال :

كان للحَكَم بن عَبْدَل صديق أعمى يقال له أبو عُلَيَّة ، وكان ابن عبدل قد أُقْعِد[2] ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحَكَم يُحْمَلُ وأبو عُلَيَّة يُقاد ، فلَقِيَهما صاحبُ العَسَس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلمّا استقرّا فى الحبس نظر الحَكَمُ إلى عصا أبى عُلَيّة موضوعةً إلى جانب عصاه ، فضحِك وأنشأ يقول :

حَبْسِى وحَبْسُ أبى عُلَيَّةَ من أعاجيب الزمانِ
أَعْمَى يُقادُ ومُقْعَدٌ لا الرِّجْلُ منه ولا اليَدانِ
هـذا بلا بَصَرٍ هنا كَ وبى يَخُبُّ الحامِلانِ
يَا مَنْ رأى ضَبَّ الفَلاةِ قَرِينَ[3] حُوتٍ فى مكانِ
طِرْفِى وطِرْفُ أبِى عُلَيَّةَ دهرَنا مُتَوافِقانِ
مَنْ يَفْتَخِرْ بجَوادِه فَجِيادُنا[4] عُكّازتانِ
طِرْفانِ لا عَلَفاهما يُشْرَى ولا يتَصاولانِ
هَبْنِى وإيَّاه الحريـقَ أكانَ يَسْطِع بالدُّخانِ

١٥٠ / ٢

قال : وكان اسم أبى عُلَيَّة يحيى ، فقال فيه الحَكَمُ أيضاً :

---

(١) الضحكة (بضم الضاد وسكون الحاء) : من يضحك الناس منه .
(٢) أقعد الرجل (بالبناء للمفعول) : أصابه داء فلم يستطع المشى .
(٣) فى ب ، س : «مرين حوت» وهو تحريف .
(٤) كذا فى حـ ، ط . وفى سائر النسخ : «فجوادنا» .

أَقول ليحيى ليلةَ الحبسِ سادِراً(١) ونَوْمِى به نَوْمُ الأسيرِ المُقَيَّدِ :
أَعِنِّى على رَعْىِ النجومِ ولَحْظِها أُعِنْكَ على تحبير شِعْرٍ مُقَصَّدِ(٢)
ففى حالَتَيْنا عِبرةٌ وتَفَــكُّرٌ وأَعجبُ شىءٍ حَبْسُ أَعمى ومُقْعَدِ
كِلانا إِذا العُــكَّاز فارقَ كَفَّهُ يُنيخ صَرِيعاً أَو على الوجه يَسْجُدُ(٣)
فعُــكَّازة تَهْدِى(٤) إِلى السُّبْلِ أَكْمَهاً وأُخْرَى مَقام الرجل قامت مع اليَدِ

في الشرطة بإمارة أعرجان في سائلا أعرج فقال شعرا

أَخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفِىُّ قال حدثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثنى أَحمد ابن بُكَير الأَسَدِىّ قال حدّثنى محمد بن أَنس السَّلامىّ الأسدىّ عن محمد بن سهل راوية الكُميت قال :

وَلِىَ الشُّرْطَةَ بالكوفة رَجلٌ أَعْرَجُ ، ثم وَلِىَ الإمارةَ آخرُ أَعْرَجُ ، وخرج ابنُ عَبْدَلٍ وكان أَعرج ، فلقى سائلا أَعْرَجَ وقد تَعَرَّض للأَمير يسأَله ، فقال ابن عَبْدَلٍ للسائل :

أَلْقِ العصا ودَعِ التخامُعَ(٥) والْتَمِسْ عَمَلاً فهذِى دَوْلَةُ العُرْجَانِ
لأَمِيرِنا وأَميرِ شُرْطَتِنا مَعًا يا قَوْمَنا لِكِلَيْهما رِجْلانِ
فإِذا يكونُ أَميرُنا ووزيرُنا وأَنا فإِنّ الرابعَ الشيطانُ(٦)

فبلغت أَبياتُه ذلك الأميرَ فبعث إليه بمائتى درهم وسأَله أَن يَكُفَّ عنه . وحدّثنيه

(١) فى رس ، مع : «السجن» . والسادر : المتحير الواجم .
(٢) شعر مقصد : مطول كثيرة أبياته .
(٣) فى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ بالرفع والكسر .
(٤) فى جميع النسخ : «فعكازه يهدى الخ » .
(٥) كذا فى ط . والتخامع : التظاهر بالخمع وهو العرج ، يقال : خمعت الضبع خمعا وخموعا وخمعانا إذا ظلعت فى مشيتها كأن بها عرجا . وفى سائر الأصول : «التحامق» .
(٦) فى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ بالرفع والكسر .

الأخفش عن عُبَيد الله اليَزِيدِىّ عن سليمانَ بن أَبِى شَيْخ عن محمد بن الحكم عن عوَانة عن عُمَر بن عبد العزيز قال :

وَلِىَ عبدُ الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب الكوفةَ، وضُمَّ إليه رجلٌ من الأشعريِّين يقال له سهل، وكانا جميعا أعرجَيْن . ثم ذكرَ باقى الحديث مثلَ حديث يعقوب بن نُعَيم .

ابن عبدل وعبدالملك بن بشر ابن مروان

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن المُحرز الباهلىّ عن الهَيْثم الأحْمَرِىّ قال :

كانت لابن عَبْدَلٍ الأسَدىّ حاجةٌ إلى عبد الملك بن بِشْر بن مَرْوان ، فجعل يدْخُل عليه ، ولا يتهيأ له الكلامُ ، حتى جاءه رجلٌ فقال : إنى رأيتُ لك رؤيا ، فقال: هاتِها ، فقصَّها عليه ؛ فقال ابنُ عَبْدَل : وأنا قد رأيتُ أيضًا ؛ قال : هاتِ ما رأيتَ فقال :

أَغْفَيْتُ قبلَ الصبح نومَ مُسَهَّدٍ ... فى ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامُها
فحَبَوْتَنى فيما أرى بوليدةٍ ... مَغْنوجةٍ(١) حَسَنٍ علىّ قيامُها
وببَدْرَةٍ حُمِلتْ إلىّ وبغلةٍ ... شَهْباءَ ناجيةٍ(٢) يَصِلّ(٣) لِجامُها
١٥١/٢ لَيتَ المنابرَ يابنَ بِشْرٍ أصبحتْ ... تُرقَى وأنتَ خطيبُها وإمامُها

فقال له ابنُ بشر : إذا رأيتَ هذا فى اليَقَظَة أتعرفُه ؟ قال : نعم وإنما رأيتُه قُبيلَ الصبح ، قال : يا غلام ، ادْعُ فلانا ، فجاء بوكيله ، فقال : هاتِ فلانة ، فجاءت ، فقال : أين هذه مما رأيتَ ؟ قال : هى هى ؛ وإلّا فعليه وعليه ؛ ثم دعا له ببَدْرة

(١) لم نعثر على هذه الصيغة فى معاجم اللغة ، والذى بها : «امرأة مغناج وغنجة» : حسنة الدّلّ .
(٢) ناجية : سريعة .
(٣) يصلّ لجامها : يصوّت .

فقال : مثلَ ذلك ، وببغلة فركبها وخرج . فلقيَه قَهْرمانُ(١) عبد الملك ، قال : أتبيعُها؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : بستمائة ، قال : هى لك؛ فأعطاه ستمائة ؛ فقال له : أما والله لو أبيتَ إلا ألفا لأعطيتُك؛ قال : إيّاى تُنْدِم ! لو أبيتَ إلا ستّةً لَبعتُك .

هجاؤه محمد بن حسان وقد تزوج امرأة قيسية

أخبرنى [عَمّى(٢)] الحسن بن محمد قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثم عن ابن عيّاش عن لَقِيط قال :

تزوّج محمد بن حسّان بن سَعْد التّميمىّ امرأةً من وَلَد قَيس بن عاصم وهى ابنة مُقاتل بن طَلْبة(٣) بن قَيْس ، زوّجها إيّاه رجلٌ منهم يقال له زِياد ، فقال ابن عَبْدل :

أَباعَ زيادٌ سوّد اللهُ وجهَهُ عَقيلَةَ قومٍ سادةٍ بالدراهمِ
وما كان حسّان بن سعدٍ ولا ابنُه أبو المسك من أكفاء قَيسِ بن عاصمِ
ولكنّه ردّ الزمانَ على استِه وضَيّع أمرَ المُحْصَناتِ الكرائمِ
خُذِى دِيَةً منه تكُنْ لكِ عُدّةً وجِيئى إلى باب الأمير نخاصِمى
فلو كنت فى رَوْحٍ(٤) لما قلتُ خاصِمِى ولكنّما أُلْقيتِ فى سِجن عارمِ(٥)

قال : فلمّا بلَغ أهلَها شعرُه أَنِفُوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسّان حتى فارقها.

---

(١) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

(٢) الزيادة عن د ، حـ . وفى ا ، م : «أخبرنى عمى قال حدثنا الكرانى الخ » .

(٣) قال المبرد فى ضبط هذا الاسم فى كتابه الكامل ص ٢٧١ طبع ليبسك : «الرواية المشهورة بإسكان اللام وتسامح ابن سراج فى فتح اللام » .

(٤) الروح : الراحة ، ومن معانيها أيضا الفرح والسرور والرحمة ومنه فى القرآن الشريف : ﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ .

(٥) قال ياقوت : «وسجن عارم حبس فيه محمد بن الحنفية ، حبسه فيه عبد الله بن الزبير ، فخرج المختار بالكوفة ودعا إليه . ثم كان بعد ذلك سجنا للحجاج ولا أعرف موضعه وأظنه بالطائف » .

قال : وكان محمد بن حسّان عاملا على بعض كُوَر السَّوَاد ، فسأله ابنُ عَبْدَل حاجةً فردّه عنها ، فقال فيه هذا الشعرَ وغيرَه[1] وهجاه هجاء كثيراً .

أخبرنى بهذا الخبر محمد بنُ عِمْران الصيّرفىّ قال حدّثنا الحسن[2] بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنا أحمد بُكَير الأسَدِىّ عن محمد بن بِشْر السّلامِىّ عن محمد بن سَهل راوية الكُميت ، فذكر نحواً مما ذكره عَمِّى وزاد فيه قال :

وكانت المرأةُ التى تزوّجها مُعَاذَةَ بنت مُقاتل بن طَلْبة ، فلما سَمِعَتْ ما قال ابن عَبْدَل فيها نَشَزَتْ على زوجها وهَرَبت إلى أهلها ، فتوسّطوا ما بينهما وافتُدِيَتْ منه بمال وفارقها .

سمع امرأة تنشد شعره فحادثها وأنشدها من شعره

أخبرنى عَمِّى قال حدّثنى الكُرَانىّ عن العُمَرىّ عن عَطاء عن يحيى بن نصر[3] أبى زكريّا قال :

سَمِع ابنُ عبدل الأسدىّ امرأةً وهى تتمشّى بالبلاط تتمثّل بقوله :

وأُعْسِرُ أحيانا فتشتدّ عُسْرتى ... وأُدرِكُ ميسورَ الغِنَى ومعى عِرْضِى

فقال لها ابنُ عَبْدَل — وكان قريباً منها — : يا أُخَيَّةُ ، أتعرفين قائلَ هذا الشعر؟ قالت : نعم ، ابن عَبْدل الأسَدِىّ . قال : أَفَتُثْبِتِينَه معرفةً ؟ قالت : لا ، قال : فأنا هو ، وأنا الذى أقول :

وأُنْعِظُ أحيانًا فينقدّ جِلدُهُ ... وأَعْذُلُه[4] جُهْدِى فلا ينفعُ العَذْلُ[4]

---

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «وعيره» .

(٢) كذا فى ط ، وهو الموافق لما تقدم فى ج ١ ص٣٨من هذه الطبعة ، وفى هذا الجزء ص ٤٢٠ ، وفى باقى الأصول : «محمد» .

(٣) فى حـ : «منصور» .

(٤) كذا فى ا ، م ، حـ . وفى باقى النسخ : «وأعزله» و«العزل» بالزاى وهو تحريف .

وأزدادُ نَعْظاً حين أُبصِرُ جارتى ... فأُوثِقُه كيما يَثُوبَ(١) له عَقْلُ

ورُبّتَما لم أدْرِ ما حِيلتى له ... إذا هو آذانى وغَرَّ به الجهلُ

فآويتُه فى بطن جارى وجارتى ... مكابرةً قُدْماً(٢) وإنْ رَغِمَ البَعلُ

فقالت له المرأة : بئس والله الجارُ للمُغِيبَة(٣) أنتَ ، فقال : إى والله ، وللتى معها زوجها وأبوها وابنُها وأخوها . ١٥٢ / ٢

قدم على ابن هبيرة مستجديا فأعطاه بعد إلحاح ما أراد

أخبرنى محمد بن زكريّا الصَّحّاف(٤) قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز الباهلىّ قال حدّثنا الهَيْثَم بن عَدِىّ وأخبرنى به حبيب بن نصر المُهَلَّبىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعد قال حدّثنى علىّ بن الحسن(٥) ، قال حدّثنى أبو خالد الخُزاعىّ الأسلمىّ عن الهيثم بن عدىّ عن ابن عيّاش قال :

قَدِمَ الحَكَمُ بن عَبْدَل الشاعر الكوفىّ واسطاً(٦) على ابن هُبَيرة وكان بخيلا ، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال :

أتيتك فى أمرٍ مِنَ أمر عَشيرتى ... وأَعْيا(٧) الأمورِ المُفظِعات(٨) جَسِيمُها

فإن قلتَ لى فى حاجتى : أنا فاعلٌ ... فقد ثَلِجَتْ نفسى وولَّتْ همومُها

قال : أنا فاعل إن اقتصدتَ ، فما حاجتك ؟ قال : غُرْمٌ لزِمَنى فى حَمَالة(٩) ، قال :

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «يكون» .
(٢) القدم (بضمتين وسكنت الدال لضرورة الشعر) : المضىّ والإقدام .
(٣) المغيبة : التى غاب عنها زوجها .
(٤) الصحاف كشداد : بائع الصحف أو صانعها . وفى رس : «أحمد بن زكريا» .
(٥) فى رس : «الحسين» .
(٦) واسط : بلد خطه الحجّاج بين البصرة والكوفة ، يصرف ولا يصرف .
(٧) كذا فى ا ، م . وفى ط : «أغنى» . وفى باقى الأصول : «أعمى» وكلاهما تحريف .
(٨) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «المقطعات» .
(٩) الحمالة : الكفالة ، أى الضمان .

وكم هى ؟ قال : أربعة آلاف ، قال : نحن مُناصِفوكها ، قال : أصلح الله الأمير ، أتخاف علىّ التُّخَمة إن أتممتَها ؟ قال : أكره أن أعوِّد الناسَ هذه العادةَ ؛ قال : فأعطنى جميعَها سرًّا وامنعنى جميعَها ظاهراً حتى تُعوِّد الناسَ المنعَ وإلّا فالضررُ عليك واقع إن عوّدتهم نصفَ ما يطلبون ؛ فضحك ابنُ هُبيرة وقال : ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك ؛ فجثا بين يديه وقال : امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلّ من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان ؛ قال : أعطوه إيّاها قبّحه الله فإنه — ما علِمتُ — حلّافٌ مَهين[1] ؛ فأخذها وانصرف .

أفنى الطاعون قوما من بنى غاضرة فرثاهم

أخبرنى حَبيب بن نصر المُهلَّبىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن معاوية الأسدىّ قال حدّثنى مشايخنا من بنى أسَد محمدُ بن أنس وغيرُه قالوا :

لمّا وَقَعَ الطاعون بالكوفة أفنى بنى غاضِرة ، ومات فيه بنو زِرّ بن حُبَيش الغاضرىّ صاحب علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وكانوا ظُرَفاء ، وبنو عمّ لهم ، فقال الحكمُ بن عَبدل الغاضِرىّ يرثيهم :

أبعدَ بنى زِرٍّ وبعدَ ابن جَنْدلٍ وعمرو أُرَجِّى لذّة العيش فى خَفْضِ !
مَضَوْا وبَقِينا نأمُلُ العيشَ بعدَهم أَلَا إن مَنْ يَبْقَى على إثْر مَنْ يَمْضِى
فقد كان حَوْلى من جِيادٍ وسالمٍ كُهُولٌ مَساعِيرٌ وكلٌّ فَتًى بَضٍّ[2]
يَرَى الشُّحَّ عاراً والسماحةَ رِفْعةً أغرُّ كعودِ البانةِ الناعمِ الغَضِّ

هجاؤه محمد بن حسان وقد سأله حاجة فلم يقضها

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب أبى مُحَلِّم قال : سأل الحكم بن عبدل أخو بنى نصر بن قُعَين محمدَ بن حسّان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألتَه إيّاها ، فردّه ولم يقضها ، فقال فيه ابنُ عَبْدَل :

---

(١) مهين : فاجر .

(٢) مساعير : جمع مسعار وهو موقد نار الحرب ، وبضّ : رخص الجسم . وفى رس : « فتى مخض » ولعلها أرجح .

رأيتُ محمـــداً شَرِهاً ظلوماً ... وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقول : أماتنى ربِّى خِـداعاً ... أمات اللهُ حَسَّانَ بن سَعْـدِ
فلولا كَسْبُه لوُجِدْتَ فَسْلاً⁽¹⁾ ... لَئيمَ الكَسْبِ شأنُكَ شأنُ عَبْدِ
رَكِبتُ إليه فى رَجُلٍ أتانى ... كريمٍ يبتغى المعروفَ عندى
فقلتُ له وبعضُ القولِ نُصْـحٌ ... ومنـه ما أُسِرُّ له وأُبْـدِى :
تَوَقَّ دراهمَ⁽²⁾ البَكْرِىِّ إنِّى ... أخافُ عليك عاقبةَ التعدِّى
أُقَرِّبُ كلَّ آصرةٍ ليدنو ... فما يزدادُ مِنِّى غيرَ بُعْـدِ
فأُقسِـمُ غيرَ مُسْتَثْنٍ يميناً ... أبا بَجَرٍ⁽³⁾ لتَتَّخِمَنَّ⁽⁴⁾ رَدِّى

١٥٣ / ٢ أخـبرنى محمد بن عمران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ قال حدّثنى أحمد بن بُكَيْر الأسَدىّ قال حدثنى⁽⁵⁾ محمد بن أَنَس السَّلامىّ قال حدّثنى محمد بن سَهْل الأسَدِىّ راويةُ الكُميت :

أنّ الحكم بن عَبْدل الأسَدِىّ أتى محمدَ بن حَسّان بن سعد التَّميمىّ⁽⁶⁾ وكان على خَراج الكوفة ، فكلمه فى رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خَراجه ، فقال : أماتنى الله إن كنتُ أَقدِر أن أَضَع من خراج أمير المؤمنين شيئا ، فانصرف ابن عبدل وهو يقول :

دَعِ الثلاثين لا تَعرِضْ لصاحبها ... لا باركَ اللهُ فى تلك الثلاثينا

---

(1) الفسل : المسترذل الضعيف الذى لا مروءة له ولا جلد .
(2) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «كرائم» .
(3) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «بحر» بالحاء المهملة وهو تحريف .
(4) أى لتجدنه وخيم العاقبة .
(5) كذا فى د ، حـ ، ط . وهو الموافق لما سيرد قريبا ص ٤٣١ ، وفى ا ، م ، خد : «الأسدى عن محمد بن بشر عن محمد بن أنس الخ» . وفى ب ، س : «والأسدى وعن ابن بشر عن محمد بن أنس الخ» .
(6) فى مع : «التيمى» .

لمّا علا صوتُه فى الدار مُبْتَكراً   كأشتفان(١) يرى قوما يَدُوسُونا(٢)
أَحسِنْ فإنَّك قد أُعطيتَ مملكةً   إمارةً صرتَ فيها اليومَ مفتُونا
لا يُعطِك اللهُ خيرا مثلَها أبدا   أقسمتُ بالله إلا قلتَ : آمينا

قال : فلم يضع له شيئا مما على الرجل ؛ فقال فيه :

رأيتُ محمّـداً شَرِهاً ظَلُوماً   وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقولُ : أماتنى ربِّى خِـداعاً   أماتَ اللهُ حَسّانَ بنَ سَعْدِ
فما صادفتَ فى قَحْطانَ مِثْلِى   ولا(٣) صـادفتُ مِثلَكَ فى مَعَدِّ
أقلَّ براعةً وأشـدَّ بُخْلاً   وألأَمَ عنـدَ مسألةٍ وحَمْدِ
نَحوْتُ(٤) محمداً ودُخَانُ فيه   كَرِيحِ الجَعْرِ(٥) فوقَ عَطِينِ(٦) جِلْدِ
فأُقسمُ غيرَ مُسْتَثْنٍ يميناً   أبا بَخَـرٍ(٧) لتتَّخِمَنَّ رَدِّى
فلو كنتَ المهذَّبَ من تميمٍ   لخفتَ مَلامَتِى ورَجَوْتَ حَمْدِى
نَكَهْتَ علىّ نَكْهةَ أَخْدَرِىٍّ   شَتِيمٍ أعْصَلِ الأنيابِ وَرْدِ(٨)

---

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى حـ : «كاستعار» .
(٢) كذا فى أغلب الأصول . وفى حـ ، ر س ، مع : «يسوقونا» .
(٣) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : «كما» .
(٤) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ طبع مطبعة السعادة ص ١١٩ ، وفى جميع الأصول : «فقلت» .
(٥) الجعر : نجو كل ذات مخلب من السباع .
(٦) العطين : الجلد المنتن ؛ من عطن الجلد يعطنه إذا وضعه فى الدباغ وتركه حتى فسد وأنتن .
(٧) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط ، حد : «أبا بحر» بالحاء . وهو تحريف .
(٨) المراد من الأخدرى الأسد ، غير أن الوارد فى اللسان وتاج العروس فى وصف الأسد خادر ومخدر ؛ يقال : خدر الأسد إذا لزم خدره أى عرينه فهو خادر ، وأخدر أى اتخذ الأجمة خدرا فهو مخدر ، وإنما جاء الأخدرى لحمار الوحش نسبة إلى فحل يقال له أخدر ، وجاء أيضا فى وصف الليل كما قال العجاج : «ومخدر الأخدار أخدرىّ» . والشتيم : الأسد العابس . وأعصل الأنياب : معوجّها . والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .

فما يدنو إلى فَمِه ذُبابٌ ولو طُلِيَتْ مَشافِرُه بقَنْدِ(١)
فإن أهديتَ لى من فِيك حَتْفا فإنّى كالذى أهديتَ مُهْدِى

قال محمدُ بن سَهْل : وما زال ابنُ عبدل يزيد فى قصيدته هذه الدالية حتّى مات وهى طويلة جدًّا ، قال : واشتهرتْ حتى إنْ كان المُكارِى ليسوق بغلَه أو حمارَه فيقول : عَدْ(٢)

* أماتَ اللهُ حَسّانَ بن سَعْدْ *

فإذا سمع ذلك أبوه قال : بل أماتَ اللهُ ابنى محمداً ، فهو عَرَّضنى لهذا البلاء فى ثلاثين درهما .

ابن عبدل وأبو المهاجر

أخبرنى أحمد بن محمد بن زكريّا الصَّحَّاف قال حدّثنا قَعْنَبُ بن مُحْرِز قال أخبرنا الهَيْثم بن عَدِىّ قال :

دعا أبو المُهاجر الحَكَمَ بن عَبْدَل ليشرب عنده وله جارية تغنِّى فغنَّت ؛ فقال ابن عبدل :

يا أبا المُهاجر(٣) قد أردتَ كرامتى فأهنتَنى وضررتَنى لو تعلَمُ
عند التى لو مَسَّ جِلدى جلدها يوماً بَقِيتُ مخلَّداً لا أهْرَمُ
أو كنتُ فى أحْمَى جهنَّمَ بقعةً فرأيتُها بَرَدَتْ علىّ جهنّمُ

قال : فجعل أبو المهاجر يَضْحَك ويقول له : وَيْحَك ! واللهِ لو كان إليها سبيلٌ لوهبتُها لك ، ولكن لها مِنى ولدٌ .

١٥٤/٢

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَزّاز عن المدائنىّ قال : كان

(١) القند : عسل قصب السكر إذا جمد .
(٢) هذه الكلمة تقولها العامة لزجر البغال بدل «عدس» . قال صاحب اللسان (مادة عدس) : «وعدس وحدس زجر للبغال ، والعامة تقول : عد » .
(٣) لعلها : «أأبا المهاجر» .

ابن عبدل وعمر ابن يزيد الأسدى

عمر[1] بن يزيد الأسدىّ مُبَخَّلا ، ووجده أبوه مع أَمَةٍ له فكان يُعَيَّرُ بذلك ، وجاءه الحكمُ بن عبدل الأسدىّ ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً ، فدخلوا إليه وهو يأكل تمرا فلم يَدْعُهم إليه . وذكروا له حاجتهم فلم يَقْضِها ؛ فقال ابن عبدل :

جئنا وبين يديه التمرُ فى طَبَقٍ ... فما دعانا أبو حفصٍ ولا كادا

علا على جسمه ثوبان مِن دَنَسٍ ... لؤمٌ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا

ابن عبدل يقتضى ديون امرأة موسرة من الكوفة

أخبرنى علىّ بن سليمان الأَخْفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأَحْول عن أبى نصر عن الأصمعىّ قال :

كانت امرأة موسِرة بالكوفة ، وكانت لها على الناس ديون بالسَّواد ، فاستعانت[2] بابن عبدل فى دَيْنها ، وقالت : إنى امرأة ليس لى زوج ، وجعلت تُعَرِّض بأنها تُزَوِّجه نفسها ؛ فقام ابن عبدل فى دَيْنها حتى اقتضاه ، فلما طالبها بالوفاء كتبتْ إليه :

سيُخطِئك الذى حاولتَ منّى ... فقَطِّعْ حبلَ وصلك من حبالى

كما أخطاك معروفُ ابن بِشر ... وكنتَ تَعُدّ ذلك رأسَ مالِ

قال : وكان ابنُ عبدل أتى ابنَ بشر بالكوفة فسأله ، فقال له : أخمسمائة أَحَبُّ إليك الآن عاجلة أم ألف فى قابل ؟ قال : ألف فى قابل . فلما أتاه قال له : ألف أحبّ إليك أم ألفان فى قابل ؟ قال : ألفان ؛ فلم يزل ذلك دأْبَه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً !

ابن عبدل وعبد الملك بن بشر بن مروان

أخبرنى عمّى قال حدثنا الكُرَانىّ قال حدثنا العُمَرىّ عن لَقِيط قال :

دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشر[3] ، فقال له : ما أحدثتَ بعدى ؟

(1) فى رس : «عمرو» . (2) فى ط : «فاستغاثت» .

(3) كذا فى ا ، م ، ط . وهذا يوافق ما تقدم فى هذه الصفحة من أن ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة ، والمراد عبد الملك بن بشر بن مروان ، وقد كان مسلمة بن عبد الملك وجهه أميرا على البصرة (انظر تاريخ ابن جرير الطبرى فى حوادث سنة ١٠٢) وفى باقى الأصول : «عبد الملك بن مروان» .

قال : خطبتُ امرأة من قومى فَرَدَّت علىّ جوابَ رسالتى بِبَيْتَىْ شعرٍ ؛ قال : وما هما ؟ . قال : قالت :

سيخطئك الذى حاولتَ منى فقَطِّعْ حبلَ وصلك من حبالى
كما أخطاكَ معروفُ ابن بشر وكنتَ تعدّ ذلك رأسَ مالِ

فَضحِك عبدُ الملك ، ثم قال : لجاد(١) ما أَذْكَرْتَ بنفسك ! وأمر له بألفى درهم .

ابن عبدل وبشر ابن مروان

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ وحبيب بن نصر المُهَلَّبىّ قالا حدثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدثنا محمد بن معاوية الأسدىّ قال حدّثنى مِنْجاب بن الحارث قال حدّثنى عبد الملك ابن عفّان قال :

كان الحكم بن عبدل الأسدىّ ثم الغاضرىّ صديقاً لبشر بن مروان ، فرأى منه جَفاء لشُغلٍ عَرَض له ، فغبرَ(٢) عنه شهرا ، ثم التقَيا فقال : يابن عبدل ، مالك تركتنا وقد كنت لنا زَوّارا ؟ فقال ابنُ عبدل :

كنتُ أُثنى عليك خيرا فلمّا أَضْمَر القلبُ من نَوالك ياسا
كنت ذا مَنْصِب قَنِيتُ حَيائى لم أَقُل غيرَ أن هجرتُك باسا
لم أُطِق ماأردتَ بى يابن مروا ن سَتَلقى إذا أردتَ أُناسا
يَقبَلون الخسيس منك ويُثْنو ن ثناءً مُدَخْمَسا(٣) دِخْماسا

(١) كذا فى ط ، د ، ح . وفى سائر النسخ : « لحاك الله ما أذكرت بنفسك » .

(٢) كذا فى ا ، م ، ط . وغبر عنه : ذهب عنه ولم يره . وفى باقى الأصول : «فغيب عنه» .

(٣) يقال : ثناء مدخمس ودخماس أى ليست له حقيقة ، وهو الذى لايبين ولا يجدّ فيه . وقد ذكر صاحب اللسان فى مادة «دخمس» هذا المعنى واستشهد له بهذا البيت .

فقال له : لا نَسُومك الخسيسَ ولا نريد منك ثناء مدخَسا ، ووصَله وحَمَلَه وكساه .

ابن عبدل وقد طلبه عمر بن هبيرة للغزو

١٥٥ / ٢ أخبرنى الأسدىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العنزىّ قال وحدثنى محمد بن معاوية قال حدثنى مِنْجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفّان قال :

أراد عمرُ بن هُبَيْرة أن يُغزِىَ(١) الحكَم بن عَبْدَل الغاضِرىّ ، فاعتلّ بالزَّمانة(٢) فحُمِل وأُلقِىَ بين يديه فجرّده فإذا هو أعرج مفلوج ، فوضَع عنه الغزو وضمّه إليه وشَخَص به معه إلى واسط ؛ فقال الحكم بن عبدل :

لَعَمْرى لقد جرّدتنى فوجدتنى ... كثير العيوب سَيِّئَ المُتجرَّدِ(٣)
فاعفيْتَنى لمّا رأيتَ زَمانتى ... ووُفِّقتَ منّى للقضاء المُسَدَّدِ

فلما صار عمر إلى واسط شكا إليه الحكمُ بن عبدل الضَّبْعَة(٤) ، فوهَب له جاريةً من جَواريه ، فواثبَها ليلةَ صارتْ إليه فنكَحها تسعاً أو عشرًا طَلَقًا(٥) ، فلما أصبحتْ قالت له : جُعِلتُ فِداكَ من أىّ الناس أنت ! قال : امروٌّ من أهل الشام ؛ قالت : بهذا العمل نُصِرتُم .

أعفاه الحجاج من الغزو

أخبرنى بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيْرفىّ ، قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثنا أحمد بن بُكَيْر الأسدىّ عن محمد بن أنَس السَّلاَمىّ(٦) عن محمد بن سهل راوِيَة الكُمَيْت فقال فيه :

(١) يقال : أغزاه إغزاء : بعثه إلى العدو غازيا .
(٢) الزمانة : العاهة .
(٣) سيئ المتجرد : يريد به أنه سيئ الجسم . وفى صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان أنور المتجرد ، أى ما جرد عنه الثياب من جسده وكشف .
(٤) الضبعة : شدة شهوة الفحل ، وهو المناسب للمقام . وفى ب ، س ، حـ : «الضيعة» بالياء . وفى ا ، د ، م ، ط : «الضيقة» .
(٥) طلقا : شوطا واحدا .
(٦) فى رس : «أسد السلامانى» .

ضرب الحجاج البَعْثَ(١) على المحتلمين ومن أنْبتَ(٢) من الصِّبيان، فكانت المرأة تجىء إلى ابنها وقد جُرّد فتَضمّه إليها(٣) وتقول له : «بأبى» جَزَعًا عليه ، فسُمِّى ذلك الجيشُ «جيش بأبى» ، وأُحْضِر آبنُ عبدل لُجرّد فوجد أعرج فأُعْفِىَ ؛ فقال فى ذلك :

* لعمرى لقد جَرّدتنى فوجدتنى *

البيتين ، وزاد معهما ثالثًا وهو :

ولستُ بذى شَيْخيْن يَلْتزمانه ولكن يَتِيمٌ ساقطُ الرِّجل واليدِ

تزوج همدانية ولما كرهها قال فيها شعرا

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا محمد بن معاوية عن مِنْجاب عن عبد الملك بن عفّان قال :

تزوّجَ آبنُ عبدل امرأةً من هَمْدان(٤) فقالوا له : على كم تزوّجتَ ؟ فقال :

تزوّجتُ هَمْدانيّةً ذات بهجةٍ على نَمَط(٥) عاديّةٍ ووسائدِ
لعمرى لقد غاليتُ بالمَهْر إنه كذاك يُغالَى بالنساء المَوَاجِدِ(٦)

قال : فلما دخَل بها كرِهها فقال :

أعاذِلتىّ من لَومٍ دعانى أَقلاّ اللومَ إن لم تَعذِرانى
فإنى دُلِلتُ على عجوز مُبَرقَعة مخضَّبة البَنانِ

(١) البعث : بعث الجند إلى الغزو .
(٢) أنبت الغلام : راهق وبلغ مبلغ الرجال .
(٣) فى رس ، مع : «إلى صدرها» .
(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، س : «همذان» بالذال المعجمة ، وقوله فى البيت الآتى : «تزوجت همدانية ذات بهجة» يرجح ما أثبتناه فى الأصل لأن همدان الساكنة الميم إنما هى بدال مهملة وهى اسم لقبيلة باليمن .
(٥) كذا فى جميع الأصول ، والنمط : ضرب من البسط وجمعه أنماط ، ولم يظهر لوصف النمط بقوله: «عادية» وجه ؛ إذ لم نجده فيما يؤنث من الأسماء . والعادية : نسبة إلى عاد ، وهو كناية عن القدم ، يقال : بئر عادية أى قديمة . فلعله محرف عن «بسط» .
(٦) المواجد : جمع ماجدة ، وهى المرأة السمحة الحسنة الخلق .

تَغَضَّن جِلدُها وآخضرّ إلّا … إذا ما ضُرِّجَتْ بالزعفرانِ
فلما أن دخلتُ وحادثتْنى … أَظلّتْنى بيـومٍ أَرْوَنانِ(۱)
تُحدّثنى عن الأزمان حتى … سمعتُ نداءَ حُرٍّ(۲) بالأذانِ
فقالت : قد نـكحتُ اثنين شتَّى … فلما صاحَبانى(۳) طَلّقانى
وأربعةً نكحتُهمُ فماتوا … فليت عَرِيف حَىٍّ(٤) قد نعانى
وقالت : ماتِلادُكَ ؟ قلتُ : مالى … حمار ظالع ومَزَادتانِ
وبُورِىٌّ(٥) وأربعةٌ(٦) زُيُوفٌ … وثَوْبَا مُفْلِسٍ متخرّقانِ
وقطعةُ جُلّةٍ(۷) لا تَمْرَ فيها … ودَنّا عومةٍ(۸) مُتَقَابلانِ
قالت : قد رَضِيتُ فسَمِّ ألفا … ليسمع ما تقولُ الشّاهدانِ

١٥٦ / ٢

وما لكِ عندنا ألفٌ عَتِيد … ولا تِسْعٌ تُعَدّ ولا ثمانِ
ولا سَبْعٌ ولا سِتٌّ ولـكن … لـكم عندى الطويلُ من الهوانِ

كان منقطعا إلى بشر بن مروان فلما مات رثاه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنى عمِّى عن أبيه عن ابن الكلْبىّ قال : كان الحـكم بنُ عَبْدل الأسدى منقطعا إلى بِشْر بن مَرْوَان ، وكان يَأْنَس به ويُحبّه

(۱) أرونان : صعب .
(۲) فى ا ، م : «آخر» .
(۳) كذا فى د وهامش ط مكتوبا بجانبها كلمة «صح» . وفى ا ، م ، ط : « صادقانى » . وفى باقى الأصول : «صابحانى» . ولم نجد فى اللسان ولا تاج العروس صيغة فاعل من هذه المادة .
(٤) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «عزيف جنّ » .
(٥) البورى : الحصير المنسوج من القصب ، فارسى معرب .
(٦) أى أربعة دراهم زائفة .
(۷) الجلّة : قفة كبيرة للتمر .
(۸) كذا فى جميع النسخ ولم تفهم المراد منها .

ويَسْتطيبه وأخرجه معه إلى البصرة لما وَلِيَها ، فلما مات بِشر جَزِع عليه الحكمُ وقال يَرْثيه :

أصبحتُ جَمَّ بَلابِلِ(1) الصَّدْرِ ... مُتَعجِّبًا لتصرُّفِ الدّهرِ
ما زلتُ أطلبُ فى البلاد فتًى ... ليكون لى ذُخْرًا من الذُّخْرِ
ويكون يُسعدنى وأُسعِده ... فى كلّ نائبةٍ من الأمرِ
حتى إذا ظَفِرتْ يداى به ... جاء القَضاء بحَيْنِه يَجْرِى
إنّى لفِى هَمٍّ بيا كرُنى ... منه وهمٍّ طارقٍ يَسْرِى
فلأَصْبِرَنَّ وما(2) رأيتُ دوًى(3) ... للهمّ غيرَ(4) عزيمةِ الصبرِ
واللهِ ما استعظمتُ(5) فُرْقَتَه ... حتى أحاط بفضله خُبْرِى

خرج مع عمال بنى أمية إلى الشام وكان يسمر عند عبد الملك فأنشده ليلة شعرا

أخبرنى ابن دُرَيْد قال حدّثنى عمّى عن أبيه عن ابن الكلبىّ قال :

لما ظَفِرَ ابن الزُّبَيْر بالعراق وأخرج عنها عُمّال بنى أميّةَ خرج ابنُ عَبْدل معهم إلى الشأم ، وكان ممّن يدخُل إلى عبد الملك ويَسْمُر عنده ، فقال لعبد الملك ليلةً :

ياليتَ شِعْرِى وليتٌ رُبَّمَا نفعتْ ... هل أُبصِرَنَّ بنى العَوّام قد شُمِلُوا
بالذلّ والأَسْرِ والتّشريد إنهمُ ... على البَرِيّة حَتْفٌ حيثما نَزَلُوا !
أم هل أراكَ بأكنافِ العراق وقد ... ذلّت لعزِّك أقوامٌ(6) وقد نَكَلُوا !

(1) البلابل : جمع بلبال وهو شدة الهمّ والوسواس فى الصدر .
(2) فى د ، ا ، م ، خد : «فما» .
(3) الدوى بالياء مقصورا : الدواء ، وقد أنشد عليه صاحب اللسان فى مادة «دوا» :
* إلا المقيم على الدوى المتأفن *
(4) فى هامش ط أشير بإزاء «غير عزيمة الصبر» إلى رواية أخرى وهى : «مثل عزيمة الصبر» . وكلتا الروايتين مستقيمة .
(5) فى ط ، ا ، م : «ما استطعمت» ، وقد أشير فى هامش ط إلى الرواية المثبتة هنا أيضا .
(6) فى حـ : «أعداء» .

فقال عبد الملك — ويُرْوَى أنه قائل هذا الشعر — :

إن يُمكنِ اللهُ من قَيْس ومن جَدَسٍ(١) ... ومن جُذَام ويُقْتَلْ صاحبُ الحَرَمِ
نَضْرِبْ جَماجِمَ أقوامٍ على حَنَقٍ ... ضَرْبًا يُنَكِّلُ عنّا سائرَ(٢) الأممِ

يزيد بن عمر بن هبيرة وبنت ابن عبدل

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى هارون(٣) بن علىّ بن يحيى المنجّم عن أبيه قال حدّثنى محمد بن عمر الجُرْجانىّ عن رجل من بنى أسَد قال :

خرج يَزِيدُ بن عُمَرَ بن هُبَيرة يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بنى غاضِرَةَ ، وقد أُقِيمت الصلاةُ ، فنزل يُصَلِّى ، واجتمع الناسُ لمكانه فى الطريق وأشْرفَ النساءُ من السطوح ، فلما قضى صلاتَه قال : لمن هذا المسجدُ ؟ قالوا : لبنى غاضرة ، فتمثل قولَ الشاعر :

ما إن تَرَكْنَ من الغواضر مُعْصِرًا ... إلّا فَصَمْنَ(٤) بساقها خَلْخَالاَ

فقالتْ امرأةٌ من المُشْرِفات :

ولقد عَطَفْنَ على فَزَارةَ عَطْفَةً ... كَرَّ المَنِيحِ(٥) وجُلْنَ ثَمَّ مَجالا

فقال يَزيد : مَنْ هذه ؟ فقالوا : بنت الحَكَم بن عَبْدل ؛ فقال : هل تلد الحيّةُ إلّا حَيّةً ! وقام خَجِلا .

(١) كذا فى ب ، س ، حـ . وجدس : بطن من كندة . وفى ا ، م ، خد : «جرش» بالجيم ، وجرش (بضم ففتح) : بطن من حمير . وفى د ، ط : «حرش» بالحاء المهملة ، وحرش : اسم لعدة قبائل. ولا نستطيع ترجيح إحدى هذه الروايات .

(٢) كذا فى د ، ويشير إلى صحته ما بهامش ط . وفى باقى الأصول : «غابر الأمم» . والغابر يطلق على الماضى والباقى ، فهو من الأضداد .

(٣) كذا فى ا ، م ، حـ . وفى باقى النسخ : «هارون بن يحيى المنجم» .

(٤) كذا فى د ، ط . وفى سائر النسخ : «قصمن» بالقاف ، والفرق بين الفصم والقصم أن الفصم كسر من غير بينونة ، والقصم هو أن ينكسر الشىء فيبين .

(٥) المنيح : اسم فرس قيس بن مسعود الشيبانى .

ابن عبدل وصاحب العسس

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن الهَيْثَم قال حدّثنا العُمَرِىّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال :

كان ابن عَبْدل الأسَدِىّ أعرجَ أحدبَ، وكان من أطيب الناس وأملحِهم ، فلَقِيَه صاحبُ العَسَس ليلةً وهو سَكْرانُ محمولٌ فى مِحَفَّةٍ[1] ؛ فقال له : مَن أنت ؟ فقال له : يا بَغِيض ، أنت أعرفُ بى من أن تسأَلَنِى مَنْ أنا ، فاذهبْ إلى شُغْلك ، فإنّك تعلمُ أن اللصوصَ لا يَخْرُجون بالليل للسَّرِقَةِ محمولين فى مِحَفَّة ؛ فَضَحِك الرجُل وانصرف عنــه .

ابن عبدل يعرض بابن هبيرة فى شعر حتى أغضبه

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدثنا العبّاس[2] بن مَيْمون طائع قال حدثنى أبو عَدنان عن الهَيْثَم بن عَدِىّ عن ابن عيّاش قال :

رأيتُ ابنَ عَبْدل الأسدىّ وقد دخل على ابن هُبَيْرة ، فقال له : أنشدنى شيئاً ، فقال : أنشدك مَقُولةً أيها الأمير ؟ قال : هات ؛ فأنشده هذه الأبيات — وهى قديمةٌ وقد تمثّل بها ابن الأَشْعث حين خرجَ ، ويُرْوَى أنها لأَعْشَى هَمْدان — :

نجمّ[3] ولا نُعطَى وتُعْطَى جُيُوشُهم وقد مَلَئوا مِن مالنا ذا الأكَارِعِ
وقد كَلَّفُونا عُدَّةً ورواتِمًا فقــد وَأَبِى رُعْنَـا كُمُ بالرَّوائعِ
ونحنُ جَلَبْنا الخيْلَ من أَلْفِ فَرْسَخٍ إليكم بمُحْمَرٍّ من الموت نَاقِعِ

قال : فغضب ابنُ هُبَيرة من تعريضه به ، وقال له : والله لولا أنّى أمّنتك واستنشدتُك لضَربتُ عُنُقَك .

(١) المحفة : مركب من مراكب النساء كالهودج .
(٢) فى حـ ، مع : «العباس بن محمد بن طائع » .
(٣) فى ط ، خد : « نجمر لا نعطى الخ » .

كانت له جارية سوداء فولدت ولدا فقال فيه شعرا

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان أبو عبد الله[1] قال حدّثنا القاسم بن عبد الرحمن قال :

كانت للحَكَم بن عَبْدل جاريةٌ سوداء ، وقد كان يَميل إليها فولَدَتْ له ابناً أسودَ ، فكان من أعْرَم[2] الصِّبيان ، فقال فيه :

يارُبَّ خالٍ لكَ مُسْوَدّ القَفَا لا يَشْتَكِى من رِجْله مَسَّ الحَفا
كأنّ عَيْنَيْه إذا تَشَوَّفا عَيْنَا غُرابٍ فوقَ نِيقٍ[3] أشْرَفا

هجا عمر بن يزيد الأسدى لبخله

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان أبو عبد الله قال حدّثنا عُبَيد الله[4] بن محمد قال حدّثنا المدائنىّ قال :

كان عُمَرُ بن يزيد الأسدىّ بخيلا على الطعام ، فدخل عليه الحَكَمُ بن عبدل الشاعر وهو يأكل بِطِّيخا ، فسلّم فلم يَرُدّ عليه السلامَ ولم يَدْعُه إلى الطعام ؛ فقال ابنُ عَبْدل يهجُوه :

فى عُمَرَ بن يزيد خَلَّتا دَنَسٍ بُخْلٌ وجُبْنٌ ولولا أيْرُه سادا
جِئْناه يأكُل بِطِّيخاً على طَبَقٍ فما دعانا أبو حفصٍ ولا كادا

قال : وكان عُمر على شُرْطة الحَجاج وكان بخيلا جِدّا ، فأصابه قُولَنْج[5] فَحقَنه الطبيبُ بدُهن كثير ، فانحلّ مافى بطنه فى الطسْت ، فقال للغُلام : ما تصنع به ؟ قال : أصُبُّه ؛ قال : لا ! ولكن مَيِّز منه الدُّهنَ واستصبحْ به .

(١) كذا فى ا ، م . وفى سائر النسخ : «أبو بكر» وهو خطأ ؛ إذ أن كنيته فى كتب التراجم أبو عبد الله ، وسيأتى فى هذه الصفحة «أبو عبد الله» باتفاق النسخ .

(٢) من أعرم الصبيان : من أخبثهم يقال : عرم الصبى (بالفتح والضم والكسر) إذا خبث .

(٣) النيق بالكسر : أرفع موضع فى الجبل .

(٤) فى ح : «عبد الله» . وفى مع : «محمد بن عبد الله بن محمد» .

(٥) القولنج : مرض معوىّ مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .

ابن عبدل ومحمد ابن عمير كاتب عبد الملك بن بشر

أخبرنى عيسى بن الحُسين الوَرّاق قال حدّثنا أبو هِفّان قال :

كان لعبد الملك بن بِشْر بن مَرْوان كاتبٌ يقال له محمد بن عُمَير وكان كلّما مدَحَه ابنُ عَبْدل بشىء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها ، فدخل يوماً إلى عبد الملك وكاتبُه هذا يُسارُّه ، فوقف وأنشأ يقول :

ألقيتَ نفسَك فى عَرُوض⁽¹⁾ مَشَقَّةٍ وحَصادُ أنفك بالمَناجِل أهْونُ
فبحقّ أُمّك وهى غيرُ حقيقة باللّين⁽²⁾ واللُّطف الذى لا يُخْزَن⁽³⁾
لاتُدْنِ فاكَ إلى الأمير ونحِّه حتى يُداوِىَ نَتْنَه لك أهونُ⁽⁴⁾
إن كان للظَّربان⁽⁵⁾ جُحْرٌ مُنْتِنٌ فلَجُحْرُ أنفِكَ يا محمدُ أنتنُ

خطب امرأة فأبت فقال فيها شعرا يعيرها

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيرفىّ قال حدّثنا العَنَزِىّ قال حدّثنى أحمد بن بُكَيْر الأسدىّ عن محمد بن أَنَس السَّلامىّ عن محمد بن سَهْل راويةِ الكُمَيْت قال :

خطب ابنُ عبدل امرأةً من هَمْدان⁽⁶⁾ يقال لها : أمُّ رِيَاح⁽⁷⁾ فلم تتزوّجْه ، فقال : أما والله لأفضحنَّكِ ولأُعيِّرَنَّكِ⁽⁸⁾ فقال :

فلا خيرَ فى الفِتْيان بعدَ ابنِ عَبْدلٍ ولا فى الزَّوانى بعد أمِّ رِيَاحِ
فأَيْرِى بحمدِ الله ماضٍ مُجرَّبٌ وأمّ رِيَاحٍ عُرْضَةٌ لِنكاحِ

---

(1) العروض : الطريق فى عرض الجبل فى مضيق .
(2) فى حـ ، مع : «بالبر» .
(3) كذا فى ط . وفى أغلب الأصول : «لا يحزن» .
(4) كذا فى ا ، م ، س . ولم نجد له فى كتب اللغة التى بأيدينا معنى سوى أنه اسم رجل . وفى سائر النسخ : «أهرن» ولم نعثر له على معنى .
(5) الظربان : دويبة كالهرة كثيرة الفسو منتنة .
(6) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، س ، حـ : «همذان» بالذال المعجمة .
(7) كذا فى حـ بالياء المثناة . وفى سائر النسخ : «رباح» بالباء الموحدة (انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٣٥ من الجزء الأول) .
(8) فى ب ، د ، حـ ، ط : «ولأعرنك» . وعره : ساءه وسبه .

ولد له ولد سماه بشرا تيمنا ببشر ابن مروان

قال : فتحاماها الناسُ فما تزوّجتْ حتّى أسنّتْ . وبهذا الإسناد عن محمد ابن سهل ، قال : وُلِد للحكم بن عَبْدَلَ آبنٌ فسمّاه بِشْرا ، ودخل على بِشْر بن مَرْوَان فأنشده :

سَمَّيْتُ بِشْرًا بِبِشر النَّدَى ... فلا تَفْضَحَنِّي بتَصْداقِها
إذا ما قُرَيشٌ قُرَيشُ البطا ... حِ عند تَجَمُّعِ آفاقِها
تَسامَتْ قُرُومُهُمُ للنَّدَى ... تُبارِي الرِّياحَ بأَوْرَاقِها(١)
فمالُكَ أنفعُ أموالِها ... وخُلْقُكَ أكرمُ أخلاقِها

اقترض مالا فدفعه عنه عبد الملك ابن بشر

فأمر له بألفَيْ دِرهم ، وقال : آستَعِنْ بهذه على أمرك . وبإسناده عن محمد بن سهل قال : آقترض آبن عَبْدَل مالا من التُّجّار وحلَف لهم بالطلاق ثلاثا أنْ يَقضِيَهم المالَ عند طلوع الهلال ، فلمّا بَقِي من الشهر يومان قال :

قد بات هَمِّي قِرْنًا أُكابِدُهُ ... كأنّما مَضْجَعِي على حَجَرِ
من رَهْبَةٍ أنْ يُرَى هلالُ غَدٍ ... فإنْ رأَوْه فحَقٌّ لي حَذَرِي
مِن(٢) فقْدِ بيضاء غادَةٍ كَمُلَتْ ... كأنها صورةٌ من الصُّوَرِ
أصبحتُ مِن أهلِيَ الغداةَ ومِن ... مالي على مثل ليلةِ الصَّدَرِ(٣)

فبلغ خبرُه عبدَ الملك بن بِشر فأعطاهم مالهم عليه وأضعَفَه له ؛ فقال فيه :

لمّا أتاه الذي أُصِبتُ به ... وأَنْشَدُوه إيّاه في شِعْرِي
جاد بِضِعْفَيْ ما حَلَّ من غُرمِي ... عفواً فزالتْ حرارةُ الصَّدْرِ
لأشكرنَّ الذي مَنَنْتَ به ... ما دُمْتُ حيًّا وطال لي عُمْرِي

(١) أوراق جمع ورق وهو المال من إبل ودراهم وغيرها .
(٢) كذا في حـ . وفي باقي الأصول : «وفقد» وهو تحريف .
(٣) يقال : تركته على مثل ليلة الصدر ، أي مضطربا كالناس حين يصدرون عن حجهم .

فضله الحجاج فى الجائزة على الشعراء

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد : أُجتمع الشعراء إلى الحَجّاج وفيهم ابن عَبْدَل . فقالوا للحجاج : إنما شعرُ ابن عَبْدَل كلُّه هجاء وشعرٌ سخيف ؛ فقال له : قد سمعتَ قولَهم فاستمع منّى ؛ قال هات ؛ فأنشده قوله :

وإنّى لَأَسْتَغْنِى فما أَبْطَرُ(١) الغِنَى وأعرِضُ مَيْسُورِى لمَنْ يَبْتَغِى قَرْضِى
وأُعْسِرُ أحيَانًا فتَشْتَدُّ عُسْرَتى فأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغَنى ومعى عِرْضِى

حتى أُنتهى إلى قوله :

ولستُ بذِى وَجْهَيْن فيمن عَرَفْتَه ولا البُخْلُ فاعلَمْ مِن سمائى ولا أرْضِى

فقال له الحجاج : أحسنتَ ! وفضّله فى الجائزة عليهم بألفى(٢) دِرْهم .

أحد الأصوات المائة المختارة

صوت

من المـائة المختارة

أَجَدَّ بعَمْرَةَ غُنْيَانُها فتهجُرَ أم شأنُنا شأنُها
فإنْ تُمسِ شَطَّتْ بها دارُها وباحَ لكَ اليومَ هِجْرانُها
فما رَوْضَةٌ من رِياض القَطا(٣) كأنَّ المَصابيحَ حَوْذَانُها(٤)
بأحسنَ منها ولا مُزْنَةٌ دَلُوحٌ تَكَشَّفَ إدْجَانُها

(١) البطر : الطغيان عند النعمة . ونصب الغنى على إسقاط الخافض ، وبذلك أوّل قوله تعالى : ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ ، قال صاحب اللسان : «وتأويله : بطرت فى معيشتها ، فحذف وأوصل. قال أبو إسحاق : نصب معيشتها بإسقاط فى وعمل الفعل ، وتأويله : بطرت فى معيشتها» اهـ .

(٢) فى ط : «بألف» .

(٣) ورد فى أشعار العرب «رياض القطا» و «روض القطا» وقد ساق ياقوت فى معجم البلدان عند اسم «روضة القطا» نبذة من هذه الأشعار ، ثم نقل عن أبى جعفر محمد بن إدريس ما يدل على أنه من أرض اليمامة .

(٤) الحوذان بالفتح : نبات سهلى حلو طيب الطعم يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء فى أصلها صفرة وورقته مدورة .

وعَمْرَةُ من سَرَوات النّسا ء تَنْفَحُ بالمسك أَرْدانُها

أجدّ : استمرّ . وغُنْيانُها : أُستغناؤُها . أم شأننا شانها : يقول أمْ هى على ماتحِبّ. وشَطّتْ : بَعُدَت ، قال ابن الأعرابىّ : يقال : شَطّتْ وشَطَنَت وشَسَعَت وتشسّعت وبعُدَت ونأت وتزحزحت وشَطَرَت ؛ قال الشاعر :

* لا تَتْرُكَنّى فيهمُ شَطيرا[1] *

ومنه سُمِّى الشاطر[2] . وباح : ظَهَرَ ؛ ومنه باحَة الدار وأنشد :

* أتَكْتُمُ حُبَّ سَلْمَى[3] أم تَبُوحَ *

والرّوْضَة : موضع فيه نَبْتٌ وماء مستدير ، وكذلك الحديقة . وقوله :

* كأنّ المصابيحَ حَوْذانُها *

أراد كأنّ حَوْذانها المصابيحُ فقلَب ، والعرب تفعل ذلك ؛ قال الأعشى :

* ... كأنّ الجَمْرَ مثلُ تُرابِها *

أراد كأنّ ترابَها مثلُ الجمر . والمُزْنَةُ : السحابةُ . والدّلُوحُ : الثقيلةُ ، يقال : مرّ يَدْلَح بحمله إذا مرّ به مُثْقَلا . والدّجْن : إلباسُ الغيم السحابَ[4] برَشٍّ ونَدًى ، يقال : أدجنت السماء ؛ [وقوله : تَكَشَّفَ إدْجانُها[5]] إذا انكشف السوادُ عنها ،

---

(١) شطيرا : غريبا .

(٢) الشاطر : هو من أعيا أهله خبثا . قال صاحب اللسان : وأراه مولدا ، ووجه أخذه من شطر بمعنى بعد أنه يشطر عن أهله أى ينزح عنهم ويتركهم مراغما أو مخالفا .

(٣) فى حـ : «ليلى» .

(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «إلباس الغيم برش وندى» بدون كلمة السحاب . وفى اللسان فى مادة(دجن) . «والدجن : إلباس الغيم الأرض ، وقيل : إلباسه أقطار السماء» .

(٥) زيادة فى د ، ط ، وهى تكملة يتطلبها السياق .

وذلك أحسن لها ، وأراد مُزْنة بيضاء . والأرْدان : ما يلى الذراعَيْن جميعا والإبطَيْن من الكُمَّيْن .

الشعر لقَيْس بن الخَطِيم ، والغِناء لطُوَيْس خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مَجْرَى الوُسْطَى .

إلى هنا انتهى الجزء الثانى من كتاب الأغانى

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث منه ؛ وأوّله :

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

فهارس

الجزء الثانى من كتاب الأغانى

تراجم هذا الجزء

صفحة

فهرس الموضوعات

صفحة

اخبار مجنون بني عامر ونسبه

صفحة

رجع الخبر الى سـياقه أخبار المجنون

صفحة

صوت من المائة المختارة
خبر الحطيئة ونسبه
والسبب الذى من أجله هجا الزبرقان بن بدر

صفحة

صفحة

نسبة هذا الغناء

وفاة ابن عائشة

نسبة هذا الصوت الذى غناه ابن عائشة

ومما فى المائة الصوت المختارة من أغانى ابن عائشة

اخبار ابن أرطاة ونسبه

أخبار ابن ميادة ونسبه

صفحة

أخبار حنين الحيرى ونسبه

صـفحة

نسبة ما فى هذا الخبر الأول من الغنـاء

صـــوت من المائة المختـــارة

ذكر الغريض وأخبـــاره

نســـبة هذا الصـــوت

صـفحة

نســـبة هذا الصوت

نســـبة هذا الصوت

رجع الحديث الى أخبـــار الغريض

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

نســـبة هذا الصوت

نســـبة هذا الصوت

صـفحة

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صوت للغريض ولم تذكر طريقته

نسبة هذه الاصوات التى ذكرت فى هذا الخبر

نســـبة هذا الصوت

نســـبة هذا الصوت

نســـبة هذه الأصوات

صوت من المائة المختارة فى رواية جحظة

أخبـار الحكم بن عبدل ونســـبه

صفحة

صوت من المائة المختارة

فهرس اسماء الشعراء

فهرس رجال السند

(خ)

(د)

فهرس المغنين

فهرس رواة الألحان

فهرس الأعلام

(ب)

(خ)

(س)

(غ)

(هـ)

(و)

فهرس الأمم والقبائل والجماعات

(ت)

فهرس أسماء الأماكن

(خ)

(د)

(ذ)

(ن)

(هـ)

فهرس القوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
كلانا	الترابُ	وافر	٧:٣،٦٣:٧
شركتك	العذابُ	»	٦٣ : ٢١
سما	العزيبُ	»	١١٥ : ٩
أرقت	شيبِ	»	١٠٨ : ٨،
			١٤٨ : ١٥
سعى	والصليبِ	»	١٠٨ : ١١
ألا لله	رهبوا	مجزوء الوافر	٢٠٧ : ٨،
			٢٠٨ : ٤
على عبد	أكتئبُ	»	٢٠٨ : ٢٠
إن المنازل	بجوابي	كامل	٢٣٣ : ١٠،
			٢٣٤ : ٥
مثل الحليف	الكربِ	»	٢٤٧ : ٣
هلا	الآنبِ	»	٣٦٨ : ١
راع	أطرابي	»	٣٧٠ : ٢،
			٣٧١ : ٦
ولي ابن	عائبْ	مجزوء الكامل	١٨٢ : ٥
طاف	زينبَا	»	٢١٢ : ١٢
طرق	زينبَا	»	٢١٦ : ١٦
يابن عقيل	الحليبَا	رجز	٢٩٨ : ٣
أفلح	الأريبُ	»	١٦٧ : ١
أنا ابن	مركبي	»	٢٧٣ : ٦
أنا شماطيط	أنتبهْ	»	٢٧٠ : ٥
ثم أنزّ	ولست بهْ	»	٢٧٠ : ٢٠
وهي	لعبْ	رمل	٢١٢ : ١٠
عهدتني	أقبْ	»	٢١٥ : ٢
لم أر	عواقبُها	منسرح	١٤٥ : ٣
أسعديني	التسكابِ	خفيف	٣٥٥ : ١٦
هاج	الأطرابِ	»	٣٧١ : ٨
إذا ما	سلهبِ	متقارب	٢٢١ : ٩،
			٢٢٦ : ١٦

(ت)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
فإن من	انفلاتُها	طويل	٧٢ : ٢٢
فقلت	ذلتِ	طويل	٥٦ : ٥
مهاريس	الحفراتِ	»	١٦٦ : ٣
ألا	فتهاونتُ	هزج	١٥١ : ١٤
ولكن	فتعاقلتُ	»	١٥٢ : ١
هل تعرف	الأفعاقِ	رجز	٣٢١ : ٢١

(ج)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
ألم تر	تزوّجِ	طويل	٣٣٥ : ٧
أقول	شميرج	رجز	٣٣٨ : ١١
عوجي	تحرّجي	سريع	٣٧٨ : ١٨،
			٣٧٩ : ٧
في الحج	تحججِ	»	٣٨٠ : ٩،
			٣٨١ : ٤

(ح)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
ألا قبح	صالحُ	طويل	١٧٢ : ٤
فجرنا	يسبحُ	»	٣١٩ : ٢
ألا أبلغ	يمزحُ	»	٣١٩ : ٥
وأدنيتني	الأباطحِ	»	٨٧:٢،٨٩:٢
لما	فاضحي	»	١٧١ : ١٢
كأنك	رباحِ	»	٣١٦ : ١٠
فإن كان	قباحِ	»	٣١٦ : ١٢
فلا خير	رياحِ	»	٤٣٤ : ١٣
ألا هل	مطلحا	مجزوء الوافر	٢١٢ : ١،
			٢١٥ : ١١،
			٢٥٩ : ١٤
ألا من	أراحا	وافر	١٥٠ : ٣
أتدري	البطاحا	»	١٩٥ : ١٢
كأن القلب	يراحُ	»	٤٦:٨،٦٠:٥،
			٨٦:٧،٨٨:١٦
ألايا	المتاحُ	»	٣٢٣ : ١
وكواعب	كالمزاحِ	كامل	٣٣٢ : ١٢
قالت	المازحِ	مجزوء الكامل	٢٢١:٩و١٤

(ن)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
فقلت	زمانِ	طويل	٥١ : ١٣
وقلت	أمانِ	»	٥١ : ١٦
كنا	تصيرونا	بسيط	١٣٢ : ٧
قل للمنازل	تبيانا	»	٢٠٧ : ١٢،
			٢٠٩ : ٣
ولا يريمون	صوفانا	»	٢١٠ : ١٠
يا عين	عفانا	»	٢٥٦ : ٩
دع الثلاثين	الثلاثينا	»	٤٢٦ : ١٦
يا للرجال	يبليني	»	٢٦ : ١٠
يا صاحبى	حينِ	»	٢٧ : ١٦، ٤٠ : ٢
قالت	بالمجانينِ	»	٣٤ : ١٤
يا للرجال	يعنيني	»	٤٠ : ١٤
لاه ابن عمك	فتخزوني	»	١٨٢ : ١٨
لاتعذليني	بهتانِ	»	٢٦١ : ١،
			٢٦٥ : ٥
إنا	بوستانِ	»	٢٦٤ : ٥
فلو	مرينا	وافر	١٠٣ : ٢٤
تنحى	العالمينا	»	١٦٢ : ٥
جزاك	سخونا	»	٣٢٩ : ١٣
إذا لبست	لقينا	»	٣٦٢ : ٢٦
ألا	فتكحلينا	»	٣٧٨ : ٦
جسرى	جنونا	»	٤١٤ : ٣،
			٤١٦ : ٤
كلانا	مكينُ	»	١٣ : ٥، ١٤ : ١٦
أبعدك	والحصونُ	»	٢٢٩ : ١٩
جزاك	اليمينِ	»	١٦١ : ١٣
دعانى	فمنيانى	»	١٦١ : ١٣،
			١٩٠ : ١٤
أعاذلتى	تعذرانى	»	٤٣٢ : ١٣
ألقيت	أهونُ	كامل	٤٣٨ : ٥
أدركت	النعمانِ	»	١٢٩ : ١٦
ألق العصا	العرجانِ	»	٤٢٠ : ١٢

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
حبسى	الزمانِ	مجزوء الكامل	٤١٩ : ٩
أخذت	بحسنهِ	»	٥ : ٧، ٣٠ : ٣،
			٣٢ : ١، ٤٤ : ٧
وقد قالت	تلاقينا	هزج	٢٣٨ : ٢،
			٢٤٠ : ١٠،
			٢٤٣ : ١
سليمى	أينا	»	٢٤١ : ٣،
			٢٤٢ : ١
تمنين	تمنينا	»	٢٤٢ : ٩
أيها	المجدونْ	مجزوء الرمل	٩٣ : ١٨،
			١٣٢ : ٤
يا أبا الحارث	مؤتمنْ	رمل	٣٨٤ : ٣،
			٣٨٦ : ٥
طرب	المدينهْ	خفيف	٣٦٠ : ١
رب دار	جيرونِ	»	١٠٠ : ١٢
ليت شعرى	الصفينِ	»	٣٦٠ : ٦
أجدُّ	شانُها	متقارب	٤٤٠ : ١١

(هـ)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
يا صاحبى	غلاها	بسيط	٧٩ : ٤
الله يعلم	أعنيها	»	٨٠ : ١٤،
			٨١ : ٥
نفسى	ويرضيها	»	٨١ : ٧
بربك	فاها	وافر	٢٣ : ١٠
بكى	سواها	»	٩٢ : ٤

(ى)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
وخبرتمانى	المراسيا	طويل	٩ : ٥
وإنى لأخشى	كما هيا	»	٩ : ١٢
تذكرت	عاديا	»	٣٣ : ٣
قضاها	ابتلانيا	»	٣٥ : ٤،
			٦٥ : ١٢

فهرس أنصاف الأبيات

(مرتبة بحسب أوائل كلماتها)

(ى)

فهرس أيام العرب

فهرس الأمثال

فهرس الكتب الواردة فى المتن

فهرس مراجع التحقيق

أنواع الفهارس

رقم الايداع بدار الكتب ٣٤٢٧/١٩٧١

المكتبة العربية

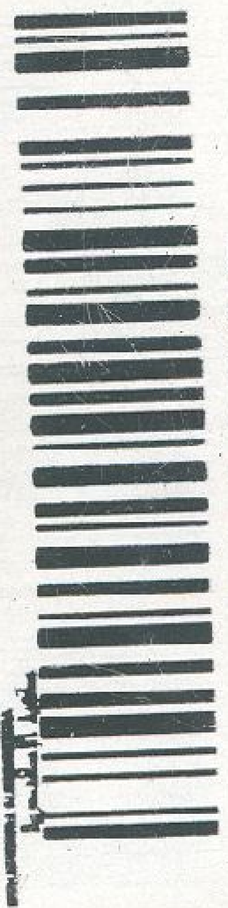
تصدرها

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الثقافة



الثمن ٩٠ قرشًا